المنهل السيال
الدافع لما نشأ من خلاف
بين الأشعري والماتريدية من الإشكال

تأليف

الشيخ عبد الحافظ بن علي المالكي الصعيدي الأزهري

المتوفى سنة ١٣٠٣هـ

تحقيق

الشيخ سيد كسروي حسن

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون
سنة 1971 بيروت - لبنان

المنهل السيال

الدافع لما نشأ من خلاف بين الأشعري والماتريدية من الإشكال

تأليف

الشيخ عبد الحافظ بن علي المالكي الصعيدي الأزهري

المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ

تحقيق

الشيخ سيد كسروي حسن

دار الكتب العلمية

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Title: Al-manhal al-sayyāl
al-dāfiʿ limā našʾā min ḫilāf
bayn al-ʿAšʿari wal Māturīdiyyah
min al- iškāl

Classification : *Theology*
Author : Al-šayḫ ʿAbdul-Hafiẓ ben ʿAli al-Māliki
Editor : Sayyid Kisrawi Ḥasan
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 328
Year : 2008
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب: المنهل السيال
الدافع لما نشأ من خلاف
بين الأشعري والماتريدية من الإشكال
التصنيف علم كلام
المؤلف الشيخ عبد الحافظ بن علي المالكي الصعيدي
المحقق : الشيخ سيد كسروي حسن
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 328
سنة الطباعة : 2008
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة :الأولى

ISBN 2-7451-5659-4 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5659-4 (13 dig)
9 782745 156594 90000

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٨م ١٤٢٩ هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohammad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah, — عرمون ، القبة،
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg. — مبنى دار الكتب العلمية
Tel +961 5 804 810/11/12 — هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
Fax: +961 5 804813 — فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
P.o.Box: 11-9424 Beirut-lebanon — ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
Riyad al-Solch Beirut 1107 2290 — رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales @al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

إهـــــداء

إلى ☜ المكتفين بما أنزل إليهم من رب العالمين.

إلى ☜ التابعين لما دعا إليه النبيون والمرسلون.

إلى ☜ الرافضين لتزييف المغالطين المضللين المتفلسفين.

إلى ☜ الصامدين في وجه التيارات الفكرية الهدامة.

إلى ☜ الآملين في عودة هذا الدين إلى أصله المتين.

أقدم مقدمة هذا الكتاب،،،،

سيد كسروي حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله.. ثم الحمد لله.. ثم الحمد لله، أصلح للمسلمين عقائدهم، ووضح لهم طريق تعبدهم، ووحد لهم قبلتهم، ووجه إلى الهدى بصائرهم، ونقى لهم سرائرهم، ونور لهم قلوبهم، وسهل الذكر على ألسنتهم، وبسّط لهم شريعتهم وأوجز لهم قرآنهم.

وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا معبود بحق سواه، أرسل رسله للناس هداة ليبينوا لهم أنه لا معبود إلّا إياه، ولينبذوا كل ما اتخذوه من دونه إله، لينالوا رضاه، ويسعدوا عند لقاه، بجنة أعدها لمن قصده ووحده ورجاه، وليتجنبوا نارًا جهزها لمن عبد غيره أو أشرك به وعصاه.

وبحق أشهد أن محمدًا رسول الله، جلى للناس أن من سبقوه ودعوا إلى وحدانية الله هم كلهم رسل الله، وأبان لهم أن ما جاءوا به من كتب إنما هي من عند الله، وأن القرآن حوى ما سبق من الكتب ليستقر عليه عباد الله إلى يوم لقائهم إياه، ففيه التوحيد والتشريع الذي يعمل به كل من تجرد من هواه، وفيه الحكمة والوعظ والوعد والوعيد، والقصص التي يعتبر بها من أراد النجاة، ثم تركهم على المحجة البيضاء، فمن تركها فقد سلك طريقًا غير طريق مولاه، فاستحق جزاه.

أما بعد:

فإن الأمم السابقة كلها قد افترقت بعد أنبيائها إلى فرق وطوائف ومذاهب وجماعات، فمنهم من ظل على ما بلغهم به رسلهم حتى جاءهم نبي بعده فآمنوا به واتبعوه وأكملوا السير معه على ما جاءهم به، ونصروه وجاهدوا معه، فاتصل حبلهم وأدام الله ودهم وولاءهم.

ومنهم من شطت به السبل والأهواء، فتفرقوا وادعى كل مدع منهم أنه على الهدى، وأن هذا مراد الله أو مراد من أرسله الله.

وبالغ بعضهم فادعى أنه نبي مرسل، وجاء بأمور تنقض الوحدانية أو تبيح ما حرم أو تحرم ما أحل الله.

وهذه الأمة الإسلامية ليست بدعًا من الأمم السابقة، فقد وقعت فيما وقعت فيه الأمم السالفة ، وأصابتها تلك السنة المقيتة، فجرت على أمة الإسلام، فتفرقوا شيعًا وأحزابًا وطرقًا وطوائفًا ومذاهبًا شتى، وكفر بعضهم بعضًا، وقاتل بعضهم بعضًا، وعقّدوا ما سهل الله، وعسروا ما يسر الله، ولووا مقاصد النصوص، وبدلوا معاني الآيات والأحاديث، وألفوا نصوصًا وضعوها ونسبوها إلى الله ورسوله لينتصروا لمذاهبهم وآرائهم وأهوائهم لأشياء في

أنفسهم ، وتبعهم على زيغهم أو شبههم من تبعهم.

ابتداءً بعبد الله بن سلول ، مرورًا بعبدالله بن سبأ، وانتهاءً بدعاة توحيد الخطاب الديني والتقريب بين الديانات في عصرنا الحالي.

إلّا أن الحق واضح أبلج ، وإن الجماعة القاصدة للحق المتصلة من زمن أبينا آدم وسيدنا نوح عليه السلام ما زالت متماسكة بعضها ببعض حتى جاءنا الإسلام النقي، والتوحيد الصفي، الذي جاء به كل الرسل، حتى جاء آخرهم محمد ﷺ وتبعته فئة ما حادت عن الطريق حتى وصل إلينا نقيًا صفيًا بهيًا ، وسيظل إلى أن تقوم الساعة وهي التي ما أوّلت ولا بدلت ولا حرفت ولا عطلت ولا بالغت ولا حطت وإنما سمعت ووعت ونفذت وصمتت.

وما جاء نبي قط بتوحيد مبهم مفلسف، ولا بشرع معقد ، بل قالوا: «أيها الناس اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»، وقالوا: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». وقالوا: «قولوا: الله أحد، قولوا: الله الصمد، قولوا: الله لم يلد، قولوا: الله لم يولد، قولوا: الله ليس له كفوًا أحد، قولوا: الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

هذا ما نادى به كل الرسل من أولهم إلى آخرهم محمد ﷺ.

فما نادوا به أمور لا تحتاج إلى شرح ولا إلى توضيح ولا إلى عقليات فذة ، ولا إلى علماء متبحرين، بل يفهم كلام الأنبياء كل من له أدنى درجة من العقل، كما يفهمه أشدهم ذكاءً، الله واحد لا شريك له، ولا ند له، خلق الناس وكلفهم ، ثم يميتهم ، ثم يبعثهم ، ليجازيهم بما عملوا.

أفي هذا تعقيد أو غموض أو لبس؟ أيحتاج هذا إلى إيضاح موضح أو شرح شارح أو فلسفة متفلسف؟

وأظن أن من يعارض أو يخالف إنما هو إنسان ذو هوى، فلندعه وما يدعي ويهوى، وسينال جزاء ما تمنى.

وأما عن هذا الكتاب،

فإنما هو من كتب العقائد التي منها المئات، وهي كتب في حقيقة الأمر لا أحبها ولا أحب أن أقرأها ولا أنصح بقراءتها ولا أدعو إليها، وإنما أحببت أن أقدم هذا الكتاب لأقول تلك الكلمة ، لأبين بأن ديننا مبسط ، لا يحتاج في أمور توحيده إلى كتب أو مناقشات، أو فلسفات، ولندع من أراد أن يتفلسف إلى فلسفته ولا ننجر وراءه فنضيع جهدنا تارة، ونشكك البسطاء تارة أخرى، فالحق واضح أبلج، واحد لا يتعدد، ومن مارى فليمار مع نفسه، وقد حسم الله تعالى هذا بقوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

فلا أنا أدعو إلى أشاعرة، ولا أنفر من سُنّة ، ولا أقر شيعة، وإنما أقول بما قال الله تعالى:

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج:٧٨]، لا أشاعرة، ولا ماتريدية، ولا سنة، ولا شيعة، ولا غير ذلك، مما سموا ، وقد نبهنا وحذرنا من التسمي بغير ما سمى سبحانه، وحذرنا من التفرق شيعًا أو فرقًا أو أحزابًا، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

فما جاء الأنبياء من لدن آدم ﷺ إلى خاتمهم محمد عليهم جميعًا الصلاة والسلام إلّا بأمر واحد أو دين واحد ألا وهو الإسلام ، وقد ختم بمحمد ﷺ وبقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

فليس هناك ما يسمى بمسلم سني، أو مسلم شيعي، أو مسلم أشعري، أو مسلم زيدي، أو مسلم بهائي، أو ما إلى ذلك، مما يضاف إلى لفظ مسلم، إنما هو مسلم وفقط، فهذا ما أراد الله، وهذا ما اصطفى الله ، وهذا ما اختار الله ، وما أرسل به الرسل وما عداه فلا نعرفه ولا نقره بل نمقته ونحذر منه.

فأيها المسلم لتحذر هذه الكتب التي تدعى كتب العقائد، بما فيها هذا الكتاب، ولتقبل في أمر العقيدة خصوصًا على كتاب واحد ألا وهو القرآن الكريم، ولا تحيد عنه مهما زين لك المزينون أو شكك المشككون، فالله تعالى أوجز لك فيه القول، ووضحه أيما إيضاح، في سورة الإخلاص ، فلا تحد عنها فتهلك. فإنك إن قرأت كتابًا من كتب الملل والنحل ، ولم تكن على دراية متينة ودين قوي هلكت في مهوى من مهاويها المتعددة إن لم تهلك في معظمها، فاحذر هداك الله.

أما عن الكاتب لهذا الكتاب: فإنه أراد أن يقرب بين الطائفتين، ويبين أنهما قريبتان من بعضهما البعض، إلّا في بعض الأمور القليلة التي ذكرها في المقدمة، ثم زاد عليها أثناء سرد الكتاب بعض الخلافات بينهما، عما جاء في المقدمة، ثم خرج عن الموضوع برمته في آخر الكتاب، إذ تناول فيه عقيدة النصارى بشيء من التفصيل ، وما كان لذكرهم دخل في موضوع الكتاب ولا مجال، فقد حشروا فيه حشرًا، وحشو حشوًا، وكما أسلفت القول، فإنه يجمل بك أيها المسلم أن تبتعد عن هذه النوعية من الكتب ، كتب العقائد جملة، مهما زين لك المزينون، وعليك بكتاب ربك الذي نزل به ملك مطهر على نبي مرسل، إذ لو كان في سواه بركة أو شبهة خير لأشار إليها ولنبهك عليها.

وأنا هنا لا أريد أن أتكلم لا عن هؤلاء ولا عن أولئك، لهذا أجملت القول في هذه المقدمة ، فالأشعرية مذهبهم مشهور معروف مبسوط في كتبهم وكتب معارضيهم، وكذلك الماتريدية.

وأما عن أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي، فكلاهما علم مشهور وتراجمهم

تملأ الكتب وسيرتهم كالنار على العلم، فهما من أصحاب المذاهب والفرق المعروفة، وإن أحببت فراجع فيها كتاب «ديوان الإسلام» (ت:١٧٧) للأول، و(ت:١٨٩٧) للثاني.

وفي ختام كلمتي أنصحك أخي المسلم أن لا تطلب الحق إلا من مصدره ، ولا تطلب شيئًا إلا من منبعه الصافي، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، ويحضرني بهذه المناسبة قول القائل:

جُبِلَتْ عَلى كَـدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيْدُهـــا صَفْـوًا مِنَ الأَقْـــذاءِ وَالْأَكْـــدَارِ
وَمُكَلِّـفُ الأَيّـامَ ضِـــدّ طِبَاعِهَـــا مُتَطَلِّبٌ فِي المَــاءِ جَــذْوَةِ نَـــارِ
وَإِذَا رَجَــوْتَ المُسْتَحِيْــلَ فَإِنَّمَــا تَبنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِـــيْرٍ هَـــارِ

وكذا يحضرني قول ابن حزم في طوق الحمامة:

كَشَارِبِ المَاءِ كَيْ يُطْفِي الغَلِيْلَ بِهِ فَغَصَّ فَانْصَاعَ فـــي الأَجْـــدَاثِ

فالله الكريم الهادي أسأل أن يبصرني ويبصرك ويبصر زوجتي وكل مسلم قصد ربه بخالص قلبه إلى الطريق القويم، والصراط المستقيم، حتى نلحق بخير خلقه أجمعين، محمد ﷺ وبصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بهدى إلى يوم الدين، كما أسأله سبحانه أن يجعل لنا من كل ضيق مخرجًا ، ومن كل هم فرجًا، وأن يرزقنا حسن الختام بالموت على دين الإسلام، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محققه

أبو إسلام/سيد كسروي حسن

القاهرة في يوم السبت: غرة المحرم لعام ١٤٢٨
الموافق ٢٠/ ١/ ٢٠٠٧

ترجمة المؤلف

مؤلف الكتاب على الرغم من أن له غير هذا الكتاب من الكتب كثير غير أنه لم يحظ بترجمة تروي الظمأ، بل لم أقف له على ترجمة ذات بال إلا ما جاء في «معجم المؤلفين» للأستاذ كحالة، وقد اجتهد فيها بناءً على ما وقف عليه من مؤلفاته، وأعزُ ذلك التقصير في ترجمته إلى قرب عهده منا ، فقد حظي الأوائل بما لم يحظ به الأواخر من العلماء على الرغم من أنه كان يجب أن يحظى الأواخر بما لم يحظ الأوائل، نظرًا لتوسع العلم وانتشار المؤلفين والمحققين في الأزمان القريبة.

وعمومًا ما لا يدرك كله فلا يترك جله، فأنا أذكر هنا ما ذكر الأستاذ كحالة في ترجمته من كتابه معجم المؤلفين وأنسقه على طريقتي مستوحيًا ذلك مما ترجم له هو به:

اسمه: عبد الحافظ بن علي.

نسبه ولقبه: الأزهري، المصري.

مذهبه، مالكي المذهب.

ميلاده: لم يوقف له على سنة ميلاد.

وفاته: (١٣٠٣هـ).

ثم ترجم إيجازًا واستنباطًا فقال: عالم مشارك في الفرائض والكلام والبلاغة.

هذا كل ما ترجم له به، وأحسبه أخذه من أسماء وموضوعات كتبه التي ذكرها فقال:

من تصانيفه:

١- شرح روض الأفهام في غاية ما ينتهي إليه الكسر من الأحكام (في الفرائض).

٢- زهر الرياض الزكية الوافية بمضمون السمرقندية (في البلاغة).

٣- لوامع الأنوار وروض الأزهار (في الرد على من أنكر على المتكلمين بألسنة الأحوال والأسرار).

وأضيف أنا هذا الكتاب الذي هو من تأليفه ولم يقف عليه الأستاذ عمر كحالة، وهو:

٤- المنهل السيال الدافع لما نشأ من خلاف الأشعري والماتريدية من الإشكال.

والناظر في أسماء كتبه يتيقن أن هذا الكتاب حقًا من كتبه، بالإضافة إلى ما ورد في مقدمته من ذكر اسمه فيه صريحًا، ولكن مرادي هنا هو أن أسماء كتبه اتسمت بالإطالة في العنوان على غير المألوف.

وعلى الرغم من أن المؤلف من أهل البلاغة، وأرباب الكلام، إلّا أن العناوين جاءت على غير النسق المعهود عنهم ، فهم من أسرع الناس وصولًا إلى أهدافهم من الكلام، بأوجز

العبارات وأقل الكلمات، فلا أدري لماذا كان هذا منهجه أو أسلوبه في اختياره لعناوين كتبه؟!

وعمومًا نسأل الله لنا وللشيخ عبدالحافظ الرحمة والمغفرة ، والفوز برضى الله تعالى، والنجاة من عقابه.

كما أسأله لي ولزوجتي والمسلمين حسن الختام آمين.

وذكر مصادر ترجمته فقال:

(في) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) البغدادي: «هدية العارفين» (١/ ٥٠٢)، «فهرست الخديوية» (٤/ ١٣٧)، «فهرست الأزهرية» (٢/ ٣١٥)، سركيس: «معجم المطبوعات» (١/ ٦١٨)، المكتبة البلدية: «فهرست البلاغة» (١٢).

راجع «معجم المؤلفين» (٥/ ٨٦).

عملي في المخطوط

- نسخت المخطوط وأثبت ما سقط منه بين معقوفين، وأشرت إلى ذلك في حينه وضبط ما جاء فيه خطأً إملائيًا.

- ترجمت لبعض الكلمات التي تحتاج إلى إيضاح من لسان العرب.

- خرجت ما به من آيات قرآنية، وكانت قليلة جدًا، وكذا ما ورد به من أحاديث نبوية، وكانت كذلك نادرة ونسابها الضعف أو الوضع.

- جعلت الآيات القرآنية بين قوسين، والأحاديث النبوية بين علامتي تنصيص.

- ترجمت لمن جاء ذكره فيه من الأعلام وكانوا كثرة على الرغم من صغر الكتاب.

- لم أعلق على ما ذكر المؤلف من عقائد لا إيجابًا ولا سلبًا، واعترضت قليلًا جدًا مرة أو مرتين أو أكثر قليلًا على عقيدة المؤلف من حيث التصوف الذي أصابه بعض الخلل الذي قد يزل به القارئ أو ينزلق في مهوى من مهاوي العقائد الفاسدة.

- قدمت للكتاب بهذه المقدمة الموجزة وقد بينت فيها وجهة نظري في كتب العقائد داعيًا إلى الاكتفاء في العقائد على وجه الخصوص بالقرآن الكريم ، وما ورد فيه بهذا الخصوص.

- أرفقت صورة المخطوط بآخر المقدمة بين يدي الكتاب.

- ترجمت لمؤلفه ترجمة موجزة نظرًا لقلة ما لدي من كتب قد ترجمت له نظرًا لحداثته قياسًا على كتب التراث أو الأعلام القدامى.

وصف المخطوط

اسم المخطوط: المنهل السيال الدافع لما نشأ من خلاف الأشعري والماتُريدية من الإشكال.

اسم المؤلف: الشيخ عبدالحافظ بن علي المالكي الأزهري المصري الخلوتي.

الفن: توحيد: (ملل ونحل).

عدد الأوراق: (٨٤) بالغلاف.

عدد الأسطر في الصفحة: (٢١) سطرًا.

عدد الكلمات في السطر: من ٩ : ١١ كلمة.

المقاس: ١٠ × ١٧ سم.

نوع الخط: نسخ جيد.

اسم الناسخ: حسن بن أحمد بن عمر النزهاوي.

تاريخ النسخ: الخميس (٧) رمضان سنة (١٢٩٥) هجرية.

مصدر المخطوط: أهدي إليّ مصورته من الأستاذ/ محمود محمد محمد حسن نصار.

والمخطوط يبدو أنه آل إلى مالكه عن طريق الميراث ؛ لأنه لا يظهر عليه علامات تملك ولا أختام حفظ في دار من دور الحفظ، وربما فقدت صفحة الغلاف، فالله تعالى أعلم، فإن ما معي إنما هي مصورة المخطوط.

وقد أهداها إليّ الأستاذ محمود من مكتبته العامرة المباركة زادها الله بركة، وزاده هدى وصلاحًا، وأصلح له زوجه وأولاده: مرة، ومحمد، وزادهم به برًّا، وزاده لهم حبًّا، فإني لأحسبه من أفاضل الناس وأنقاهم سريرة، وأحبهم نفعًا للناس، ومن أحرصهم على نفعهم، فهو يبذل جهدًا جهيدًا في إيصال الخير إليهم قدر طاقته، ومكتبته مباحة لا مفتوحة للجميع، ونصيحته جاهزة مجردة من الهوى والغش على قدر فهمه للأمر، وقد جرده الله من الحقد حتى على من أساء إليه، وهو من أبر الناس بوالديه، حتى بعد وفاتها، ويحب الصالحين على اختلاف مذاهبهم، وهو موسوعة في أسماء الكتب والمؤلفين والمحققين ودور النشر ، حتى أني أنسى بعض أسماء كتبي التي ألفتها أو حققتها وأتعجب من ذكره لها وكأنها بين يديه، وهو شعلة من النشاط لغيره، ومن الغريب أنه خمول جدًّا في عمل نفسه من تحقيق أو تأليف، فهو بطيء، وهو جَمَّاعة للكتب غير أن ضيق ذات اليد هو الذي يكبله.

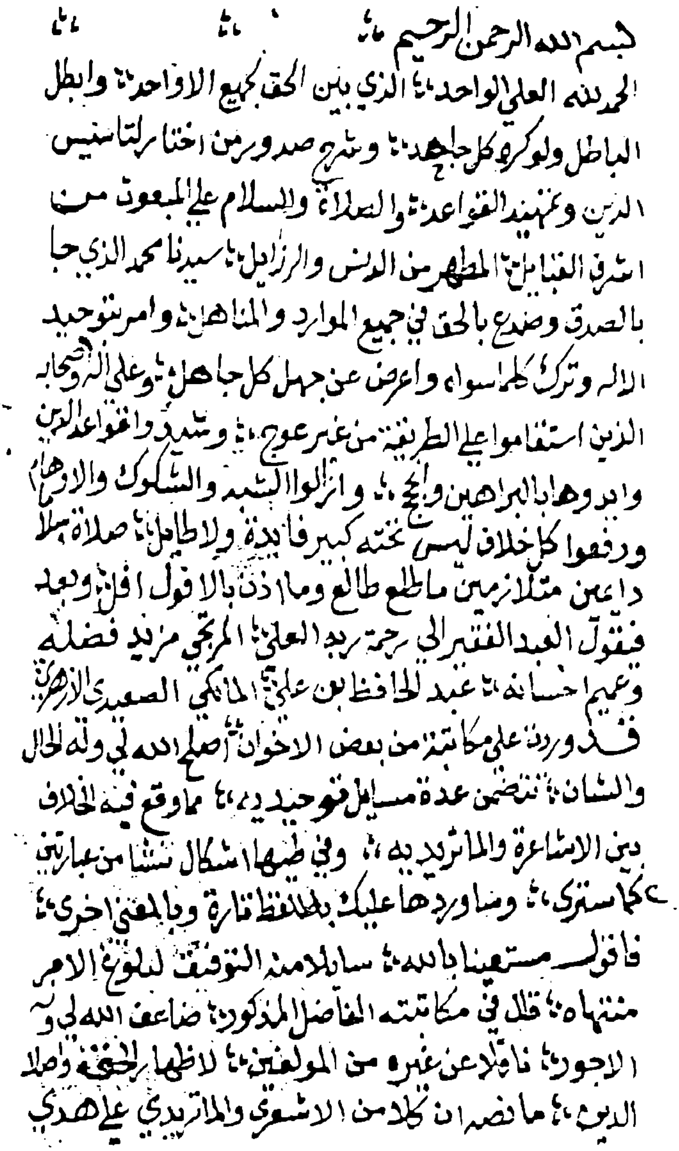
فاللهم تقبل منه صالح عمله وتجاوز له عن سيئاته وأحسن ختامنا وختامه، آمين.

صور مخطوط كتاب المنهل السيال

١- مصورة الورقة الأولى، وهي غلاف الكتاب.
٢- مصورة الورقة الثانية ، وبها مقدمة الكتاب .
٣- مصورة الورقة الثالثة، وبها يظهر اسم الكتاب.
٤- مصورة الورقة الأخيرة ، وبها نهاية الكتاب واسم الناسخ وتاريخ النسخ.

هذا كتاب يسمى المنهل السيال الدافع لما نشأ من خلاف
الاشعرية والماتريدية من الاشكال لشيخنا
وقدوتنا الى الله من على الكتاب والسنة
محافظ استاذنا الشيخ عبد الحافظ
المالكي الازهري الخلوتي
نفعنا الله به
امين
م

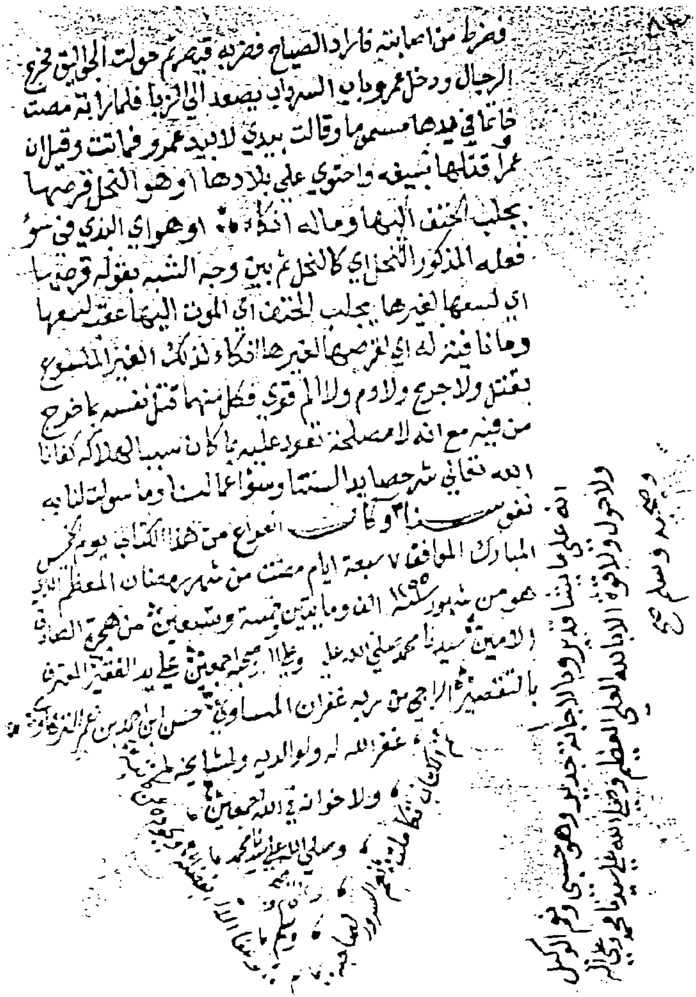
مصورة الورقة الأولى ويظهر بها اسم الكتاب واسم مؤلفه


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله العلي الواحد الذي بين الحق لجميع الاواحد وابطل
الباطل ولو كره كل جاحد وشرح صدور من اختار لتاسيس
الدين وتمهيد القواعد والصلاة والسلام على المبعوث من
اشرف القبايل المطهر من الدنس والرذايل سيدنا محمد الذي جا
بالصدق وصدع بالحق في جميع الموارد والمناهل وامر بتوحيد
الاله وترك كل ما سواه واعرض عن جهل كل جاهل وعلى اله واصحابه
الذين استقاموا على الطريقة من غير عوج وشيدوا قواعد الدين
وايدوها بالبراهين والحجج وازالوا الشبه والشكوك والاوهام
ورفعوا كل خلاف ليس تحته كبير فايدة ولا طايل صلاة وسلاما
دايمين متلازمين ما طلع طالع وما اذن بالافول افل وبعد
فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه العلي المرتجي مزيد فضله
وعميم احسانه عبد الحافظ بن علي المالكي الصعيدي الازهري
قد وردت علي مكاتبة من بعض الاخوان اصلح الله لي وله الحال
والشان تتضمن عدة مسايل في توحيد ربي مما وقع فيه الخلاف
بين الاشاعرة والماتريدية وفي ضمنها اشكال نشا من عبارتي
كما سترى وها انا اوردها عليك باللفظ تارة وبالمعنى اخرى
فاقول مستعينا بالله سايلا منه التوفيق لبلوغ الامر
منتهاه قال في مكاتبته الفاضل المذكور ضاعف الله لي وله
الاجور ناقلا عن غيره من المولفين لاظهار الحقيقة واصلا
الدين ما نصه ان كلا من الاشعري والماتريدي على هدى

مصورة الورقة الثانية ويظهر بها بداية المقدمة واسم المؤلف ومذهبه ولقبه

الا الله لفسدتا حجة إقنعية لا قطعية الثالث قوله ان
صفات الله ممكنة لذاتها واجبة ليس عينها ولا غيرها انتهى
قال الفاضل المذكور بعد ان نقل هذا الكلام مستشكلا لما سبق
من هذا الابهام ومن حيث ان ما نسب الى الاشعري من جواز
الصغائر على الانبيا يخالف المنصوص على عدم جوازها عليهم قبل
النبوة وبعدها عمدها وسهوها وعلى وقوع السعدي في قوله
بجوازها عليهم مع انه لو صح ما نسب الى الاشعري في ذلك لما حكم على
السعد بالوقوع في هذا الخصوص لاجماع الائمة واتفاق
كلمة اهل الحق على ان كلا من الاشعري والماتريدي على هدى
ونور وعلى الخروج من عهدة التطبيق بالايمان بان يجزم بعقيدته
في ما يوافق احد المذهبين اهـ ولما ذكر هذا المقال على وجه
السؤال اعقبه بطلب الجواب عن هذا الاشكال واجبته
الى ذلك راجيا للثواب من الكريم الوهاب فقلت مسميا
لما سأذكره بالمنهل السيال الدافع لما نشا من خلاف الاشعري
والماتريدية من الاشكال بعد حمد الله والصلاة والسلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين قد وجبت لهم الامانة والعصمة
وفسرت الامانة بانها ملكة في النفس تمنع صاحبها من ارتكاب
المنهيات وفسرها بعضهم بحفظ الله ظواهرهم وبواطنهم من
التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة او خلاف الاولى ولو في حال
الصغر فلا يقع منهم محرم ولا فرق فيه بين ان يكون كبيرة او

مصورة الورقة الثالثة ويظهر بها اسم الكتاب



وخرط من اصابعه فاراد الصياح فضربه [illegible] حولت الجواري فخرج
الرجال ودخل عمرو باب السرداب يصعد الى الزباء فلما رأته مصت
خاتما في يدها مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو فماتت وقيل ان
عمرا قتلها بسيفه واحتوى على بلادها او هو النحل فرعيها
يجلب الحتف اليها وماله انكاؤه او هو اي الذي في سو
فعله المذكور النحل اي كالنحل ثم بين وجه الشبه بقوله فرعيها
اي لسعها لغيرها يجلب الحتف اي الموت اليها عقب لسعها
وما انا فيه له اي لمرضيها الغيرها انكاؤه لذلك الغير الملسوع
بعقل ولا جرح ولا دم ولا الم قوي فقط منها قتل نفسها بما خرج
من فيها مع انه لا مصلحة تعود عليها بل كان سببا لهلاكها كفانا
الله تعالى شر حصايد السنتنا وسوء اعمالنا وما سولت لنا به
نفوسنا آمين وكان الفراغ من هذا الكتاب يوم خميس
المبارك الموافق ٧ سبعة ايام مضت من شهر رمضان المعظم الذي
هو من شهور سنة ١١٩٥ الف ومائة خمسة وتسعين من هجرة الصادق
الامين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين على يد الفقير المعترف
بالتقصير الراجي من ربه غفران المساوي حسن ابن احمد [illegible]
غفر الله له ولوالديه [illegible]
ولاخوانه في الله اجمعين آمين
وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

مصورة آخر ورقة ويظهر بها نهاية الكتاب واسم ناسخه وتاريخ نسخ الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم [٢/أ]

[مقدمة المؤلف][1]

الحمد لله الواحد، الذي بيّن الحق لجميع الأواحد، وأبطل الباطل ولو كره كل جاحد، وشرح صدور من اختار لتأسيس الدين وتمهيد القواعد.

والصلاة والسلام على المبعوث من أشرف القبائل، المطهر عن الدنس والرذائل، سيدنا محمد الذي جاء بالصدق، وصدع بالحق في جميع الموارد والمناهل، وأمر بتوحيد الإله وترك كل ما سواه، وأعرض عن جهل كل جاهل، وعلى آله وأصحابه الذين استقاموا على الطريقة من غير عوج، وشيدوا قواعد الدين، وأيدوها بالبراهين والحجج، وأزالوا الشبه والشكوك والأوهام، ودفعوا كل خلاف ليس تحته كبير فائدة ولا طائل، صلاة وسلامًا دائمين متلازمين ما طلع طالع، وما أذن بالأفول آفل.

وبعد:

فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه العلي المُرْتَجى، مزيد فضله وعميم إحسانه: **عبدالحافظ بن علي المالكي الصعيدي الأزهري)**:

قد وردت عليّ مكاتبة من بعض الإخوان، أصلح الله لي وله الحال والشان، تتضمن عدة مسائل توحيدية مما وقع فيه الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية، وفي طيها إشكال نشأ من عبارتين فيها كما سترى، وسأوردها عليك باللفظ تارة وبالمعنى أخرى.

[نص الرسالة وتعليق المؤلف وهو متن الكتاب] [2]

فأقول مستعينًا بالله، سائلًا منه التوفيق لبلوغ الأمر منتهاه:

قال في مكاتبته الفاضل المذكور، ضاعف الله لي وله الأجور، ناقلًا عن غيره من المؤلفين؛ *لإظهار الحق وإصلاح الدين ما نصه:*

إن كلًّا من الأشعري والماتريدي على هدى [٢/ ب] ونور، وإن كان طريق الأشعري هو المقدم عندنا، وقد قامت كلمة الحق على الخروج من عهدة التكليف بالإيمان بأن يجزم بعقيدته على ما يوافق أحد المذهبين، وليس بين الأشعري والماتريدي اختلاف إلا في مسائل يسيرة وصلت إلى سبع، ليست من أمهات المسائل حتى يكون الاختلاف فيها مؤديًا إلى التباين والتناقض في أصول الدين، بل هي من الفروع في علم الكلام والخلاف في أكثرها لفظي:

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له .

فالأولى: الاستثناء في الإيمان، قال بها الأشعري.

والثانية: السعيد لا يشقى والشقي لا يسعد، قال بها الأشعري.

والثالثة: الكسب الذي يثبته الأشعري.

والرابع: قول الأشعري: إن معرفة الله واجبة بالشرع.

والخامسة: قول الأشعري: إن أوصاف الأفعال حادثة. وقال بقدمها الماتريدي.

والسادسة: قول الأشعري بجواز الصغائر على الأنبياء.

والسابعة: ليست على الكافر نعمة. انتهى.

ثم ذكر هذا الفاضل المذكور بعد ذلك: أن هذا الكلام المتقدم ذكره نقله أيضًا بعض العلماء في تأليفه في هذا الفن، لكنه نص في هذا التأليف على عدم جواز الصغائر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مطلقًا، قبل النبوة وبعدها، عمدها وسهوها.

قال: خلافًا للسعد القائل بجواز الصغيرة عليهم، فإنه يخطئ في ذلك.

وأما من أوهم وقوع ذلك منهم يجب تأويله وصرفه عن ظاهره.، إلى أن قال في تأليفه المذكور:

اعلم أن السعد [1] وقع في التوحيد في محلات:

---

(١) هو: مسعود بن عمر بن عبدالله، السعد، سعد الدين التفتازاني، الشافعي، المصنف، المشهور بالسعد، وبالتفتازاني. المولود سنة: (٧١٢ هـ)، والمتوفى سنة (٧٩١هـ)، وقيل: سنة (٧٩٢هـ).

وقد ترجم له ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة (٧٩١هـ)، فقال:

به المثل بين جماعته في البلادة، فاتفق أن أتاه إلى خلوته رجل لا يعرفه، فقال له: قم يا سعد الدين لتذهب إلى السير، فقال: ما للسير خلقت، أنا لا أفهم شيئًا مع المطالعة، فكيف إذا ذهبت إلى السير ولم أطالع؟

فذهب وعاد وقال له: قم بنا إلى السير، فأجابه بالجواب الأول، ولم يذهب معه، وذهب الرجل، وعاد وقال له مثل ما قال أولًا، فقال: ما رأيت أبلد منك، ألم أقل لك: ما للسير خلقت؟!

فقال له: رسول الله ﷺ يدعوك، فقام منزعجًا، ولم ينتعل بل خرج حافيًا حتى وصل به إلى مكان خارج البلد به شجيرات، فرأى النبي ﷺ في نفر من أصحابه تحت تلك الشجيرات، فتبسم له وقال له: نرسل إليك المرة بعد المرة تأت، فقال: يا رسول الله، ما علمت أنك المرسل وأنت أعلم بما اعتذرت به من سوء فهمي، وقلة حفظي، وأشكو إليك ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «افتح فمك»، وتفل له فيه ودعا له، ثم أمره بالعود إلى منزله وبشره بالفتح، فعاد وقد تضلع علمًا ونورًا، فلما كان من الغد أتى إلى مجلس العضد، وجلس مكانه، فأورد في أثناء جلوسه أشياء ظن رفقته من الطلبة أنها لا معنى لها، لما يعهدونه منه، فلما سمعها العضد بكى، وقال: أمرك يا سعد الدين إليّ، فإنك اليوم غيرك فيما مضى.

ثم قام من مجلسه وأجلسه فيه، وفخم أمره من يومئذ. انتهى.

وتوفي رحمه الله تعالى بسمرقند، وكان سبب وفاته ما ذكره في «شقائق النعمان» في ترجمة ابن الجزري: أن تيمورلنك جمع بينه وبين السيد الشريف، فأمر التيمور بتقديم السيد على السعد، وقال: لو فرضنا أنكما =

الأول: ما تقدم من جواز الصغائر على الأنبياء.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ [٣/ أ] إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢] حجة أقنعية لا قطعية.

الثالث: قوله: إن صفات الله ممكنة لذاتها واجبة ليس عينها ولا غيرها. انتهى.

قال الفاضل المذكور؛ بعد أن نقل هذا الكلام مستشكلًا لما سبق من هذا الإيهام:

= سيان في الفضل، فله شرف النسب. فاغتم لذلك العلامة التفتازاني وحزن حزنًا شديدًا فما لبث حتى مات رحمه الله تعالى. وقد وقع ذلك بعد مباحثتهما عنده، وكان الحكم بينهما نعمان الدين الخوارزمي المعتزلي، فرجح كلام السيد الشريف على كلام العلامة التفتازاني» انتهى.

وقال ابن الغزي في «ديوان الإسلام» بتحقيقي: «السعد التفتازاني.... الإمام العالم العلامة المحقق المدقق البليغ الشيخ سعد الدين الشافعي صاحب المصنفات الفائقة المتقنة كالمطول، والمختصر، وشرح المفتاح، وشرح العقائد، وحاشية الكشاف».

ثم علقت على هذه الترجمة بهامش الكتاب المذكور فيما ذكرت في ترجمته: أن عددت أسماء كتبه فبلغ عددها أربعة وعشرين كتابًا، فكانت على النحو التالي:

١ - حاشية على الكشاف للزمخشري (في التفسير). ٢ - التهذيب (في المنطق والكلام).

٣ - حقائق التنقيح لصدر الشريعة (في الأصول). ٤ - شرح تلخيص المفتاح (في المعاني والبيان).

٥ - المقاصد في علم الكلام (مقاصد الطالبين في علم أصول الدين).

٦ - أربعين (في الحديث).

٧ - إرشاد الهادي (في النحو). ٨ - الإصباح في شرح ديباجة المصباح (في النحو).

٩ - تركيب الجليل (في النحو). ١٠ - الجذر الأصم (في شرح مقاصد الطالبين).

١١ - دفع النصوص والنقوص. ١٢ - رسالة الإكراه.

١٣ - شرح تصريف الزنجاني. ١٤ - شرح حديث الأربعين.

١٥ - شرح الشمسية (في المنطق). ١٦ - شرح منتهى السؤال والأمل لابن الحاجب.

١٧ - فتاوى الحنفية. ١٨ - قوانين الصرف.

١٩ - كشف الأسرار وعدة الأبرار (في تفسير القرآن، فارسي).

٢٠ - مختصر شرح تلخيص الجامع للشيخ مسعود. ٢١ - المختصر في شرح تلخيص المفتاح.

٢٢ - المطول في المعاني والبيان. ٢٣ - مفتاح الفقه.

٢٤ - نعم السوابغ (في شرح النوابغ للزمخشري).

أما عن مصادر ترجمته، فهي على النحو التالي:

«شذرات الذهب» (٦/ ٣١٩)، «ديوان الإسلام، بتحقيقي» (ت: ١١٣٢)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٢٩)، «الأعلام» (٧/ ٢١٩)، «معجم المؤلفين» (١٢/ ٢٢٨)، «كشف الظنون» (٥٥، وغير ذلك)، «إيضاح المكنون» (٢٨٣)، «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٤/ ٣٥٠)، «بغية الوعاة» (ت:١٩٩٢)، «البدر الطالع» (٢/ ٣٠٣)، «مفتاح السعادة» (١/ ١٦٥)، «روضات الجنات» (٣٠٩)، وغير ذلك من المصادر.

ومن حيث إن ما نسب إلى الأشعري من جواز الصغائر على الأنبياء يخالف المنصوص على عدم جوازها عليهم، قبل النبوة وبعدها، عمدها وسهوها، وعلى وقوع السعد في قوله بجوازها عليهم، مع أنه لو صح ما نسب إلى الأشعري في ذلك لما حكم على السعد بالوقوع في هذا الخصوص؛ لإجماع الأئمة، واتفاق كلمة أهل الحق ، على أن كلًّا من الأشعري والماتريدي على هدى ونور، وعلى الخروج من عهدة التكليف بالإيمان، بأن يجزم بعقيدته على ما يوافق أحد المذهبين، انتهى.

ولما ذكر هذا المقال على وجه السؤال، أعقبه بطلب الجواب عن هذا الإشكال.

[جواب الشيخ على السائل](1):

فأجبته إلى ذلك راجيًا الثواب من الكريم الوهاب، فقلت مسمّيًا لما سأذكره بـ: «**المنهل السيال الدافع لما نشأ من خلاف الأشعري والماتريدية من الإشكال**»، بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

اعلم أن الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قد وجبت لهم الأمانة والعصمة.

وفسرت الأمانة بأنها: ملكة في النفس، تمنع صاحبها من ارتكاب المنهيات.

وفسرها بعضهم بـ: حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه، ولو كراهة أو خلاف الأَوْلى ، ولو في حال الصِغَر.

فلا يقع منهم محرم، ولا فرق فيه بين أن يكون كبيرة أو [٣/ ب] صغيرة، ولا بين أن يكون قبل البعثة أو بعدها، ولو سهوًا.

ولا يقع منهم مكروه ، ولا خلاف الأَوْلى، بل ولا مباح على وجه كونه مكروهًا أو خلاف الأَوْلى أو مباحًا.

وإذا وقع صورة ذلك فهو للتشريع ، فيصير واجبًا أو مندوبًا في حقهم.

فأفعالهم ، عليهم الصلاة والسلام، دائرة بين الواجب والمندوب فقط.

كيف وقد يتفق ذلك لبعض الأولياء المتطفلين على أتباعهم، فبالأولى أن يكون لهم؛ لأنهم صفوة الله من خلقه وخيرته من عباده (٢)

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له .

(٢) هذه العبارة الخاصة بمن سماهم بالأولياء عبارة غريبة، وكيف يحتج بمثل هذا القول الساقط الأعور البيّن العوار على عصمة الأنبياء، فمن هم هؤلاء الذين سماهم بالأولياء، ومن أخبره بهم وكيف جعل لبعض الناس على بعض رتبة، فهل هناك إلا رتبة النبوة، ثم يأتي باقي العباد وكلهم سواء، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى، فهل هناك غير هذا الفارق الذي بينه الله للناس على ألسن الرسل، وفيما أنزل من الكتب؟؟

وأما المحرم فلا يقع منهم إجماعًا، كما قال المحققون، وما أوهم المعصية وجب تأويله، ولا يجوز النطق به في غير مورده إلا في مقام البيان والتعليم، ولا يجوز إفشاؤه للعوام لئلا يفضي بهم إلى الكفر بنسبة ذلك للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، واستحلال المحرمات لجهلهم، وعدم معرفتهم بالتأويل واستحالة قبولهم للتعليم لدوران أمرهم بين الإفراط والتفريط كما هو مشاهد منهم.

وأما العصمة الواجبة لهم عليهم الصلاة والسلام: فهي عين الأمانة، وراجعة إليها، وهي لغةً: المنع. واصطلاحًا: هي لطف من الله بالعبد يحمله على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر مع بقاء الاختيار تحقيقًا للابتلاء.

وقيل: هي حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه منه.

فهم معصومون من الذنوب والخطايا ، فلا تقع منهم كبيرة ولا صغيرة عمدًا أو سهوًا، ولو في حال الصغر كما مَرّ.

ولا يقع منهم مكروه على وجه كونه مكروهًا، ولا مباح على وجه كونه مباحًا، بل على وجه كونه قربة، إما للتشريع وبيان الجواز، أو للتَّقوِّي على العبادة أو نحو هذا، هو الذي [٤/ أ] نعتقده، وندين لله عليه.

ولهذا قال الإمام السنوسي[١] في شرحه لبرهان الأمانة بعد كلام طويل يشفي الصدور، ويبرئ العليل ما نصه:

«وبالجملة، فالاتباع له ﷺ في جميع أقواله وأفعاله إلَّا ما اختص به ورؤية الكمال فيها جملة وتفصيلًا مما علم من دين السلف ضرورة، فلا شك أن هذا دليل قطعي إجماعي على عصمته ﷺ، وفي معناه سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام من جميع المعاصي والمكروهات، وأن أفعالهم صلوات الله وسلامه عليهم دائرة بين الواجب والمندوب والمباح.

وهذا بالنظر إلى الفعل من حيث ذاته.

وأما إذا نظرنا إليه بحسب عوارضه، فالحق أن أفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب لا غير؛ لأن المباح لا يقع منهم عليهم الصلاة والسلام بمقتضى الشهوة ونحوها كما يقع من غيرهم، بل لا يقع منهم إلّا مصاحبًا لنية يصير بها.

---

(١) هو: عبدالقادر السنوسي، الصوفي، متكلم ، من تصانيفه الكثيرة:
- حاشية على عقائد العضدية. - حاشية إثبات الواجب.
- شرح رسالة الزوراء بشرح تهذيب الكلام الثلاثة: القديم والجديد والأجد
راجع: معجم المؤلفين (٥/ ٢٨٨)، وتاريخ السليمانية، لمحمد أمين زكي (٢٧٢).
وقد توفي السنوسي سنة (١٣٠٣ هـ ــ ١٨٨٦م).

وأقل ذلك أن يقصدوا به التشريع للغير، وذلك من باب التعليم، وناهيك بمنزلة قربة التعليم وعظم فضلها.

وإذا كان أدنى الأولياء(١) يصل إلى رتبة تصير معها مباحاته كلها طاعة بحسب النية في تناولها، فما بالك بخيرة الله تعالى من خلقه، وهم أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام، لا سيما أفضل الخلق وأشرف المرسلين جملة وتفصيلًا بإجماع من يعتد بإجماعهم سيدنا محمد ﷺ».

إلى أن قال: «ولتكن أيها المؤمن على حذر عظيم، ووجل شديد على إيمانك أن يسلب بأن تصغي بأذنيك أو عقلك إلى خرائف ينقلها كذبة المؤرخين تتبعهم [٤/ ب] في بعضها جهلة المفسرين، قد سمعت الحق الذي لا غبار عليه في حقهم عليهم الصلاة والسلام، فشد يديك عليه، وانبذ كل ما سواه والله المستعان»، انتهى.

وأما ما نقل عن الإمام الأشعري والمحقق سعد الدين التفتازاني في جواز الصغائر على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين:

فقد قال به بعض الأشاعرة، والحق خلافه، وهو وجوب عصمتهم عن الكبائر والصغائر، جميعًا، كما ذكر الإمام أبو حنيفة في «الفقه الأكبر»، وبه قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني(٢)

---

(١) إن الكلام عن الأولياء أو الأصفياء أو الرتب الصوفية المزعومة التي ما أنزل الله بها من سلطان ولا ورد ذكر لها في خبر صحيح عن رسول الله ﷺ إن هي إلا أسماء اخترعوها واتصفوا بها أو وصفوا بها من يشاءون ممن يتبعونهم وغالبًا ما يكون هذا الموصوف إما مشركًا أو دجالًا أو جاسوسًا كالبدوي ونظرائه.
فالبون شاسع بين الأنبياء والبشر العاديين من العباد والزهاد والصالحين والمجاهدين والمتصدقين والنُّسَّاك وغيرهم، فهؤلاء الناس عرفوا ما عرفوا عن أنبياء الله فحاولوا اتباعهم قدر طاقتهم، وحاولوا تقليدهم فيما عبدوا به ربهم لكي يدخلوا الجنة وينالوا رضا ربهم لا ليصلوا إلى منازلهم وهم على يقين من ذلك.
فكل مؤمن يؤمن بأن الأنبياء منزلتهم خاصة، وأن الله تعالى قد اصطفاهم واختارهم من بين خلقه وخصهم بما شاء من العصمة والنصرة والوحي والهدى والرشاد، وجبلهم على الطاعة والعبادة وعمق بل غرس في صميم قلوبهم وعقولهم اليقين بالقول والفعل والوحي، فلا يصل إلى قرب منزلتهم أي بشر، مهما بلغ شأنه أو عبادته.

(٢) هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبو إسحاق ، الإسفرائيني، الشافعي، الأصولي، الإمام العلامة الأستاذ، الملقب بركن الدين، الفقيه، المتكلم، وهو إمام مشهور ومصادر ترجمته كثيرة أذكر منها: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٥٣)، و«طبقات العبادي» (١٠٤)، و«طبقات الشيرازي» (١٠٦)، و«الأنساب» (١/ ٢٣٧)، و«تبيين كذب المفتري» (٢٤٣)، و«معجم البلدان» (١/ ١٧٨)، و«اللباب» (١/ ٥٥)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ١٦٩)، و«وفيات الأعيان» (١/ ٢٨)، و«المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٦)، و«العبر» (٣/ ١٢٨)، و«الوافي بالوفيات» (٦/ ١٠٤)، و«مرآة الجنان» (٣/ ١٣١)، و«طبقات السبكي» (٤/ ٢٥٦)، و«طبقات الإسنوي» (١/ ٥٩)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٢٤)، =

شيخ الأشاعرة، والقاضي عياض المالكي، صاحب «الشفا في سيرة المصطفى ﷺ»، وهو من فضلاء الأشاعرة، وهو الحق الذي لا شك فيه، وهو الذي يجب اعتقاده والإيمان به .

وبهذا تعرف أنه يجب تأويل كل ما أوهم في حقهم عليهم الصلاة والسلام من الكتاب والسنة مما اغتر به بعض من أجاز عليهم الصغائر، واحتجوا في ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث.

قال القاضي(١) في «الشفا»:

= و«طبقات ابن هداية الله» (١٣٥)، و«كشف الظنون» (١/ ٥٣٩)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٢٠٩)، و«هدية العارفين» (١/ ٨)، و«طبقات الأصوليين» (١/ ٢٢٨)، و«ديوان الإسلام، بتحقيقي» (١٥٠)، وقد ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» فقال: «الإمام العلامة الأوحد الأستاذ... أحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة... ومن تصانيفه الباهرة:

(جامع الجلي والخفي، الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين) في خمس مجلدات.

وبنيت له بنيسابور مدرسة مشهورة.

وتوفي بنيسابور يوم عاشوراء من سنة (٤١٨هـ)، قال الشيخ أبو إسحاق في «الطبقات»: درس عليه شيخنا أبو الطيب، وعنه أخذ الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور.

وقال غيره: نُقل تابوته إلى إسفرائين ودفن هناك بمشهده.

قال عبد الغافر في «تاريخه»: كان أبو إسحاق طراز ناحية المشرق فضلًا عن نيسابور، ومن المجتهدين في العبادة، المبالغين في الورع... وكان ثقة ثبتًا في الحديث.

... وحكى أبو القاسم القشيري عنه: أنه كان يُنكر كرامات الأولياء ولا يجوزها» اهـ.

قلت: وذكرت له بعضًا من كتبه بهامش «ديوان الإسلام» (ت ١٥٠) فكان منها:

١ - أدب الجدل.	٢ - الجامع الجلي والخفي في أصول الدين والرد على الملحدين.
٣- العقيدة.	٤ - شرح فروع ابن الحداد.
٥ - معالم الإسلام.	٦ - نور العين في مشهد الحسين.
٧- مسائل الدُّرر.	٨- رسائل منسوبة إليه.

(١) المراد به هو: القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض، أبو الفضل، الأندلسي، اليحصبي، السبتي، المالكي، الحافظ، الإمام، شيخ الإسلام.

ولد سنة (٤٧٦هـ)، وتوفي سنة (٥٤٤هـ) في جمادي الآخرة بمراكش ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة.

وقيل: قتل بالرماح لكونه أنكر عصمة ابن تُوْمَرْت. ومن مصادر ترجمته الكثيرة أذكر:

«سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٢١٢)، و«قلائد العقبان» (٢٢٢)، و«الصلة» (٢/ ٤٥٣)، و«الخريدة» (١٢/ ١٧٣)، و«بغية الملتمس» (١٢٦٩)، و«إنباه الرواة» (٢/ ٣٦٣)، و«التكملة لابن الأبار» (٦٩٤)، و«معجم ابن الأبار» (٣٠٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٤٣)، و«وفيات الأعيان» (٣/ ٤٨٣)، و«المختصر» (٣/ ٢٢)، و«تاريخ الإسلام، وفيات سنة» (٥٤٤)، و«دول الإسلام» (٢/ ٦١)، و«العبر» (٤/ ١٢٢)، و«تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٠٤)، و«معجم الوادي آش» (٢١١)، و«تتمة المختصر» =

(٢/ ٧٨)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٢٢٥)، و«الإحاطة في أخبار غرناطة» (٤/ ٢٢٢)، و«المرتبة العليا للنباهي» (١٠١)، و«الديباج المذهب» (٢/ ٤٦)، و«طبقات ابن قنفذ» (٢٨٠)، و«النجوم الزاهرة» (٥/ ٢٨٥)، و«طبقات الحفاظ» (٤٨٠)، و«مفتاح السعادة» (٢/ ١٤٩)، و«جذوة الاقتباس» (٢٧٧)، و«أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض»، و«نفح الطيب» (٧/ ٣٣٣)، و«شذرات الذهب» (٤/ ١٣٨)، و«تاج العروس» (١/ ٢١٦)، و«أجلى المسانيد» (٣١)، و«روضات الجنات» (٥٠٦)، و«سلوة الأنفاس» (١/ ٥١)، و«شجرة النور الزكية» (١/ ١٤٠)، و«تاريخ الفكر الأندلسي» (٢٨٣)، و«تاريخ بروكلمان» (٦/ ٢٦٦ : ٢٧٥)، و«ديوان الإسلام» (١٤١٨).

ومما ترجم له به الذهبي في «سير أعلام النبلاء» أن قال: «ولد في سنة ست وسبعين وأربعمائة. تحول جدّهم من الأندلس إلى فاس، ثم سكن سبتة، لم يحصل القاضي العلم في الحداثة، وأول شيء أخذ عن الحافظ أبي عليّ الغساني، إجازة مجردة، وكان يمكنه السماع منه، فإنه لحق من حياته اثنين وعشرين عامًا.

رحل إلى الأندلس سنة بضع وخمسمائة... واستبحر في العلوم وجمع وألف وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق.. وقال الفقيه محمد بن حمادة السبتي: جلس القاضي للمناظرة وله نحو من ثمان وعشرين سنة، وولي القضاء وله خمسٌ وثلاثون سنة، كان هينًا من غير ضعف، صليبًا في الحق.

تفقه على أبي عبدالله التميمي، وصحب أبا إسحاق بن جعفر الفقيه، ولم يكن أحد بسبتة في عصره أكثر تواليف من تواليفه، له:

- كتاب الشفا في شرف المصطفى، مجلد.
- وكتاب ترتيب المدارك، وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، في مجلدات.
- وكتاب العقيدة.
- وكتاب شرح حديث أم زرع.
- وكتاب جامع التاريخ، الذي أربى على جميع المؤلفات، جمع فيه أخبار الأندلس والمغرب واستوعب فيه أخبار سبتة وعلماءها.
- وله كتاب مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار، (الموطأ والصحيحين)».

إلى أن قال : «وحاز من الرئاسة في بلده والرفعة ما لم يصل إليه أحد قط من أهل بلده، وما زاده ذلك إلا تواضعًا وخشية لله تعالى، وله من المؤلفات الصغار أشياء لم نذكرها.

قال القاضي شمس الدين في «وفيات الأعيان»: هو إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه، وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم».

...قال الذهبي: «تواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب «الشفا»، لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق، والله يثيبه على حسن قصده، وينفع بـ «شفائه»، وقد فعل.

وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحة التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات، فلماذا يا قوم نتشبع بالموضوعات، فيتطرق إلينا مقال ذوي الغل والحسد! ولكن من لا يعلم معذور، فعليك يا أخي بكتاب «دلائل النبوة»، للبيهقي، فإنه شفاء لما في الصدور وهدى ونور». ومن شعره:

انظـــر إلى الـــزرع وخـــامـــــاتـــه تحكي وقـــد ماست أمـــام الريـــاح

«إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر، وخرق الإجماع، وما لا يقول به مسلم. فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه، وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه، وجاءت أقاويل في معناه، وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه، وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك..

فإذا لم يكن إجماعًا، وكان الخلاف فيما احتجوا به قديمًا وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير إلى ما صح». انتهى.

وإلى ما ذكرناه أشار صاحب «النونية» بقوله:

أقول وكـــان رأي أبي كـــذا رفعًا لرتبتهم عن النقصـــان

والأشعـري إمامـــنا لكنـــنا [٥/أ] في ذا نخالفـــه بكـــل لســـان

يعني بأني باختيار القول بامتناع الصغائر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقول لا بالجواز.

والحال أنه قد كان رأي أبي أيضًا هذا المذهب، فكان ينصره.

=

كتيبـــة خضـــراء مـــهـــزومـــة شقائق النعمـــان فيـــها جـــراح

قلت: وقد ذكرت أسماء الكتب التي وقفت عليها أثناء تحقيقي لكتاب «ديوان الإسلام» (ت١٤١٨)، فبلغت (٢٢) كتابًا، وهي على النحو التالي:

١- كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ. ٢- الإلماع في أصول الرواية والسماع.

٣- مشارق الأنوار على صحاح الآثار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم.

٤- العيون الستة في أخبار سبتة.

٥- التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة في فروع الفقه المالكي.

٦- الأجوبة المخيرة على الأسئلة المحيرة.

٧- أخبار القرطبيين. ٨- الإعلام في حدود الأحكام (الإعلام بحدود قواعد الإسلام).

٩- إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم.

١٠- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد.

١١- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك. ١٢- جامع التاريخ.

١٣- السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول ﷺ. ١٤- الصفا بتحرير الشفا.

١٥- غريب الشهاب. ١٦- غنية في أسماء الشيوخ.

١٧- غنية الكاتب وبغية الطالب. ١٨- القواعد.

١٩- كتاب العقيدة. ٢٠- مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث.

٢١- مطامح الأفهام في شرح الأحكام. ٢٢- نظم البرهان على صحة جزم الأذان.

إذا قالــت حزامـــى فـصدقــوهـــا فـإن القـــول مـــا قالـــت حزامـــى

ومن العلماء المحققين الناصرين لهذا المذهب: الشهرستاني[1]؛ فإنه قال في «نهاية الإقدام»:

---

(١) هو: محمد بن عبدالكريم بن أحمد أبو الفتح، الأفضل، الشهرستاني، الفقيه، الحكيم، المتكلم، المصنف، الشافعي. ولد سنة (٤٦٧هـ)، وتوفي سنة (٥٤٨ هـ)، في شعبان، وقيل: (٥٤٩هـ).

ومن مصادر ترجمته الكثيرة أذكر:

«تاريخ حكماء الإسلام» (١٤١)، «التحبير» (٢ / ١٦٠)، «معجم البلدان» (٣/ ٣٧٧)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٧٣)، «المختصر» (٣/ ٢٧)، «العبر» (٤/ ١٣٢)، «دول الإسلام» (٢/ ٦٤)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣١٣)، «تتمة المختصر» (٢/ ٨٥) ، «الوافي بالوفيات» (٣ / ٢٧٨)، «مرآة الجنان» (٣/ ٢٨٩) ، «طبقات السبكي» (٦/ ١٢٨)، «طبقات الإسنوي» (٢/ ١٠٦) ، «العسجد المسبوك» (ق ٦٨ / ١)، «لسان الميزان» (٥/ ٢٦٣)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ٣٠٥)، «مفتاح السعادة» (١/ ٣٢٣)، «شذرات الذهب» (٤/ ١٤٩)، «روضات الجنات» (١٨٦)، «ديوان الإسلام» (ت: ١٢٦٣).

وترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٢٨٦)، فمما قال في ترجمته:

«شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف، برع في الفقه على الإمام أحمد الخوافي الشافعي، وقرأ الأصول على أبي نصر بن القشيري، وعلى أبي القاسم الأنصاري.

وصنف كتاب «نهاية الإقدام »، وكتاب «الملل والنحل».

وكان كثير المحفوظ، قوي الفهم، مليح الوعظ.

سمع بنيسابور من أبي الحسن بن الأخرم.

قال السمعاني: كتبت عنه بمرو، وحدثني أنه ولد سنة سبع وستين وأربع مائة.

ومات في شعبان سنة ثمان وأربعين وخمس مائة.

ثم قال: غير أنه كان متهمًا بالميل إلى أهل القلاع والدعوة إليهم، والنصرة لطامَّاتهم .

وقال في «التحبير»: هو من أهل شهرستانة، كان إمامًا أصوليًّا، عارفًا بالأدب وبالعلوم المهجورة.

قال: وهو متهم بالإلحاد، غالٍ في التشيع.

وقال ابن أرسلان في «تاريخ خوارزم»: عالم كيِّس متفنن، ولولا ميله إلى أهل الإلحاد وتخبطه في الاعتقاد لكان هو الإمام، وكثيرًا ما كنا نتعجب من وفور فضله كيف مال إلى شيء لا أصل له؟! نعوذ بالله من الخذلان، وليس ذلك إلا لإعراضه عن علم الشرع، واشتغاله بظلمات الفلسفة، وقد كانت بيننا محاورات، فكيف يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم، حضرت وعظه مرات، فلم يكن في ذلك قال: «الله» ولا قال: «رسوله»، سأله يومًا سائل، فقال: سائر العلماء يذكرون في مجالسهم المسائل الشرعية، ويجيبون عنها بقول أبي حنيفة والشافعي، وأنت لا تفعل ذلك؟! فقال: مثلي ومثلكم كمثل بني إسرائيل يأتيهم المنّ والسلوى، فسألوا الثوم والبصل..

إلى أن قال ابن أرسلان: مات بشهرستانة سنة تسع وأربعين وخمس مائة.

قال: وقد حج سنة عشر وخمس مائة، ووعظ ببغداد».

قلت: ومن كتبه التي ذكرتها بهامش كتاب «ديوان الإسلام» بتحقيقي (ت١٢٦٣):

١ - الملل والنحل. ٢ - تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام.

٣- نهاية الإقدام في علم الكلام. ٤ - المنهاج والبيان.

=

«الأصح أنهم معصومون عن الصغائر؛ لأنها إذا توالت صارت بالاتفاق كبائر، وما أسكر كثيره فقليله حرام».

وقوله: (**رفعًا لرتبتهم عن النقصان**): مفعول له لا قول، ويشير بهذا إلى الدليل على صحة عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما تقدم.

وقوله: (**والأشعري إمامنا لكننا في ذا نخالفه بكل لسان**)

معناه: أن هذه المخالفة مع الأشعري ليست لأنّا خرجنا عن طريقته ولم نرتضيه إمامًا، بل هو إمامنا، ونحن متمسكون بأذيال أقواله في معظم أحوالنا؛ لأنها على النهج الحق، والنمط الصدق، لكن لما تجلى لنا حلة الحق في غير ما اختاره رجعنا إليه، فالرجوع للحق أولى كما قال أرسطو[(1)]، لما قيل له في مخالفة أفلاطون[(2)] الذي هو أستاذه وإمامه: الحق صديق ، وأفلاطون

=

٥- المصارعة (مصارعات الفلاسفة). ٦- أربعين الغراوي.
٧- الإرشاد إلى عقائد العباد. ٨- تاريخ الحكماء.
٩- تفسير سورة يوسف بأسلوب فلسفي. ١٠- دقائق الأوهام.
١١- كتاب الأقطار (في الأصول). ١٢- المبدأ والمعاد.
١٣- مفتاح الأسرار ومصابيح الأبرار (في التفسير).

(١) هو: أرِسْطوُ طَالِيس بن نِيقُومَا خُوس.
وقد ذكره الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل» (٢/ ١١٩)، في الفصل الثالث في متأخري حكماء اليونان فقال في ترجمته: «هو من أهل أسطاخرا، وهو المقدم المشهور، والمعلم الأول، والحكيم المطلق ... عندهم. وكان مولده في أول سنة من ملك أردشير بن دارا، فلما أتت عليه سبع عشرة سنة أسلمه أبوه إلى المؤدب أفلاطون فمكث عنده نيفًا وعشرين سنة. وإنما سموه المعلم الأول؛ لأنه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة إلى الفعل؛ وحكمه حكم واضع النحو، وواضع العروض فإن نسبة المنطق إلى المعاني التي في الذهن كنسبة النحو إلى الكلام، والعروض إلى الشعر، وهو واضع، لا بمعنى أنه لم تكن المعاني مقومة بالمنطق قبله فقوَّمها؛ بل بمعنى: أنه جرد آلته عن المادة فقومها تقريبًا إلى أذهان المتعلمين؛ حتى يكون كالميزان عندهم، يرجعون إليه عند اشتباه الصواب بالخطأ، والحق بالباطل. إلا أنه أجمل القول فيه إجمال الممهدين، وفصَّله المتأخرون تفصيل الشارحين وله حق السبق، وفضيلة التمهيد. وكتبه في الطبيعيات، والإلهيات، والأخلاق؛ معروفة، ولها شروح كثيرة».

(٢) هو: أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس، يرجح أنه ولد بين سنتي (٤٢٩ – ٤٢٧)، قبل الميلاد.
ذكره الشهرستاني في «الملل والنحل» (٢/ ٨٨)، في الفلاسفة ، في الفصل الأول، في الحكماء السبعة، فذكره آخرهم فقال في ترجمته: «أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس: من أثينية، وهو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين، معروف بالتوحيد والحكمة. ولد في زمان أردشير بن دارا في سنة ست عشرة من ملكه، وفي سنة ست وعشرين من ملكه كان حدثاً متعلماً يتلمذ لسقراط، ولما اغتيل سقراط بالسم ومات قام مقامه، وجلس على كرسيه .
وقد أخذ العلم من سقراط وطيماوس والغريبين: غريب أثينية وغريب الناطس؛ وضم إليه العلوم
=

=

الطبيعية والرياضية.

وحكى عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل أرسطوطاليس وطيماوس وثاوفرسطيس... أنه قال: إن للعالم محدثًا، مبدعًا، أزليًا، واجبًا بذاته، عالمًا بجميع معلوماته على نعت الأسباب الكلية، كان في الأزل ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل؛ إلا مثالًا عند الباري تعالى، ربما يعبر عنه بالهيولي، وربما يعبر عنه بالعنصر؛ ولعله يشير إلى صور المعلومات في علمه تعالى.

قال: فأبدع العقل الأول، ويتوسطه النفس الكلية؛ وقد انبعثت عن العقل انبعاث الصورة في المرآة، ويتوسطهما العنصر. ويحكى عنه: أن الهيولي التي هي موضوع الصور الحسية غير ذلك العنصر.

ويحكى عنه: أنه أدرج الزمان في المبادئ؛ وهو الدهر، وأثبت لكل موجود مشخص في العالم الحسي مثالًا غير مشخص في العالم العقلي؛ ويسمي ذلك: المثل الأفلاطونية.

فالمبادئ الأول بسائط، والمثل مبسوطات، والأشخاص مركبات؛ فالإنسان المركب المحسوس جزئي ذلك الإنسان المبسوط المعقول، وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن.

قال: والموجودات في هذا العالم آثار الموجودات في ذلك العالم، ولابد لكل أثر من مؤثر يشابه نوعاً من المشابهة.

قال: ولما كان العقل الإنساني من ذلك العالم بكليته، ويطابق الموجود الذي في عالم الحس بجزئيته. ولولا ذلك لما كان لما يدركه العقل مطابقاً مقابلاً من خارج؛ فما يكون مدركاً لشيء يوافق إدراكه حقيقة المدرك.

وقال: والعالم عالمان:

عالم العقل: وفيه المثل العقلية والصور الروحانية.

وعالم الحس: وفيه الأشخاص الحسية والصور الجسمانية؛ كالمرآة المجلوة التي تنطبع فيها صور المحسوسات فإن الصور فيها مثل الأشخاص، وكذلك العنصر في ذلك العالم مرآة لجميع صور هذا العالم يتمثل فيه جميع الصور كلها؛ غير أن الفرق: أن المنطبع في المرآة الحسية صور خيالية يرى أنها موجودة تتحرك بحركة الشخص وليس في الحقيقة كذلك، وأن المتمثل في المرآة العقلية صور حقيقية روحانية هي موجودة بالفعل تحرك الأشخاص ولا تتحرك؛ فنسبة الأشخاص إليها كنسبة الصور في المرآة إلى الأشخاص؛ فلها الوجود الدائم، ولها الثبات القائم، وهي تتمايز في حقائقها تمايز الأشخاص في ذواتها.

قال: وإنما كانت هذه الصور موجودة كلية دائمة باقية؛ لأن كل مبدع ظهرت صورته في حد الإبداع فقد كانت صورته في علم الأول الحق، والصور عنده بلا نهاية؛ ولو لم تكن الصور معه في أزليته في علمه لم تكن لتبقى، ولو لم تكن دائمة بدوامها لكانت تدثر بدثور الهيولى، ولو كانت تدثر مع دثور الهيولى لما كانت على رجاء ولا خوف؛ ولكن لما صارت الصور الحسية على رجاء وخوف استدل به على بقائها، وإنما تبقى إذا كانت لها صور عقلية في ذلك العالم ترجو اللحوق بها وتخاف التخلف عنها.

قال: وإذا اتفقت العقلاء على أن هناك حساً ومحسوساً، وعقلاً ومعقولاً، وشاهدنا بالحس جميع المحسوسات، وهي محدودة ومحصورة بالزمان والمكان؛ فيجب أن نشاهد بالعقل جميع المعقولات، وهي غير محدودة ومحصورة بالزمان والمكان، فتكون مثلاً عقلية.

ومما يثبته أفلاطون موجودات محققة بهذا التقسيم! قال: إنا نجد النفس تدرك أمور البسائط والمركبات، ومن المركبات أنواعها وأشخاصها، ومن البسائط ما هي هيولانية وهي التي تعرى عن الموضوع، وهي

=

صديق، والحق أصدق.

وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: «اعرف الحق تعرف أهله، فبالحق تعرف الرجال لا بالرجال تعرف الحق».

ففي هذين البيتين فائدتان:

إحداهما: الاعتذار عن مخالفة إمامه.

وثانيتهما: أنّا مع مخالفتنا للأشعري في هذه المسألة لا نُبَدِّعُه، بل نقتدي به في معظم القواعد والمآخذ.

وكذا المخالفة بينه [٥/ ب] وبين الإمام أبي حنيفة، لا توجب التبديع.

وقوله: (**نخالفه بكل لسان**): مبالغة في المخالفة، أي بكل وجه كان، كأنه جعل لكل وجه لسانًا من باب إطلاق اسم الإله على ذي الآلة.

بل قال جماعة من الأشعرية: إنهم برآء معصومون من صغيرة وكبيرة، عمدًا أو نسيانًا، وهو الحق.

انتهى من «شرح النونية» للإمام الشيرازي[(١)]، ببعض تصرف واختصار.

=

رسوم الجزئيات مثل: النقطة، والخط، والسطح، والجسم التعليمي» إلى آخر ما ذكر من إلاهياته.

(١) هو: إبراهيم بن علي بن يوسف، أبو إسحاق، الشيرازي الفيروزآبادي، الشافعي، جمال الدين، الفقيه، المجتهد، المصنف. ولد سنة (٣٩٣)، وتوفي سنة (٤٧٦)، وقيل: (٤٤٦)، وقيل: (٤٧٢).

ومصادر ترجمته كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال:

«ديوان الإسلام بتحقيقي» (ت٧٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٥٢)، «تبيين كذب المفتري» (٢٧٦)، «المنتظم» (٩/ ٧)، «صفة الصفوة» (٤/ ٦٦)، «معجم البلدان» (٣/ ٣٨١)، «الكامل» لابن الأثير (١٠/ ١٣٢)، «اللباب» (٢/ ٤٥١)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ١٧٢)، «الأعلام» (١/ ٥١)، «طبقات الفقهاء» (٥/ ٢٨)، «طبقات فقهاء اليمن» (٢٧٠)، «وفيات الأعيان» (١/ ٢٩)، «العبر» (٣/ ٢٨٣)، «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» (٤٢)، «تتمة المختصر» (١/ ٥٧٣)، «الوافي» (٦/ ٦٢)، «مرآة الجنان» (٣/ ١١٠)، «طبقات السبكي» (٤/ ٢١٥)، «طبقات الشافعية للإسنوي» (٦٧٢)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٢٤)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ١١٧)، «طبقات ابن هداية الله» (١٧٠)، «شذرات الذهب» (٣/ ٣٤٩)، «هدية العارفين» (١/ ٨).

ومما قال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: «أبو إسحاق الشيرازي، الشيخ، الإمام، القدوة، المجتهد، شيخ الإسلام، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، الشيرازي، الشافعي، نزيل بغداد، قيل: لقبه جمال الدين. مولده في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة.

تفقه على: أبي عبدالله البيضاوي، وعبد الوهاب بن رامين بشيراز، وأخذ بالبصرة عن الخرزي.

وقدم بغداد سنة خمس عشرة وأربع مائة، فلزم أبا الطيب، وبرع، وصار معيده، وكان يضرب المثل بفصاحته وقوة مناظرته.

=

=

وسمع من أبي علي بن شاذان، وأبي بكر البرقاني، ومحمد بن عبيد الله الخرجوشي.
حدث عنه: الخطيب، وأبو الوليد الباجي، والحميدي، وإسماعيل بن السمرقندي، وأبو البدر الكرخي، والزاهد يوسف بن أيوب، وأبو نصر أحمد بن محمد الطوسي، وأبو الحسن بن عبد السلام، وأحمد بن نصر ابن حمان الهمذاني خاتمة من روى عنه.
قال السمعاني: هو إمام الشافعية، ومدرس النظامية، وشيخ العصر.
رحل الناس إليه من البلاد، وقصدوه، وتفرد بالعلم الوافر مع السيرة الجميلة، والطريقة المرضية.
جاءته الدنيا صاغرة، فأباها، واقتصر على خشونة العيش أيام حياته.
صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب، وكان زاهدًا، ورعًا، متواضعًا، ظريفًا، كريمًا، جوادًا، طلق الوجه، دائم البشر، مليح المحاورة، حدثنا عنه جماعة كثيرة.
... قال أبو بكر الشاشي: أبو إسحاق حجة الله على أئمة العصر.
وقال الموفق الحنفي: أبو إسحاق أمير المؤمنين في الفقهاء.
قال القاضي ابن هانئ: إمامان ما اتفق لهما الحج: أبو إسحاق، وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني.
أما أبو إسحاق: فكان فقيرًا، ولو أراده لحملوه على الأعناق.
والآخر: لو أراده لأمكنه على السندس والإستبرق.
... قال السمعاني: سمعت جماعة يقولون: لما قدم أبو إسحاق نيسابور رسولًا تلقوه، وحمل إمام الحرمين غاشيته، ومشى بين يديه وقال: أفتخر بهذا.
وكان عامة المدرسين بالعراق والجبال تلامذته وأتباعه - وكفاهم بذلك فخرًا- وكان ينشد الأشعار المليحة، ويوردها، ويحفظ منها الكثير.
... وقال شيرويه الديلمي في «تاريخ همدان»: أبو إسحاق إمام عصره قدم علينا رسولًا إلى السلطان ملكشاه، سمعت منه، وكان ثقة فقيهًا زاهدًا في الدنيا على التحقيق، أوحد زمانه...
ومات أبو إسحاق، ولم يخلف درهمًا، ولا عليه درهم، وكذا فليكن الزهد، وما تزوج فيما أعلم، وبحسن نيته في العلم اشتهرت تصانيفه في الدنيا. ومن شعره:

أحب الكأس من غير المدام ... وألهو بالحساب بلا حرام
وما حبي لفاحشة ولكن ... رأيت الحب أخلاق الكرام

وقال:

سألت الناس عن خِلٍّ وفيٍّ ... فقالوا: ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بود حُرٍّ ... فإن الحُرّ في الدنيا قليل

ولعاصم بن الحسن فيه:

تراه من الذكاء نحيف جسم ... عليه من توقده دليل
إذا كان الفتى ضخم المعاني ... فليس يضيره الجسم النحيل

وقال محقق الكتاب: أما عن مؤلفاته فقد ذكرت ما وقفت عليه منها في هامش «ديوان الإسلام» (ت٧٣)، فكانت على النحو التالي:
١- التبصرة (في أصول الفقه). ٢- تذكرة المسؤولين (في الخلاف بين المذهبين الحنفي والشافعي).
٣- التنبيه (في الفروع). ٤- العقيدة. ٥- اللمع (في الأصول).

=

وقوله: (بل قال جماعة.. إلخ): من مؤكدات الكلام السابق، أي لم يكتف أصحاب الأشعري بهذا القدر من الخلاف وهو منع الصغائر مطلقًا قبل الوحي وبعده، بل بعضهم كالأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني زاد وقال: إنهم معصومون عن النسيان والخطأ أيضًا.

وقوله: (برآء): جمع بريء كأمين وأمناء.

قال صاحب «النونية»(١): تاج الدين السبكي وليس القحطاني المجسم

=

٦- شرح اللمع. ٧- الملخص (في الجدل). ٨- المعونة (في الجدل).
٩- المُذَهّب في المَذهب. ١٠- النكت (في علم الجدل).

(١) هو: محمد بن صالح بن السمح بن صالح بن هاشم بن غريب، أبو عبدالله، القحطاني، المعافري الأندلسي، المالكي. وقيل: محمد بن صالح بن محمد بن السمح.

توفي سنة: (٣٨٣) في رجب، وقيل: سنة (٣٧٨)، وقيل: سنة (٣٧٩)، والأول أرجح والله أعلم.

وجاءت ترجمته في عدة مصادر منها:

«معجم المؤلفين» (١٠/ ٨٥)، «هدية العارفين» (٢/ ٥٣)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٣٢)، «نفح الطيب» (٢/ ١٤٢)، «الأنساب» (٤/ ٤٥٥). وقال في ترجمته: «أبو عبد الله بن صالح بن السمح بن صالح بن هاشم بن غريب القحطاني المالكي المعافري الأندلسي.

وقال غنجار في «تاريخ بخارى»: هو محمد بن صالح بن محمد بن السمح المعافري الأندلسي، كان فقيهًا حافظًا، جمع «تاريخًا» لأهل الأندلس.

روى عن: محمد بن رفاعة، ومحمد بن الوضاح، وإبراهيم بن القزاز، والحسن بن سعد، وأحمد بن حزم، والقاسم بن أصبغ، الأندلسيين.

وسمع بالشام خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، وببغداد إسماعيل بن محمد الصفار.

ذكره أبو سعد الإدريسي في «تاريخ سمرقند»، وقال: أبو عبد الله الفقيه القحطاني، قدم علينا سمرقند قبل الخمسين والثلاثمائة، وكتب بها عن مشايخنا، وأكثر عنهم، وجمع «تاريخًا للأندلسيين»، سمعناه منه بسمرقند، وكان من أفاضل الناس، ومن ثقاتهم، جمع من الحديث شيئًا لا يوصف، من مشايخ الأندلس والمغرب والشام والحجاز والعراق والجبال وخراسان وما وراء النهر، ومات ﷺ ببخارى في نيف وسبعين وثلاثمائة.

ذكره الحاكم أبو عبد الله في «التاريخ لنيسابور»، فقال: محمد بن صالح بن محمد بن سعد بن نزار بن عمر ابن ثعلبة القحطاني المعافري الفقيه أبو عبد الله الأندلسي المالكي، وكان ممن رحل من المغرب إلى المشرق، وإنا اجتمعنا بهمذان، في شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، فتوجه منها إلى أصبهان وقد كان سمع في بلاده وبمصر من أصحاب يونس بن عبد الأعلى، وأبي إبراهيم المزني، وبالحجاز من أبي سعيد بن الأعرابي، وبالشام من خيثمة بن سليمان، وبالجزيرة من أصحاب علي بن حرب، وببغداد من إسماعيل الصفار، ورد نيسابور في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين، وسمع الكثير، ثم خرج إلى مرو، ومنها إلى أبي بكر بن حنيف، فبقي بها إلى أن توفي ﷺ ببخارى، في رجب سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

وقال غنجار: توفي أبو عبد الله الأندلسي ببخارى، سنة تسع وسبعين وثلاثمائة».

ونقــول: نحــن علـــى طريقتـــه ولكنـــــهم في ذاك طـــائفتـــــان

قال شارحه: هذا من تتمة الاعتذار السابق.

وقوله: (ونحن على طريقته): جملة اسمية مقول القول، أي: نحن ذاهبون أو مستقرون على طريقة الأشعري في معظم عقائدنا، وما ابتدعنا تلك المخالفة أيضًا، بل تقدمنا بهذه المخالفة أصحابه، كالأستاذ أبي إسحاق، والقاضي عياض.

فأصحاب الأشعري في مسألة منع الصغائر طائفتان، لما رأيناه راجحًا، انتهى.

واعلـم: أن أصحاب الأشعري المخالفين له فيما مَرّ كالقاضي عياض والأستاذ أبي إسحاق وحجـة الإسـلام الـشيخ أبي حامـد الغزالي(١)، ومجتهد القرن السابع، المبعوث على رأس المائة

(١) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الطوسي، الشافعي، أبو حامد، الغزالي، زين الدين. ولد سنة (٤٥٠)، وقيل: سنة (٤٥١)، وتوفي سنة (٥٠٥)، يوم الاثنين (١٤) جمادى الآخرة، وهو شيخ مشهور شهرة واسعة، وقد ترجم له في العديد والعديد من المصادر وأمهات الكتب، ودونت في سيرته الكتب، وأنا أذكر هنا طرفًا من الكتب التي ترجمت له فمنها: «ديوان الإسلام بتحقيقي» (ت:١٥٥٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٢٢)، «تبيين كذب المفتري» (٢٩١) ، «المنتظم» (٩/ ١٦٨)، «اللباب» (٢/ ٣٧٩)، «الكامل» لابن الأثير (١٠/ ٤٩١)، «طبقات ابن الصلاح» (٢١/ ٢) ، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢١٦)، «المختصر» (٢/ ٢٣٧)، «تاريخ الإسلام» (٤/ ١٧٣)، «دول الإسلام» (٢/ ٣٤)، «العبر» (٤/ ١٠، «تتمة المختصر» (٢/ ٣٥)، «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» (٣٧)، «الوافي بالوفيات» (١/ ٢٧٤)، «مرآة الجنان» (٣/ ١٧٧)، «مرآة الزمان» (٨/ ٢٥)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٦/ ١٩١)، «طبقات الإسنوي» (٢/ ٢٤٢)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٧٣)، «وفيات ابن قنفذ» (٢٦٦)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ٢٠٣)، «الأنس الجليل» (١/ ٢٦٥)، «مفتاح السعادة» (٢/ ٣٣٢)، «أسماء الرجال» لابن هداية الله (٦٤)، «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٦)، «روضات الجنات» (١٨٠)، «إيضاح المكنون» (٢/ ١١)، «هدية العارفين» (٢/ ٧٩)، «معجم المؤلفين» (١١/ ٢٦٦)، «المجددون في الإسلام» (١٨٤).

وقد ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ، فمما قال في ترجمته: «الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف والذكاء المفرط.

تفقه ببلده أولًا، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، وأعاد للطلبة، وشرع في التصنيف، فما أعجب ذلك شيخه أبا المعالي، ولكنه مظهر للتبجح به، ثم سار أبو حامد إلى المخيم السلطاني، فأقبل عليه نظام الملك الوزير، وسر بوجوده، وناظر الكبار بحضرته، فانبهر له، وشاع أمره، فولاه النظام تدريس نظامية بغداد، فقدمها بعد الثمانين وأربع مائة، وسنه نحو الثلاثين، وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة، وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام، ومزال الأقدام، ولله سرٌّ في خلقه.

وعظم جاه الرجل، وازدادت حشمته بحيث إنه في دست أمير، وفي رتبة رئيس كبير، فأداه نظره في العلوم وممارسته لأفانين الزهديات إلى رفض الرئاسة، والإنابة إلى دار الخلود، والتأله، والإخلاص، =

السابعة باتفاق علماء مصر والشام، شيخ الإسلام، أبي الفتح محمد بن علي بن دقيق العيد القوصي[1] بلدًا، معدودون ـ أي: محسوبون ـ من أتباعه، لا يخرجون بهذا الخلاف عن الإذعان

=

وإصلاح النفس، فحج من وقته، وزار بيت المقدس، وصحب الفقيه نصر بن إبراهيم بدمشق، وأقام مدة، وألف كتاب «الإحياء»، وكتاب «الأربعين»، وكتاب «القسطاس»، وكتاب «محك النظر». وراض نفسه وجاهدها، وطرد شيطان الرعونة، ولبس زي الأتقياء، ثم بعد سنوات سار إلى وطنه، لازمًا لسننه، حافظًا لوقته، مكبًّا على العلم.

ولما وزر فخر الملك، حضر أبا حامد، والتمس منه أن لا يبقي أنفاسه عقيمة، وألح على الشيخ، إلى أن لان إلى القدوم إلى نيسابور، فدرس بنظاميتها.

... ثم سألناه عن كيفية رغبته في الخروج من بيته، والرجوع إلى ما دعي إليه، فقال معتذرًا: ما كنت أجوّز في ديني أن أقف عن الدعوة، ومنفعة الطالبين، وقد خف عليّ أن أبوح بالحق، وأنطق به، وأدعو إليه، وكان صادقًا في ذلك، فلما خف أمر الوزير، وعلم أن وقوفه على ما كان فيه ظهور وحشة وخيال طلب جاه، ترك ذلك قبل أن يترك، وعاد إلى بيته، واتخذ إلى جواره مدرسة للطلبة، وخانقاه للصوفية، ووزع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن، ومجالسة ذوي القلوب، والقعود للتدريس، حتى توفي بعد مقاساتٍ لأنواع من القصد، والمناوأة من الخصوم، والسعي فيه إلى الملوك، وحفظ الله له عن نوش أيدي النكبات.

... قال: ومما كان يعترض به عليه: وقوع خلل من جهة النحو في أثناء كلامه، وروجع فيه فأنصف، واعترف أنه ما مارسه، واكتفى بما كان يحتاج إليه في كلامه، مع أنه كان يؤلف الخطب، ويشرح الكتب بالعبارة التي يعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها.

... ومن «معجم أبي علي الصدفي»، تأليف القاضي عياض له، قال:

والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا في طريقة التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أُخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسره، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها، فامتثل ذلك.

قلت: ما زال العلماء يختلفون، ويتكلم العالم في العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع، فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور».

قال محققه: وقد جمعت ما وقفت عليه من أسماء كتبه في تحقيقي لكتاب «ديوان الإسلام»، فبلغ ما وقفت على أسمائه إلى مائة واثنين وأربعين كتابًا ، فمن أراد مطالعتها فليراجع «ديوان الإسلام» (ت:١٥٥٧)، فسيجدها مرتبة على حروف المعجم، ولله الحمد والمنة.

(١) هو: محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي طاعة القشيري، المنفلوطي، ثم القوصي، المصري، الشافعي، المالكي، أبو الفتح، تقي الدين، المعروف بابن دقيق العيد.

ولد سنة (٦٢٥هـ)، وتوفي سنة (٧٠٢)، في (١١) صفر بالقاهرة.

وقد ترجمت له كثير من الكتب وكان منها: «ديوان الإسلام بتحقيقي» (ت٩٥٧)، «شذرات الذهب» (٦/ ٦٠٥)، «هدية العارفين» (٢/ ١٤٠)، «الأعلام» (٦/ ٢٨٣)، «معجم المؤلفين» (١١/ ٧٠)، «إيضاح المكنون» (١/ ٥٤)، «كشف الظنون» (١٣٥ وغير ذلك كثير)، «مرآة الجنان» (٤/ ٢٣٦)،

=

=

«النجوم الزاهرة» (٨/ ٢٠٦)، «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٧)، «الدرر الكامنة» (٤/ ٩١)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٢٩)، «الطالع السعيد» (٣٣٣)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٤٦٢)، «مفتاح السعادة» (٢/ ٢١٩)، «الديباج المذهب» (٣٢٤)، «الوافي بالوفيات» (٤/ ١٩٣)، «فوات الوفيات» (٢/ ٢٤٤)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٦/ ٢)، «طبقات الشافعية» للإسنوي (ت: ٨٥٠).

وقال ابن العماد في «شذرات الذهب» في ترجمته في وفيات سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ؛ فقال: «وفيها شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة، القشيري، المنفلوطي، الشافعي، المالكي، المصري، ابن دقيق العيد، ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة، وتفقه على والده بقوص، وكان والده مالكي المذهب، ثم تفقه على الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، فحقق المذهبين، وأفتى فيهما، وسمع الحديث من جماعة، وولي القضاء بالديار المصرية، ودرس بالشافعي ودار الحديث الكاملية وغيرهما.

مصنف التصانيف المشهورة، منها «الإلمام» في الحديث، وشرحه وسماه «الإمام»، وله «الاقتراح» في أصول الدين، و«علوم الحديث»، و«شرح مختصر ابن الحاجب» في فقه المالكية ولم يكمله، و«شرح عمدة الأحكام» للحافظ عبدالغني، وله غير ذلك.

وكان يقول: ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلًا إلا أعددت له جوابًا بين يدي الله تعالى.

ويحكى أن ابن عبدالسلام كان يقول : ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن منير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص.

وقال الذهبي في «معجمه»: قاضي القضاة بالديار المصرية وشيخها وعالمها ، الإمام ، العلامة، الحافظ، القدوة، الورع، شيخ العصر، كان علامة في المذهبين، عارفًا بالحديث وفنونه، سارت بمصنفاته الركبان، وولي القضاء ثمان سنين».

وبسط السبكي ترجمته في «الطبقات الكبرى»، قال: «ولم ندرك أحدًا من مشايخنا في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة».

وقال ابن كثير في «طبقاته»: «أحد علماء وقته، بل أجلهم وأكثرهم علمًا ودينًا وورعًا وتقشفًا، ومداومة على العلم في ليله ونهاره مع كبر السن والشغل بالحكم.

وله التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة، برع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث، فاق فيه على أقرانه، وبرز على أهل زمانه، رحلت إليه الطلبة من الآفاق، ووقع على علمه وورعه وزهده الاتفاق».

وقال الإسنوي: له خطب بليغة مشهورة أنشأها لما كان خطيبًا بقومي، وله شعر بليغ فمنه:

تمنيت أن الشيب عاجل لمتي ... وقرب مني في صباي مزاره
لآخذ من عصر الشباب نشاطه ... وآخذ من عصر المشيب وقاره

وله أيضًا:
قالوا: فلان عالم فاضل ... فأكرموه مثل ما يرتضي
فقلت: لما لم يكن ذا تقى ... تعارض المانع والمقتضي

وله أيضًا:
وأطيب شيء إذا ذقته ... رضاب الحبيب على ما يقال

وله أيضًا:
وأتعبت نفسك بين ذلة كادح ... طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت نفسك لا خلاعة ماجن ... حصلت فيه ولا وقار مبجل
وتركت حظ النفس في الدنيا وفي ... الأخرى ورمت عن الجميع بمعزل

=

والانقياد له في معظم المسائل، كما لا يخرج أصحاب إمامنا مالك[1] ﷺ كابن

=

وتوفي ﷺ تعالى في صفر بالقاهرة ودفن بالقرافة.

وقد ذكرت له في هامش «ديوان الإسلام» أسماء كتبه التي وقفت عليها فبلغت ثمانية عشر مؤلفًا، فراجعها إن شئت في الكتاب المشار إليه.

(١) هو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، (ذو أصبح) بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة، (حمير الأصغر) الحميري، الأصبحي المدني، إمام المذهب المالكي.

ولد سنة : (٩١)، وقيل: (٩٢)، وتوفي سنة (١٧٩)، في (١٤) ربيع الأول، وهو إمام مشهور، أُلفت في سيرته الكتب والرسائل ، وسارت بأخباره الركبان، واشتهر منذ عصره على مر الزمان وإلى الآن، وعرف بالزهد والورع، والتمكن في الفتوى، حتى صار من أشهر الأمثال قولهم: «لا يفتى ومالك بالمدينة».

وترجمت له كتب كثيرة جدًا، وأنا أذكر طرفًا منها، مما ذكرته بهامش «ديوان الإسلام» (ت:١٧٩٩):

«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٨)، «جامع العلم» للشافعي: (٢٤٢)، «تاريخ خليفة بن خياط» (١/ ٤٣٢)، (٢/ ٧١٩)، «طبقات خليفة» (٢٧٥)، «المعارف لابن قتيبة» (٤٩٨ – ٤٩٩)، «المنتخب من كتاب ذيل المذيل للطبري» (١٠٦، ١٠٧)، «مشاهير علماء الأمصار» ت (١١١٠)، «الحلية» (٦/ ٣١٦)، «الفهرست» لابن النديم مع تراجم أصحابه: (٢٨٠ – ٢٨٤)، «أنساب العرب» لابن حزم: (١/ ٤٣٥ ٤٣٦)، «الفهرست» للطوسي: ت (٧٤٠)، «الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء» (٩–٦٣)، «طبقات الشيرازي» (٦٧)، «ترتيب المدارك» (١/ ١٠٢–٢٥٤)، «صفة الصفوة» (٢/ ١٧٧–١٨٠)، «الكامل» لابن الأثير، (٦/ ١٤٧)، «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي: (٢/ ٧٥ – ٧٩)، «وفيات الأعيان (٤/ ١٣٥ – ١٣٩)، تهذيب الكمال: (١٢٩٧)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٧ – ٢١٣)، «العبر» للذهبي: (١/ ٢٧٢)، «مرآة الجنان» لليافعي: (١/ ٣٧٣ – ٣٧٧)، «البداية والنهاية» (١٠/ ١٧٤ – ١٧٥)، «الديباج المذهب» (١/ ٥٥–١٣٩)، «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٥)، «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي: (٢/ ٩٦–٩٧)، «شرح البخاري» للقسطلاني: (١/ ٦)، «مفتاح السعادة» طاش كبري زاده: (٢/ ١٢، ٨٤–٨٨)، «التاريخ الكبير» (٧/ ٣١٠)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٢٢٠)، «الطبقات الكبرى» للشعراني: (٤٥)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٢–١٥)، «الكاشف» (٣/ ١١٢)، «تاريخ ابن معين» (٢/ ٥٤٣– ٥٤٦)، «الأنساب» (١/ ٢٨٧)، «اللباب» (١/ ٦٩)، «الرسالة المستطرفة» (١٣)، «مروج الذهب» (٣/ ٣٥٠)، «طبقات الحفاظ» (٨٩)، «تاريخ الخميس» (٢ / ٣٣٣)، «طبقات القراء» (٢/ ٣٥).

وترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ، ترجمة طويلة قاربت على المائة صفحة، ومما جاء فيها: «مالك الإمام هو: شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك .... الحميري، ثم الأصبحي، المدني، حليف بني تيم من قريش، فهم حلفاء عثمان أخي طلحة بن عبيدالله أحد العشرة. وأمه هي: عالية بنت شريك الأزدية، وأعمامه هم: أبو سهيل نافع، وأويس، والربيع، والنضر، أولاد أبي عامر.

... وطلب مالك العلم، وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات.

=

القاسم[(١)] وغيره عن متابعته في المآخذ والأصول، بسبب مخالفتهم إياه في بعض الفروع.

=

... قال محمد بن سعد: ... وكان مجلسه مجلس وقار وحلم.
قال: وكان رجلًا مهيبًا نبيلًا، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط، ولا رفع صوت، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث، فلا يجيب إلا في الحديث بعد الحديث، وربما أذن لبعضهم يقرأ عليه، وكان له كاتب قد نسخ كتبه، يقال له: حبيب.
يقرأ للجماعة، ولا ينظر أحد في كتابه ولا يستفهم، هيبة لمالك، وإجلالًا له، وكان حبيب إذا قرأ فأخطأ، فتح عليه مالك، وكان ذلك قليلًا.
..حرملة: حدثنا ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع.
... قال إبراهيم الحزامي: حدثني مطرف بن عبدالله، قال لي مالك: ما يقول الناس في ؟ قلت: أما الصديق فيثني، وأما العدو فيقع.
فقال: مازال الناس كذلك، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها .
وقال في صفته الشخصية: عن عيسى بن عمر قال: ما رأيت قط بياضًا ولا حمرة أحسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب من مالك.
ونقل غير واحد أنه كان طوالًا، جسيمًا، عظيم الهامة، أشقر، أبيض الرأس واللحية، عظيم اللحية، أصلع، وكان لا يحف شاربه، ويراه مثلة.
وقيل: كان أزرق العينين.
... وقال محمد بن الضحاك الحزامي: كان مالك نقي الثوب، رقيقه، يكثر اختلاف اللبوس.
وقال الوليد بن مسلم: كان مالك يلبس البياض، ورأيته والأوزاعي يلبسان السيجان.
قال ابن شهاب: كان مالك إذا اعتم، جعل منها تحت ذقنه، ويسدل طرفها بين كتفيه.
وقال أشهب: كان مالك إذا اكتحل للضرورة جلس في بيته.
وقال مصعب: كان مالك يلبس الثياب العدنية ويتطيب.
... وعن بشر بن الحارث قال: دخلت على مالك، فرأيت عليه طيلسانًا يساوي خمسمائة، وقد وقع جناحاه على عينيه أشبه شيء بالملوك».
قلت: وذكرت ما وقفت عليه من كتبه في هامش «ديوان الإسلام»، فكانت على النحو التالي:

١ - الموطأ في الحديث. ٢- رسالته إلى الرشيد.
٣- رسالة في الوعظ. ٤- رسالة في الرد على القدرية.
٥- كتاب المسائل. ٦- كتاب النجوم. ٧- تفسير غريب القرآن.

(١) هو: عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة، أبو عبدالله العتقي، مولاهم ، المصري، الشامي أصلًا، المالكي. توفي سنة (١٦١هـ)، وله (ستون سنة).
وقد ذكرت ترجمته في عدة مصادر منها: «إتحاف السالك برواة الموطأ عن مالك»، بتحقيقي (ت:٢٠)، (ص١٥٣)، «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٢٠)، «طبقات خليفة»: ت ٢٣٨٨، «تاريخ خليفة»: (٣٩٨)، «المعارف»: (١٧٥)، «الانتقاء» لابن عبد البر: (٥٠)، «طبقات الشيرازي»: (٦٥)، «ترتيب المدارك» (٢/ ٤٣٣)، «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٣٠٣)، «وفيات الأعيان» (٣/ ١٢٩)، «العبر» (١/ ٣٠٧)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٥٦)، «الكاشف» (٢/ ١٨١)، «دول الإسلام» (١/ ١٢١)، «الديباج المذهب»
= ؛

وكما لا يخرج أصحاب الشافعي ﷺ كابن سريج[1] وغيره عن متابعته فيما ذكر بمخالفته

=

(١/ ٤٦٥ - ٤٦٨)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٥٢)، «طبقات الحفاظ»: (٥٠)، «خلاصة تذهيب الكمال»: (٢٣٣)، «شذرات الذهب» (١/ ٣٢٩)، «الجرح والتعديل» (٥/ ٣٢٥)، «موسوعة رجال الكتب التسعة» تأليفي مع آخر (ت: ٥٣٢٠).

وقد ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، فمما ذكر في ترجمته أن قال: «عالم الديار المصرية ومفتيها، أبو عبد الله العتقي مولاهم المصري صاحب مالك الإمام.

... كان ذا مال ودنيا، فأنفقها في العلم، وقيل: كان يمتنع من جوائز السلطان، وله قدم في الورع والتأله.

قال النسائي: ثقة مأمون.

وعن مالك: أنه ذكر عنده ابن القاسم، فقال: عافاه الله، مثله كمثل جراب مملوء مسكًا.

... قال الحارث بن مسكين عن أبيه قال: كان ابن القاسم وهو حدث في العبادة أشهر منه في العلم.

ثم قال الحارث: كان في ابن القاسم العبادة والسخاء والشجاعة والعلم والورع والزهد.

قال محمد بن وضاح: أخبرني ثقة ثقة، عن علي بن معبد، قال: رأيت ابن القاسم في النوم، فقلت: كيف وجدت المسائل ؟ فقال: أف أف. قلت: فما أحسن ما وجدت ؟ قال: الرباط بالثغر. قال: ورأيت ابن وهب أحسن حالًا منه.

وقال سحنون: رأيته في النوم، فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: وجدت عنده ما أحببت. قلت: فأي عمل وجدت ؟ قال: تلاوة القرآن. قلت: فالمسائل؟ فأشار يُلَشِّيها. وسألته عن ابن وهب، فقال: في عليين».

(١) هو: أحمد بن عمر بن سُريج، وقيل: أحمد بن شريح، أبو العباسي، البغدادي، الباز، القاضي، الأشهب، الشافعي، الفقيه، المصنف.

ولد سنة: (٢٤٩)، وتوفي سنة: (٣٠٦)، وقيل: (٣٠٥).

وترجمت له مراجع كثيرة، وهو مصنف مشهور وإمام مقدم له من المؤلفات ما يزيد على الثلاثمائة مصنف، وأذكر من المصادر المترجمة له:

«ديوان الإسلام» بتحقيقي (ت: ١٢٠٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٠١)، «فهرست ابن النديم» (٢٩٩)، «طبقات العبادي» (٦٢)، «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٨٧)، «طبقات الشيرازي» (١٠٨)، «المنتظم»: (٦/ ١٤٩)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢٥١)، «وفيات الأعيان» (١/ ٦٦)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨١١)، «العبر» (٢/ ١٣٢)، «دول الإسلام» (١/ ١٨٥)، «الوافي بالوفيات» (٧/ ٢٦٠)، «مرآة الجنان» (٢/ ٢٤٦)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٣/ ٢١)، «طبقات الإسنوي» (٢/ ٢٠)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٢٩)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ١٩٤)، «طبقات الحفاظ» (٣٣٨)، «مفتاح السعادة» (٢/ ١٧٤)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢٤٧)، «طبقات الأصوليين» (١/ ١٦٥).

وقد ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» فمما قال في ترجمته أن قال: «الإمام، شيخ الإسلام، فقيه العراقيين، أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات.

ولد سنة بضع وأربعين ومائتين، وسمع في الحداثة، ولحق أصحاب سفيان بن عيينة، ووكيع.

... وتفقه بأبي القاسم عثمان بن بشار الأنماطي الشافعي، صاحب المزني، وبه انتشر مذهب الشافعي، ببغداد، وتخرج به الأصحاب.

... وقال أبو الوليد الفقيه: سمعت ابن سريج يقول: قل ما رأيت من المتفقهة من اشتغل بالكلام فأفلح،

=

في بعض الفروع.

وكذا أبو حنيفة[(١)] مع الشيخ الأشعري، وكذا أصحاب أبي حنيفة معه ومع

=

يفوته الفقه ولا يصل إلى معرفة الكلام».

قال محققه: وقد ذكرت ما وقفت عليه من كتبه في هامش «ديوان الإسلام» (ت:١٢٠٣)، فكانت على النحو التالي:

١ - الأقسام والخصال (فروع الفقه الشافعي).

٢ - الودائع لمنصوص الشرائع (أحكام مجردة من الأدلة).

٣ - كتاب العين والدين (في الوصايا). ٤ - التقريب بين المزني والشافعي.

٥ - جواب القاشاني (في الأسئلة). ٦ - الرد على عيسى بن أبان.

٧ - الرد على محمد بن الحسن. ٨ - الغنية (في الفروع).

٩ - الفروق (في الفروع). ١٠ - مختصر (في الفقه).

(١) هو النعمان بن ثابت بن زوطى، أبو حنيفة، التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، ويقال: من أبناء الفرس، إمام المذهب الحنفي، والمشهور بالإمام الأعظم.

ولد سنة: (٨٠هـ)، وتوفي سنة: (١٥٠هـ).

هو إمام مشهور وعلم من أشهر الأعلام، كتبت في سيرته الكتب، وتفقه بمذهب ربع الإسلام، وذكرته مصادر التراجم الكثيرة التي لا تكاد تعد، والتي منها: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٩٠)، «ديوان الإسلام» (ت:٧٦٣)، «طبقات خليفة» (١٦٧)، «تاريخ الطبري» (٨/ ٨١)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٤٣)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٤٩)، «كتاب المجروحين» (٣/ ٦١)، «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٢٣)، «الكامل في التاريخ» (٥/ ٥٨٥)، «وفيات الأعيان» (٥/ ٤١٥)، «تهذيب الكمال» (١٤١٤)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٦٨)، «ميزان الاعتدال» (٤/ ٢٦٥)، «العبر» (١/ ٣١٤)، «مرآة الجنان» (١/ ٣٠٩)، «البداية والنهاية» (١٠/ ١٠٧)، «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٤٤٩)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ١٢)، «الجواهر المضيئة» (١/ ٢٦)، «الخلاصة» (٤٠٢)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٢٧)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٩٥)، «الأعلام» (٨/ ٣٦)، «معجم المؤلفين» (١٣/ ١٠٤)، «كشف الظنون» (٨٤٢، وغير ذلك كثير)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢١٦)، «طبقات الفقهاء» (٦٧).

وترجم له ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة (١٥٠) فقال:

تفقه على حماد بن سليمان، وكان من أذكياء بني آدم، جمع الفقه والعبادة والورع والسخاء، وكان لا يقبل جوائز الدولة بل ينفق ويؤثر من كسبه، له دار كبيرة لعمل الخز وعنده صناع وأجراء رحمه الله تعالى.

قال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

وقال يزيد بن هارون: ما رأيت أروع ولا أعقل من أبي حنيفة.

... وقال ابن الأهدل: نقله المنصور عن الكوفة إلى بغداد ليوليه القضاء، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أن لا يفعل، وقال: أمير المؤمنين أقدر مني على الكفارة، فأمر به إلى الحبس.

وقيل: إنه ضربه، وقيل: سقاه سمًّا لقيامه مع إبراهيم الشبه بن عبدالله بن حسن، فمات شهيدًا.

وقيل: إنه أقام في القضاء يومين ثم اشتكى ستة أيام ومات.

=

الأشعري وأصحابه، وإلى هذا كله أشار صاحب «النونية» بقوله:

=

وكان ابن هبيرة قد أراده على القضاء في الكوفة أيام مروان الجعدي، فأبى وضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة، وأصر على الامتناع فخلى سبيله.

وكان الإمام أحمد إذا ذكر ذلك ترحم عليه» انتهى.

وقد قال في «الأشباه والنظائر»: لما جلس أبو يوسف رحمه الله للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة، أرسل إليه أبو حنيفة رجلًا، فسأله عن خمس مسائل:

الأولى: قَصَّار جحد الثوب وجاء به مقصورًا، أهل يستحق الأجر أم لا؟

فأجاب أبو يوسف: يستحق الأجر. فقال له الرجل: أخطأت.

فقال: لا يستحق الأجر. فقال : أخطأت.

ثم قال له الرجل: إن كانت القصارة قبل الجحود استحق الأجر، وإلّا فلا أجر له.

الثانية: هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسُّنة؟

فقال: بالفرض. فقال: أخطأت. فقال: بالسُّنة. فقال: أخطأت.

فتحير أبو يوسف.

فقال له الرجل: بهما؛ لأن التكبير فرض ورفع اليدين سُنة.

الثالثة: طير سقط في قدر على النار فيه لحم ومرق، هل يؤكلان أم لا؟

فقال أبو يوسف: يؤكلان.

فخطأه، فقال: لا يؤكلان، ثم قال: إن كان اللحم مطبوخًا قبل سقوط الطائر يغسل ثلاثًا ويؤكل وترمى المرقة وإلا يرمى الكل.

الرابعة: مسلم له زوجة ذمية، ماتت وهي حامل منه تدفن في أي المقابر؟

فقال: في مقابر المسلمين، فخطأه، فقال أبو يوسف: في مقابر أهل الذمة ، فخطأه.

فقال: في مقابر اليهود، أي لأنهم يوجهون قبورهم إلى القبلة، ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجهه إلى ظهر أمه.

الخامسة: أم ولد لرجل تزوجت بغير إذن مولاها هل تجب العدة من المولى؟

فقال: تجب ، فخطأه. ثم قال الرجل: إن كان الزوج دخل بها لا تجب، وإلا وجبت.

فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة فقال: تزببت قبل أن تحصرم، كذا في «إجازات الفيض».

انتهى من كلام «الأشباه والنظائر»، والله أعلم، وبه التوفيق.

وذكرت أسماء كتبه في «ديوان الإسلام» (ت:٧٦٣)، فكانت على النحو التالي:

١ – الفقه الأكبر (ولم تصح نسبته إليه. الأعلام).

٢ – المسند (في الحديث رواية الحسن بن زياد اللؤلؤي).

٣ – العالم والمتعلم (في العقائد والنصائح، رواية مقاتل).

٤ – الرد على القدرية.

٥ – المخارج (في الفقه ، رواية تلميذه أبي يوسف).

٦ – رسالة إلى عثمان البتي قاضي البصرة.

والكل معدودون من أتباعه ... لا يخرجون بذا عن الإذعان
وأبو حنيفة هكذا مع شيخنا ... لا شيء بينهما من النكران
متناصران وذا اختلاف هين ... عار عن التبديع والخذلان

وقوله: (وأبو حنيفة): مبتدأ، و «هكذا» خبره، و«مع شيخنا»: حال. «ولا شيء» إلى آخره: بيان للجملة السابقة.

أي: كما أن مخالفة أصحاب الأشعري إياه فيما ذكر لا تعد قدحًا وطعنًا في إمامهم، فكذا مخالفة أبي حنيفة لا توجب تبديعًا ولا إنكارًا.

وقوله: (متناصران): خبر مبتدأ محذوف، يعني إن أبا حنيفة وشيخنا الأشعري متناصران ؛ لأنهما من أهل السنة والجماعة، ممهدان لأصول الفرقة الناجية.

وقوله: (وذا اختلاف هين): «ذا» فيه مبتدأ، و«اختلاف» خبر، و«هين»: صفة «اختلاف»، و«عار»: خبر أيضًا، وصفة بعد صفة.

أي: مجرد عن التبديع ، أي: نسبة أحدهما الآخر إلى البدعة [٦/ ب] والتفعيل قد يجيء للنسبة كالتفسيق.

وقوله: (والخذلان): عطف على «التبديع»، أي ومجرد عن الخذلان أحدهما الآخر.

وإهماله إياه لما عرفت من أنهما متناصران متظاهران للسنة والجماعة، وإنما هان أمر الخلاف بينهما؛ لأنه:

إما لفظي ولا خلاف في سهولته.

وإما معنوي لم يثبت فيه الخلاف عند التحقيق خصوصًا. وقد قيل:

وليس كل خلاف جاء معتبرًا ... إلا خلافًا له حظ من النظر

وهناك أمور خالف الأشعري فيها كثير من أصحابه، مع أنهم لا يبدعونه، ولا يخرجون عن الاقتداء به في غيرها كما سبق.

وحيث لم يثبت هذا الخلاف في هذه المسألة عند التحقيق وإن كان موجودًا في الظاهر ببادي الرأي، فالمرجع والمصير إلى ما صح وأجمع عليه، وهو القول بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصغائر والكبائر مطلقًا، عمدًا أو سهوًا، ولو في حال الطفولة، وبطل مقابله، وهو القول بجواز الصغائر عليهم، وإن كان قال به شرذمة من الأشاعرة، والكمال لله ﷻ، وما منا إلا من رَدّ ورُدّ عليه، إلا سيد البشر ﷺ.

قال الشيخ حسن الشهير بأبي عذبة[1] في «الروضة البهية في الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية»: «اعلم أن الأشاعرة والماتريدية متفقون في أصل عقيدة أهل السنة والجماعة والخلاف بينهما في بعض المسائل في بادئ الرأي لا يقدح في ذلك ولا يوجب صيرورة أحدهما مبتدعًا ولا كون أحدهما [٧/ أ] مبدعًا للآخر، طاعنًا في دينه، لأنها :

إما أمور جزئية فرعية بالنسبة إلى أعدل القواعد الكلية، ومسائل مبنية على تبيين الألفاظ وتعيين المعنى المراد منها.

وإما أمور لم يثبت كونها من مقائلة أحدهما.

وإما فهم الزاعم مقصود القائل بها، وهي الآفة الكبرى.

فكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

وما هذا الاختلاف إلّا كالاختلاف الواقع بين أصحاب الأشعري وبينه، وبين أصحاب أبي حنيفة وبينه.

ولا شك أن أصحاب كل منهما لا يكفرون إمامهم ولا يبدعونه، وأن الخلاف فيها غير مضر، ولا يوجب فساد عقيدة على تقدير كونه على حاله، فكيف والتوفيق ممكن.

وفي بعض المسائل يكون قول الأشعري على وفق الماتريدي، وقول على خلافه، وإلى ذلك كله أشار صاحب «النونية» بقوله:

والخلف بينهما قليل أمره سهل بلا بدع ولا كفران

ولقد يئول خلافهما إما إلى لفظ كالاستثناء في الإيمان

انتهى.

وأما إذا ثبت هذا الخلاف في هذه المسألة كما هو ظاهر عباراتهم، ومفهوم إشاراتهم،

---

(١) هو: حسن بن عبد المحسن، المعروف بأبي عذبة.

ذكره الأستاذ عمر كحالة في كتابه: «معجم المؤلفين» وقال: كان حيًّا سنة (١١٧٢هـ) الموافق (١٧٥٩م)، وقال في ترجمته: متكلم، من تصانيفه:

١- الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، فرغ منها سنة (١١٧٢هـ).

٢- بهجة أهل السنة على عقيدة ابن الشحنة.

٣- المطالع السعيدة على متن الحفيدة (في التوحيد).

ثم أشار في الهامش إلى أنه في «فهرست الخديوية»، وفي الهدية: «المطالع السعيدة في شرح القصيدة» للسنوسي في العقائد.

ثم ذكر مصادر ترجمته فقال: «فهرست الخديوية» (٢/ ٢٤، ٢٥)، «هدية العارفين» (١/ ٢٩٩)، «معجم المطبوعات» (٣٢٤)، «إيضاح المكنون» (٢٠٠، ٥٩٣).

فالمرجوع إليه والمعول عليه أيضًا القول الحق الذي انعقد عليه إجماع المعتبرين وهو: عصمتهم عن الكبائر والصغائر مطلقًا، كما تقدم لك غير مرة ولا التفات إلى القول المقابل له.

وإما لمخالفته للإجماع أو لكونه خطأ أو مرجوحًا أو خلاف الحق كما قيل منها فيما أسلفناه.

وأنت إذا تأملت ما تلوناه عليك وأعملت الفكرة فيما مهدناه إليك، علمت أن مذهب الإمام الأشعري لا غبار عليه، وهو بريء الساحة مما نسب [٧/ ب] إليه :

إما على عدم ثبوت هذا القول عنه، فظاهر.

وإما على ثبوته، فيحمل على أن الخلاف بينه وبين غيره لفظي، أو على أن له في المسألة قولين مشى كل طائفة من أصحابه على قول منهما.

وحينئذ فقد اتضح الحال وزال الإشكال والحمد لله على كل حال.

وأما العلامة السعد، فقد نقل عنه أنه بمثل قول إحدى الطائفتين.

قال: ولهم التتبع في المجال فاستشكل بما سبق في السؤال من أنه حيث صح ما نقل عن الأشعري من جواز الصغائر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فاحكم على السعد بالوقوع في التوحيد، مع أنه تابع في ذلك للأشعري، ومقتضى هذه التبعية: أنه لا يحكم عليه بذلك؛ لإجماع الأئمة واتفاق كلمة أهل الحق على أن كلًّا من الأشعري والماتريدي على هدىً ونور، وعلى الخروج من عهدة التكليف بالإيمان بالجزم في عقيدته بما يوافق أحد المذهبين، والمذهب الأقوم المجمع عليه عند من يعتد بإجماعه من الأئمة المعتبرين.

فعلى السعد المؤاخذة من حيث عدوله عن هذا المنهج الأسلم، والطريق الأقوم إلى ما سلكه من القول السقيم الذي قيل فيه :إنه خطأ أو خرق للإجماع أو غير ذلك مما سلف، وغاية ما يتروح له به في الجواب أن يقال:

هو تابع في ذلك لما نقل عن الأشعري، وما كان جوابًا عن الأشعري فهو جواب له.

وحينئذ فالسعد على هدى ونور كإمامه الأشعري؛ لخروجه من عهدة التكليف بالإيمان بجزمه بما يوافق أحد المذهبين [٨/ أ] كما أجمع عليه الأئمة واتفقت عليه كلمة أهل الحق.

قال صاحب «الروضة» المتقدم ذكره:

«اعلم أن مدار جميع عقائد أهل السنة والجماعة على كلام قطبين:

أحدهما: الإمام أبو الحسن الأشعري.

والثاني: الإمام أبو منصور الماتريدي [١]

(١) هو: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، الماتريدي السمرقندي، من أئمة علماء الكلام. توفي سنة (٣٣٣)، وقد تكلمت على ترجمته في مقدمة الكتاب وأذكر هنا مصادر ترجمته وأسماء كتبه.

=

فكل من اتبع أحدًا منهما اهتدى وسلم من الزيغ والفساد في عقيدته»، انتهى.

وذكر المحقق الأمير في حاشيته على عبدالسلام «شارح الجوهرة»: «أن الأشعري هو أبو الحسن، نسبة إلى الأشعري، جده أبي موسى الصحابي، ونسبه إليه البوسي قال:

واشتهر أنه واضع هذا الفن، وليس كذلك، بل تكلم عمر بن الخطاب فيه، وابنه.

وألف فيه مالك رسالة قبل أن يولد الأشعري.

نعم هو اعتنى به كثيرًا، وكان مالكيًّا، ونقل عن السبكي أنه كان شافعيًّا، ومولده سنة سبعين -وقيل: ستين- ومائتين بالبصرة.

وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، ببغداد.

وذكر فيها أيضًا:

الماتريدي نسبة إلى ماتُريد، قرية بسمرقند، واسمه: محمد، وهو تلميذ أبي العياض، أبي بكر الجوزجاني، صاحب أبي سليمان الجوزجاني(1)، تلميذ محمد بن الحسن

=

وقد ورد ذكره في كتاب «ديوان الإسلام» (ت:١٨٩٧)، ولم يزد ابن الغزي على أن قال: الماتُريدي.

قلت: وذكرت مصادر ترجمته بهامش الكتاب المذكور، وأسماء كتبه فكانت على النحو التالي:

«هدية العارفين» (٢/ ٣٦)، «الأعلام» (٧/ ١٩)، «معجم المؤلفين» (١١/ ٣٠٠)، «كشف الظنون» (٢٦٢، وغير ذلك كثير)، «مفتاح السعادة» (٢/ ٢١)، «الفوائد البهية» (١٩٥)، «الجواهر المضيئة» (٢/ ١٣٠)، «تاج التراجم» (٤٣). وأما كتبه، فالذي وقفت عليه منها:

١- شرح الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة.
٢- تأويلات أهل السنة.
٣- بيان وهم المعتزلة.
٤- تأويلات القرآن.
٥- مآخذ الشرائع (في أصول الفقه).
٦- الرد على تهذيب الكعبي (في الجدل).
٧- الدرر (في أصول الدين).
٨- العقيدة الماتريدية.
٩- كتاب التوحيد وإثبات الصفات.
١٠- كتاب الجدل.
١١- المقالات.
١٢- الرد على القرامطة.

(١) هو: موسى بن سليمان، أبو سليمان، الجوزجاني، الحنفي، الفقيه.

توفي سنة (٢٠٠هـ)، ومن مصادر ترجمته أذكر:

«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٩٤)، «الجرح والتعديل» (٨/ ١٤٥)، «الأنساب» (٣/ ٣٦٢)، «تاج التراجم» (٥٥)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٧٧)، «الجواهر المضيئة» (٢/ ١٨٦)، «الفوائد البهية» (٢١٦)، «إيضاح المكنون» (٢/ ٣٣)، (٦٨١).

وترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» فقال: «الجوزجاني: الإمام العلامة، أبو سليمان.. صاحب أبي يوسف، ومحمد. حدث عنهما، وعن ابن المبارك.

حدث عنه: القاضي أحمد بن محمد البرقي، وبشر بن موسى، وأبو حاتم الرازي، وآخرون.

كان صدوقًا محبوبًا إلى أهل الحديث.

=

الشيباني[1]»، انتهى.

=

قال ابن أبي حاتم: كان يكفر القائلين بخلق القرآن، وقيل: إن المأمون عرض عليه القضاء فامتنع، واعتل بأنه ليس بأهل لذلك، فأعفاه، ونبل عند الناس لامتناعه، وله تصانيف».

قلت: ذكر مؤلفاته البغدادي في «هدية العارفين» فقال: من تآليفه:

١- سير الصغيرة. ٢- كتاب الحيل.

٣- كتاب الرهن. ٤- نوادر الفتاوى.

(١) هو: محمد بن الحسن بن فرقد (واقد) أبو عبدالله، الشيباني، الكوفي، الحنفي، الشهرة: الشيباني.

ولد سنة: (١٣١)، أو (١٣٢)، أو (١٣٥). توفي سنة (١٨٩).

وهو إمام مشهور صاحب تصانيف كثيرة وشهيرة، وترجمت له كتب كثيرة أذكر منها:

«سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٣٤)، «ديوان الإسلام» (ت:١٨٤٤)، «تاريخ ابن معين» (٥١١)، «تاريخ خليفة» (٤٥٨)، «المعارف» (٥٠٠، ٥٤٥)، «الضعفاء» للعقيلي (٣٧٦)، «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٢٧)، «المجروحين» (٢/ ٢٧٥)، «الفهرست» (٢٥٧)، «تاريخ بغداد» (٢/ ١٧٢)، «طبقات الشيرازي» (١٣٥)، «الأنساب» (٧/ ٤٣٣)، «اللباب» (٢/ ٢١٩)، «وفيات الأعيان» (٤/ ١٨٤)، «العبر» (١/ ٣٠٢)، «المغني في الضعفاء» (٢/ ٢١٩)، «دول الإسلام» (١/ ١٢٠)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ٥١٣)، «لسان الميزان» (٥/ ١٢١)، «شذرات الذهب» (١/ ٣٢١)، «الفوائد البهية» (١٦٣)، «هدية العارفين» (٢/ ٨)، «الأعلام» (٦/ ٨٠)، «معجم المؤلفين» (٩/ ٢٠٧)، «كشف الظنون» (١٥، وغير ذلك كثير)، «إيضاح المكنون» (١/ ١١٥)، «تاريخ بغداد» (٢/ ١٧٢).

وترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، فمما قال في ترجمته:

فقيه العراق .... الكوفي، صاحب أبي حنيفة، ولد بواسط، ونشأ بالكوفة.

وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف.

... أخذ عنه الشافعي، فأكثر جدًّا... وقد سقت أخباره في جزء مفرد.

قال ابن سعد: أصله جزري، سكن أبوه الشام، غلب عليه الرأي وسكن بغداد.

قلت: ولي القضاء للرشيد بعد القاضي أبي يوسف وكان مع تبحره في الفقه يُضرب بذكائه المثل.

كان الشافعي يقول: كتبت عنه وِقْرَبُخْتِيّ، وما ناظرت سمينًا أذكى منه، ولو أشاء أن أقول: نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت، لفصاحته.

.... وقال ابن معين: كتبت عنه «الجامع الصغير».

قال إبراهيم الحربي: قلت لأحمد: من أين لك هذه المسائل الدقاق؟ قال: من كتب محمد بن الحسن.

قيل: إن محمد بن الحسن لما احتضر، قيل له: أتبكي مع العلم؟! قال: أرأيت إن أوقفني الله. وقال: يا محمد، ما أقدم الرَّيّ: الجهاد في سبيلي أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا أقول؟».

وذكرت أسماء كتبه بهامش «ديوان الإسلام» فكانت على النحو التالي:

١- الجامع الكبير (في فروع الفقه الحنفي). ٢- الجامع الصغير (في فروع الفقه الحنفي).

٣- الاحتجاج على مالك. ٤- الاكتساب في الرزق المستطاب.

٥- الشروط. ٦- الجرجانيات.

=

وذكر فيها أيضًا: «أن كبار الفرق الإسلامية ثمانية:

١- المعتزلة. ٢- والشيعة. ٣- والخوارج.

٤- والمرجئة. ٥- والجبرية. ٦- والنجارية.

٧- والمشبهة. ٨- والناجية». انتهى.

وفي «الروضة البهية»:

«اعلم أن المولى المحقق التفتازاني ذكر في شرحه للمقاصد: أن المشهور من أهل السنة في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار هم: **الأشاعرة**، أصحاب أبي الحسن الأشعري.

وهو: علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن عبدالله بن أبي بردة بن أبي [٨/ ب] موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ، أول من خالف أبا علي الجبائي[1]، ورجع عن مذهبه إلى

=

٧- الرقيات (في المسائل). ٨- الزيادات (في الفروع).

٩- زيادة الزيادة. ١٠- السير الصغير (في الفقه).

١١- السير الكبير (في الفقه). ١٢- عقائد الشيبانية (قصيدة ألفية).

١٣- كتاب الآثار (في الفقه والحديث). ١٤- كتاب الأصل (في الفروع).

١٥- كتاب الإكراه. ١٦- كتاب الحج.

١٧- كتاب الحيل. ١٨- كتاب السحبات (أمالي).

١٩- كتاب الكسب. ٢٠- كتاب النوادر.

٢١- الكيسانيات. ٢٢- المبسوط (في الفروع).

٢٣- مناسك الحج. ٢٤- نوادر الصيام.

٢٥- الهارونيات.

(١) هو: محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حزة بن أبان، أبو علي، البصري، المعتزلي، الجبائي، المصنف.

ولد سنة: (٢٣٥)، وتوفي سنة: (٣٠٣)، أو (٣٠٢)، وهو شيخ المعتزلة، وكتبت في سيرته الكتب، وترجمت له المصادر الكثيرة التي منها:

«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٨٣)، «ديوان الإسلام» بتحقيق (٦٧٦)، «الأعلام» (٦/ ٢٥٦)، «معجم المؤلفين» (١٠/ ٢٦٩)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢٤١)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ١٨٩)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٢٥)، «دول الإسلام» (١/ ١٨٤)، «فهرست ابن النديم» (ص٦)، «المنتظم» (٦/ ١٣٧)، «العبر» (٢/ ١٢٥)، «الوافي بالوفيات» (٤/ ٧٤)، «طبقات المعتزلة» (٨٠)، «لسان الميزان» (٥/ ٢٧١)، «طبقات المفسرين» للسيوطي (٣٣)، «الداودي» (٢/ ١٨٩)، «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٣٦)، «الفرق بين الفرق» (١٦٧)، «الملل والنحل» (١/ ٧٨).

وترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، فمما قال في ترجمته: شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف. أخذ عن أبي يعقوب الشحام، وعاش ثمانيًا وستين سنة، فخلفه ابنه العلامة أبو هاشم الجبائي، وأخذ عنه فن الكلام أيضًا أبو الحسن الأشعري، ثم خالفه ونابذه وتسنن.

=

السنة -أي: إلى طريقة النبي ﷺ- والجماعة -أي: طريقة الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.

وله مصنفات كثيرة، قال بعضهم: هي خمسة وخمسون مصنفًا[(١)]

وفي ديار ما وراء النهر: **الماتريدية**: أصحاب أبي منصور الماتُريدي، وهو: محمد بن محمود، وأبو منصور الماتُريدي، تلميذ محمد بن الحسن الشيباني، كان يلقب بإمام الهدى وله:

- كتاب في التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب أوائل الأدلة، وبيان وهم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يوازيه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه، وله كتب شتى[(٢)].

مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بسمرقند، وماتُريد: قرية من قرى سمرقند».

إلى أن قال:

«ثم إن المشتهر في بلاد المغاربة عقائد الأشاعرة؛ لأن الغالب على تلك البلاد مذهب

=

وكان أبو علي على بدعته متوسعًا في العلم، سيال الذهن، وهو الذي ذلل الكلام وسهّله ويسر ما صعب منه، وكان يقف في أبي بكر وعليّ أيّهما أفضل؟

... قيل: سأل الأشعري أبا علي: ثلاث أخوة أحدهم تقي، والثاني كافر، والثالث مات صبيًّا؟

فقال: أما الأول، ففي الجنة. والثاني، في النار، والصبي، فمن أهل السلامة.

قال: فإن أراد أن يصعد إلى أخيه؟ قال: لا؛ لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هناك بعمله.

قال: فإن قال الصغير: ما التقصير مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة؟

قال: يقول الله له: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ولاستحقيت العذاب، فراعيت مصلحتك.

قال: فلو قال الأخ الأكبر: يا رب كما علمت حاله فقد علمت حالي، فَلِمَ راعيت مصلحته دوني؟

فانقطع الجبائي.

قلت: وذكرت كتبه في هامش «ديوان الإسلام» فكانت على النحو التالي:

١ - كتاب الأصول.
٢ - كتاب النهي عن المنكر.
٣ - كتاب التعديل والتجويز.
٤ - كتاب التفسير الكبير.
٥ - كتاب الاجتهاد.
٦ - كتاب الأسماء والصفات.
٧ - كتاب النقض على ابن الراوندي.
٨ - كتاب الرد على ابن كلاب.
٩ - كتاب الرد على المنجمين.
١٠ - كتاب من يكفر ومن لا يكفر.
١١ - كتاب شرح الحديث.

(١) هذا قدر ما وقفت عليه من الكتب، وقد تكون له كتب أخرى في مصادر أخرى لم أقف عليها، فمن أراد المزيد فعليه بالبحث في المصادر التي ذكرتها وغيرها من المصادر.

(٢) ذكرت له قبل قليل عدد اثني عشر كتابًا من الكتب التي أشار إليها المؤلف هنا، فراجعها.

الإمام مالك بن أنس[1] ﷺ، والمالكية في المعتقدات توافق الأشعري»، انتهى باختصار.

فإن قلت: كيف ساغ حكاية الإجماع فيما سبق على منع الصغائر في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع وجود هذا الخلاف المتقدم؟

قلنا: قد قال الإمام السيوطي[2] في «الإتقان»:

---

(١) سبق أن ترجمت للإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى من قبل.

(٢) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن همام الدين، أبو الفضل، جلال الدين الخضيري، الطولوني، المصري، الشافعي، الصوفي.

ولد سنة: (٨٤٩)، بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب ، وتوفي سنة : (٩١١) ، في (١٩) جمادى الأولى.

هو علم مشهور ذاع صيته في أرجاء الأرض واشتهر علمه، وصنف ما لم يصنف غيره من الكتب، وقد ذكرت أسماء كتبه في هامش «ديوان الإسلام» فبلغت قائمة كتبه (١٠٥٧) كتابًا، وصدرت في ترجمته الكتب الكثيرة، وله قبر يزار بالقاهرة في مصر، ومن المصادر التي ترجمت له:

«ديوان الإسلام»(ت:١١٦٣)، «هدية العارفين»(١/ ٥٣٤)، «الأعلام»(٣/ ٣٠١)، «الكواكب السائرة» (١/ ٢٢٦)، «شذرات الذهب» (٨/ ٥١)، «الضوء اللامع» (٤/ ٦٥)، «النور السافر» (٥٤)، «البدر الطالع» (١/ ٣٢٨)، «حسن المحاضرة» (١/ ١٨٨)، «معجم المؤلفين» (٥/ ١٢٨)، «كشف الظنون» (٥، وغير ذلك)، «إيضاح المكنون» (١/ ١٩١).

وترجم له ابن العماد في «شذرات الذهب» ، فمما قال في ترجمته: «جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن... الخضيري، السيوطي، الشافعي، المسند، المحقق، المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة...

عرض محافيظه على العز الكناني الحنبلي فقال له : ما كنيتك؟ فقال: لا كنية لي، فقال: «أبو الفضل»، وكتبه بخطه.

... وقد ذكر تلميذه الداودي في ترجمته أسماء شيوخه إجازة وقراءة وسماعًا مرتبين على حروف المعجم ، فبلغت عدتهم نيفًا وخمسين نفسًا.

واستقصى مؤلفاته الحافلة الكثيرة الكاملة الجامعة النافعة المتقنة المحررة المعتمدة المعتبرة فنافت عدتها على خمسمائة مؤلف وشهرتها تغني عن ذكرها.

وقد اشتهر أكثر مصنفاته في حياته في أقطار الأرض شرقًا وغربًا، وكان آية كبرى في سرعة التأليف ، حتى قال تلميذه الداودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس، تأليفًا وتحريرًا، وكان مع ذلك يملي الحديث، ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه رجالًا وغريبًا ومتنًا وسندًا واستنباطًا للأحكام منه، وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث، قال: ولو وجدت أكثر لحفظته، قال: ولعله لا يوجد على وجه الأرض الآن أكثر من ذلك.

ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاشتغال به صرفًا، والإعراض عن الدنيا وأهلها ، كأنه لم يعرف أحدًا منهم، وشرع في تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس واعتذر عن ذلك في مؤلف أسماه: «التنفيس» وأقام في روضة المقياس فلم يتحول منها إلى أن مات، ولم يفتح طاقات بيته التي على النيل من سكناه، وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها».

وليس كل خلاف جاء معتبرًا إلا خلافًا له حظ من النظر

كما أسلفنا على أن الظن الجميل بهذا الإمام الجليل واضع هذا الفن: إن هذا القول مدسوس عليه في هذه المسألة، فهو زور وبهتان، كما سيأتي في نظائرها من المفتريات عليه، والله أعلم.

بقي شيء آخر :

وهو أن هذا النقل [٩/ أ] عن الإمام الأشعري، والمحقق سعد الدين التفتازاني فيه أمور:

الأول:

أنه يفيد أن الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية منحصر في هذه السبع مسائل المذكورة مع أنه ليس كذلك، إذ المسائل الخلافية بين الفريقين تزيد عن السبع بكثير.

منها: ما نقل عن أبي منصور الماتريدي أنه قال: «أجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم، وأنهم حشو الجنة، كما جاءت به الأخبار، واتفق عليه الإجماع، فإن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع، وقدمه، وحدوث ما سواه، وإن عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين، والعلم بالعبارة علم زائد لا يلزمهم». انتهى.

وهذا الكلام من هذا الإمام يفيد: عدم وجوب المعرفة الذي قال به الإمام الأشعري.

ولذلك ذكر ابن حجر(١) عن بعضهم: أنه أنكر وجوب المعرفة أصلًا، وقال: إنها حاصلة

(١) هو: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر، ويقال: أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل، شهاب الدين، المصري، الكناني، العسقلاني، قاضي القضاة.
الشهرة: ابن حجر العسقلاني.
ولد سنة: (٧٧٣)، في ثاني أو ثالث شعبان، وهو من مشاهير الأعلام وأرباب المصنفات الكبيرة المشهورة والتي على رأسها «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»، وقد تناول الكتاب سيرته بالتأليف والدراسة والتحليل، ومن المصادر التي ترجمت له:
«ديوان الإسلام» (٨٢٣)، «معجم المؤلفين» (٢/ ٢٠)، «حسن المحاضرة» (١/ ٣٦٣)، «ذيل تذكرة الحفاظ» (٣٢٦)، «طبقات الحفاظ» (٥٤٧)، «الرسالة المستطرفة» (١٢١) ، «الأعلام» (١/ ١٧٩) ، «هدية العارفين» (١/ ١٢٨)، «شذرات الذهب» (٧/ ٢٧٠)، «الضوء اللامع» (٢/ ٣٦)، «التاريخ المكلل» (٣٦٢)، «مقدمة كتاب إنباه الغمر» (٧)، «معجم طبقات الحفاظ» (٥٥، ٣٢١)، «فهرس الفهارس» (١١/ ١٢٠)، «الجامع في الرجال» (١٣٦)، «الكنى والألقاب» (١/ ٢٦١)، «البدر الطالع» (١/ ٨٧)، «نظم العقيان» (٤٥)، «القلائد الجوهرية» (٣٣١)، «مفتاح السعادة» (١٢/ ٢١)، «إيضاح المكنون» (١/ ١٣، ٦٩، ٢٢٢٤، ٤٣٠، ٦١٩)، (٢/ ١٩٧، ٦٢٠)، «درة الحجال» (٩٤).
وقد ترجمت له ترجمة مختصرة في تحقيقي لكتاب «الإيثار بمعرفة رواة الآثار» ، فكان مما جاء في هذه الترجمة: «صار حافظ الإسلام، وانتهت إليه معرفة الرجال، واستحضارهم ، ومعرفة العالي والنازل وعلل الحديث وغير ذلك، وصار هو المعول عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار، وقدوة الأمة وعلّامة
=

بأصل الفطرة.

واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

وبقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» (١)

ولذلك قال أبو منصور الماتريدي: أجمع أصحابنا... إلى آخر ما قدمناه عنه فتفطن.

ومنها: اختلافهما في اتحاد مفهومي الإيمان والإسلام، وتغايرهما كما هو معلوم في كتب الكلام.

وذهب جمهور الأشاعرة إلى الثاني، وجمهور الماتريدية إلى الأول.

ومنها: اختلافهما في صفة التكوين، أثبتها الماتريدية، ونفاها الأشاعرة، كما هو مسطور في محله.

ومنها: اختلافهما في مسألة الوعيد، فقال الأشاعرة: يجوز تخلفه. وذهب الماتريدية إلى امتناع تخلفه كما يمتنع تخلف الوعد.

واستدل [٩/ ب] كل من الفريقين بما يطول شرحه.

ومنها: اختلافهما في معنى القضاء والقدر بعد اتفاقهما على وجوب الإيمان بهما كما هو

العلماء وحجة الأعلام، ومحيي السنة، وانتفع به الطلبة وحضر دروسه وقرأ عليه غالب علماء مصر، ورحل الناس إليه من الأقطار.

أفتى ، وأملى في مجالس، وتولى مشيخة التدريس في كثير من المدارس، وولي القضاء وصنف الكتب النافعة وانفرد بمعرفة فنون الحديث لاسيما رجاله وما يتعلق بهم، فدرس بالحسنية والمنصورية التفسير، ودرس الحديث في البيبرسية والجمالية المستجدة، والزينية، والشيخونية، وفي جامع ابن طولون ، والقبة المنصورية، وتولى الإسماع بالمحمودية، والفقه بالخروبية بمصر، والشريفية الفخرية، والشيخونية الصالحية النجمية، والصلاحية المجاورة للإمام الشافعي، والمؤيدية، وولي مشيخة البيبرسية، والإفتاء بدار العدل، والخطابة بالجامع الأزهر، ثم بجامع عمرو بن العاص، وتولى خزانة المكتبة المحمودية، وعمل لها فهرسة، وأملى من حفظه ما نيف على ألف مجلس، وأملى في خانقاه بيبرس نحوًا من عشرين سنة، ثم انتقل إلى دار الحديث الكاملية بين القصرين ، فوض إليه الملك المؤيد القضاء بالديار الشامية مرارًا، وباشر القضاء بمصر في عهد الملك الأشرف برسباي، ثم اعتزل القضاء، وأعيد إليه مرارًا».

وأما عن كتبه، فقد ذكرت هذه الترجمة ثمانية وتسعين كتابًا فراجعها بتمامها في الموضع المشار إليه إن أحببت.

(١) انظر أطراف هذا الخبر في: البخاري (٢/ ١٢٥)، أبي داود (٤/ ٤٧/ ٤٧١٦)، أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٣)، الحميدي (١١١٣)، الموطأ (٢٤١)، الحلية (٩/ ٢٢٨)، المطالب العالية (٢٩٥٢)، البيهقي (٦/ ٢٠٣)، الطبراني في الكبير (١/ ٢٦١)، الترمذي (٢١٣٨).

مبسوط في شرح قول اللقاني [(١)] في «الجوهرة»:

وواجب إيماننا بالقدر وبالقضا كما أتى في الخبر

ومنها: اختلافهما في الإجمال والتفصيل في تفضيل الأنبياء على الملائكة كما يعلم من شرح قوله:

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشقاق

والأنبياء يلونه في الفضل

(إلى آخره).

ومنها: غير ذلك مما هو مذكور في كتب علم التوحيد، وسنذكر طرفًا منها صالحًا إن شاء الله تعالى.

الثاني:

قد وقع في هذا النقل: أن هذه المسائل السبع التي وقع فيها الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية، ليست من أمهات المسائل، بل هي من الفروع في علم الكلام وليس كذلك.

فإن منها: وجوب المعرفة، هل هو بالشرع أو بالعقل؟ مع أن المعرفة أصل لجميع الأصول، فهي أصل لكل عقيدة من عقائد التوحيد، فكيف يدعي أنها من الفروع في علم الكلام؟

ومنها: القول المردود المخالف للإجماع، وهو تجويز الصغائر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مع أنه جزء من مفهوم عقيدة المستحيل عليهم الذي هو ضد الواجب لهم، فإن الواجب لهم الأمانة كما تقدم، وهي حفظ الله تعالى ظواهرهم وبواطنهم من التلبيس بمنهي

---

(١) هو: عبدالسلام بن إبراهيم بن إبراهيم، اللقاني المصري، المالكي.
ولد في سنة (٩٧١هـ)، وتوفي في (١٥) شوال سنة (١٠٧٨ هـ).
وهو فقيه صوفي متكلم. جاء ذكره في تراجم مشايخ أبي المواهب الحنبلي (٢/ ٢٩)، كتاب في التراجم (٥٥)، عام (٦٦٤٥ ظاهرية)، فهرس المؤلفين بالظاهرية، خلاصة الأثر (٢/ ١٦، ٤١٧)، الأزهري في اليواقيت الثمينة (٢٠١، ٢٠٢)، حاجي خليفة في كشف الظنون (٦٢٠)، البغدادي في إيضاح المكنون (١/ ٢٨٤)، (٢/ ٨)، (٢/ ١٧٢)، فهرست الخديوية (١/ ٢٨٥، ٣٤٨)، (٢/ ٢، ٣، ٣٥)، (٢/ ٧)، البغدادي في هدية العارفين (١/ ٥٧١)، الكشاف (١١٠)، فهرست التيمورية (٤/ ١٠٢)، معجم المؤلفين (٥/ ٢٢٢)، وقال مؤلفه: «فقيه متكلم، صوفي، توفي في (١٥) شوال، من مؤلفاته:
١ - إتحاف المريد بشرح جوهرة التوحيد لوالد إبراهيم اللقاني.
٢ - السراج الوهاج بشرح قصتي الإسراء والمعراج.
٣ - ابتسام الأزهار من رياض الأخبار في ربيع الأبرار بمولد المختار، شرح المنظومة الجزائرية في العقائد.
٤ - حاشية على تذكرة القرطبي».

عنه نهي تحريم أو كراهة، وضدها وهو الخيانة بفعل منهي عنه ولو مكروهًا مستحيل عليهم.

فكيف يقال: إن عقيدة المستحيل وضدها من الفروع ؟!

ومنها: غير ذلك، كما يعلم من تتبع كلامهم في كتب التوحيد.

الثالث:

ما سبق من عد مسألة [١٠/ أ] الكسب من السبع التي فيها خلاف الأشعرية والماتريدية، وهو خلاف الصواب؛ فإنهما متفقان على إثبات الكسب للعبد.

ولا خلاف بينهما إلّا في تفسيره وبيان حقيقته فقط كما ستعرفه.

وإنما الخلاف فيها بين أهل السنة جميعًا أشاعرة وماتريدية، وبين المعتزلة والجبرية.

فإن أهل السنة يقولون بالكسب، وهو متعلق بالقدرة الحادثة بالمقدور، وسبب هذه المقادير مع الميل والاختيار يثاب عليه العبد ويعاقب.

والمعتزلة يقولون: إن العبد خالق لأفعاله الاختيارية، بقدرة خلقها الله فيه.

والجبرية يقولون: إن العبد ليس له كسب ، بل هو مجبور مقهور كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيف شاءت.

فالجبرية: أفرطوا. والمعتزلة: فرطوا. وأهل السنة: توسطوا.

وخير الأمور أوسطها، فخرج مذهبهم من بين «فرث» -أعني مذهب المعتزلة- «ودم» -أعني مذهب الجبرية- «لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين».

فالمذاهب الثلاثة أشار إليها اللقاني في «جوهرة التوحيد» بقوله:

وعندنـا للعبـد كسـب كلفـا ... بـه ولكـن لا يؤثـر فاعـرفـا
فليس مجبـورًا ولا اختيـارًا ... وليـس كـلًا يفعـل اختيـارا

إلى آخر ما رد به على أهل المذهب الفاسد.

الرابع:

ما ذكر عن السعد من أن من المحال الثلاثة التي وقع فيها في التوحيد قوله:

«**قوله**: إن صفات الله ممكنة لذاتها... إلى آخره».

كلام غير محرر لفظًا ومعنى، بل هو كلام ركيك، ومع ركته هو فاسد متناقض الأحكام، ناقص المرام، لا يساعد بعقل، ولا يدعم بنقل، فإن العبارة التي وصلت إلينا منه كما تقدم مساقها هكذا.

[١٠/ ب] **الثالث** : **قوله** : إن صفات الله ممكنة لذاتها ، واجبة ليس عينها ولا غيرها. اهـ.

ولا يخفى على ذي لب سليم، وفهم مستقيم ممن له أدنى إلمام بهذا الفن أن هذا الكلام غير

مستقيم من وجوه:

الوجه الأول: أن النزاع في صفات لا في صفات الله تعالى مطلقًا، نفسية أو سلبية معان أو معنوية كما هو ظاهر هذه العبارة.

الوجه الثاني: أن قوله: «ممكنة لذاتها، واجبة»، كلام متناقض؛ لأن الإمكان مباين للوجوب على سبيل الضدية، ففيه وصف الشيء بما يباينه ويضاده.

وإنما التعبير أن يقال: ممكنة لذاتها، واجبة لغيرها، ففي عبارته نقص كما هو بين بالبداهة.

الوجه الثالث: قوله: «ليس عينها حق التعبير» أن يقال: «ليست» بتاء التأنيث وإن كان التأنيث هنا مجازيًّا، كما عبر بذلك صاحب «الجوهر» حيث قال:

متكلم ثم صفات الذات ... ليست بغير أو بعين الذات

قال ابن مالك:

وتاء تأنيث تلي الماضي إذا ... كان لأنثى كأبت هند الأذى

وإنما تلزم فعل مضمر ... متصل أو مفهم ذات حرى

انتهى. وحذفها مخصوص بالشعر، قال مالك أيضًا:

والحذف قد يأتي بلا فصل ومع ... ضمير ذي المجاز في شعر وقع

وقوله: «قد يأتي»، أي في الفعل المسند إلى حقيقي التأنيث، إلّا أنه قليل جدًّا كما يفيده التعبير: بـ«قد»، التي للنقل كما هو معلوم.

ثم إن هذا الكلام لا انسجام له في سلك ما قبله كما هو ظاهر.

ففي هذه العبارة نقص كما قلنا، وسيتضح لك إن شاء الله تعالى.

[١١/ أ] **الوجه الرابع:** نسبة هذا القول وهو: «إمكان صفات الذات» للعلامة السعد من أول الأمر.

خلاف التحقيق، والتحقيق: أن أصلها للعضد، وهي نزعة من نزعات العضد، وسرت هذه النزعة من كلام الفلاسفة الآتي ذكرهم.

والحق الذي عليه الإمام السنوسي ومن تبعه: أن وجوب صفات المعاني ذاتي لها، مثل وجوب الذات، وليس ممكنة لذاتها، واجبة لغيرها بسبب اقتضاء الذات لها، كما قاله العضد.

وأما السعد: فتارة يوافق كلام العضد، وتارة يوافق كلام السنوسي.

فالنقل عنه مختلف، فكيف ينسب له هذا القول من أول الأمر مع أن أصله لغيره، ولم يوافقه عليه موافقة كلية على سبيل الجزم، قال الشاعر:

أوردها سعد وسعد مشتمـــل ما هكـــذا يا سعد تورد الإبـــل

قال آخر:

أباحت دمي من غير جرم وحرمـت بلا سبب يوم اللقـــا كلامي

فليس الذي حللته بمحـــلل وليس الذي حرمته بحـــرام

وعبارة شيخنا الباجوري [1] رحمه الله في «حاشيته» على «الجوهرة»:

«واعلم أن وجوب صفات المعاني ذاتي لها، مثل وجوب الذات كما هو الحق الذي عليه السنوسي ومن تبعه.

وليست واجبة لغيرها بسبب اقتضاء الذات لها، كما قاله العضد.

وهذه نزعة من نزعات العضد، وسرت له هذه النزعة من كلام الفلاسفة، فإنهم يقولون:

إن العالم ممكن لذاته، قديم لغيره، بسبب كونه معلولًا لعلة قديمة، وهي ذاته تعالى، وما كان معلولًا لعلة قديمة فهو قديم.

وهذا كلام باطل.

[١١/ ب] وكلام السعد في موضع يوافق كلام العضد، وفي موضع آخر يوافق كلام السنوسي، وهو الذي نلقى الله تعالى عليه». انتهى.

ثم بعد ذلك ينبغي أن يقال: ما لنا وللكلام أيضًا في الإمام الهمام الليث الضرغام ، الذي

---

(١) هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، وقيل: البيجوري، الشافعي. ذكره الأستاذ عمر كحالة في كتابه «معجم المؤلفين» (١٠/ ٨٤)، فقال: «ولد سنة (١١٩٨هـ) ، الموافق (١٧٨٤م)، وتوفي سنة (١٢٧٧) وقيل: (١٢٧٦)، الموافق (١٨٦٠م)، الباجوري، الشافعي، شيخ الجامع الأزهر.

ولد في الباجور، إحدى قرى مديرية المنوفية بمصر. قدم الأزهر فتعلم فيه، من تصانيفه:

١ - تحفة البشر في مولد ابن حجر. ٢ - التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية (في الفرائض).

٣- تحفة المريد إلى جوهرة التوحيد. ٤ - حاشية على الشمائل للترمذي.

٥ - حاشية على متن السمرقندية (في البيان)».

ثم ذكر مصادر ترجمته فكانت على النحو التالي:

«مخطوط: حلية البشر» (١/ ٥، ٩)، «فهرس المؤلفين بالظاهرية»، «الخطط التوفيقية» (٤/ ٤٠)، «هدية العارفين» (١/ ٤١، ٤٢)، «كنز الجوهر في تاريخ الأزهر» (١٤٣: ١٤٦)، «الآداب العربية» (١/ ٨٢)، «تاريخ سورية» (٨/ ٧٠٠)، «المكتبة البلدية بالإسكندرية» (فهرس النحويات ٢٧)، «تاريخ آداب اللغة العربية» (٤/ ٣٠٤)، «الأعلام» (١/ ٦٦)، «معجم المطبوعات» (٥٠٧، ٥١٠)، «فهرس دار الكتب المصرية» (٣/ ٦٤، ١٤٤، ١٨٦)، (٣/ ١١، ١٢، ٨٠)، (٥/ ١٥٦)، (٧/ ٢٧، ٦٥، ٨٩)، (٧/ ١١٨)، (٨/ ١١٤)، «اكتفاء القنوع» (٤٩٣)، «الكشاف» (٥٥)، «فهرس الأزهرية» (٢/ ٤٨٨)، «فهرس الخديوية» (١/ ٤٣٥)، (٢/ ٩)، «إيضاح المكنون» (١/ ٢٤٤)، «معجم المصنفين» (٤/ ٣٢٨).

شهد بفضله الأنام، العلامة المحقق المدقق: سعد الدين التفتازاني، الذي هذب المباني، ونقح المعاني، بحيث شاع ذكره في الآفاق، وملأ علمه الطباق، وحاز المعقول والمنقول، وجاز فوق ما تدركه أطوار العقول، حتى انتفع ببواهر علومه العباد، وبجواهر فهومه الحضري والباد، كيف لا وهو الذي تصدى لرد شبه المعتزلة بأقوى دليل، وتكلم على بطلانها بما يشفي الغليل.

وكيف يسوغ لنا الكلام في مثل هذا الإمام الذي لا تُعَدّ بالنسبة إليه إلّا من العوام، فإنّا لا نلحق غباره، ولا ندرك آثاره، ولم نبلغ معشار ما بلغ؟! إن هذا لشيء عجاب، وأمر مستغرب غاية الاستغراب، خصوصًا وقد قيل: آخر الزمان يرفع فيه العلم النافع، ويكثر فيه الجهل المضر، ولا يبقى فيه التقليد المطابق، فضلًا عن المعرفة عند كثير ممن يظن به العلم فضلًا عن كثير من العامة.

قال الإمام السنوسي بعد نحو ما ذكرنا: ولعلنا أدركنا هذا الزمان بلا ريب. والله المستعان». انتهى.

وما غرض من ذكر هذه الكليات التي سبق ذكرها في هذا النقل إلا تحقيق الحق وإبطال الباطل، وصون عقائد التوحيد وساحات الموحدين عن الدنس والهزائل.

وليس الباعث لي على ذلك الإعابة على الناقل في نقله؛ لأنه أسير النقل الذي هو في عهدته، وهو المسئول عنه [١٢/أ] يوم القيامة إلّا من حيث عدم تحري النقل الذي يعتمد عليه، وتعرضه لما يؤدي للطعن في الأئمة من غير ضرورة تدعو إليه.

فإن بيان العقائد في حدّ ذاتها هو تمام الغرض المقصود، من وضع هذا الفن المحتم المحمود.

فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسوء أعمالنا، وكذب ظنوننا إنه جواد كريم غفور رحيم.

وخامس الأمور التي وقع التنبيه عليها:

أنه قد عَدَّ من السبع مسائل قول الأشعري: معرفة الله تعالى واجبة بالشرع.

ولا يخفى أن مفاده: أن الماتريدي يقول بوجوبها بالفعل كالمعتزلة. العقل

وهذا كلام مجمل غاية الإجمال، فإن الماتريدية وإن قالوا بذلك لا يقصدون به مقصد المعتزلة، كما سنبينه لك.

فإن المحقق الأمير قال في حاشيته على عبدالسلام شارح «الجوهرة»: «نقل المصنف في شرحه عن الماتريدية: أن وجوب المعرفة بالعقل.

قال: والفرق بينه وبين قول المعتزلة : أن المعتزلة يجعلون العقل موجِبًا، وهؤلاء عندهم الموجِب هو الله تعالى، والعقل مُعَرِف بإيجابه»، انتهى.

قلت: توضيحه: أن المعتزلة يبنون الكلام على التحسين والتقبيح العقليين، فيجعلون ذات

العقل تستقل بالأحكام بَيِّنًا على ذلك في المصالح وإنها جاء الشرع مذكرًا ومقويًّا للعقل بناءً على وجوب الصلاح والأصلح، فباجملة يجعلون الشرع تابعًا للعقل لا أنهم ينفون استفادة هذه الأحكام من الشرع، ويضيفونها للعقل وإلّا فكفروا قطعًا.

وأما الماتريدية: فمعنى ما نقل عنهم: أن إيجاب المعرفة من الله تعالى بمحض اختياره، غير أن هذا الحكم لو لم يرد به شرع أمكن العقل أن يفهمه عن الله تعالى لوضوحه [١٢/ ب] لا بناء على تحسين ذاته، بل هو تابع لإيجاب الله تعالى عكس ما قالت المعتزلة، والجاد له لا يستقل العقل بشيء. انتهى.

فتأمله حق التأمل لتعرف صحة ما قلناه، من أن هذا الكلام في غاية الإجمال.

ومما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة جميعًا وبين غيرهم كالمعتزلة:

رؤية الله تعالى في الآخرة بالبصر

فذهب أهل السنة إلى أنه تعالى يجوز عقلًا أن يُرى، والمؤمنون في الجنة يرونه منزهًا عن المقابلة والجهة والمكان.

إذِ الرؤية على مذهب أهل الحق قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، لا يشترط فيها اتصال أشعة، ولا مقابلة للمرئي، ولا غير ذلك، ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا بوجود ذلك على جهة الاتفاق على سبيل الاشتراط، فلا يلزم من رؤيته تعالى إثبات جهته تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمون أنه لا في جهة.

وخالف في ذلك جميع الفِرَق فأحالها المعتزلة بناء على أنها لا تتعلق إلا بما هو في جهة ومكان ومسافة مخصوصة، متمسكين بشبهة عقلية، أقواها شبهة المقابلة.

وتقريرها: أن الله لو كان مرئيًّا لكان مقابلًا للرائي بالضرورة، فيكون في جهة وحيز وهو محال، ولكان إما جوهرًا أو عرضًا؛ لأن المتحيز بالاستقلال جوهر، وبالتبعية عرضًا.

ولكان المرئي:

إما كله فيكون محدودًا متناهيًا محصورًا.

وإما بعضه فيكون متبعضًا متجزئًا إلى غير ذلك.

بيان وجواب هذه الشبهة:

أنا نراه بلا كيف، أي تكيف للمرئي من مقابلة ومسافة مخصوصة وإحاطة [١٣/ أ]، بل تجرده عنه، فإن الرؤية نوع من الإدراك يخلقه الله تعالى متى شاء، ولأي شيء شاء.

فالمراد بالمخالفة في الكيف: وجوب خلو رؤية الواجب تعالى عن الشرائط والكيفيات

المعتبرة في رؤية الأجسام والأعراض.

وتمسكوا به بشبه سمعية أقواها :

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وتقرير هذا التمسك:

أن نفي إدراكه تعالى بالبصر وارد مورد التمدح، مدرج في أثناء المدح فيكون نقيضه وهو الإدراك بالبصر نقصًا وهو على الله تعالى محال.

وهذا الوجه يدل على نفي الجواز.

وجواب هذه الشبهة أننا نقول :

إنه تعالى يُرى بمعنى أنه ينكشف للأبصار انكشافًا تامًا عند الرائي بلا إحاطة به، ولا انحصار له عنده، لاستحالة الحدود والنهايات والوقوف على حقيقته كما هو محل النفي في الآية الشريفة.

وبيانه:

أنّا لا نسلم أن الإدراك بالبصر في الآية[رؤية]هو مطلق الرؤية بل هو رؤية مخصوصة، وهي التي تكون على وجه الإحاطة بجوانب المرئي، فالإدراك المنفي في الآية أخص من الرؤية، ملزوم لها بمنزلة الإحاطة من العلم. فلا يلزم من نفي الإدراك على هذا نفي الرؤية، ولا من كون نفيه مدحًا كون الرؤية نقصًا.

والمعول عليه في إثبات الرؤية عند أهل السنة إنما هو الدليل السمعي، وهو : الكتاب والسُّنة والإجماع:

أما الكتاب:

فآيات كثيرة، منها ما علق الله فيه جواز الرؤية وإمكانها عقلًا بوجود أمر جائز عقلًا، وهو استقرار الجبل حيث سأله موسى عليه السلام:﴿رَبِّ أَرِنِيٓ [١٣/ ب] أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، حيث قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وتقرير الدلالة منه:

أن يقال: إن الله تعالى علق رؤية ذاته المقدسة على استقرار الجبل حال تجليه تعالى له، وهو أمر ممكن في نفسه ضرورة، وكل ما علق على الممكن لا يكون إلا ممكنًا؛ لأن معنى التعليق: الإخبار بأن المعلق يقع على تقدير وقوع المعلق عليه.

والمحال لا يقع على شيء من التقادير، فلو لم تكن الرؤية ممكنة لزم تخلف خبره تعالى، وهو

محال، ولو كانت ممتنعة في الدنيا لما سألها موسى ﷺ، ولا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أحكام الألوهية، وخصوصًا بما يجب له تعالى وما يستحيل.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. قال مالك بن أنس رحمه الله: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى يروه.

ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيّر الكفار بالحجاب فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقال الشافعي[1] رحمه الله: لما حجب الله تعالى قومًا بالسخط دل على أن قومًا يرونه بالرضى.

---

(١) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبدالله القرشي، المطلبي، الشافعي، المكي، الغزي المولد، الفقيه، إمام المذهب الشافعي، والمشهور بالإمام الشافعي.
ولد سنة: (١٥٠هـ)، وتوفي سنة: (٢٠٤هـ)، آخر يوم من رجب.
وهو من هو شهرة وصيتًا وعلمًا، وفقهًا، وتصنيفًا، وقد صنفت في سيرته المصنفات الكثيرة، وقد ورد ذكره في العديد من المصادر منها:
«ديوان الإسلام» (١٢٥٦)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥)، «التاريخ الكبير» (١/ ٤٢)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٣٠٢)، «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٠١)، «حلية الأولياء» (٩/ ٦٣)، «الفهرست» (٢٦٣)، «تاريخ بغداد» (٢/ ٥٦)، «طبقات الفقهاء» للشيرازي (٤٨) ، «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٨٠)، «ترتيب المدارك» (٢/ ٣٨٢)، «الأنساب» (٧/ ٢٥١)، «تاريخ ابن عساكر» (١٤/ ٣٩٥) «صفة الصفوة» (٢/ ٩٥)، «معجم الأدباء» (١٧/ ٢٨١) ، «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٤٤) ، «وفيات الأعيان» (٤/ ١٦٣) ، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٨)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٦١)، «الكاشف» (٣/ ١٧)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ١٧١-١٨١)، «مرآة الجنان» (٢/ ١٣ - ٢٨) ، «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٥١)، «الديباج المذهب» (٢/ ١٥٦)، «غاية النهاية» (٢/ ٩٥)، «طبقات النحاة» لابن قاضي شهبة (١/ ٢١)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ٢٥)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ١٧٦)، «طبقات الحفاظ» (١٥٢)، «حسن المحاضرة» (١/ ٣٠٣) ، «خلاصة تذهيب الكمال»: (٣٢٦)، «طبقات المفسرين» (٢/ ٩٨)، «مفتاح السعادة» (٢/ ٨٨)، «طبقات الشافعية» لابن هداية الله: (١١-١٤)، «شذرات الذهب» (٢/ ٩) ، «شرح إحياء علوم الدين» (١/ ١٩١) ، «الرسالة المستطرفة» (١٧). وهو صاحب ترجمة طويلة في «سير أعلام النبلاء» قاربت على المائة صفحة.
وقد اختصر هذه الترجمة الغزي في «ديوان الإسلام» فقال في (ت: ١٢٥٦): الإمام الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس، الحبر البحر المجتهد، شيخ الإسلام، أبو عبد الله، المطلبي، الهاشمي القرشي، المكي، صاحب المذهب وهو أول من أظهر علم أصول الفقه ودونه، وله مؤلفات استملاها منه أتباعه كـ«الأم». و«الإملاء». و«الحجة».
قلت: وذكرت بهامش كتاب «ديوان الإسلام» المذكور قائمة بأسماء كتبه تضمنت اثنين وعشرين كتابًا هي:
=

ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس بأنه يرى ربه في الميعاد لما عبده في الدنيا.

وقال محمد بن الفضل: لما حجبهم في الدنيا عن نور التوحيد حجبهم في الآخرة عن رؤيته.

وأما السنة:

فلحديث: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[1].

وأما الإجماع:

فهو: أن الصحابة ﷺ كانوا مجمعين على وقوع الرؤية في الآخرة، وأن الآيات والأحاديث الواردة فيها [١٤/ أ] محمولة على ظواهرها من غير تأويل، ولهذه الأدلة السمعية أطبق أهل السنة على أن رؤية الله تعالى جائزة عقلًا واجبة سمعًا.

وبيان الدليل على جوازها بطريق الاختصار:

أن الباري سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود يصح أن يرى، فالباري ﷻ يصح أن يرى.

ثم رؤية الله سبحانه وتعالى معناها الانكشاف فيكشف لعباده المؤمنين انكشافًا تامًّا بحاسة البصر، أي ينكشف لكل فرد ممن مات محكومًا له بإيصافه بالإيمان والتصديق الشرعي سواء كلف به بالفعل أو كان صالحًا للتكليف به فيخرج به الكفار والمنافقون فلا يرونه تعالى؛ لقوله

=

١ - المسند (في الحديث).
٢ - أحكام القرآن.
٣ - اختلاف الحديث.
٤ - إثبات النبوة والرد على البراهمة.
٥ - المبسوط (في الفقه، رواه عنه الربيع بن سليمان).
٦ - الأمالي الكبير (في الفقه).
٧ - الإملاء الصغير.
٨ - تعظيم قدر الصلاة.
٩ - التنقيح (في علم القيافة).
١٠ - الحجة العراقي.
١١ - رسالة في بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة.
١٢ - سنن (في الحديث).
١٣ - الفقه الأكبر.
١٤ - كتاب الأسماء والقبائل في اختلاف العراقيين.
١٥ - كتاب الأم (في الفقه).
١٦ - كتاب الجديد.
١٧ - كتاب القديم.
١٨ - كتاب المبسوط (آخر) كذا في الهدية.
١٩ - مختصر البويطي.
٢٠ - مختصر الربيع.
٢١ - مختصر المزني.
٢٢ - مدافع القرآن.

(١) أطراف هذا الخبر في: البخاري (١/ ١٤٥)، (٦/ ١٧٣)، مسلم في المساجد (٢١١)، أبي داود في السنن (٤٧٢٩)، الترمذي (٢٥٥٤)، ابن ماجه في السنن (١٧٧)، مسند أحمد (٤/ ٣٦٠)، البيهقي في الكبرى (١/ ٣٥٩)، الطبراني في الكبير (2/ ٣٣٢)، ابن حجر في الفتح (٢/ ٣٣)، أبي حنيفة في المسند (١٦)، الحميدي في المسند (٧٩٩)، مسندَ أبي عوانة (١/ ٣٧٦).

تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

ولأنهم ليسوا من أهل الإكرام والتشريف.

وقيل: إنهم يرونه سبحانه وتعالى ثم يحجبون عنه فتكون الحجبة حسرة عليهم.

وجعل النووي(١) محل الخلاف في المنافق ، وأما الكافر غيره، فلا يراه اتفاقًا، كما لا يراه سائر الحيوانات غير العقلاء، ويدخل الملائكة ومؤمنو الجن والأمم السابقة، والصبيان والبله والمجانين الذين أدركهم البلوغ عن الجنون، وماتوا عليه، ومن اتصف بالتوحيد من أهل الفترة؛ لأنه إيمان صحيح، إذ هو في حكم ما جاء به الرسول في الجملة بناءً على أن رجال غير

---

(١) هو: يحيى بن شرف بن مري حسن بن حسين بن حزام، أبو زكريا محيي الدين، الشافعي، النووي.

ولد سنة : (٦٣١هـ)، وتوفي سنة : (٦٧٦هـ).

هو علم مشهور، وزاد من شهرته شرحه لصحيح مسلم، وترجمت له مصادر كثيرة منها:

«طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ١٥٦)، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١/ ٢٤)، «مفتاح السعادة» (١/ ٣٩٨)، «النجوم الزاهرة» (٧/ ٢٧٨)، «آداب اللغة» (٣/ ٢٤٢)، «الأعلام» (٩/ ١٨٤)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٢٥٩)، «السلوك» (١/ ٦٤٨)، «بدائع الزهور» (١/ ١٢١)، «نهاية الأرب» (٢٨/ ١٢٢)، «هادي المسترشدين» (٤٧١)، «شذرات الذهب» (٥/ ٣٥٤)، «تاريخ العلماء والرواة» (٢/ ١٩٠)، «البداية والنهاية» (١٣/ ٧٧٨)، «مرآة الجنان» (٢/ ٨٢)، «كشف الظنون» (٥٩)، «إيضاح المكنون» (١/ ٢٥٢)، «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٠٢).

وترجم له الأستاذ عمر كحالة في كتابه هذا فقال: «فقيه، محدث، حافظ، لغوي، مشارك في بعض العلوم. ولد بنوى من أعمال حوران في العشر الأول من المحرم، وقرأ القرآن بها، وقدم دمشق، فسكن المدرسة الرواحية، ولازم كمال الدين إسحاق المغربي، وقرأ الفقه وأصوله والحديث وأصوله والمنطق والنحو وأصول الدين، وسمع الكثير من الرضي بن البرهان وعبد العزيز الحموي وغيرهما، وولي مشيخة دار الحديث بعد شهاب الدين أبي شامة، وتوفي بنوى في ١٤ رجب، ودفن بها».

ثم ذكر ستًا من كتبه، وأنا أذكر قائمة أضمن فيها بعضًا مما وقفت عليه من كتبه، وهذه هي:

١ - المسند الكبير (رتب على حروف المعجم للرجال).
٢- الجامع. (ورتبه على الأبواب).
٣- الأسماء والكنى (في أربعة أجزاء).
٤ - الأفراد والوحدان (جزء).
٥- الأقران.
٦- مشايخ الثوري.
٧- تسمية مشايخ مالك، وسفيان، وشعبة.
٨- كتاب المخضرمين.
٩ - كتاب أولاد الصحابة.
١٠ - الطبقات.
١١ - أوهام المحدثين.
١٢ - أفراد الشاميين.
١٣ - التمييز.
١٤ - العلل.
١٥ -الأربعون النووية (في الحديث).
١٦ - روضة الطالبين وعمدة المفتين (في فروع الفقه الشافعي).
١٧ - تهذيب الأسماء واللغات.
١٨ - التبيان في آداب حملة القرآن.
١٩ - رياض الصالحين.

هذه الأمة يرونه في الجنة، وهي محل الرؤية من غير خلاف.

وأما رؤيته في عرصات القيامة:

ففي السُّنة ما يقتضي وقوعها للمؤمنين فيها وهو صحيح.

وقولنا: «بناء على أن رجال غير هذه الأمة...» إلخ، أصله للشيخ عبدالسلام في شرحه للجوهرة [١٤/ ب] لكن قال العلامة الأمير في حاشيته عليه: «الحق لا فرق بين رجال ونساء، قال تعالى: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥]»، اهـ.

وهذا كله في الآخرة، وأما في الدنيا: فلم تقع لغير نبينا ﷺ، ولا لموسى ﷺ.

والراجح عند أكثر العلماء:

أنه ﷺ رأى ربه سبحانه وتعالى بعيني رأسه؛ لحديث ابن عباس وغيره.

وهذا لا يؤخذ إلّا بالسماع منه ﷺ، فلا ينبغي أن يشك فيه.

ولما نفت عائشة وقوعها له ﷺ قُدِّم ابن عباس عليها لأنه مثبت.

قال معمر بن راشد[1]:

---

(١) هو: معمر بن راشد، ويقال: أبو عروة بن أبي عمرو أبو عروة، الأزدي، مولاهم، البصري، الحافظ.
ولد سنة: (٩٥)، أو (٩٦).
توفي سنة: (١٥٣)، أو (١٥٢) في رمضان.
إمام مشهور، من أوعية العلم وأعلامه، وشيوخ الإسلام المعتبرين، ترجمت له كثير من الكتب التي منها على سبيل المثال:
«ديوان الإسلام» (١٨٣٣٥)، «سير أعلام النبلاء» (٧٥)، «طبقات ابن سعد» (٥/ ٥٤٦)، «طبقات خليفة» (٢٨٨)، «تاريخ خليفة» (٤٢٦)، «تاريخ البخاري الكبير» (٧/ ٣٧٨)، و«تاريخه الصغير» (٢/ ١١٥)، وفيها وفاته سنة (١٥٣ هـ)، «المعارف» (٥٠٦)، «المعرفة والتاريخ» (١/ ١٣٩، ١٤٠)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٥٥-٢٥٧)، «مشاهير علماء الأمصار» (١٩٢) وفيه وفاته (١٥٢ هـ)، «الفهرست»: المقالة الثالثة الفن الأول، «الكامل» لابن الأثير (٥/ ٥٤٩)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ١٠٧)، «تهذيب الكمال» (١٣٥٤)، «تذهيب التهذيب» (٤/ ٥٧)، «تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٩٤)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٩٠)، «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٥٤)، «العبر» (١/ ٢٢٠)، «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٢٤٣)، «طبقات الحفاظ» (٨٢)، «خلاصة تذهيب الكمال» (٣٨٤)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٣٥).
وترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» فمما قال في ترجمته:
الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي، مولاهم البصري، نزيل اليمن.
مولده سنة خمس أو ست وتسعين، وشهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حدث.
... وكان من أوعية العلم، مع الصدق والتحري، والورع والجلالة، وحسن التصنيف.
... وقال الحميدي: قيل لابن عيينة: أهذا الحديث مما حفظت عن معمر؟ قال: نعم. رحم الله أبا عروة.
... قال عثمان بن سعيد: قلت لابن معين: ابن عيينة أحب إليك أو معمر؟ قال: معمر، قلت: فمعمر، أم صالح بن كيسان؟ قال: معمر إلي أحب، وصالح ثقة. قلت: فمعمر، أو يونس؟ قال: معمر. قلت:
=

«ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس، ومن ادعى الرؤية في الدنيا يقظة غير نبينا ﷺ فهو ضال بإطباق المشايخ».

وذهب الكَوَاشي والمهدوي[(١)] إلى تكفيره.

ولا نزاع في وقوعها منامًا وصحتها؛ فإن الشيطان لا يتمثل به تعالى، كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

واختلف في وقوعها للأولياء على قولين للأشعري، أرجحهما المنع، أفاده الشيخ عبدالسلام.

=

فمعمر أو مالك ؟ قال: مالك. قلت له: إن بعض الناس يقولون: ابن عيينة أثبت الناس في الزهري. فقال: إنما يقول ذلك من سمع منه، وأي شيء كان سفيان ؟ إنما كان غليمًا، يعني أمام الزهري.

.... قال مؤمل بن يهاب: قال عبد الرزاق: كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث.

(١) أما عن الكواشي والمهدوي، فأترجم لهما ترجمة موجزة فأقول:

أما الكواشي هو: أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين (الحسن) بن سويدان، أبو العباس، موفق الدين الشيباني، الكَوَاشي، الموصلي، الشافعي، المفسر، الشهير بالكَوَاشي.

ولد سنة (٥٩٠)، وقيل: (٥٩١). وتوفي سنة : (٦٨٠)، في (١٧) جمادى الآخرة، ومن مصادر ترجمته: «ديوان الإسلام» (١٧٥٩)، «هدية العارفين» (١/ ٩٨)، «الأعلام» (١/ ٢٧٤)، «معجم المؤلفين» (٢/ ٢٠٩)، «كشف الظنون» (٣٣٩، وغير ذلك)، «إيضاح المكنون» (١/ ٢٢٢)، «شذرات الذهب» (٥/ ٣٦٥)، «النجوم الزاهرة» (٧/ ٣٤٨)، «بغية الوعاة» (ت ٧٩٦)، «مفتاح السعادة» (١/ ٤٣٥)، «روضات الجنات» (٨٣)، «طبقات الشافعية» (٥/ ١٨).

قال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة ثمانين وستمائة فقال: وفيها : موفق الدين الكواشي – بالفتح والتخفيف– نسبة إلى كواشة ، قلعة بالموصل، المفسر العلامة، المقرئ، المحقق، الزاهد، القدوة، أبو العباس أحمد بن يوسف... ولد بكواشة سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، واشتغل فبرع في القراءات والتفسير والعربية والفضائل، وقدم دمشق ، فأخذ عن السخاوي وغيره.

وحج وزار بيت المقدس، ورجع إلى بلده وتعبد.

قال الذهبي: كان منقطع القرين ، عديم النظير، زهدًا، وورعًا، وصلاحًا، وتبتلًا، وصدقًا، واجتهادًا ، كان يزوره السلطان فمن دونه، ولا يعبأ بهم، ولا يقوم لهم، ويتبرم بهم، ولا يقبل لهم شيئًا، وله كشف وكرامات، وأضر قبل موته بنحو عشر سنين، وصنف التفسير الكبير والصغير، وأخذ عنه القراءات محمد بن علي بن خروف الموصلي وغيره، وتوفي في (١٧) جمادى الآخرة.

قلت: وذكرت أسماء كتبه في هامش «ديوان الإسلام»، فكانت كالآتي:

١ – تفسير كبير أسماه: تبصير المتذكر وتذكير المتبصر.

٢ – تفسير صغير أسماه: التلخيص (تلخيص التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل).

٣ – المطالع في المبادئ والمقاطع (في مختصر كتاب الوقوف). ٤ – روضة الناضر وجنة الناظر.

٥ – كتاب الوقوف. ٦ – كشف الحقائق (في التفسير). ٧ – المواقيت في القرآن.

وقوله: ولا نزاع في وقوعها منامًا.

منه: ما حكي، كما في حاشية المحقق الأمير : أن أحمد بن حنبل[١] رآه تسعًا وتسعين مرة،

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، أبو عبدالله ، الذُهلي الشيباني، المروزي، البغدادي، الإمام الحافظ الفقيه.

ولد سنة : (١٦٤هـ)، وتوفي سنة : (٢٤١هـ).

إمام المذهب الحنبلي، وشيخ الإسلام، وربع الأمة، كتبت في سيرته الكتب، واهتمت به التراجم، واعتنى بمذهبه ربع المسلمين، من المصادر التي ترجمت له:

«ديوان الإسلام» (ت:٣٠)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٨)، «طبقات ابن سعد» (٧/ ٣٥٤)، «التاريخ الكبير» (٢/ ٥)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٣٧٥)، «تاريخ الفسوي» (١/ ٢١٢)، «الجرح والتعديل» (١/ ٢٩٢)، «حلية الأولياء» (٩/ ١٦١)، «الفهرست» (٢٨٥)، «تاريخ بغداد» (٤/ ٤١٢) ، «طبقات الحنابلة» (١/ ٤، ٢٠)، «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١١٠، ١١٢)، «وفيات الأعيان» (١/ ٦٣، ٦٥)، «تهذيب الكمال»، ورقة: ٣٦، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٣١)، «العبر» (١/ ٤٣٥)، «تذهيب التهذيب» (١/ ٢٢)، «الوافي بالوفيات» (٦/ ٣٦٣، ٣٦٩)، «مرآة الجنان» (٢/ ١٣٢)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٢/ ٢٧، ٣٧)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٢٥، ٣٤٣)، «غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ١١٢)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ٣٠٤، ٣٠٦)، «طبقات الحفاظ»: (١٨٦)، «خلاصة تذهيب الكمال»: (١١، ١٢)، «طبقات المفسرين» (١/ ٧٠)، «الرسالة المستطرفة» (١٨)، «شذرات الذهب» (٢/ ٩٦، ٩٨).

ومما ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» أن قال: هو الإمام حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل.... أحد الأئمة الأعلام.

هكذا ساق نسبه ولده عبدالله، واعتمده أبو بكر الخطيب في «تاريخه» وغيره.

...طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك، وحماد بن زيد.

... فعدة شيوخه الذين روى عنهم في «المسند» مائتان وثمانون ونيف.

قال عبدالله: حدثني أبي، قال: حدثنا علي بن عبدالله، وذلك قبل المحنة.

قال عبدالله: ولم يحدث أبي عنه بعد المحنة بشيء.

قلت: يريد عبدالله بهذا القول: أن أباه لم يحمل عنه بعد المحنة شيئًا، وإلا فسماع عبدالله بن أحمد لسائر كتاب «المسند» من أبيه كان بعد المحنة بسنوات في حدود سنة سبع وثمان وعشرين ومائتين، وما سمع عبدالله شيئًا من أبيه ولا من غيره إلا بعد المحنة، فإنه كان أيام المحنة صبيًّا مميزًا ما كان حَلَّه يسمع بعد والله أعلم.

حدث عنه البخاري حديثًا، وعن أحمد بن الحسن عنه حديثًا آخر في المغازي.

وحدث عنه مسلم، وأبو داود بجملة وافرة، وروى أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه عن رجل عنه، وحدث عنه أيضًا ولداه صالح وعبد الله، وابن عمه حنبل بن إسحاق.

وترجم له الزركلي في «الأعلام» (ج ١ / ص ٢٠٣) فقال:

وكان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء.

=

فقال: وعزته، إن رأيته تمام المائة لأسألنه، فرآه ، فقال : سيدي ومولاي ، ما أقرب ما يتقرب به المتقربون إليك؟

قال: تلاوة كلامي.

قال: بفهم أو بغير فهم؟

فقال: يا أحمد، بفهم وبغير فهم.

رواه أحمد بن خضرويه[(١)]

=

وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهرًا لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق سنة ٢٢٠ هـ.

ولم يصبه شر في زمن الواثق بالله - بعد المعتصم - ولما توفي الواثق وولي أخوه المتوكل بن المعتصم أكرم الإمام ابن حنبل وقدمه، ومكث مدة لا يولي أحدًا إلا بمشورته، وتوفي الإمام وهو على تقدمه عند المتوكل.

ومما صنف في سيرته: (مناقب الإمام أحمد - ط) لابن الجوزي، و (ابن حنبل - ط) لمحمد أبي زهرة، من معاصرينا.

قلت: ومن كتبه التي وقفت عليها وجمعتها في هامش «ديوان الإسلام»:

١ - المسند، يحتوي على ثلاثين ألف حديث.

٢ - التاريخ. ٣- الناسخ والمنسوخ. ٤ - المناسك.

٥ - الزهد. ٦ - الأشربة . ٧- التفسير.

٨- فضائل الصحابة. ٩- المسائل. ١٠ - العلل والرجال.

١١ - الرد على الزنادقة فيما ادعت به متشابه القرآن.

(١) هو: أحمد بن خضرويه، وقيل: أحمد بن الخَضِر، أبو حامد، البلخي، الزاهد، الصوفي.

توفي سنة: (٢٤٠هـ)، من مصادر ترجمته:

«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤٨٧)، «حلية الأولياء» (١٠ / ٤٢، ٤٣)، «تاريخ بغداد» (٤ / ١٣٧)، «الوافي بالوفيات» (٦ / ٣٧٣)، «طبقات الأولياء»: (٣٧، ٣٩)، «طبقات الصوفية»: (١٠٣، ١٠٦)، «طبقات الشعراني» (١ / ٩٥)، «النجوم الزاهرة» (٢ / ٣٠٣)، «الرسالة القشيرية» (٢١)، «معجم المؤلفين» (١/ ٢١٤)، «كنوز الأولياء» (٩٤)، «جامع كرامات الأولياء» (٢/ ٢٩٠)، «الكواكب الدرية» (١/ ١٩٨)، «التعريف» (١١)، «نفحات الأنس» (٣٩)، «كشف المحجوب» (٣٣٨)، «نتائج الأفكار القدسية» (١/ ١٢٤)، «طبقات المناوي» (١/ ١٩٨).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته: الزاهد الكبير الرباني الشهير، أبو حامد البلخي، من أصحاب حاتم الأصم .

قال السلمي: هو من جلة مشايخ الصوفية بخراسان.

سألته امرأته أن يحملها إلى أبي يزيد، وتهبه مهرها، ففعل، فأنفقت مالها عليهما.

فلما أراد أن يرجع، قال لأبي يزيد: أوصني، قال: تعلم الفتوة من هذه.

=

فقال: يا أحمد، كل الخلق يطلبون مني إلّا أبا يزيد[1]؛ فإنه يطلبني.

=

وعن أبي يزيد، قال: ابن خضرويه أستاذنا.
ويقال: إن ابن خضرويه صحب إبراهيم بن أدهم.
قلت: لم يدركه أبدًا، وقد كان معمرًا، فإن السلمي روى عن منصور بن عبدالله، سمع محمد بن حامد، قال: كنت عند ابن خضرويه، وهو ينزع، فسئل عن شيء، فقال: بابًا كنت أقرعه منذ خمس وتسعين سنة، الساعة يفتح، لا أدري يفتح بالسعادة أم بالشقاء.
ووفى عنه رجل سبع مائة دينار.
قال أبو حفص النيسابوري: ما رأيت أكبر همة، ولا أصدق حالًا من أحمد بن خضرويه، له قدم في التوكل.
ومن كلامه: القلوب جوالة، فإما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحش.
قال محققه: الحُش: هو المرحاض.
ومما ذكر من كلامه صاحب «طبقات الأولياء» أن قال: من كلامه: «لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة؛ ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة».
وقال: «من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء: بالتواضع، وحسن الأدب، وسخاوة النفس».

(١) هو: طيفور بن عيسى بن شروسان (سروشان، سروسان) أبو يزيد، البسطامي، الزاهد، شيخ الصوفية، توفي سنة (٢٦١ هـ)، وقيل: (٢٦٤هـ)، عن (٧٣ سنة)، من مشاهير الصوفية الزهاد، دونت في سيرته الكتب الكبار، وتبعه طائفة كبيرة من الناس إلى يومنا هذا.
ومن المصادر الكثيرة التي ترجمت له:
«ديوان الإسلام» (ت:٤٧٩)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٨٦)، «طبقات الصوفية» (٦٧ - ٧٤)، «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٣-٤٢)، «المنتظم» (٥/ ٢٨-٢٩)، «اللباب» (١/ ١٥٢-١٥٣)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٣١)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٤٦ - ٣٤٧)، «العبر» (٢/ ٢٣)، «البداية والنهاية» (١١/ ٣٥)، «طبقات الأولياء» (٢٤٥، ٣٩٨-٤٠٢)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ٣٥)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٤٣-١٤٤)، «الإكمال» (٧/ ١٤٤)، «روضات الجنات» (٨/ ٣٠٤)، «هدية العارفين» (١/ ٤٣٤).
قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: سلطان العارفين، ... وله هكذا نكت مليحة، وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشأن في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر (أي الشوق والوله)، والغيبة والمحو، فيطوى، ولا يحتج بها، إذ ظاهرها إلحاد، مثل: سبحاني، وما في الجبة إلا الله.
ما النار ؟! لاستندن إليها غدًا، وأقول: اجعلني فداء لأهلها، وإلا بلعتها.
ما الجنة ؟! لعبة صبيان، ومراد أهل الدنيا.
ما المحدثون ؟! إن خاطبهم رجل عن رجل، فقد خاطبنا القلب عن الرب.
وقال في اليهود: ما هؤلاء ؟ هبهم لي، أي شيء هؤلاء حتى تعذبهم ؟
قال السلمي في «تاريخ الصوفية»: ... ويحكى عنه في الشطح أشياء، منها ما لا يصح، أو يكون مقولًا عليه، وكان يرجع إلى أحوال سنية. وعنه قال: لو صفا لي تهليلة ما باليت بعدها.
وذكرت له في هامش «ديوان الإسلام» من الكتب كتاب: معارج التحقيق في التصوف، ورسائل أخرى في التصوف.

وكتب المحقق المذكور في حاشيته أيضًا على قوله [١٥/أ] : وصحتها.. إلخ، فقال: ولو في صورة رجل.

وهذا مثال بخلق المولى.

ويقال: رأى الله في الجملة لحكمة تظهر بتعبير المنام، وأنه يدل على كذا.

والحاصل: أن الأنبياء في المنام هم هم [١]، وأما المولى فإن رُؤي على وجه لا استحالة فيه فهو هو، وإلا فهو مثال، وسبحان من تنزه عن المثال.

وقيل: هو الرب أيضًا وكونه جسمًا باعتبار ذهن الرائي، وفي الحقيقة ليس كذلك.

وكتب فيها أيضًا على قوله: «فإن الشيطان لا يتمثل به تعالى»:

وقال بعضهم : قال: لا يتمثل بالله دون النبي، والفرق: أن النبي ﷺ بشر فيلزم من التمثيل به اللبس بخلاف المولى، فأمره معلوم.

وكتب فيها أيضًا على قوله: «كالأنبياء»، فقال:

فإن رآه إنسان في صورة غير مناسبة، فهي صفات الرائي ظهرت في المرآة.

ولا يلزم من صحة الرؤية التعويل عليها في حكم شرعي لاحتمال الخطأ في التحميل بالأولى في اليقظة.

حكي أن: رجلًا رأى النبي ﷺ في المنام يقول له: في المحل الفلاني ركاز اذهب خذه ولا خمس عليك، فذهب فوجده، فاستفتى العلماء فقال له العز بن عبدالسلام: أخرج الخمس، فإنه ثبت التواتر [٢]، وقصارى رؤيتك الآحاد.

ومنه: أن يقول له: غدًا العيد أو رمضان، فيقول على العلامات المقررة... إلى أن قال:

لطيفة:

حكى العارف الشعراني [٣] رحمه الله تعالى ونفعنا به، في أواخر كتاب «أخلاق العارفين عن

---

(١) الأنبياء هم رجال ككل الرجال من الناحية الشخصية فألوانهم وأشكالهم وأجسامهم لا تختلف عن الرجال العاديين في شيء غير أنهم يوحى إليهم بما لا يفهم ولا يدركه سائر الرجال، فالرائي يراهم كما يراهم، المهم أن يقع في روعه في المنام أن هذا نبي الله فلان ، ثم يقص على المعبر ما رأى وهو يعبر له ما يفهم من الإشارة ، فليس شرطًا أن يراه بالصورة الحقيقية التي كان عليها في الحياة.

وأن ما ورد إلينا في الكتب عن صورهم معظمه ليس صحيحًا، ويندر جدًا ما صح من ذلك عنهم، بل جاءنا عن بعضهم عكس ما كان عليه.

(٢) هذه فتوى صحيحة قوية، فإن الأحلام لا تبنى عليها أحكام شرعية، فقد ثبت بالتواتر أن في الركاز الخمس، وهذا قد رأى رؤيا أو تقولها ، فالله أعلم ، فليس لنا إلا ما ثبت عن رسول الله ﷺ يقينًا، أو جاء في نص قرآني صريح.

(٣) هو: عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن ذوقا بن موسى بن أحمد، أبو عبدالرحمن ، أبو =

مجدد الدين سعد الكوفي ﷺ:

= المواهب، الشعراني، الأنصاري، الشافعي، الشاذلي، المصري، الصوفي، صاحب التصانيف، الشهير بالشعراني. ولد سنة: (٨٩٨هـ) في (٢٧) رمضان. وتوفي سنة: (٩٧٣).

الصوفي الشهير، صاحب الطريقة المشهورة في مصر والبلاد العربية الأخرى، وصاحب المقام الشهير بمصر، المُصنِّف، والمصَنَّف فيه، وقد ورد ذكره في تراجم كثيرة منها:

«ديوان الإسلام» (ت:١٢٧٥)، «هدية العارفين» (١/ ٦٤١)، «الأعلام» (٤/ ١٨٠)، «معجم المؤلفين» (٦/ ٢١٨)، «كشف الظنون» (١٢، غير ذلك)، «شذرات الذهب» (٨/ ٣٧٢)، «إيضاح المكنون» (١/ ٣٢٣)، «الكواكب السائرة» (٣/ ١٧٦).

ومما قال ابن العماد في «شذرات الذهب» في ترجمته: «قال الشيخ عبدالرؤوف المناوي في طبقاته: هو شيخنا الإمام العامل العابد الزاهد الفقيه المحدث الأصولي الصوفي المربي المسلك ، من ذرية محمد بن الحنفية، ولد ببلده ونشأ بها ومات أبوه وهو طفل، ومع ذلك ظهرت فيه علامة النجابة ومخائل الرئاسة والولاية، فحفظ القرآن وأبا شجاع والأجرومية، وهو ابن نحو سبع أو ثمان، ثم انتقل إلى مصر سنة إحدى عشرة وتسعمائة، وهو مراهق فقطن بجامع الغمري، وجد واجتهد، فحفظ عدة متون، منها: المنهاج، والألفية، والتوضيح، والتلخيص ، والشاطبية، وقواعد ابن هشام، بل حفظ الروض إلى القضاء، وذلك من كراماته، وعرض ما حفظ على علماء عصره، ثم شرع في القراءة ، فأخذ عن الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري، قرأ عليه ما لا يحصى كثرة، منها الكتب الستة...

وحبب إليه الحديث ، فلزم الاشتغال به والأخذ عن أهله، ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين، ولا لدونة النقلة، بل هو فقيه النظر ، صوفي الخبر، له دربة بأقوال السلف ومذاهب الخلف، وكان ينهى عن الحط على الفلاسفة وتنقيصهم، وينفر ممن يذمهم ويقول: هؤلاء عقلاء.

ثم أقبل على الاشتغال بالطريق ، فجاهد نفسه مدة، وقطع العلائق الدنيوية، ومكث سنين لا يضطجع على الأرض ليلًا ولا نهارًا، بل اتخذ له حبلًا بسقف خلوته يجعله في عنقه ليلًا حتى لا يسقط...

واستمر كذلك حتى قويت روحانيته.. وصحب الخواص والمرصفي والشناوي، ثم تصدى للتصنيف ، فألف كتبًا منها: مختصر الفتوحات.. وغير ذلك.

وحسده طوائف فدسوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع، وعقائد زائفة ، ومسائل تخالف الإجماع، وأقاموا عليه القيامة، وشنعوا وسبوا ورموه بكل عظيمة، فخذلهم الله وأظهره عليهم، وكان مواظبًا على السنة، مبالغًا في الورع، مؤثرًا ذوي الفاقة على نفسه ، حتى بملبوسه متحملًا الأذى موزعًا أوقاته على ما بين العبادة والتصنيف وتسليك وإفادة.. ».

ومن كلامه: دوروا مع الشرع كيف كان ، لا مع الكشف، فإنه قد يخطئ.

وقال: ينبغي إكثار مطالعة كتب الفقه.

وهذا عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة من الطريق فمنعوا مطالعته، وقالوا: «إنه حجاب»، جهلًا منهم.

وقد جمعت كتبه التي وقفت بهامش «ديوان الإسلام» في قائمة قد احتوت على سبع وأربعين كتابًا فراجعها إن أحببت.

إن إبليس لقي موسى ﷺ(١) على جبل الطور أواخر عمره [١٥/ب] فقال له موسى: بئس ما صنعت بنفسك، بامتناعك من السجود لآدم عليه السلام، فلِمَ فعلت ذلك؟

فقال: لأني كنت ادعيت محبته تعالى، فلما توجه السجود لغيره امتنعت، ورأيت العقوبة في الدنيا والآخرة أحب إليّ من كذبي في دعواي بالسجود والخضوع لغير من ادعيت محبته.

وكذلك أنت يا موسى، لما ادعيت محبته تعالى امتحنك، وقال: انظر إلى الجبل، فلما نظرت إليه ناقشك في دعواك المحبة له إذ المحب لا يلتفت إلى غير محبوبه، ولو أنك كنت غمضت عينيك عن النظر إلى الجبل وعلمت أن ذلك مكيدة لكنت رأيت ربك، فإنه حقيق بأن لا يراه إلّا من عمي عمن سواه (٢). اهـ.

ونظير هذه الحكاية:

ما وقع أن بعض العباد ذهب يتوضأ من برْكة ماء فرأى جارية هناك من أجمل النساء، فشخص ببصره إليها وترك الوضوء، فقالت له: لِمَ لم تتوضأ ؟ فقال: حبك شغل قلبي عن الوضوء، فقالت: فكيف لو رأيت أختي هاتيك، فالتفت عنها ينظر إلى أختها فصفعته في عنقه، وقالت: أنت كذاب في دعواك المحبة، ثم التفت، فلم يرها (٣)، اهـ نص الشعراني.

قلت: هذه لطيفة أجريت على لسانه وقد أنشد سيدي علي وفا:

وكيف ترى ليلى بعيني ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامع

---

(١) الكلام دائمًا عن ادعاء التحاج بين الأنبياء بعضهم بعضًا بما يدور حول هذه القصة وغيرها من وضع الوضاع الذين يحبون أن يحبكوا القصص والأساطير حول الأنبياء بقصد إفساد العقائد أو الطعن في الأنبياء أو نصرة مذهب معين على مذهب آخر، فعلى القارئ أن ينتبه إلى مثل هذه الروايات ويقيسها بمقياس الشرع المنضبط.

وهذه القصة الواردة هنا مغالطة من المغالطات، ثم إن الرواية واردة بغير سند، ثم من سعد الكوفي هذا، الذي لم يحدده لنا لا بكنية ولا بنسب، ولا بوفاة، ولا بلقب، وما إلى ذلك مما يحدد لنا شخصية المتحدث حتى يحكم عليه أولًا، ثم ينظر في كلامه.

وعلى العموم فكما قلت، فإن هذه القصة من القصص المغرضة الطاعنة في الأنبياء المبررة للمعاصي المتعلقة بشماعة القدر، وقد علق المؤلف رحمنا الله وإياه على هذه القصة فراجع تعليقه عليها بعد قليل، ففيه الكفاية، وهي إشارة تقيس عليها فيما تقف عليه من أمثال هذه القصص المغرضة والخرافات الشائعة.

(٢) إنها لقصة حقًا مضحكة أن يعلم إبليس نبيًا من أنبياء الله تعالى كيف يجب عليه الأدب بين يدي الله تعالى!!!

(٣) وهذه قصة من القصص الشائعة في كتب الحب والعشق ككتاب «مصارع العشاق»، و«الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين» بتحقيقي، و«تزيين الأسواق»، وغير ذلك من كتب الحب الكثيرة الشهيرة.

ولابن سيدي عمر في تزيين العينية:

ولي عندها ذنب برؤيـــة غيرهـــا فهل لي إلى ليلى المليحة شافـــع

وإلا فقد كذب.

أولًا: فإنه ما امتنع من السجود إلا كبرًا كما أخبر به المولى عنه في قوله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، [ص: ٧٦].

وثانيًا: بعد أن قيل لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] كيف يصح فهمه.

وثالثًا: فإن موسى لا يخالف [١٦/ أ] أمر ربه، ونعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

انتهى من الحاشية المذكورة.

وهذا المبحث كله أشار إليه اللقاني [(١)] في «الجوهرة» بقوله:

ومنه: أن ينظر بالأبصار، لكن بلا كيف، ولا انحصار للمؤمنين، إذ بجائز علقت.

لكن بـــلا كيـــف ولا انحصـــار للمؤمنين إذ بجـــائـــز علقـــت

هذا وللمختار دينًا ثبتت

قوله: (ومنه)، أي: ومن أفراد الجائز عقلًا أن ينظر ... إلخ.

وقوله: (بلا كيف): انتخبوا منه البلكفة ولذا أنشد الزمخشري [(٢)] في «الكشاف»:

---

(١) واللقاني هو عبدالسلام بن إبراهيم بن إبراهيم الصوفي ، المصري ، الفقيه ، المتكلم ، المتوفى سنة (١٠٧٨هـ)، وقد سبق أن ترجمت له قبل ذلك ، وراجع في ترجمته «معجم المؤلفين» (٥/ ٢٢٢).

(٢) هو : محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو قاسم، الزمخشري، المعتزلي، النحوي، الخوارزمي ، المصنف ، المشهور بالزمخشري. ولد سنة: (٤٦٧هـ) في رجب. والمتوفى سنة (٥٣٧ هـ) ليلة عرفة.

كتبت في سيرته الكتب الكثيرة، وتناوله الباحثون بالبحث والدراسة، وترجم له العديد من المصادر التي منها: «ديوان الإسلام» (١٠٧٠)، «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٥١)، «الأنساب» (٦/ ٢٩٧، ٢٩٨)، «نزهة الألباب»: (٣٩١-٣٩٣)، «المنتظم» (١٠/ ١١٢)، «معجم البلدان» (٣/ ١٤٧)، «معجم الأدباء» (١٩/ ١٢٦-١٣٥)، «اللباب» (٢/ ٧٤)، «الكامل» (١١/ ٩٧)، «إنباه الرواة» (٣/ ٢٦٥-٢٧٢)، «وفيات الأعيان» (٥/ ١٦٨-١٧٤)، «المختصر في أخبار البشر» (٣/ ١٦)، «تاريخ الإسلام»: وفيات (٥٣٨)، «ميزان الاعتدال» (٤/ ٧٨)، «العبر» (٤/ ١٠٦)، «دول الإسلام» (٢/ ٥٦)، «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٢٨٣)، «تلخيص ابن مكتوم»: (٢٤٣، ٢٤٤)، «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: (٢٢٨، ٢٢٩)، «تتمة المختصر» (٢/ ٧٠، ٧١)، «مرآة الجنان» (٣/ ٢٦٩-٢٧١)، «البداية والنهاية» (١٢/ ٢١٩)، «الجواهر المضية» (٢/ ١٦٠، ١٦١)، «العقد الثمين» (٧/ ١٣٧-١٥٠)، «طبقات المعتزلة»: (٢٠)، «طبقات ابن قاضي شهبة» (٢/ ٢٤١-٢٤٤)، «لسان الميزان» (٦/ ٤)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ٢٧٤)، «تاج التراجم»: (٧١)، «بغية الوعاة» (٢/ ٢٧٩، ٢٨٠)، «طبقات المفسرين» للسيوطي (٤١)، «طبقات المفسرين» للداوودي (٢ / ٣١٤-٣١٦)، «طبقات الفقهاء» لطاش كبري: (٩٤، ٩٥)، «مفتاح السعادة» =

لجماعـة سمـوا هواهـم سُنَّة وجماعـة همُ لعمـري مؤكفـة
قد شبهوه بخلقـه فتخوفـوا شنع الـورى فتستروا بالبلكفـة

قال ابن المنير [(١)] حيث انتقل للهجو فقد أذن النبي ﷺ لحسان فيه فنقتدي به ونقول:

=

(٢/ ٩٧-١٠٠)، «أزهار الرياض» (٣/ ٢٨٢-٣٢٥)، «كشف الظنون»: (٧٤، ١١٧، ١٢١، ١٦٤، ١٨٥، ٦١٦، ٧٨١، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ١٠٠٩، ١٠٥٦، ١٠٨٢، ١٢١٧،، ١٣٢٦، ١٣٩٨، ١٤٢٧، ١٤٧٥، ١٤٧٨، ١٥٨٤، ١٦٧٤، ١٧٣٤، ١٧٧٤، ١٧٩١، ١٧٩٨، ١٨٧٧، ١٨٩٠، ١٩٥٥، ١٩٨٧)، «شذرات الذهب» (٤/ ١١٨-١٢١)، «الفوائد البهية»: (٢٠٩، ٢١٠)، «روضات الجنات» (٦٨١-٦٨٤)، «إيضاح المكنون» (١/ ٦٧ و٢ / ٨٦)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٠٢، ٤٠٣)، «معجم المطبوعات»: (٩٧٣)، «الفهرس التمهيدي» (٢٥٩ و ٣٠٣)، «كنوز الأجداد»: (٢٩١ - ٢٩٤)، «تاريخ بروكلمان» (٥ / ٢١٥ – ٢٣٨).

ومما ترجم به له الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: «العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري الخوارزمي النحوي، صاحب «الكشاف» و«المفصل».

رحل، وسمع ببغداد من نصر بن البطر وغيره. وحج، وجاور، وتخرج به أئمة.

.... وكان رأسًا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد..

.... قال السمعاني: برع في الآداب، وصنف التصانيف، ورد العراق وخراسان، ما دخل بلدًا إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علامة نسابة، جاور مدة حتى هبت على كلامه رياح البادية.

.... وقال ابن خلكان: له «الفائق» في غريب الحديث، و«ربيع الأبرار» و«أساس البلاغة»، و«مشتبه أسامي الرواة»، وكتاب «النصائح»، و «المنهاج» في الأصول، و«ضالة الناشد».

قيل: سقطت رجله، فكان يمشي على جاون خشب، سقطت من الثلج.

وكان داعية إلى الاعتزال، الله يسامحه».

قلت: وذكرت له بهامش «ديوان الإسلام» قائمة بكتبه تضمنت ثلاثًا وخمسين كتابًا.

(١) هو: أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم (القاسم) بن مختار بن أبي بكر، أبو القاسم، أبو العباس، الجذامي، الجروي، الإسكندري، المالكي، القاضي، المشهور بـ: ابن المنير، ناصر الدين.

ولد سنة: (٦٢٠هـ)، في (٣) ذي القعدة، توفي سنة : (٦٨٣هـ) يوم الجمعة مستهل ربيع الأول.

ومن مصادر ترجمته أذكر: «ديوان الإسلام» (ت:٢٠٤٢)، «معجم المؤلفين» (٢/ ١٦١)، «هدية العارفين» (١/ ٩٩)، «الأعلام» (١/ ٢٢٠)، «كشف الظنون» (٨٢ وغير ذلك)، «إيضاح المكنون» (١/ ١٦٦)، «شذرات الذهب» (٥/ ٣٨١)، «فوات الوفيات» (١/ ٧٢)، «مختصر دول الإسلام» (٢/ ١٤٣)، «مرآة الجنان» (٤/ ١٩٨)، «الديباج المذهب» (٧٠)، «مفتاح السعادة» (١/ ٤٤٣)، «بغية الوعاة» (ت: ٧٤٥)، وفيه: «كان إمامًا في النحو، والأصول، والأدب، والتفسير، وله يد طولى في علم البيان، والإنشاء، وسمع من أبيه، وابن دواح ، ومنه ابن حيان وغيره.

وخطب بالإسكندرية ، ودرَّس بالجامع الجيوشي وغيره، وناب في الحكم بها، ثم اشتغل بالقضاء، ثم صرف وصودر ، ثم أعيد إليه».

=

وجماعة كفروا برؤيـــة ربهم هذا لوعد الله ما لن يخلفـــه
وتلقبوا الناجين كلاّ إنهم إن لم يكونوا في لظى فعلى شـــفه

وقال أبو حيان [(١)]:

=

قلت: وذكرت كتبه بهامش «ديوان الإسلام»، فكانت على النحو التالي:
١- التفسير (البحر المحيط في بحث التفسير).
٢- الانتصاف من صاحب الكشاف (بيّن فيه ما تضمنه من الاعتزال وناقشه).
٣- مناسبات تراجم البخاري. ٤- الاقتفا في فضائل المصطفى ﷺ.
٥- تفسير حديث الإسراء (في مجلد على طريقة المتكلمين). ٦- ديوان خطب.
٧- أسرار الأسرار. ٨- مختصر التهذيب للبغوي.
٩- منح مولانا الباري في مناقب الشيخ أبي القاسم بن منصور بن يحيى المالكي الإسكندري، الكباري.

(١) هو: علي بن محمد بن العباس، أبو حيان، الصوفي، البغدادي، التوحيدي، الشافعي، المشهور بـ: أبي حيان التوحيدي. ولد سنة: (٣١٢هـ)، ببغداد، وتوفي سنة: (٣٦٠هـ)، وقيل: (٣٨٠هـ) وقيل: (٤٠٠هـ) أو نحوها، وقيل: سنة (٤٠٣هـ)، فالله أعلم.
كتبت في سيرته الكتب، وتناوله بالدراسة والبحث كثير من الكتاب، وأثار ضجة قديمة وحديثة، ومن المصادر التي ترجمت له أذكر:
«ديوان الإسلام» (ت:١٧٦١)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١١٩)، «شد الإزار» للشيرازي (٥٣، ٥٤)، «معجم الادباء» (١٥/ ٥-٥٢)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢٢٣)، «وفيات الأعيان» (٥/ ١١٢، ١١٣)، «ميزان الاعتدال» (٤/ ٥١٨)، «عيون التواريخ» (١٢/ ٢١٦/ ٢، ٢١٧/ ٢)، «الوافي بالوفيات» (١٢/ ١٦٨، ١٦٩)، «طبقات السبكي» (٥/ ٢٨٦-٢٨٩)، «طبقات الإسنوي» (١/ ٣٠١-٣٠٣)، «لسان الميزان» (٧/ ٣٨-٤١)، «بغية الوعاة» (٢/ ١٩٠، ١٩١)، «مفتاح السعادة» (١/ ٢٣٤، ٢٣٥)، «تاريخ ابن عدسة» (٣/ ٣٥٤، ٣٥٥)، «طبقات ابن هداية الله» (١١٤-١١٦)، «كشف الظنون» (١٤٠، ١٦٧، ٢٤٦)، «روضات الجنات» (٧١٤)، «إيضاح المكنون» (١/ ٦٠٢) و(٢/ ٦٥)، «هدية العارفين» (١/ ٦٨٥، ٦٨٤)، «هدية الأحباب» (١٤، ١٥)، «كنوز الأجداد» (٢٢١-٢٣٢)، «دائرة المعارف الإسلامية» (٨/ ٣٣٣-٣٣٥)، «أمراء البيان» (٢/ ٤٨٨، ٥٤٥).
ومما ترجم له به الذهبي في «سير أعلام النبلاء» أن قال:
الضال الملحد، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، البغدادي الصوفي، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية، ويقال: كان من أعيان الشافعية.
قال ابن بابي في كتاب «الخريدة والفريدة»: كان أبو حيان هذا كذابًا قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل، ولقد وقف سيدنا الوزير الصاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدغله ويخفيه من سوء الاعتقاد، فطلبه ليقتله، فهرب، والتجأ إلى أعدائه، ونفق عليهم تزخرفه وإفكه، ثم عثروا منه على قبيح دخلته وسوء عقيدته، وما يبطنه من الإلحاد، ويرومه في الإسلام من الفساد، وما يلصقه بأعلام الصحابة من القبائح، ويضيفه إلى السلف

=

شبهت جهد لا صدر أمة أحمد ... وذوي البصائر بالحمير الموكفة
وجب الخسار عليك فانظر منصفًا ... في آية الأعراف فهي المنصفة
أترى الكليم أتى بجهل ما أتى ... وأتى شيوخك ما أتوا عن معرفة
إن الوجوه إليه ناظرة بذا ... جاء الكتاب فقلتموا: هذا سفه
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى ... فهوى الهوى بك في المهاوي المتلفة

وقال الجاربردي (١):

= الصالح من الفضائح، فطلبه الوزير المهلبي، فاستتر منه، ومات في الاستتار، وأراح الله منه، ولم يؤثر عنه إلا مثلبة أو مخزية.

وقال أبو الفرج بن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو مجمج ولم يصرح.

قلت: وكان من تلامذة علي بن عيسى الرماني، ورأيته يبالغ في تعظيم الرماني في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ، فانظر إلى المادح والممدوح ! وأجود الثلاثة الرماني مع اعتزاله وتشيعه.

... وهو الذي نسب نفسه إلى التوحيد، كما سمى ابن تومرت أتباعه بالموحدين، وكما يسمي صوفية الفلاسفة نفوسهم بأهل الوحدة وبالاتحادية».

قلت: ولأبي حيان كتب ، ذكرت بعضًا منها في هامش «ديوان الإسلام»، فكانت على النحو التالي:

١ - الهوامل والشوامل بتحقيقي.
٢ - بصائر القدماء وبشائر الحكماء.
٣ - الإقناع.
٤ - الرد على ابن جني في شعر المتنبي.
٥ - تقريظ الجاحظ.
٦ - الحج العقلي إذا ضاق القضاء عن الحج الشرعي.
٧ - الإمتاع والمؤانسة.
٨ - الحنين إلى الأوطان.
٩ - الإشارات الإلهية.
١٠ - الرسالة الصوفية.
١١ - الرسالة البغدادية.
١٢ - أخبار الصوفية.
١٣ - رسالة في صلاة الفقهاء.
١٤ - رياض العارفين
١٥ - كتاب الصديق والصداقة.
١٦ - المحاضرات والمناظرات.
١٧ - كتاب المقامات.
١٨ - المقايسات.
١٩ - كتاب الزلفة.
٢٠ - كتاب مثالب الوزيرين.

(١) هو: أحمد بن الحسين بن يوسف، أبو المكارم ، الجاربردي، الشافعي، فخر الدين، التبريزي.
توفي سنة : (٧٤٦هـ) الموافق (١٣٤٥م).
ورد ذكره في: «الدرر الكامنة» (١/ ١٢٣)، «شذرات الذهب» (٦/ ١٨٤)، «مرآة الجنان» (٤/ ٣٠٧)، «البدر الطالع» (١/ ٤٧)، «بغية الوعاة» (١٣١)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ١٦٩)، «مفتاح السعادة» (١/ ١١٩)، «كشف الظنون» (١١٢)، «طبقات الشافعية» للإسنوي (١/ ١٦٨)، رضا كحالة في «معجم المؤلفين» (١/ ١٩٨).
=

عجبًا لقوم ظالمين تستروا بالعدل ما فيهم لعمري معرفة
قد جاءهم من حيث لا يدرونه تعطيل ذات الله مع نفي الصفة

[١٦/ ب].

وقال التاج السبكي [(١)]:

=

قال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة ست وأربعين وسبعمائة: «وفيها فخر الدين أحمد بن الحسن بن يوسف الإمام العلّامة ، الجاربردي، الشافعي، نزيل تبريز، أحد شيوخ العلم المشهورين بتلك البلاد، والتصدي لشغل الطلبة، أخذ عن القاضي ناصر الدين البيضاوي، وشرح «منهاجه»، و«الحاوي الصغير»، ولم يكمله، وشرح «تصريف ابن الحاجب»، وله على «الكشاف» حواشي مفيدة.

قال السبكي: كان إمامًا فاضلًا ديّنًا خيّرًا، مواظبًا على الاشتغال بالعلم، وإفادة الطلبة.

وجده يوسف أحد شيوخ العلم المشهورين بتلك البلاد والتصدي لشغل الطلبة.

وله تصانيف معروفة، وعنه أخذ الشيخ نور الدين الأردبيلي وغيره».

وتوفي صاحب الترجمة بتبريز في شهر رمضان.

(١) هو: عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام، أبو نصر السبكي، الشافعي، تاج الدين، قاضي القضاة، القاهري. ولد سنة : (٧٢٧هـ)، بالقاهرة، وتوفي سنة : (٧٧١هـ)، في (٧) ذي القعدة. ترجمت له كثير من الكتب والتي منها:

«ديوان الإسلام» (ت:١١٥٤)، «شذرات الذهب» (٦/ ٢٢١)، «هدية العارفين» (١/ ٦٣٩)، «الأعلام» (٤/ ١٨٤)، «معجم المؤلفين» (٦/ ٢٢٥)، «كشف الظنون» (١٠٠ وغير ذلك)، «إيضاح المكنون» (١/ ٢٨١)، «النجوم الزاهرة» (١١/ ١٠٨)، «البدر الطالع» (١/ ٤١٠)، «الدرر الكامنة» (٢/ ٤٢٥)، «قضاة دمشق» (١٠٦).

قال ابن العماد في «شذرات الذهب» في ترجمته في وفيات سنة (٧٧١هـ): وفيها : قاضي القضاة، تاج الدين ، أبو نصر ، عبدالوهاب بن علي... السبكي، الشافعي، ولد بالقاهرة سنة (٧٢٧هـ)، وسمع من جماعة ، ثم قدم دمشق مع والده في جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين، وسمع بها من جماعة.

واشتغل على والده وغيره وقرأ على الحافظ المزي، ولازم الذهبي، وتخرج به، وطلب بنفسه ودأب وأجازه شمس الدين بن النقيب بالإفتاء والتدريس ، ولما مات ابن النقيب كان عمره (١٨ سنة) ، وأفتى ودرس وصنف، واشتغل وناب عن أبيه بعد وفاة أخيه القاضي حسين.

ثم اشتغل بالقضاء بسؤال والده في شهر ربيع الأول سنة (٧٥٦)، ثم عزل مدة لطيفة، ثم أعيد، ثم عُزل بأخيه بهاء الدين وتوجه إلى مصر على وظائف أخيه، ثم عاد إلى القضاء على عادته ، وولي الخطابة بعد وفاة ابن جملة، ثم عُزل وحصل له فتنة شديدة ، وسجن بالقلعة نحو ثمانين يومًا، ثم عاد إلى القضاء، وقد درس بمصر والشام بمدارس كبار العزيزية، والعادلية الكبرى، والغزالية، والعذارية، والشاميين، والناصرية، والأمينية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية، وتدريس الشافعي بمصر، والشيخونية، والميعاد بالجامع الطولوني، وغير ذلك.

وقد ذكره الذهبي في المعجم المختص وأثنى عليه.

=

لجماعة جاروا وقالوا : إنهم للعدل أهل ما لهم من معرفة
لم يعرفوا الرحمن بل جهلوا ومن ذا أعرضوا بالجهل عن لمح الصفة

وقال أبو الحسن البكري [1]:

=

وقال ابن كثير: جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاضٍ قبله، وحصل له من المناصب ما لم يحصل لأحد قبله.

وقال الحافظ شهاب الدين بن حجي: خرج له ابن سعد مشيخة ومات قبل تكميلها، وحصّل فنونًا من العلم من الفقه والأصول وكان ماهرًا فيه، والحديث والأدب، وبرع وشارك في العربية، وكان له يد في النظم والنثر، جيد البديهة ذا بلاغة وطلاقة لسان وجرأة جنان ، وذكاء مفرط، وذهن وقاد.

صنف تصانيف عدة في فنون على صغر سنه وكثرة اشتغاله قُرئت عليه وانتشرت في حياته وبعد موته.

قال: وانتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام، وحصلت له محنة بسبب القضاء، وأوذي فصبر، وسجن فثبت.

وعقدت له مجالس فأبان عن شجاعة وأفحم خصومة مع تواطئهم عليه، ثم عاد إلى مرتبته ، وعفا وصفح عمن قام عليه ، وكان سيدًا جوادًا كريمًا مهيبًا ، يخضع له أرباب المناصب من القضاة وغيرهم.

وتوفي شهيدًا بالطاعون في ذي الحجة خطب يوم الجمعة وطعن ليلة السبت رابعه ومات ليلة الثلاثاء، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون عن أربع وأربعين سنة.

قلت: وذكرت مؤلفاته بهامش «ديوان الإسلام» فبلغت القائمة سبعة عشر كتابًا، فراجعها في الموضع المشار إليه إن أحببت.

(١) هو: محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد، أبو الحسن، البكري، الصدّيقي، القاهري، الشافعي، الأشعري، ولد سنة : (٨٩٩هـ)، وتوفي سنة (٩٥٢هـ).

ومن مصادر ترجمته: «ديوان الإسلام» (٤٣٨)، «معجم المؤلفين» (٧/ ٢٠٨)، (١٠/ ١٣٧)، (١١/ ٢٢٩)، «الأعلام» (٧/ ٥٧)، «شذرات الذهب» (٨/ ٢٩٢)، «الكواكب السائرة» (٢/ ١٩٤)، «النور السافر» (٤١٤)، «هدية العارفين» (٢/ ٢٣٩)، «إيضاح المكنون» (١/ ٤٦٠)، «تاريخ آداب اللغة» (٣/ ٣١١).

قال ابن الغزي في «ديوان الإسلام»: «الإمام العالم العلامة الحبر البحر العارف بالله شيخ الإسلام أبو الحسن الصديقي القاهري الشافعي. له مؤلفات كثيرة نحو مائة وستين منها: شرح الروض. وشرح الإرشاد. وشرح التنبيه. وأربعة شروح على المنهاج. وشرح البهجة. وشرح البردة».

قلت: وذكرت قائمة بالكتب التي وقفت عليها له بهامش «ديوان الإسلام» ، فبلغت تسعًا وثلاثين كتابًا، فراجعها إن أحببت في الموضع المشار إليه.

وذكره ابن العماد في «شذرات الذهب»، فسماه: علي بن محمد فقال: وفيها: علاء الدين أبو الحسن ، علي ابن جلال الدين ، محمد البكري، الصديقي، الشافعي، الشيخ، الإمام ، المحدث، نادرة الزمان، وأعجوبة الدهر ، الصوفي، الأستاذ، أخذ العلوم والفقه عن القاضي زكريا، والبرهان بن أبي شريف وغيرهما، وأخذ التصوف عن الشيخ رضي الدين الغزي العامري، والشيخ عبدالقادر الدشطوطي.

=

يا جامعًا بين الضلالة والسفه ومشبثًا في دينه بالفلسفة
ومذممًا في عدله جور بلا عرف ويزعم وصفه بالمعرفة
فبزعمه لم ينصرف عن غيه بل ظل في حجج تلوح مزخرفة
قد قلت قول الله حق ثم لم تؤمن برؤياه وذلك متلفه
ومنعت من قدم الصفات ضلالة فلظى لذاتك في الورى متشرفة
فلك الذي قد قلته في رؤية وجزيت بالعدل السيوف المرهفة

انتهى المراد من حاشية المحقق الأمير على شرح الشيخ عبدالسلام على «جوهرة التوحيد»، ولله الحمد.

تنبيهات

الأول:

قد قدمنا أن أهل السنة جميعًا، أشاعرة وماتريدية، متفقون على إثبات الكسب للعبد، وليس بين الطائفتين خلاف إلّا في تفسيره وشرح حقيقته فقط.

وإنما الخلاف بينهما وبين المعتزلة والجبرية في إثباته، وهما المردود عليهما فيما سبق بقول صاحب «الجوهرة»: «وعندنا للعبد كسب كلفا.... إلخ».

واعلم: أن تخفيف الكسب عند الأشعري صعب دقيق ، ولذلك يضرب به المثل، فيقال: «هذا أدق من كسب الأشعري».

ولذا قيل فيه بقول:

وقد رأى جسمي كخصر له شبه لمالي بالسويه
فقلت هما من الوجود لكن كوجدان اكتساب الأشعريه

=

قال الشعراوي: أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الإسلام، والتصوف عن الشيخ رضي الدين الغزي، وتبحر في علوم الشريعة من فقه، وتفسير ، وحديث، وغير ذلك، وكان إذا تكلم في علم منها كأنه بحر زاخر، لا يكاد السامع يحصل من كلامه على شيء ينقله منه لوسعه إلا أن يكتبه... وكانت مدة اشتغاله على الأشياخ نحو سنتين ، ثم جاء الفتح من الله فاشتغل بالتأليف. انتهى.

... وكان له النظم السائغ في علوم التوحيد، ومن شعره : التائية المشهورة التي أولها:

بوجودكم تتجمل الأوقات وبجودكم تتنزل الأقوات

وهي طويلة مشهورة، توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة، ودفن بجوار الإمام الشافعي ﷺ.

[١٧/أ] لأن أصحاب الأشعري فسروا الكسب: بأن العبد إذا صمم عزمه فالله تعالى يخلق الفعل عنده. والعزم أيضًا فعل يكون واقعًا بقدرة الله تعالى، فلا يكون للعبد في الفعل مدخل على سبيل التأثير، وإن كان له مدخل على سبيل الكسب، كذا قالوا.

والحق: **أن الكسب عند الأشاعرة، هو**: تعلق القدرة الحادثة بالمقدور في محلها، من غير تأثير، وهو الذي يعول عليه في تفسيره، ولا يصح غيره، إذ هو الجاري على القواعد العقلية، والسُّنَّة، وإجماع السلف، ولصعوبة هذا المقام أنكر السلف على الناظر فيه، ونُقِلَ: «إذا بلغ الكلام إلى القدر فأمسكوا»(١).

وأما عند الماتريدية: فالكسب عندهم هو: صرف القدرة إلى أحد المقدورين، وهو غير مخلوق للعبد؛ لأن جميع ما يتوقف عليه فعل الخوارج من الحركات، وكذا التروك التي هي أفعال النفس من الميل والداعية والاختيار بخلق الله تعالى لا تأثير لقدرة العبد فيه، وإنما محل قدرته عزمه عقيب خلق الله تعالى هذه الأمور في باطنه عزمًا مصممًا بلا تردد، وتوجهًا صادقًا للفعل طالبًا إياه، فإذا وجد من العبد ذلك العزم خلق الله تعالى له الفعل فيكون منسوبًا إليه تعالى من حيث هو حركة، ومنسوبًا إلى العبد من حيث هو زنا، ونحوه من الأصناف التي يُكوّن بها العبد معصية.

وعلى منوال ذلك الطاعة، كالصلاة مثلًا تكون الأفعال التي هي حقيقتها منسوبة إلى الله تعالى من حيث هي حركات، وإلى العبد من حيث هي أنها صلاة لأنها الصفة التي باعتبارها جزم العزم المصمم.

وهذا على مذهب القاضي الباقلاني(٢)، وهو: أن [١٧/ب] قدرة الله تعالى بأصل الفعل،

---

(١) هذا خبر ليس بصحيح، وذكر في عدة مصادر أذكر منها: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي (٣/ ٣٥)، «المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية» لابن حجر العسقلاني (٢٩٣٢، ٢٩٣٣)، «لسان الميزان» لابن حجر أيضًا (٦/ ٩٠٣)، «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٣٢١)، (٢/ ٥١)، (٨/ ٥٥)، «التمهيد» (٦/ ٦٨)، «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٧/ ٢٤٩٠).
وهذا الخبر وأمثاله إنما هو من وضع الوضاعين الذين دأبوا على نصرة مذهب معين، أو دحض مذهب آخر، فلا ينبغي الانشغال بمثل هذه الأخبار الواهية أو الاهتمام بها أو ذكرها حتى لا تروج ويظنها من لا خبرة له ولا دربة بأنها أحاديث صحيحة.

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، بن قاسم، أبو بكر، الباقلاني، البصري، المتكلم، المعتزلي، الأشعري، القاضي، المالكي، البغدادي، المصنف.
توفي سنة (٣٩٣هـ)، وقيل: (٤٠٣هـ)، في ذي القعدة. عالم مشهور وبحر زاخر بالعلوم ومؤلف اشتهرت مؤلفاته وترجمت له الكثير من الكتب، وألفت في سيرته الكتب والتي منها: «الباقلاني وإعجاز القرآن»، وترجم له في «ديوان الإسلام» (ت:٣٧١)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠)، «تاريخ بغداد»
=

وقدرة العبد تتعلق بوصفه من كونه طاعة أو معصية ، فتعلق تأثير القدرتين مختلف، كما لطمة اليتيم تأديبًا، فإن ذات اللطمة واقعة بقدرة الله تعالى وتأثيره وكونه طاعة أو معصية على الثاني بقدرة العبد وتأثيره لتعلق ذلك بعزمه المصمم، أي قصده الذي لا تردد معه.

=

(٥/ ٣٧٩-٣٨٣)، «ترتيب المدارك» (٤/ ٥٨٥-٦٠٢)، «الأنساب» (٢/ ٥١، ٥٢)، «تبيين كذب المفتري» (٢١٧-٢٢٦)، «المنتظم» (٧/ ٢٦٥)، «اللباب» (١/ ١١٢)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٤٤)، «العبر» (٣/ ٨٦)، «دول الإسلام» (١/ ٢٤٢)، «الوافي بالوفيات» (٣/ ١٧٧)، «مرآة الجنان» (٣/ ١٠٠٦)، «البداية والنهاية» (١١/ ٣٥٠، ٣٥١)، «الديباج المذهب» (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩)، «النجوم الزاهرة» (٤/ ٢٣٤)، «شذرات الذهب» (٣/ ١٦٨-١٧٠)، «إيضاح المكنون» (٢/ ٦٩١)، «هدية العارفين» (٢/ ٥٩)، «شجرة النور الزكية» (١/ ٩٢، ٩٣).

ومما قال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: «الإمام العلامة، أوحد المتكلمين، مقدم الأصوليين، القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم، البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه.

... وكان ثقة إمامًا بارعًا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه.

وقد ذكره القاضي عياض في «طبقات المالكية»، فقال: هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة.

وقد سار القاضي رسولًا عن أمير المؤمنين إلى طاغية الروم، وجرت له أمور:

منها: أن الملك أدخله عليه من باب خوخة ليدخل راكعًا للملك، ففطن لها القاضي، ودخل بظهره.

[قلت: والخوخة: باب صغير يكون في الباب الكبير ليجتاز منه من أراد الدخول راكعًا أو منحنيًا لصغره وضيقه].

ومنها: أنه قال لراهبهم: كيف الأهل والأولاد ؟ فقال الملك: مه ! أما علمت أن الراهب يتنزه عن هذا ؟ فقال: تنزهونه عن هذا، ولا تنزهون رب العالمين عن الصاحبة والولد!

وقيل: إن الطاغية سأله: كيف جرى لزوجة نبيكم -يقصد توبيخًا-؟ فقال: كما جرى لمريم بنت عمران، وبرأهما الله، لكن عائشة لم تأت بولد. فأفحمه .

...قال أبو حاتم محمود بن الحسين القزويني: كان ما يضمره القاضي أبو بكر الأشعري من الورع والدين أضعاف ما كان يظهره، فقيل له في ذلك، فقال: إنما أظهر ما أظهره غيظًا لليهود والنصارى، والمعتزلة والرافضة، لئلا يستحقروا علماء الحق».

قلت: وذكرت كتبه في هامش «ديوان الإسلام» فكانت على النحو التالي:

١ - إعجاز القرآن. ٢ - الانتصار.

٣- كشف الأسرار الباطنة. ٤ - الملل والنحل.

٥ - مناقب الأئمة. ٦ - نهاية الإيجاز في رواية الإعجاز.

٧- هداية المسترشد (في الكلام).

والقول بالكسب صعب لما عرفت ولكنه قام وثبت بالبرهان، أي: الدليل القاطع وهو أنّا نجد تفرقة ضرورية بين ما نباشره من الأفعال وبين ما نحسه من الجمادات، فظهر أن لنا في أفعالنا اختيارًا ما.

وزادنا قيام البرهان عن إضافة الفعل إلى اختيار العبد.

فوجب أن نجمع بين الأمرين فنقول: إذ الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى، وكسب العبد فالله تعالى يخلق الفعل والقدرة عليه بأجر العادة ، فلهذا جاز إضافة الفعل إلى العبد، وصح التكليف والمدح والذم والوعد والوعيد، فإنا لو لم نقل بالكسب لزم أحد الأمرين: إما الميل إلى الاعتزال. وإما القول بالجبر. كلاهما باطل.

بيان الملازمة:

إن صدور الأفعال لا يخلو إما أن يكون بقدرة العبد وإرادته أم لا.

وعلى الأول: يلزم الاعتزال، وعلى الثاني: الجبر، والصراط المستقيم هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وهو القول بأن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للعبد ،فكل ما لا ينسب الأفعال إلى العبد من جهة الإيجاد والخلق كذلك لا ينسب إلى الله تعالى من جهة الكسب ، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٧]، فنسب الخلق إلى ذاته تعالى.

وقال [١٨/ أ] تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، أثبت الكسب للعبد. وإن شئت قلت: بين قوم أفرطوا وقوم فرطوا.

فقولنا: (بين قوم أفرطوا)، نعني بهم: الجبرية ، الذين يتجاوزون عن الحد الأوسط إلى طرف الإفراط فيجعلون وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط من غير مقارفة لقدرة حادثة.

وقولنا: (قوم فرطوا)، نعني بهم : القدرية، الذين تجاوزوا عن الحد الأوسط إلى طرف التفريط فيجعلون وجود الأفعال الاختيارية بالقدرة الحادثة فقط مباشرة أو تولدًا.

ويؤيد مذهب أهل السنة:

ما روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا جبر، ولا قدر، بل أمر بين أمرين.

ويوضح ذلك: أن التكليف كما ورد بـ«أفعل»، ورد بالاستعانة، كقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، و﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

فلو كان العبد مستقبلًا لكان مستقلًا، لكان مستغنيًا عن هذه الاستعانة. اهـ من «الروضة البهية» بمزيد من الحذف، وبعض التصرف، والله أعلم.

الثاني من التنبيهات:

قد تقدم أننا لم نرتض حصر المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية في السبع مسائل المذكورة في السؤال، وزدنا عليها مسائل أُخر ، ووعدنا بذكر طرف صالح منها زيادة على ما

سبق. والآن نريد إنجاز ما وعدنا به فنقول وبالله التوفيق:

ومن جملة ما وقع فيه الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية:

«بقاء رسالة نبينا ﷺ بعد مدته، وكذا كل نبي غيره وصحة أن يقال في كل منهم: إنه رسول الآن حقيقة»

وهذا على تقدير صحة النقل عن الشيخ أبي الحسن الأشعري، وإلّا [١٨/ ب] فالشيخان - أعني: أبا حنيفة والأشعري- متفقان على حكم المسألة، ولا خلاف بينهما في أن رسالة نبينا ﷺ باقية إلى الآن، وأنه الآن رسول حقيقة. وكذا كل رسول، وهو الحق الذي لا شك فيه، ولا يصح غيره.

وتحرير المسألة: أن رسالة نبينا ﷺ وكل نبي هل تبقى بعد موتهم؟

وهل يصح أن يقال: كل منهم رسول الآن حقيقة أوْ لا؟

قال أبو حنيفة رضي الله عنه: إنه رسول الآن حقيقة.

وقالت الكرامية (١): لا.

ونُقل عن الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله أنه قال: إنه الآن في حكم الرسالة، وحكم الشيء يقوم مقام أصله.

وعليه بعض العراقيين من الشافعية كالماوردي (٢).

---

(١) قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١٠٨): «هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، وإنما عددناه من الصفاتية؛ لأنه كان ممن يثبت الصفات، إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه.

وقد ذكرنا كيفية خروجه وانتسابه إلى أهل السنة؛ فيما قدمنا ذكره.

وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة، وأصولها ستة: العابدية والتونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم: الهيصمية.

ولكل واحدة منهم رأي؛ إلا أنه لما لم يصدر ذلك من علماء معتبرين بل عن سفهاء أغتام جاهلين لم نفردها مذهبًا، وأوردنا مذهب صاحب المقالة، وأشرنا إلى ما يتفرع منه.

ونص أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استقرارًا، وعلى أنه بجهة فوق ذاتًا. وأطلق عليه اسم الجوهر؛ فقال في كتابه المسمى «عذاب القبر»: إنه أَحَديُّ الذات، أَحَديّ الجوهر، وإنه مماس للعرش من الصفحة العليا.

وجوز الانتقال والتحول والنزول.

ومنهم من قال: إنه على بعض أجزاء العرش. وقال بعضهم: امتلأ العرش به.

وصار المتأخرون منهم إلى: أنه تعالى بجهة فوق، وأنه محاذ للعرش».

(٢) هو: علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن ، البصري، الشافعي، المصنف، القاضي، الماوردي، الشهير بـ«الماوردي». المولود سنة : (٣٦٤هـ)، المتوفى سنة (٤٥٠هـ).

=

=

جاءت ترجمته في العديد من المصادر والتي منها: «ديوان الإسلام» (ت:١٩٠٠)، «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٦٤)، «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٠٢ - ١٠٣)، «طبقات الفقهاء» للشيرازي (١٣١)، «المنتظم» (٨/ ١٩٩-٢٠٠)، «معجم الأدباء» (١٥-٥٢-٥٥،)، «الكامل لابن الأثير» (٩/ ٦٥١)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٨٢-٢٨٤)، «المختصر في أخبار البشر، دول الإسلام » (١/ ٢٦٥)، «العبر» (٣/ ٢٢٣)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٥٥)، « تتمة المختصر» (١/ ٥٤٩)، «مرآة الجنان» (٣/ ٧٢-٧٣)، «طبقات السبكي» (٥/ ٢٦٧-٢٨٥)، «طبقات الإسنوي» (٢/ ٣٨٧-٣٨٨)، «البداية والنهاية» (١٢/ ٨٠)، «لسان الميزان» (٤/ ٢٦٠-٢٦١،)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ٦٤)، «طبقات المفسرين للسيوطي» (٢٥)، «طبقات المفسرين للداودي» (١/ ٤٢٣-٤٢٥)، «مفتاح السعادة» (١/ ٣٢٢)، «طبقات ابن هداية الله» (١٥١-١٥٢)، «كشف الظنون» (١/ ١٩، ٤٥، ١٤٠، ١٦٨، ٤٠٨، ٦٢٨) و(٢/ ١١٠١، ١٣١٥، ١٩٧٨)، «شذرات الذهب» (٣/ ٢٨٥-٢٨٧)، «روضات الجنات» (٤٨٣)، «هدية العارفين» (١/ ٦٨٩).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: «الإمام العلامة، أقضى القضاة، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف.

... حدث عنه: أبو بكر الخطيب، ووثقه، وقال: مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مئة، وقد بلغ ستًّا وثمانين سنة، وولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد.

قال أبو إسحاق في «الطبقات»: ومنهم أقضى القضاة الماوردي، تفقه على أبي القاسم الصيمري بالبصرة، وارتحل إلى الشيخ أبي حامد الإسفرائيني، ودرس بالبصرة وبغداد سنين، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير، وأصول الفقه والأدب، وكان حافظًا للمذهب، مات ببغداد.

...قال أبو الفضل بن خيرون: كان رجلًا عظيم القدر، متقدمًا عند السلطان، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن، بينه وبين القاضي أبي الطيب في الوفاة أحد عشر يومًا.

وقال أبو عمرو بن الصلاح: هو متهم بالاعتزال، وكنت أتأول له، وأعتذر عنه، حتى وجدته يختار في بعض الأوقات أقوالهم، قال في تفسيره: لا يشاء عبادة الأوثان. وقال في: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الأنعام:١١٢]: معناه: حكمنا بأنهم أعداء، أو تركناهم على العداوة، فلم نمنعهم منها.

فتفسيره عظيم الضرر، وكان لا يتظاهر بالانتساب إلى المعتزلة، بل يتكتم، ولكنه لا يوافقهم في خلق القرآن، ويوافقهم في القدر، قال في قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]: أي بحكم سابق. وكان لا يرى صحة الرواية بالإجازة».

قلت: وجمعت قائمة بأسماء مصنفاته بهامش «ديوان الإسلام»، فبلغت: أربعة عشر كتابًا هذه هي:

١ - الحاوي الكبير (في فروع الفقه الشافعي).
٢ - تفسير القرآن الكريم (سماه: النكت والعيون).
٣ - أدب الدنيا والدين.
٤ - الأحكام السلطانية.
٥ - قوانين الوزارة (أدب الوزير).
٦ - الإقناع (في الفروع).
٧ - أعلام النبوة.
٨ - نصيحة الملوك.
٩ - تسهيل النظر (في سياسة الحكومة).
١٠ - تسهيل النصر وتعجيل الظفر.

=

واستدل الكرامية القائلون بعدم الرسالة بعد موت الرسل: بأن الرسالة عرض، والعرض لا يبقى زمانين، ولا رسول بعده؛ لأنه خاتم النبيين، فتنتفي الرسالة لانتفاء محل تتجدد عليه، وتقوم به، وأن الرسالة كالعلم، فإن الله تعالى لا يقبضه قبضًا ينتزعه من العلماء، ولكن يقبضه بقبض العلماء كما ورد في حديث صحيح.

واستدل من قال: إنه ﷺ باق على رسالته ونبوته بعد موته حقيقة، وهو الحق، كما كان رسولًا في الماضي:

لأنه لو لم يكن رسولًا الآن لما صح إسلام مسلم بعد موته.

وهو باطل بالإجماع، وبأن كلمة الشهادة المشتملة على أن محمدًا رسول الله ﷺ صريحة في كونه ﷺ رسولًا في الحال.

وتلك الكلمة صحيحة بالإجماع.

ولو كان كما قال لوجب أن يقال: وأشهد أن محمدًا ﷺ كان رسول الله.

وقال الشيخ عبدالحق في شرحه على صحيح مسلم: [١٩/أ] وهو ﷺ بعد موته باق على رسالته وثبوته حقيقة، كما يبقى وصف الإيمان للمؤمن بعد موته، وذلك الوصف باق للروح والجسد معًا، لأن الجسد لا تأكله الأرض.

وقال القشيري(١): كلام الله تعالى لمن اصطفاه: أني أرسلتك، أو: بلغ عني، وكلامه تعالى قديم،

=

١١- معرفة الفضائل. ١٢- أمثال القرآن.
١٣- الأمثال والحكم. ١٤- سياسة الملك.

(١) هو: عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة بن محمد، أبو القاسم، القشيري، الزاهد، الصوفي، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، المفسر، المصنف.
ولد في سنة: (٣٧٦هـ)، وقيل: (٣٧٧)، وقيل: (٣٧٥هـ)، وتوفي سنة (٤٦٥هـ) في (١٦) ربيع الآخر، صاحب شهرة كبيرة خصوصًا رسالته المشهورة به، والمشهور بها، وصُنِّفت في سيرته الكتب الكثيرة، وترجمت له المصادر العديدة والتي منها:
«ديوان الإسلام» (ت:١٧٠٣)، «هدية العارفين» (١/ ٦٠٧)، «الرسالة المستطرفة» (١٦٦)، «الأعلام» (٤/ ٥٧)، «معجم المؤلفين» (٦/ ٦)، «كشف الظنون» (٥٨، وغير ذلك)، «إيضاح المكنون» (١/ ١٩٤)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٠٧)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ٩١)، «روضات الجنات» (٤٤٤)، «تاريخ بغداد» (١١/ ٨٣)، «دمية القصر» (٢/ ٩٩٣)، «الأنساب» (١٠/ ١٥٦)، «اللباب» (٣/ ٣٨)، «المنتظم» (٨/ ٢٨٠)، «العبر» (٣/ ٢٥٩)، «إنباه الرواة» (٢/ ١٩٣)، «دول الإسلام» (١/ ٢٧٤)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٠٨)، «تتمة المختصر» (١١٤)، «مرآة الجنان» (٣/ ٩١)، «طبقات السبكي» (٥/ ١٥٣)، «طبقات الإسنوي» (ت:٩٤٠)، «طبقات الأولياء» (٢٥٧)، «طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٣٣٨)، «مفتاح السعادة» (٢/ ١٠٧)، «تاريخ الخميس» (٢/ ٣٥٨)، «نفحات الأنس» (٧٥٤)،
=

فهو عليه الصلاة والسلام قبل أن يوجد كان رسولًا، وفي حال موته وإلى الأبد رسولًا؛ لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الإرسال الذي هو كلام الله تعالى.

ونقل السبكي في «طبقاته» عن ابن فورك[1]: **أنه ﷺ حَيٌّ في قبره رسول إلى الأبد حقيقة لا مجازًا**

«درر الأبكار» (١١١)، «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٢٧)، وفيها: «الإمام الزاهد، القدوة، الأستاذ أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن .... الصوفي، المفسر، صاحب «الرسالة».

... تعانى الفروسية والعمل بالسلاح حتى برع في ذلك، ثم تعلم الكتابة والعربية، وجوَّد.

قال القاضي ابن خلكان: كان أبو القاسم علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة.

صنف «التفسير الكبير» وهو من أجود التفاسير، وصنف «الرسالة» في رجال الطريقة، وحج مع الإمام أبي محمد الجويني، والحافظ أبي بكر البيهقي، وسمعوا ببغداد والحجاز.

قال: وذكره أبو الحسن الباخرزي في كتاب «دمية القصر» وقال: لو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب، ولو ربط إبليس في مجلسه لتاب.

... قال أبو سعد السمعاني: لم ير الأستاذ أبو القاسم مثل نفسه في كماله وبراعته، جمع بين الشريعة والحقيقة، أصله من ناحية استواءه، وهو قشيري الأب، سُلمي الأم.

وقال أبو بكر الخطيب: كتبنا عنه، وكان ثقة، وكان حسن الوعظ، مليح الإشارة، يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي».

قلت: وقد ذكرت له بهامش «ديوان الإسلام» قائمةً بأسماء كتبه ضمّت ثلاثًا وعشرين كتابًا، فراجِعْها في الموضع المشار إليه إن أحببت.

(١) هو: محمد بن الحسن بن فورك، أبو بكر ، الأصبهاني، المتوفى سنة (٤٠٦هـ)، جاءت ترجمته في : «ديوان الإسلام» (١٦٥٤)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢١٤)، «الرسالة القشيرية» (٣١٠)، «تبيين كذب المفتري» (٢٣٢)، «إنباه الرواة» (٣ / ١١٠، ١١١)، «طبقات ابن الصلاح» (الورقة ٨)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٧٢، ٢٧٣)، «العبر» (١/ ٩٥)، «تلخيص ابن مكتوم» (٢٠٣)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٤٤)، «مرآة الجنان» (٣/ ١٧، ١٨)، «طبقات السبكي» (٤/ ١٢٧–١٣٥)، «طبقات الإسنوي» (٢/ ٢٦٦، ٢٦٧)، «النجوم الزاهرة» (٤/ ٢٤٠)، (التراجم ٤٦)، «شذرات الذهب» (٣/ ١٨١، ١٨٢)، «تاج العروس» (٧/ ١٦٧)، «إيضاح المكنون» (١/ ٤٧٥) و(٢/ ٤٨٩)، «هدية العارفين» (٢/ ٦٠).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: «الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلمين.... وصنف التصانيف الكثيرة.

قال عبد الغافر في «سياق التاريخ»: الأستاذ أبو بكر قبره بالحيرة يستسقى به.

وقال القاضي ابن خلكان فيه: أبو بكر الأصولي، الأديب النحوي الواعظ، درس بالعراق مدة، ثم توجه إلى الري، فسعت به المبتدعة -يعني: الكرامية- فراسله أهل نيسابور، فورد عليهم، وبنوا له مدرسة ودارًا، وظهرت بركته على المتفقهة، وبلغت مصنفاته قريبًا من مائة مصنف، ودعي إلى مدينة غزنة، وجرت له بها مناظرات، وكان شديد الرد على ابن كرام، ثم عاد إلى نيسابور، فَسُمّ في الطريق، فمات

قال ابن عقيل[(١)] **من الحنابلة**: هو ﷺ حيّ في قبره يصلي بأذان وإقامة في أوقات الصلوات.

واعلم أن: الإمام أبا القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري رحمه الله تعالى -وهو من أكابر الأشاعرة- ذكر: أن نسبة الخلاف في هذه المسألة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري زور وبهتان، وإنما وقع بسبب أن بعض الكرامية ألزم بعض أصحاب الأشعري في مسألة: أن الميت هل يُحسّ ويعلم أم لا؟ فقال: إن كان عندكم الميت لا يحس ولا يعلم، فالنبي ﷺ في قبره لا يكون نبيًّا ولا رسولًا.

وهذا الكلام مع ركاكته لا يلزم منه القول بأن رسول الله ﷺ لا تبقى رسالته بعد موته، لأن الأشعري وأصحابه قائلون بأن النبي ﷺ في القبر حيّ يحسّ ويعلم، وتعرض عليه أعمال الأمة، والله تعالى خلق ملائكة سياحين يبلغون إليه [١٩/ ب] الصلاة من أمته، وهو رد عليهم.

ثم لو سلم أن الأشعري قائل بأن الميت مطلقًا لا يحس ولا يعلم، فهذا قول ليس مختصًّا به، بل المعتزلة وكثير ممن عداهم قائلون به، فلا وجه للتشنيع عليه بخصوصه في هذه المسألة.

وفي هذا المقام: مزيد كلام يخرجنا ذكره عن الاختصار فانظره في «الروضة البهية» إن شئت.

ومنها: إيمان المقلد:

فقد روى بعضهم عن الشيخ أبي الحسن الأشعري: إن إيمان المقلد لا يصح.

=

بقرب بُست، ونقل إلى نيسابور، ومشهده بالحيرة يزار، ويستجاب الدعاء عنده.

قلت: كان أشعريًّا، رأسًا في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري.

وقال عبد الغافر: دعا أبو علي الدقاق في مجلسه لطائفة، فقيل: ألا دعوت لابن فورك؟ قال: كيف أدعو له، وكنت البارحة أقسم على الله بإيمانه أن يشفيني؟. قلت: حمل مقيدًا إلى شيراز للعقائد.

ونقل أبو الوليد الباجي أن السلطان محمودًا سأله عن رسول الله ﷺ، فقال: كان رسول الله، وأما اليوم فلا. فأمر بقتله بالسم. وقال ابن حزم: كان يقول: إن روح رسول الله قد بطلت، وتلاشت، وما هي في الجنة».

وقد ذكرت له قائمة بهامش «ديوان الإسلام» ضمت واحدًا وعشرين كتابًا فراجعها في المصدر المشار إليه.

(١) هو: عبدالله بن محمد بن عقيل، أبو محمد الباوردي، الأصبهاني، توفي سنة (٤١٥هـ)، تقريبًا أو ما بعد (٤١٠هـ).

ذكره أبو سعد السمعاني في «الأنساب» (١/ ٢٧٤)، فقال: نزل أصبهان، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال بل ويغلو فيه، حدث عن: أبي بكر أحمد بن سلمان النجاد البغدادي.

روى عنه جماعة، وذكر أبو زكريا يحيى بن أبي عمرو بن منده الحافظ في كتاب «أصبهان»: سمعت عمي أبا القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن منده يقول: كتبت عن عبدالله بن محمد بن عقيل الباوردي جزأين من حديث أحمد بن سلمان، فقال لي يومًا: من لم يكن على مذهب الاعتزال فليس بمسلم. فلما سمعت منه هذا القول مزقت الجزأين وتركت الرواية عنه، وتوفي بعد سنة عشر وأربعمائة.

لكن أنكره ابن هوازن ، وهو الأستاذ أبو القاسم القشيري ، كمسألة الرسالة، وقال:

إن هذه المسألة أيضًا من المفتريات على الشيخ ، ولو ثبت أن هذا النقل عنه صحيح، فخلاف العلماء فيه بين أصحاب النعمان وأصحاب الأشعري راجع إلى اللفظ لا إلى المعنى.

وتحريرها:

أن المقلد إذا تلفظ بكلمة الشهادة من غير استدلال هل يصح إيمانه أم لا؟

نُقل عن أبي حنيفة في «الفقه الأكبر» القول بصحة إيمانه خلافًا للمعتزلة وبعض الأشاعرة، فإنهم يقولون بكفر المقلد.

وقال أبو حنيفة ومعظم أصحابه:

الإيمان : إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وإن لم يعمل بالأركان.

فمن أقر بكلمة الإسلام ولم يعمل شيئًا من الفرائض وشرائع الإسلام فهو مؤمن.

وبه قال مالك والأوزاعي [1].

---

(١) هو: عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، ويقال: عبدالعزيز بن عمرو بن يُحْمَد، أبو عمرو، الأوزاعي، الفقيه، صاحب المذهب، ولد سنة (٨٨هـ) تقريبًا، وتوفي سنة (١٥٧هـ).

عالم مشهور ، صاحب مذهب معتبر ، له أتباع كثيرون، كتبت في سيرته الكتب، وذاع صيته في بلاد الشام، ومن المصادر الكثيرة التي ترجمت له:

«ديوان الإسلام» (ت:٢٣٥)، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٠٧)، «الجرح والتعديل» (١/ ١٨٤)، «تهذيب الكمال» (٨٠٨)، «تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٢٥)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٥٨٠)، «الخلاصة» (٢٣٢)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٤١)، طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٨)، «طبقات خليفة» (٣١٥)، «تاريخ خليفة» (٤٢٨)، «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٢٦)، «التاريخ الصغير» (٢/ ١٢٤)، «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٩٠)، «مشاهير علماء الأمصار» (١٨٠)، «حلية الأولياء» (٦/ ١٣٥)، «وفيان الأعيان» (٣/ ١٢٧)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٧٨)، «العبر» (١/ ٢٢٦)، «البداية والنهاية» (١٠/ ١١٥)، «طبقات الحفاظ» (٧٩)، «هدية العارفين» (١/ ٥١١).

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته: «شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام أبو عمرو الأوزاعي.

كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطًا بها إلى أن مات.

وقيل: كان مولده ببعلبك.

.... وكان مولده في حياة الصحابة.

.... قال محمد بن سعد: الأوزاع بطن من همدان، وهو من أنفسهم، وكان ثقة.

قال: وولد سنة ثمان وثمانين، وكان خيرًا، فاضلًا، مأمونًا كثير العلم والحديث والففه، حجة.

توفي سنة سبع وخمسين ومائة.

وأما البخاري فقال: لم يكن من الأوزاع بل نزل فيهم.

.... قال عبدالرحمن بن مهدي: إنما الناس في زمانهم أربعة: حماد بن زيد بالبصرة، والثوري بالكوفة، =

وأما عامة الفقهاء، وأهل الحـديث، فيقولون: صح إيمانه، لكنه عاصٍ بترك الاستدلال.

قال الفقهاء: لأن الأعراب كانوا يأتون النبي ﷺ ويتلفظون بكلمتي الشهادة، وكان النبي ﷺ يحكم بإسلامهم [٢٠/ أ] من غير أن يسألهم عن المسائل الأصولية، ومن غير أن يكون لهم سابقة بحث وفكر في دلائل الأصول، وذلك محض التقليد.

وذكر **أصحاب الأشعري**: أنه لا يجوز التقليد في الأصول لأننا مأمورون باتباع الرسول ﷺ، وهو مأمور بتحصيل العلم بها؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

ولما تكرر في التنزيل من ذم التقليد بخلاف الفروع؛ لأن المسألة الأصولية قليلة يمكن الإحاطة بها، وتكفي فيها المعرفة إجمالًا، وهو مركوز في الطباع السليمة، وإنما يحتاج إلى نظر لطيف.

كما نقل عن أعرابي، قيل له: بما عرفت الرب؟

قال: البعرة تدل على البعير، وأثر المشي يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا يدلان على الصانع الخبير!!

وقالت المعتزلة:

من لم يعرف كل مسألة بدلالة العقل على وجه يُمَكِّنه دفع الشبهة لا يكون مؤمنًا، لأن العلم المحدث: إما ضروري، وإما كسبي، وهذا الاعتقاد ليس ضروريًّا وهو ظاهر ولا استدلال معه، فلا يكون علمًا.

=

ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام.

قال أحمد بن حنبل: حديث الأوزاعي عن يحيى مضطرب.

الربيع المرادي: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت رجلًا أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي.

قال إبراهيم الحربي: سألت أحمد بن حنبل: ما تقول في مالك؟ قال: حديث صحيح، ورأي ضعيف.

قلت: فالأوزاعي؟ قال: حديث ضعيف، ورأي ضعيف.

قلت: فالشافعي؟ قال: حديث صحيح، ورأي صحيح.

قلت: ففلان؟ قال: لا رأي ولا حديث.

قلت -أي الذهبي-: يريد أن الأوزاعي حديثه ضعيف من كونه يحتج بالمقاطيع وبمراسيل أهل الشام، وفي ذلك ضعيف، لا أن الإمام في نفسه ضعيف».

قلت: وذكرت أسماء كتبه التي وقفت عليها بهامش «ديوان الإسلام» وهي:

١- كتاب السنن (في الفقه).

٢- كتاب المسائل (في الفقه).

قالت الحنفية:

هذا خلاف في من نشأ على شاهق جبل ولم يتفكر في العالم فأخبر بذلك فصدقه، وأما من نشأ في بلاد المسلمين وسبَّح الله تعالى عند رؤية صنائعه فهو خارج عن التقليد.

ولم يكن فيه خلاف بيننا وبين الأشعري، إنما الخلاف بيننا وبين المعتزلة.

وعن بعض الحنفية: أن شرط صحة الإيمان: أن يعرف صحة قول النبي ﷺ بدلالة المعجزة، ثم بعد ذلك لو قبل منه ﷺ حدوث العالم ووحدة الصانع ونحوهما من غير استدلال على ذلك بدليل عقلي [٢٠/ ب] كان كافيًا.

ونقل الأستاذ أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري رحمه الله تعالى:

أن القول بتكفير العوام من مفتريات الكرامية على الأشعري بسبب الاختلاف في تفسير الإيمان فإنهم يقولون:

الإيمان: هو الإقرار المجرد، والإلزام: انسداد طريق التمييز بين المؤمن والكافر؛ لأنه إنما يفرق بينهما بالإقرار. باللسان

وليتهم قالوا: المقر باللسان وحده مؤمن عندنا، بل قالوا: هو مؤمن حقًّا عند الله تعالى.

فالمنافق مؤمن عندهم مع أن الله تعالى سماهم كفارًا، ونفى عنهم الإيمان، حيث قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

وشهد عليهم بالكذب حيث قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

ويقولون: المكره على الكفر كافر، مع أن قلبه مطمئن بالإيمان، ثم يجعلونه من أهل النار، ويجعلون المنافق من أهل الجنة، وفساده ظاهر.

وعن الأشعري:

الإيمان: هو التصديق بالقلب. كما قال به الإمام أبو حنيفة.

والظن بجميع العوام أنهم مصدقون بالقلب، وما ينطوي عليه من العقائد وتطمئن به القلوب فالله أعلم به.

وأما القول بالاستدلال فأمره سهل؛ لأنه لم يشترط أن يستدل على الأصول على الوجه الذي يشترطه المعتزلة، وإنما شرط نوعًا من الاستدلال هو مركوز في الطباع كما مَرّ في حديث الأعرابي.

ولا يلزم تكفير مع أنه نُقل عن بعض أصحاب أبي حنيفة مثله.

وذكر الشهرستاني في نهاية الإقدام:

اختلف جواب الأشعري في معنى التصديق الذي فسر الإيمان به، فقال مرةً: هو المعرفة

[٢١/ أ] بوجود الصانع وصفاته.

ومرةً قال: قول في النفس متضمن للمعرفة، ثم يعبر عن ذلك باللسان، فيسمي الإقرار أيضًا تصديقًا، وكذا العمل بالأركان بحكم دلالة الحال، إذ الإقرار تصديقه بحكم دلالة المقال.

فالمعنى القائم بالنفس هوالأصل المدلول عليه، والإقرار والعمل دليلان.

وقال بعض أصحاب أبي الحسن الأشعري: الإيمان: هو العلم بأن الله ورسوله ﷺ صادقان في جميع ما أخبرا به.

ويعزى هذا إلى أبي الحسن نفسه، ثم القدر الذي يصير به المؤمن مؤمنًا، وهو التكليف العام: أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير له في جميع معاني الألوهية، ولا قسيم له في أفعاله.

وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

فإذا أتى بذلك ولم ينكر شيئًا مما جاء به ونزل عليه، ووافاه الموت على ذلك كان مؤمنًا حقًّا عند الخلق، وعند الله تعالى.

وإن طرأ عليه ما يضاد ذلك والعياذ بالله تعالى حُكم عليه بالكفر.

وإذا اعتقد مذهبًا تلزمه بحكم مذهبه مضادة ركن من هذه الأركان لم نحكم بكفره، بل ينسب إلى الضلالة والبدعة، ويكون حكمه في الآخرة موكولًا إلى الله تعالى.

وكما لا يرضى النبي ﷺ بمجرد القول لم يكلف جميع الخلائق معرفة الله تعالى كما هو حق معرفته، لأن ذلك غير مقدور للعبد.

إذ لا يقدر العبد أن يعلم جميع معلوماته ومراداته ومقدوراته.

وإنما كلفهم بالتوحيد مستند إلى دليل جملي، كما ورد به التنزيل وهو الذي ذهب إليه الأشعري.

فثبت أن القول مظهر والقصد مصدر، وقد يكتفى بالمصدر إذا لم يقدر على الإتيان بالإقرار اللساني، كالأخرس، فالإشارة في حقه تنزل منزلة العبارة في حق الناطق.

إلى أن [٢١/ ب] قاله القشيري رحمه الله، كما في «الروضة»:

اعلم أن العمل ليس من أركان الإيمان، خلافًا للوعد به، وليس ساقطًا بالكلية، حتى لا يضر المؤمن معصية خلافًا للمرجئة، إذ من الأول يلزم انغلاق باب التوبة، والإفضاء إلى الإياس والقنوط، وأن لا يوجد من العالم مؤمن إلا نبي معصوم، وأن لا يطلق اسم المؤمن على أحد إلا بعد استجماع خصال الخير عملًا.

ومن الثاني يلزم انفتاح باب الإباحة فيرتفع معظم التكاليف. انتهى كلام القشيري.

ومن شعره كما قال في «الروضة البهية»:

يا من تقاصر فكري عن أياديه ... فكَلّ كُل لسان من تعاليه
وجوده لم يزل فردًا بلا شبه ... عَلا عن الوقت ماضيه وآتيه
لا دهر يُخْلِقَهُ لا قهر يلحقه ... لا كشف يظهره لا سر يخفيه
لا عد يجمعه لا ضد يمنعه ... لا حد يقطعه لا قطر يحويه
لا كون يحصره لا عون ينصره ... وليس في الوهم معلوم يضاهيه
جلاله أزلي لا زوال له ... وملكه دائم لا شيء يفنيه

انتهى. وهذا الكلام له شبه في المعنى لقول الشريف المقدسي في «مفاتيح الكنوز وحل الرموز»، كما في حاشية المحقق الأمير على الجوهرة:

ظننت جهلًا بأن الله تدركه ... ثواقب الفكر أو تدريه إيقانا
أو العقول أحاطته بديهتها ... وهل أقامت به لولاه برهانا
الله أعظم قدرًا أن يحيط به ... علم وعقل ورأى جل سلطانا
هذا اعتقادي فإن قصرت في عمل ... فأسأل الله توفيقًا وغفرانا

انتهى. وله أيضًا ﷺ إشارة إلى تعجيز الإنسان عن [٢٢/أ] معرفة حقيقة نفسه فكيف يطمع في معرفته كنه ربه قوله:

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قَصِّر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامضًا من دونه ... ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا ... تدري من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات رُكِّبت ... فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها؟ ... هل تراها فترى كيف تحول؟
هذه الأنفاس هل تحصرها؟ ... لا ولا تدري متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم فقل لي يا جهول؟
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري منك أم كيف تبول؟

فإذا كانت طــوايـــاك التــي بين جنبيك كذا فيها ضلـــول
فكيف تدري من على العرش استوى؟ لا تقل: كيف استوى؟ كيف النزول؟

انتهى. وفي هذا المعنى ما أنشد الفخر الرازي [١] عند موته:

نهاية إقــدام العقــول عِقـــال وأكثر سعــي العالمـين ضـــلال
وأرواحنا في وحشة من جسومـنا وحاصـــل دنيانـا أذى ووبـــال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنـــا سوى أنا جمعنا فيه قيل وقالـوا

---

(١) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي ، أبو عبدالله، أبو المعالي، التيمي، البكري، الطبرستاني، الشافعي، الرازي، فخر الدين ، المصنف، القرشي، المشهور بـ: الفخر الرازي.

ولد سنة : (٥٤٤هـ)، وقيل: (٥٤٣هـ)، وتوفي سنة (٦٠٦).

عالم وَعلَم مشهور ، صاحب تصانيف كثيرة وكبيرة ومشهورة، اختلف في حاله، وكتبت في سيرته الكتب، ومن المراجع التي ترجمت له: «ديوان الإسلام» (ت:١٠٠٥)، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٥٠٠)، «الكامل في التاريخ» (١٢/ ١٢٠)، و«تاريخ الحكماء» (٢٩١-٢٩٣)، و«مرآة الزمان» (٨/ ٥٤٢-٥٤٣)، و«التكملة» للمنذري (ت: ١١٢١)، و«ذيل الروضتين» (٦٨)، و«عيون الأنباء» (٣/ ٣٤-٤٥)، و«الجامع المختصر» لابن الساعي: (٩/ ٣٠٦-٣٠٨)، و«تاريخ ابن العبري» (٢٤٠)، و«وفيات الأعيان» (٤/ ٢٤٨-٢٥٢)، و«المختصر» لأبي الفدا (٣/ ١١٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٨/ ١/ ٢٣٢-٢٤٤)، و«دول الإسلام» (٢/ ٨٤)، و«الوافي بالوفيات» (٤/٢٤٨ - ٢٥٩)، و«طبقات السبكي» (٥/ ٣٣-٤٠)، و«البداية» لابن كثير: (١٣/ ٥٥-٥٦)، و«لسان ابن حجر» (٤/ ٤٢٦)، و«النجوم الزاهرة» (٦/ ١٩٧-١٩٨).

وترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» فقال: «فخر الدين، العلامة الكبير، ذو الفنون، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي، البكري، الطبرستاني، الأصولي، المفسر، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين. ولد سنة أربع وأربعين وخمس مائة.

واشتغل على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري، وانتشرت تواليفه في البلاد شرقًا وغربًا، وكان يتوقد ذكاءً، وقد سقت ترجمته على الوجه في (تاريخ الإسلام).

وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر.

مات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة، وله بضع وستون سنة، وقد اعترف في آخر عمره حيث يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٢٠] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر: ٣٥]، وأقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ٤٢]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

قلت: وجمعت بهامش «ديوان الإسلام» قائمة بأسماء كتبه ، ضمنتها على ست وثمانين كتابًا فراجعها هناك.

وكم من رجال قد رأينا ودولة ... فبادوا جميعًا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فماتوا والجبال جبال

انتهى[(١)]. وقال أبو مدين التلمساني[(٢)]:

الله قل وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتادًا بلوغ كمال
فالكل دون الله حقيقته ... عدم على التفصيل والإجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها ... لولاه في محو وفي اضمحلال
[٢٢/ب] من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا ... شيئًا سوى المتكبر المتعالي
ورأوا سواه على الحقيقة هالكًا ... في الحال والماضي والاستقبال

انظر الحاشية المذكورة تظفر بها تريد.

ثم إنه قد عُلم مما سبق: أن الإيمان عند جمهور الأشاعرة والماتريدية وغيرهم هو التصديق

---

(١) لقد أثارت هذه الأبيات من الفخر الرازي في نفسي شجونًا كثيرة، نعم نحن نعيش في غمرة وغفلة في هذه الحياة المادية من حولنا ، ولكنّا لا نعتبر ولا نتعظ حتى نفاجأ بطامة الموت الكبرى تداهمنا وكأننا لم نكن قد مررنا بالحياة، وكأننا لم نسمع عن الموت من قبل ، وكأننا لم تأتنا الرسل ولا النذر ولا الآيات ، وكأننا كنا في نوم عميق ، أفقنا منه على يوم القيامة، فسلم اللهم من هذه الغفلة واجعلنا ممن كتبت لهم حسن الختام.

(٢) هو: شعيب بن حُسين، أبو مدين ، الزاهد، الأندلسي، توفي سنة : (٥٩٠هـ) تقريبًا.
من مصادر ترجمته: ابن الأبار في «التكملة» (٣/ ١٩٩)، الذهبي في «تاريخ الإسلام» (الورقة:١٧٠)، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٢١٩)، وقال في ترجمته: «شيخ أهل المغرب، كان من أهل حصن منتوجت من عمل إشبيلية، جال وساح، واستوطن بجاية مدة، ثم تلمسان.
ذكره الأبار بلا تاريخ وفاة، وقال: كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك.
قال: وتوفي بتلمسان في نحو التسعين وخمسمائة، وكان آخر كلامه: الله الحي، ثم فاضت نفسه.
قال محيي الدين بن العربي: كان أبو مدين سلطان الوارثين، وكان جمال الحفاظ عبد الحق الأزدي قد آخاه ببجاية، فإذا دخل عليه، ويرى ما أيده الله به ظاهرًا وباطنًا، يجد في نفسه حالة سنية لم يكن يجدها قبل حضور مجلس أبي مدين، فيقول عند ذلك: هذا وارث على الحقيقة.
قال محيي الدين: كان أبو مدين يقول: من علامات صدق المريد في بدايته انقطاعه عن الخلق، وفراره، ومن علامات صدق فراره عنهم وجوده للحق، ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق، فأما قول أبي سليمان الداراني: «لو وصلوا ما رجعوا» فليس بمناقض لقول أبي مدين، فإن أبا مدين عنى رجوعهم إلى إرشاد الخلق، والله أعلم».

بالقلب، أي التصديق المعهود شرعًا، وهو تصديق نبينا محمد ﷺ في كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة، والمراد من تصديقه ﷺ قبول ما جاء به من الرضى بترك التكبر والعناد، وبناء الأعمال عليه لا مجرد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان، وقبوله له حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا عالمين بحقيقة نبوته ﷺ، وما جاء به؛ لأنهم لم يكونوا أذعنوا لذلك ولا قبلوه، ولا بنوا الأعمال الصالحة عليه بحيث صار يطلق عليه اسم التسليم كما هو مدلوله الوضعي، لأن حقيقة من آمن به أمنه التكذيب والمخالفة، وجعله في أمن من ذلك. أفاده الشيخ عبدالسلام في «شرح الجوهرة».

وقوله: (في كل ما علم مجيئه به)، كتب عليه المحقق الأمير في الحاشية فقال:

«يشكل ذلك بالنسبة لأبي لهب ونحوه ممن جاء الوحي بأنه لا يؤمن فإنه مكلف قطعًا بتصديقه في خبره، ومن خبره عدم إيمانه، فكيف يمكنه تصديقه في أنه غير مصدق، وهل هذا إلا تناقض، أي تحصيل أنه مؤمن وغير مؤمن.

وإن شئت قلت: إيمانه بأنه لا يؤمن [٢٣/ أ] عين الكفر فيكون مأمورًا بالكفر، وهذا إشكال صعب قديمًا، وللناس فيه أقاويل مختلفة.

فقيل: إن هذا من المستحيل الفرض لسابق العلم والتقدير، وفي ذاته ممكن يقبل الاختيار، فيصح التكليف به، وفيه، إذ هذا يظهر لو التفت في الإشكال لمجرد العلم والتقدير، وإنما مبناه الإخبار بأنه لا يؤمن، والإيمان بذلك، وظاهر أنه لا محيص له عن الإشكال السابق، ولا ينفع في ذلك ما سبق».

وأجاب العلامة أحمد بن موسى الخيالي[1] بما حاصله:

---

(١) هو: أحمد بن موسى ، الخيالي، الرومي، الحنفي، شمس الدين، توفي في حدود سنة (٨٨٦هـ)، وقيل: (٨٧٠هـ)، ترجم له ابن العماد في «شذرات الذهب» (٧/ ٣٤٤)، الشوكاني في «البدر الطالع» (١/ ١٢١)، اللكنوي في «الفوائد البهية» (٤٣)، حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٣٤٧، ١١٤٤، ١١٤٥)، رضا كحالة في «معجم المؤلفين» (٢/ ١٨٧)، وقال: «متكلم، فقيه، أصولي، من تصانيفه:

١- حاشية على منتهى السول.

٢- والأمل في علمي الأصول والجدل.

٣- حاشية على شرح تجريد الكلام.

٤- حاشية على شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية.

٥- وحاشية على شرح العقائد العضدية».

وقال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة (٨٨٦هـ): «وفي حدودها توفي المولى شمس الدين أحمد بن موسى الشهير بالخيالي الحنفي الإمام العلامة، قرأ على أبيه وعلى خضر بك، وهو مدرس بسلطانية برسا، ومهر وبرع وفاق أقرانه، وسلك طريق الصوفية وتلقن الذكر، وله حواش على شرح العقائد النسفية ، تمتحن بها الأذكياء لدقتها ، وحواش على أوائل حاشية التجريد، وشرح لنظم العقائد لأستاذه المولى خضر بك، أجاد فيه كل الإجادة، وغير ذلك من الحواشي والتعاليق رحمه الله تعالى».

إن التصديق بأنه لا يؤمن إنما ينافي علمه بإيمان نفسه، وجاز أن يؤمن ثم يحجب عن العلم بأنه مؤمن فيصدق بعدم إيمانه.

نعم هو خلاف العادة.

ورده: بأنه يلزم التكليف بالمستحيل العادي ولم يقع كحمل جبل.

ثم قال -أعني: الخيالي- ما حاصله: إن نحو أبي لهب يكلف بالإيمان إجمالًا، وإنما تتأتى الاستحالة إذا التفت لخصوص الإخبار بأنه لا يؤمن.

وفيه: أن فرض الإشكال فيما إذا بلغه ذلك الخبر بخصوصه، فما زال باقيًا كما أشار له عبدالحكيم في آخر عبارة الخيالي ما نصه:

وقد يجاب أيضًا بأنه يجوز أن يكون الإيمان في حقه هو التصديق بما عداه، ولا يخفى بعده إذ فيه اختلاف الإيمان بحسب الأشخاص، انتهى.

قلت: أصل نقل هذا الجواب للسعد في «شرح المقاصد»، قال:

وهو في غاية السقوط، وفيه زيادة تشنيع عما في الخيالي وهو الحق، إذ يتضمن ذلك أن تكذيب بعض الوحي ليس بكفر ضرورة صحة الإيمان بدونه، كيف، وكل تكذيب له فهو كفر غير مباح، وإن عموم تصديقه واجب.

ولما عسر التخلص عن هذا الإشكال نقل [٢٣/ب] إمام الحرمين(١) في «الإرشاد».

---

(١) هو: عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن حيويه، أبو المعالي ، الجويني، النيسابوري، الفقيه، شيخ الشافعية، ضياء الدين، المشهور بـ: إمام الحرمين، أو الجويني.
ولد سنة: (٤١٩هـ)، وقيل: (٤١٧هـ)، وتوفي سنة : (٤٧٨هـ). صاحب شهرة كبيرة وصيت ذائع، ومصنفات كبيرة وكثيرة، وترجمت له كتب كثيرة مستقلة تناولت سيرته، وذكرته مراجع كثيرة مترجمة له ترجمة عادية منها: «ديوان الإسلام» (ت:٤٠)، «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٦٨)، «طبقات العبادي» (١١٢)، «دمية القصر» (٢/ ١٠٠٠-١٠٠٢)، «الأنساب» (٣/ ٣٨٦-٣٨٧)، «تبيين كذب المفتري» (٢٧٨-٢٨٥)، «المنتظم» (٩/ ١٨-٢٠)، «معجم البلدان» (٢/ ١٩٣)، «الكامل» (١٠/ ١٤٥)، «اللباب» (١/ ٣١٥)، «ذيل تاريخ بغداد لابن النجار» (٨٥-٩٥)، «وفيات الأعيان» (٣/ ١٦٧-١٧٠)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٩٦-١٩٧)، «دول الإسلام» (٢/ ٨)، «العبر» (٣/ ٢٩١)، «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» (١٧٤-١٧٥)، «تتمة المختصر» (١/ ٥٧٦)، «مرآة الجنان» (٣/ ١٢٣-١٣١)، «طبقات السبكي» (٥/ ١٦٥-٢٢٢)، «طبقات الإسنوي » (١/ ٤٠٩-٤١٢)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٢٨-١٢٩)، «وفيات ابن قنفذ» (٢٥٧-٢٥٨)، «العقد الثمين» (٥/ ٥٠٧-٥٠٨)، «النجوم الزاهرة» (٥/ ١٢١)، «مفتاح السعادة» (٢/ ١١٠-١١١)، «تاريخ الخميس» (٢/ ٣٦٠)، «طبقات ابن هداية الله» (١٧٤-١٧٦)، «كشف الظنون» (٦٨، ٧٠، ٧٥، ٢٤٢، ٨٩٦) و (٢/ ١٠٢٤، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٥٦١، ١٦٤١، ١٧٥٤، ١٩٩٠)، «شذرات الذهب» (٣/ ٣٥٨ - ٣٦٢)، «الفوائد البهية» (٢٤٦)، «روضات الجنات» (٤٦٣ - ٤٦٤)، « إيضاح المكنون» (١ / ٢٨٨)، « هدية العارفين»
=

وذكر الإمام الرازي في «المطالب العالية»: إذ هذا من التكليف بالمحال من الجمع بين النقيضين، وأنه واقع، أفاده السعد في «شرح المقاصد»، صدر المبحث.

انتهى ما كتبه المحقق المذكور في الحاشية هنا.

اعلم: أنه قد سبق أن معرفة الله تعالى حاصلة بأصل الفترة، مركوزة في الطباع، ويؤيده قول المحقق في الحاشية، وفي أوائل «شرح الكبرى» منه، الكلام على هذه القضية- أعني: كل حادث فهو مفتقر إلى محدث- ما نصه:

قال الفخر في «المعالم»: إن العلم به مركوز في فطرة طبع الصبيان، فإنك إذا لطمت وجه الصبي من حيث لا يراك، وقلت له: حصلت هذه اللطمة من غير فاعل ألبتة، لا يصدقك، بل في فطرة البهائم فإن الحمار إذا أحس بصوت الخشبة فزع؛ لأنه تقرر في فطرته: أن حصول

=

(١ / ٦٢٦).

وترجم له الذهبي ترجمة طويلة في «سير أعلام النبلاء» جاء فيها: «إمام الحرمين، الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي، عبد الملك ....

... وفي «فنون» ابن عقيل: قال عميد المُلك: قدم أبو المعالي، فكلم أبا القاسم بن برهان في العباد، هل لهم أفعال؟ فقال أبو المعالي: إن وجدت آية تقتضي ذا فالحجة لك، فتلا: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون:٦٣]. ومد بها صوته، وكرر ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾. وقوله: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:٤٢] أي: كانوا مستطيعين.

فأخذ أبو المعالي يستروح إلى التأويل، فقال: والله إنك بارد، تتأول صريح كلام الله لتصحح بتأويلك كلام الأشعري. وأكله ابن برهان بالحجة، فبهت.

قلت: كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته لا يدري الحديث كما يليق به لا متنًا ولا إسنادًا.

ذكر في كتاب «البرهان» حديث معاذ في القياس فقال: هو مدون في الصحاح، متفق على صحته.

قلت: بل مداره على الحارث بن عمرو، وفيه جهالة، عن رجال من أهل حمص، عن معاذ. فإسناده صالح.

قال المازري في «شرح البرهان» في قوله: «إن الله يعلم الكليات لا الجزئيات»: وددت لو محوتها بدمي.

وقيل: لم يقل بهذه المسألة تصريحًا، بل ألزم بها؛ لأنه قال بمسألة الاسترسال فيما ليس بمتناهٍ من نعيم أهل الجنة، فالله أعلم.

قلت: هذه هفوة اعتزال، هُجر أبو المعالي عليها، وحلف أبو القاسم القشيري لا يكلمه، ونفي بسببها، فجاور وتعبد، وتاب -ولله الحمد- منها، كما أنه في الآخر رجح مذهب السلف في الصفات وأقره. قال الفقيه غانم الموشيلي: سمعت الإمام أبا المعالي يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام».

قلت : جمعت من أسماء كتبه بهامش «ديوان الإسلام» قائمة احتوت على أربعة وعشرين كتابًا، فراجعها فيه.

صوت الخشبة بدون الخشبة محال. اهـ.

وقال قبيل ذلك: وفي «شرح المقاصد» ما نصه:

اتفق أهل على وجود الصانع في الجملة، خلا شرذمة قليلة من جهلة الفلاسفة زعمت أن حدوث العالم أمر اتفاقي بغير فاعل، وهو يدعي البطلان. اهـ.

ومنها: مسألة تعذيب المطيع:

فهل يجوز على الله تعالى أن يعذب العبد المطيع أم لا؟

اتفق الأشعرية والماتريدية على: أنه لا يجوز شرعًا ولا يقع، وإنما الخلاف بين الطائفتين في الجواز العقلي.

فالشيخ الأشعري جوزه عقلًا ولم يجوّزه شرعًا، لما ورد في الخبر الصادق من وعده.

والإمام أبو حنيفة لم يجوّزه مطلقًا لا عقلًا ولا شرعًا، إذ نُقل عنه: أنه لا يجوز في بداهة العقول تعذيب المطيعين.

قال الأشعري: ولو وقع تعذيب المطيع لم يكن [٢٤/ أ] ذلك منه ظلمًا ولا عدوانًا – أي: تعديًا–؛ لأنه تعالى متصرف في ملكه بالتعذيب وتركه، فله ما يختار منها ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ويحكم ما يريد، لكنه جَادَ في حق العباد بالإحسان – أي: بأن أحسن إليهم بترك العقاب، والجود: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، لا لغرض ولا لعرض.

واعلم: أن الخطب في هذه المسألة هين، لأن الكل متفقون على عدم وقوع تعذيب المطيع. لكن الاختلاف في المدرك، فالمدرك عند النعمان: العقل والشرع.

وعند الأشعري: هو الشرع فقط، إذ لا خلف في وعده؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ﴾ [النساء:١٤٧].

وهذا على تقدير صحة النقل، فإن الشيخ أبا القاسم القشيري رحمه الله تعالى ذكر: أن القول بجواز تعذيب المطيع مما افتري على الأشعري، ولبَّس على العوام لأجل التشنيع بأنه قائل بأن الله تعالى لا يجازي المطيعين على إيمانهم وطاعتهم، ولا يعذب الكفار والعصاة على كفرهم ومعاصيهم.

هكذا شنعوا، وإنما الخلاف: في أن المعتزلة ومن سلك سبيلهم في التعديل والتجويز زعموا: أنه يجب على الله تعالى: أن يثيب المطيعين ويعذب العاصين.

وقال أهل السنة: إن الله تعالى لا يجب عليه شيء، وله أن يتصرف في عباده بما شاء، ومما يرد به على مذهب المعتزلة المبني على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين: ما يفعل الله تعالى من إيلام البهائم، والأطفال، والمجانين، والعقلاء ابتداءً.

فإن أهل السنة يقولون: إنه ليس بقبيح بل هو عدل في حكمته، وصواب في تدبيره، لأنه متصرف في ملكه، وليس لأحد أن يعترض عليه.

وربما يكون الإيلام تخليصًا من ضر أعظم، أو إيصال [٢٤/ ب] إلى نفع أعظم.

وأيضًا قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

فأخبر أن أحدًا لا يملك من الله شيئًا، ولا اعتراض لأحد عليه فيما يملك. انتهى من «الروضة البهية» باختصار.

ولما مثل الشيخ عبدالسلام للجائز النظري بقوله: «كتعذيب المطيع وإثابة العاصي» كتب المحقق الأمير على قوله: (كتعذيب المطيع): ولو نبيًّا؛ لأن الكلام في مجرد حكم العقل، ولا حرج على الله؛ لأن كل ما صدر منه فضل وعدل في مملوكه، وليس ثَمَّ من له استعلاء عليه حتى يُسأل عما يفعل.

ولسيدي محمد وفا [(١)] ﷺ:

وعناية سمعت الله في سري يقول: أنا في الملك وحـــدي لا أزول

وحيث الكـــل عنـــي لا قبيح وقبيح القبح من حيثي جميـــل

فانقسام الفعل إلى حسن وقبيح إنما هو من حيث ظهوره على يد الأغيار، لكن لا ينبغي التمشدق في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل بقدر ضرورة التعليم.

---

(١) هو: محمد بن محمد بن محمد، السكندري، الشاذلي، الصوفي، المالكي، المغربي، المعروف بـ: محمد وفا.
ولد سنة: (٧٠٢هـ)، والمتوفى سنة: (٧٦٥هـ)، جاء ذكره في عدد من المصادر والتي منها:
«الأعلام» (٧/ ٢٦٧)، «جامع الكرامات» (١٠٤)، «كشف الظنون» (٦١٩، وغير ذلك كثير)، «إيضاح المكنون» (١/ ٢١٩، وغير ذلك كثير)، «هدية العارفين» (٢/ ١٦١)، «معجم المؤلفين» (١١/ ٢٧٩)، وقال في ترجمته: «محمد وفا (٧٠٢ - ٧٦٥ هـ) (١٣٠٢ - ١٣٦٣م) محمد بن محمد بن محمد السكندري، المعروف بمحمد وفا الشاذلي.
صوفي، ناظم، من أهل الطرق، مغربي الأصل، مالكي المذهب، رأس الوفائية ووالدهم، بمصر ولد، ونشأ بالإسكندرية، وسلك طريق الشيخ أبي الحسن الشاذلي، ورحل إلى أخميم، فتزوج واشتهر بها وصار له مريدون وأتباع، وانتقل إلى القاهرة، فسكن الروضة على شاطئ النيل وكثر أصحابه، وأقبل عليه أعيان الدولة، وتوفي بها في ١١ ربيع الأول، ودفن بالقرافة.
من آثاره: ديوان شعر، نفائس العرفان من أنفاس الرحمن، تأصيل الزمان وتفصيل الأكوان، شعائر العرفان في ألواح الكتمان، والأزل».

وكتب على قوله: (وإثابة العاصي)، فقال: ولو كافرًا، خلافًا للمعتزلة على قاعدتهم في التقبيح العقلي، استقبحوا غفران الكفر.

والمراد بالإثابة محض التفضل لا المعرفة بما كان في نظير العمل، بل ولا مانع عقلًا من كونه في نظير العصيان للغني المطلق عن الطاعة وغيرها، فاستوت النسبة العقلية الذاتية، فلو جعل سبحانه وتعالى الكفر علامة على الجنة ما كان لأحد عليه سبيل.

أو الإيمان علامة على النار، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨]، اهـ.

واعلم: أن الآية المتقدمة في كلام «الروضة» وهي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] واردة في حق النصارى لعنهم الله تعالى، فإنهم قالوا ذلك بناءً منهم على فهمهم الفاسد، ومعتقدهم الكاسد من الحلول والاتحاد، كما سيأتي بيانه.

قال في «الجوهر» ووالد من يقول:

قيامه بالنفس وحدانية ... منزهة أوصافه سنية

عن ضد أو شبه شريك مطلقًا ... ووالد كذا الولد والأصدقا

أي: أنه تعالى منزه عن الوالد فليس عيسى إلهًا؛ لأنه له والد وهو مريم، قال تعالى: ﴿يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وهو من لطيف الكنايات؛ لأن الطعام يلزمه قضاء الحاجة المعلومة التي يتعالى عنها مقام الألوهية.

وفرّ عيسى من تعظيم الخلق له فزاد وافيه بدعوى الألوهية، كما أفاده العلامة الأمير في حاشيته نقلًا عن شيخه الإمام العدوي ﷺ، ثم قال: «ورأيت لابن عطاء الله [(١)]: إنما لم يقل

(١) هو: أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله، أبو الفضل وأبو العباس، تاج الدين، السكندري، المالكي، الجذامي، الشاذلي، الصوفي، المعروف بابن عطاء الله السكندري. توفي سنة (٧٠٩هـ).
من مشاهير الصوفية بمصر وغيرها، كتبت في سيرته الكتب، وترجمت له كثير من المصادر التي منها: «معجم المؤلفين» (٢/ ١٢١)، «شذرات الذهب» (٦/ ١٩)، «التذكرة» (٢/ ٥٨)، «كتاب التراجم» (٢/ ١٨)، «الدرر الكامنة» (١/ ٢٧٣)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ١٧٦)، «لواقح الأنوار» (٢/ ٢٧)، «الديباج المذهب» (٧٠)، «جامع كرامات الأولياء» (٩٧)، «كشف الظنون» (٥٠٢)، «إيضاح المكنون» (١/ ٩٣)، «كنز البراهين» (٣٣).
قال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنت تسع وسبعمائة: «وفيها: تاج الدين أبو الفضل، أحمد ابن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله الإسكندري، المالكي، الشاذلي.
قال ابن حجر في «الدرر الكامنة»: صحب الشيخ أبا العباس المرسي، صاحب الشاذلي، وصنف مناقبه، ومناقب شيخه، وكان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، وهو ممن قام على الشيخ تقي الدين بن تيمية، =

عيسى: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم؛ لئلا يكون شائبة شفاعة لهم، فعدل إلى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، وكما تنزه الله سبحانه وتعالى عن الوالد، تنزه أيضًا عن الولد، فليس عيسى ولد الله، كما زعم النصارى، بل كمثل آدم خلقه بلا أب، بل آدم أغرب».

قال العلَّامة: ومعنى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] ناشئ عنه خلقًا نظير ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

وكان عيسى ﷺ معجزاته كإحياء الموتى، فكان يرشدهم إلى أن هذه الأفعال لا تأثير له فيها [٢٥/ب] وإنما مؤثرها الله تعالى، بعبارات مختلفة، فضلوا وفهموا الحلول والاتحاد، وإن صح ما زعموا أنه قال: أبي، فيجوز أن معناه: يفعل بي ما يفعل الأب بابنه من التربية؛ لأنه لا أب له من الخلق، أي ربي.

قال شمس الدين السمرقندي[(١)] في الصحائف: «يجوز أن الله تعالى سماه ابنًا تشريفًا، كما

=

فبالغ في ذلك، وكان يتكلم على الناس، وله في ذلك تصانيف عديدة.

قال الذهبي: كانت له جلالة عظيمة، ووقعٌ في النفوس ومشاركة في الفضائل، وكان يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفوس، ومزج كلام القوم بآثار السلف، وفنون العلم، فكثر أتباعه، وكانت عليه سيما الخير، ويقال: إن ثلاثة قصدوا مجلسه، فقال أحدهم: لو سلمت من العائلة لتجردت. وقال الآخر: أنا أصلي وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرة. وقال الثالث: أنا صلاتي ما ترضيني فكيف ترضي ربي؟ فلما حضروا في مجلسه قال في أثناء كلامه: ومن الناس من يقول: فأعاد كلامهم بعينه.

وقال الكمال جعفر: سمع من الأبرقوهي، وقرأ النحو على الماروني، وشارك في الفقه والأدب، وصحب المرسي، وتكلم على الناس، وكثر أتباعه.

وقال ابن الأهدل: الشيخ العارف بالله، شيخ الطريقين، وإمام الفرقتين، كان فقيهًا عالمًا ينكر على الصوفية، ثم جذبته العناية، فصحب شيخ الشيوخ المرسي، وفتح عليه على يديه، والذي جرى له مذكور في كتاب «لطائف المنن».

وله عدة تصانيف منها: «الحِكَم» وكلها مشتملة على أسرار ومعارف، وحكم ولطائف، نثرًا ونظمًا.

وما أحسن قوله في شيخه في بعض قصائده:

كم من قلوب قد أميتت بالهوى أحيا بها من بعد ما أحياها

وكان شيخه يستعيد منه هذا البيت.

ومن طالع كتبه عرف فضله، توفي رحمه الله بمصر في نصف جمادى الآخرة، ودفن بالقرافة، وقبره مشهور يزار».

(١) هو: محمد بن أشرف، الحسيني، السمرقندي، شمس الدين، توفي سنة (٦٠٠هـ) تقريبًا.

جاء ذكره في: فهرس مخطوطات المنطق بالظاهرية، «كشف الظنون» (٣٩، ١٠٥)، «تراث العرب العلمي» (٣٧٧)، «هدية العارفين» (٢/ ١٠٦)، «تاريخ الأدب العربي» (١/ ٤٦٨)، «معجم المؤلفين» (٩/ ٦٣)، وقال فيه: «عالم بالمنطق والفلك والهندسة وغير ذلك. توفي في حدود سنة (٦٠٠ هـ).

=

سمى إبراهيم خليلًا تشريفًا، ولأن من كان متوجهًا إلى شيء مقيمًا عليه يقال له: ابنه، كما يقال: أبناء الدنيا، وأبناء السبيل، فجاز أن يكون تسمية عيسى بالابن لتوجهه في أكثر الأحوال شطر الحق، واستغراقه في أغلب الأوقات في جناب القدس، ولفظ الإنجيل المتداول عندهم المنقول إلى العربية على فرض صحته وعدم تحريفه والتغيير هكذا في الإصحاح الرابع عشر: «يا فيلنقوس من يراني ويعاينني فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت: أرنا الأب، ولا تؤمن أني بأبي وأبي بي، وأن الكلام الذي أتكلم به ليس من قِبل نفسي بل من قِبل أبي الحال فيّ، هو الذي يعمل هذه الأعمال الذي أعمل آمن وصَدِّق أني بأبي وأبي بي».

قال السمرقندي: يمكن أن المراد بالحلول والاتحاد في بيان طريق الحق وإظهار كلمته كما يقال: أنا وفلان واحد في هذا القول.

وجاز أن يكون المعنى من الحلول حلول آثار صنع الله في إحياء الموتى وإبراء المرضى.

ومما يؤيد ذلك: أنه جاء في الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا حيث دعا الحواريين: «هكذا وكما أنت يا أبي بي، وأنا بك، فليكونوا هم أيضًا نفسًا واحدة، فيؤمن أهل العلم بأنك أرسلتني، وأنا فقد استودعتهم المجد الذي مجدتني به، ودفعته [٢٦/ أ] إليهم ليكونوا على الإيمان واحدًا كما أنا وأنت أيضًا واحد، وكما أنت حال في كذلك أنا حال فيهم».

هذا لفظ الإنجيل، فقد صرح بمعنى الاتحاد والحلول في «شرح كبيري السنوسي» أنه قال: «أبي وأبيكم»، فدل على المراد، وإلّا لكانوا هم أيضًا أولاد الله، وإنما المراد أن الأب العادي غير مؤثر، وأن الكل خلق الله على حد سواء.

ومَرّ بي في بعض كتب الرهبان الذين أسلموا: «إنه لما وقعت المعاداة بين اليهود والنصارى قال بعض كبار اليهود: لا بد من إضلالهم عن الحق، فتنصر حتى صار من كبارهم، وأوصى جماعات بعقائد فاسدة، وأخبرهم أن المسيح اجتمع به وأمره بذلك، وأنه يدعو الناس إليه، وأنه ذاهب إلى المسيح في غد فليكونوا خلفاءه، ثم أصبح قتل نفسه، فظهر كل بما عنده واختل أمرهم من يومئذ».

وفي العكاري[1] على «شرح الكبرى»، ينسب إلى الفخر:

=

من تصانيفه: رسالة في آداب البحث والمناظرة، أشكال التأسيس في الهندسة، الصحائف الإلهية، القسطاط، وكتاب عيني النظر في المنطق».

(١) هو: رمضان بن عبدالحق، الحنفي، المعروف بـ: العكاري.
ولد سنة: (٩٨٤هـ)، وتوفي سنة: (١٠٥٦هـ).
جاء ذكره في «معجم المؤلفين» (٤/ ١٧٢)، «هدية العارفين» (١/ ٣٧٠)، «فهرست الخديوية» (٢/ ١٩)،
=

عجبًا للمسيح بين النصارى ... وإلى الله ولدًا نسبوه
سلموه إلى اليهود وقالوا: ... إنهم بعد قتله صلبوه
فإذا كان ما يقولون حقًّا ... فسلوهم أين كان أبوه
فإذا كان راضيًا بأذاهم ... فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإذا كان ساخطًا بقضاهم ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه

انتهى.

وسيأتي لنا مزيد في الرد عليهم إن شاء الله تعالى.

ومنها: التكليف بما لا يطاق:

فقد قال أصحاب أبي حنيفة: لا يجوز تكليف ما لا يطاق، وجوزه الأشعري.

وتحرير المسألة: أن يقال: هل يجوز على الله أن يكلف عباده بما لا يريد وجوده منهم [٢٦/ ب] لكونه محالًا لذاته؟

قالت الحنفية: لا يجوز خلافًا للأشعرية، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وبأن تكليف العاجز خارج عن الحكمة كتكليف الأعمى بالنظر، والزَّمِن بالمشي، فلا ينسب إلى الحكيم.

وبأن التكليف إلزام ما فيه كلفة للفاعل ابتلاءً بحيث لو أتى به يثاب، ولو امتنع يعاقب عليه.

وهذا إنما يتصور فيما يصح وجوده منه، لا فيما يستحيل.

وبأنه لو صح التكليف بالمستحيل لكان يستدعي الحصول واستدعاء حصول الشيء فرع من تصوره، لكن المستحيل غير متصور، أي ليس له ماهية معقولة، غاية ما في الباب أنه يعقل باعتبار من الاعتبارات على سبيل التشبيه، كما يقال: تعقلنا بين السواد والحلاوة أمرًا هو الاجتماع.

=

«الأعلام» (٣/ ٦٠).

وقال عمر كحالة في كتابه «معجم المؤلفين»: «رمضان بن عبد الحق الحنفي، المعروف بـ: العكاري. فقيه، متكلم، من أهل دمشق، توفي في (١٥) ربيع الثاني.

له حاشية على «شرح العقائد» للسنوسي، وله نظم».

وقد يقال: مثل هذا لا يمكن أن يحصل بين السواد والبياض.

والجواب عن الآية: بأنها إنما تدل على عدم الوقوع، أي: لا يقع من الله تعالى التكليف بالمحال، والنزاع في الجواز لا في الوقوع.

وعن الثاني: بأنه مبني على قاعدة التحسين والتقبيح.

وعن الباقيين: بأنهما مبنيان على أن التكليف لغرض الإتيان، لكن أفعاله تعالى غير معللة بالأغراض.

واستدلت الأشاعرة بأنه لو امتنع التكليف بالمحال لكان الامتناع؛ لأنه لا يتصور وقوعه، والغرض من التكليف الإتيان بالمكلف به، وإذا انتفى الغرض انتفى التكليف به، لكن أفعاله تعالى غير معللة بالأغراض، فجائز التكليف بالمحال إذ ليس الغرض هو الإتيان به، وفائدته حينئذ: الإعلام بأنه سيعذب، أو [٢٧/ أ] الابتلاء أو الإخبار بقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. من المكلف

فلو لم يكن التكليف بما لا يطاق جائزًا لما صحت الاستعاذة.

وأجيب عن هذه الآية: بأن الاستعاذة من التحميل لا من التكليف، إذ جاز أن يحمل أحدًا بحيث لا يطيق فيموت بحمله، لكن لا يجوز أن يكلفه حمل جبل بحيث إذا فعل أثابه وإلّا عاقبه.

وبقوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة: ٣١] مع علمه تعالى بأنهم لا يعلمون.

وبقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود:٢٠]، و﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف:١٠١]؛ لأنه أريد بالسمع: القبول والإجابة، إذ لا شك في أنهم كانوا يسمعون مثل ما يسمع المؤمنون..

وبأنه تعالى أمر فرعون بالإيمان مع علمه بعدم إيمانه.

وبأنه تعالى أمر أبا جهل بالإيمان بجميع ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ.

ومن جملته: أنه لا يؤمن، حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦].

فيكون مأمورًا بالجمع بين الإيمان والكفر.

وأجيب عن الآية: بأن ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ خطاب تعجيز، لا خطاب تكليف.

وعن الاستدلال الثاني والثالث: بأن القبول من الكفار، وإيمان فرعون ممكن في نفسه، وإذ امتنع لغيره وهو تعلق علم الله تعالى بعدمه.

وعن الرابع: بأنه لا يلزم من تكليفه بالتصديق بالإيمان تكليفه بعدم الإيمان بجميع ما أنزل على محمد ﷺ إيمانًا إجماليًا، أي: يعتقد على سبيل الإجمال، إن كان خبر من أخباره تعالى صدق،

ويلزم منه التكليف بتصديق هذا الخبر تصديقًا إجماليًّا، وهو لا يستلزم التكليف بالمحال لذاته، إنما المستلزم له هو [٢٧/ ب] التكليف بالتصديق التفصيلي.

ويمكن أيضًا أن يقال لعدم اعتبارات:

إحداهما: كونه أنزل على محمد ﷺ وهو مأمور بالإيمان بما أنزل.

وثانيها: كونه منافٍ للإيمان وهو خصوصية هذا الخبر.

وبهذا الاعتبار غير مأمور بالإيمان به.

وقرر بعض الفضلاء جوابه بوجه آخر وهو:

أنَّا لا نسلم أنه أمر أبا لهب بالإيمان بجميع ما أنزل بعدما أنزل أنه لا يؤمن؛ لأنه بعدما أنزل أنه لا يؤمن جاز أن يوضع التكليف بجميع ما أنزل، فلم يلزم الجمع بين النقيضين.

وفيه نظر؛ لأنه لا يلزم أن يكون الخبر ناسخًا للأمر، وأنه محال.

وقرره بعضهم بوجه آخر وهو: أن أبا لهب ما كان مأمورًا بجميع ما أنزل بل بما يتعلق بالتوحيد والرسالة.

وفيه أيضًا نظر؛ لأنه كان مأمورًا بتصديق الرسول ﷺ في كل ما علم مجيئه به ضرورة، لأن الإيمان عبارة عن ذلك.

نعم، يتجه أن يقال كما في «الروضة»: لا نسلم أن عدم إيمانه مما علم مجيئه به ضرورة، انتهى.

وهذا هو الذي يثلج له الخاطر، وينشرح له الصدر، وكان كثيرًا ما يلوح بذهني ويحيك في صدري هذا الكلام، وبه يحصل التقصي عن هذا الإشكال الصعب الخطر، ولله الحمد.

وقد قدمنا عنه جملة من الأجوبة التي ذكرها العلّامة الأمير المحقق في الحاشية، فراجعه إن شئت.

وإلى عدم التكليف بالمحال: ذهبت من أصحاب الأشعري طائفة من المتقدمين، كالشيخ أبي محمد الإسفرائيني[1] من الشافعية، وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي.

---

(١) هو: الحسن بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أزهر، أبو محمد، الأزهري، الإسفرائيني.
توفي سنة (٣٤٦هـ)، في شعبان، جاءت ترجمته في:
«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٣٥) و(١٦/ ٥٠)، «الأنساب» (١/ ٢٠٥)، «العبر» (٢/ ٢٧١)، «الوافي بالوفيات» (١٢/ ٢٦٥)، «شذرات الذهب» (٢/ ٣٧٢).
قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته في الموضع الأول: «الإمام الحافظ المجود، أبو محمد، الحسن ابن محمد بن إسحاق، بن إبراهيم الأزهري الإسفرائيني.
رحل به خاله الحافظ أبو عوانة.
=

ومن المتأخرين منهم: شيخ الإسلام تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد القوصي[(١)]

=

وسمع من: أبي بكر بن رجاء، ومحمد بن أيوب بن الضريس، وأبي مسلم الكجي، وأحمد بن سهل، وأبي خليفة الجمحي، ويوسف بن يعقوب القاضي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأقرانهم.

روى عنه: الحاكم - فقال: كان محدث عصره، ومن أجود الناس أصولًا -، وعبد الرحمن بن محمد بالويه، وعلي بن محمد بن علي الإسفرائيني، وولده أبو نعيم عبدالملك الأزهري، وآخرون.

قال الحاكم: توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

قلت: حديثه كثير في تواليف البيهقي من جهة علي بن محمد بن علي المقرئ عنه».

(١) هو: محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي طاعة، أبو الفتح، القشيري، المنفلوطي، القوصي، المصري، الشافعي، المالكي، تقي الدين، المشهور بـ: ابن دقيق العيد.

ولد سنة: (٦٢٥هـ) في شعبان، وتوفي سنة: (٧٠٢هـ) في (١١) صفر.

شيخ مشهور وعلم معلوم كتبت في سيرته الكتب، وترجمت له كثير من المراجع التي منها: «ديوان الإسلام» (٩٥٧)، «الأعلام» (٦/ ٢٨٣)، «معجم المؤلفين» (١١/ ٧٠)، «إيضاح المكنون» (١/ ٥٤)، «كشف الظنون» (١٣٥، وغير ذلك)، «شذرات الذهب» (٦/ ١٥)، «مرآة الجنان» (٤/ ٢٣٦)، «النجوم الزاهرة» (٨/ ٢٠٦)، «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٧)، «الدرر الكامنة» (٤/ ٩١)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٢٩)، «الطالع السعيد» (٣٣٣)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٢٦٢)، «مفتاح السعادة» (٢/ ٢١٩)، «الديباج المذهب» (٣٢٤)، «الوافي بالوفيات» (٤/ ١٩٣)، «فوات الوفيات» (٢/ ٢٤٤)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٦/ ٢)، «طبقات الشافعية» للإسنوي (ت: ٨٥٠).

قال ابن العماد في «شذرات الذهب»، في وفيات سنة اثنتين وسبعمائة فقال: وفيها : شيخ الإسلام، تقي الدين ، أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب... ابن دقيق العيد، ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة، وتفقه على والده بقوص، وكان والده مالكي المذهب، ثم تفقه على الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، فحقق المذهبين، وأفتى فيهما. وسمع الحديث من جماعة، وولي القضاء بالديار المصرية، ودرّس بالشافعي، ودار الحديث الكاملية وغيرهما.

وصنف التصانيف المشهورة، منها: «الإلمام» في الحديث، وشرحه وسماه: «الإمام»، و«الاقتراح» في أصول الدين وعلوم الحديث، و«شرح مختصر ابن الحاجب» في فقه المالكية ولم يكمله، و«شرح عمدة الأحكام» للحافظ عبدالغني، وله غير ذلك.

وكان يقول: ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلًا إلّا أعددت له جوابًا بين يدي الله تعالى.

ويحكى أن ابن عبدالسلام كان يقول: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن منير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص.

وقال الذهبي في «معجمه»: قاضي القضاة بالديار المصرية وشيخها وعالمها، الإمام، العلامة، الحافظ، القدوة، الورع، شيخ العصر، كان علّامة في المذهبين، عارفًا بالحديث وفنونه، سارت بمصنفاته الركبان، وولي القضاء ثمان سنين، وبسط السبكي ترجمته في «الطبقات الكبرى»، قال: ولم ندرك أحدًا من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة.

وقال ابن كثير في «طبقاته»: أحد علماء وقته، بل أجلّهم وأكثرهم علمًا ودينًا وورعًا وتقشفًا، ومداومة على العلم في ليله ونهاره مع كبر السن والشغل بالحكم، وله التصانيف المشهورة، والعلوم المذكورة، برع

=

بلدًا كما تقدم.

[٢٨/أ] والغرض من هذا: تعيين أن الخلاف في هذه المسألة على تقدير صحة قول الأشعري به لا يلزم منه بدعة ولا كفر، ولا أن يقال: إن هؤلاء الأئمة الكبار كيف خالفوا الأشعري مع أنه إمامهم وهم لا يبدعونه بذلك.

واعلم: أن قدرة الله سبحانه وتعالى لا تتعلق إلا بالممكن فقط، فلا تتعلق بواجب ولا بمستحيل عقلًا كما هو مقرر في كتب علم الكلام.

قال المحقق الأمير: وما في «يواقيت الشعراني» آخر الكلام على الاسم: القادر: عن ابن عربي(١) أنه تعالى يقدر على خلق المحال عقلًا. هكذا نص.

=

في علوم كثيرة، لا سيما في علم الحديث، فاق فيه على أقرانه وبرز على أهل زمانه، رحلت إليه الطلبة من الآفاق، ووقع على علمه وورعه وزهده الاتفاق.

قال الإسنوي: له خطب بليغة أنشأها لما كان خطيبًا بقوص، وله شعر بليغ، فمنه:

تمنيت أن الشيب عاجـــل لمتي وقرب مني في صباي مـــزاره

لآخذ من عصر الشباب نشاطه وآخذ من عصر المشيب وقاره

قلت: وجمعت له في «ديوان الإسلام» قائمة بأسماء كتبه فبلغت ثمانية عشر كتابًا.

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن العربي، أبو عبدالله، الطائي، الحاتمي، المرسي، الصوفي، محيي الدين، المشهور بـ: محيي الدين بن عربي. ولد سنة (٥٦٠هـ)، وتوفي سنة (٦٣٨هـ).

عالم مشهور، تغني شهرته عن ترجمته، فقد ألفت في سيرته الكتب المتناقضة بين مادحة له وذامة، وترجمت له الكثير من المراجع التي منها: «ديوان الإسلام» (١٥٤٤)، «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٤٨)، «هدية العارفين» (٢/ ١١٤)، «الأعلام» (٦/ ٢٨١)، «معجم المؤلفين» (١١/ ٤٠)، «كشف الظنون» (١٤، وغير ذلك كثير)، «إيضاح المكنون» (١/ ٧٣، وغير ذلك)، «التكملة لوفيات النقلة» (ت:٢٩٧٢)، «طبقات الأولياء» (٤٦٩)، «العقد الثمين» (٢/ ١٦٠)، «نفح الطيب» (٧/ ٩٠)، «فوات الوفيات» (٢٤١)، «لسان الميزان» (٥/ ٣١١)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٠٨)، «شذرات الذهب» (٥/ ١٩٠)، «روضات الجنات» (٥/ ١٩٠)، «فهرس الفهارس» (١/ ٢٣٣).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته: «العلّامة صاحب التواليف الكثيرة محيي الدين أبو بكر... ابن العربي، نزيل دمشق. ذكر أنه سمع من ابن بشكوال، وابن صاف، وسمع بمكة من زاهر بن رستم، وبدمشق من ابن الحرستاني، وببغداد، وسكن الروم مدة، وكان ذكيًّا كثير العلم، وكتبت الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد، وتفرد، وتعبد، وتوجد، وسافر، وتجرد، وأتهم وأنجد، وعمل الخلوات وعلق شيئًا كثيرًا في تصوف أهل الوحدة، ومن أردأ تواليف كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله.

وقد عَظَّمهُ جماعة، وتكلّفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات.

وقد حكى العلامة ابن دقيق العيد شيخنا أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبدالسلام يقول: ابن عربي: شيخ سوء كذاب، يقول بِقِدَم العالم، ولا يُحَرّم فرجًا.

=

وأن ابن عربي دخل الأرض المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم، فرأى فيها ذلك بعينه، كلام لا يجوز اعتقاد ظاهره، وينزه الشيخ إن لم يكن هذا مدسوسًا عليه في الكتاب عن إرادة ظاهرة؟!، بل أراد معنى صحيحًا، وإن لم نعلمه، فإنه أُعطي خلعة ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦].

على أنهم نصوا على أن الكشف يقبل الغلط، كالرجل الذي التبست عليه البصيرة بالبصر، فقال: رأيت ربي.

وكفاك ما في «الصحيح» في حديث: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] من تغليظهم في الكشف الأول حتى يقولوا: لست ربنا.

وقد اعترض له الشيخ أوائل «الفتوحات» على أن الشعراني نقل عنه أوائل المبحث السادس: أن لكل أحد غطاء ينكشف عند لقاء الله، فيمكن أن هذه المسألة من باب المتكلم يدخل في عموم كلامه، فما رددنا نحن عليه بل كلامه نفعنا الله بتراب أقدامه.

وتكلم أيضًا بعد ذلك في السادس على غلط العاشق في قوله: «أنا من أهوى، ومن أهوى أنا»، قال فيه: ولا سبيل لقلب الحقائق [٢٨/ب] أبدًا، وإلّا لما وثق أحد بعلم. ومواضع كثيرة في كلامه تفيد ما قلناه.

وقد سكت الشعراني أدبًا، واكتفى بما قاله في الخطبة من التبري عن كل ما خالف الشرع والقواطع، ونقل أن ذلك من مدسوس على الشيخ عن تعقب المسألة السابقة.

وكذا الغنيمي[(١)] على «الصغرى»: لما نقلها اشتهرت، وأمثالها على ألسنة بعض الناس

=

قلت: إن كان محيي الدين رجع عن مقالاته قبل الموت فقد فاز، وما ذلك على الله بعزيز.

توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وله شعر رائق، وعلم واسع، وذهن وقاد، ولا ريب أن كثيرًا من عباراته له تأويل، إلا كتاب «الفصوص».

وقرأت بخط ابن رافع: أنه رأى بخط فتح الدين اليعمري أنه سمع ابن دقيق العيد يقول: سمعت الشيخ عز الدين وجرى ذكر ابن العربي الطائي فقال: هو شيخ سوء، مقبوح، كذاب».

قلت: وجمعت له قائمة بأسماء كتبه بهامش ديوان الإسلام، تضمنت خمسون وأربعمائة كتاب.

(١) هو: أحمد بن محمد بن علي، الغنيمي، الأنصاري، الخزرجي، المصري، الحنفي، شهاب الدين.

ولد سنة: (٩٦٤هـ)، وتوفي سنة: (١٠٤٤هـ) في رجب.

ذكره الأستاذ عمر كحالة في «معجم المؤلفين» (٢/ ١٣٢) فقال: «نحوي، متكلم. توفي في رجب سنة (١٠٤٤ هـ) عن نحو ثمانين سنة. من مؤلفاته: «ابتهاج الصدور في بيان كيفية الإضافة والتثنية والجمع للمنقوص والممدود والمقصور»، «إرشاد الطلاب إلى لفظ لباب الإعراب»، «إرشاد الإخوان إلى الفرق بين القدم بالذات والقدم بالزمان»، «بهجة الناظرين في محاسن أم البراهين» للسنوسي في التوحيد. ورسالة في جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه» اهـ. ثم ذكر مصادر ترجمته فقال: «(خ) العظم:

=

خصوصًا من ينتمي للحقيقة. ولكن احفظ رأس مالك، وإياك والتفريط والإفراط، فكلاهما ليس من الأدب، والله هو الحسب.

وأخبرني شيخنا الدردير[(١)] **نقلًا عن الشمس الحنفي**: أن تلك الأرض هي مدينة سعدايا، وأنها إنما تدخل بالأرواح.

قال: وقواطع العقل إنما تحكم على ما في العالم الجسماني، أما الروحاني فخارج عن طور العقل، فتأمله. انتهى المراد منه.

ومنها: غير ذلك، كما يعلم بالوقوف على كتب هذا الفن، كما قدمنا، والله أعلم.

الثالث من التنبيهات:

في مسألة الاسم والمسمى

هل الاسم هو عين المسمى أو غيره؟

وقع الخلاف بين أصحاب الأشعري وبين شيخهم مع عدم التبديع والخروج عن متابعته

=

«السر المصون» (٤١، ٤٢) (ط) المحبي، «خلاصة الأثر» (١/ ٣١٢-٣١٥)، البغدادي: «هدية العارفين» (١/ ١٥٨)، حاجي خليفة: «كشف الظنون» (٦٤، ١٧٠، ٤٠٣، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٨٠٤، ١٩٧٤)، «فهرست الخديوية» (٢/ ٢، ٧/ ١٠، ٢٣)، (٤/ ٢٠، ٢١)، (٧/ ١/ ١٢٠)، البغدادي: «إيضاح المكنون» (١/ ٩، ٦١)، «فهرس دار الكتب المصرية» (٢/ ١١١، ١٩٨، ٢٠٠).

(١) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد، أبو البركات، العدوي، المالكي، الأزهري، الخلوتي، الدردير، الشهير بـ: الدردير. ولد سنة: (١١٢٧هـ)، وتوفي سنة: (١٢٠١هـ).

ذكره عمر كحالة في «معجم المؤلفين» (٢/ ٦٨)، وذكر مصادر ترجمته على النحو التالي: «حلية البشر» (١/ ١٧٧- ١٨٠)، «عجائب الآثار» (٢/ ١٤٧، ١٤٨)، «الخطط التوفيقية» (٩/ ٩٥، ٩٦)، «هدية العارفين» (١/ ١٨١)، «فهرس الفهارس» (١/ ٢٩٣، ٢٩٤)، «اليواقيت الثمينة» (١/ ٥٦، ٥٧)، «جامع الكرامات» (١٥٥، ١٥٦)، «معجم المطبوعات» (٨٦٩-٨٧١)، «الكشاف» (٩٢)، «كنز الجوهر» (١٦٠، ١٦١)، «إيضاح المكنون» (١/ ١١٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٣٣٥)، (٢/ ٦٠٥،)، «فهرست الخديوية» (١/ ٢٠٥، وغير ذلك)، «المكتبة البلدية: «فهرست التوحيد» (١١)، «فهرست البلاغة» (١٣)، «فهرست الأزهرية» (١/ ٥٢٧، وغير ذلك)، «فهرست التيمورية» (٣/ ٩٨، ٩٩)، «فهرس دار الكتب المصرية» (٢/ ٢٠٥، وغير ذلك).

وقال في ترجمته: فقيه، صوفي، مشارك في بعض العلوم. ولد ببني عدي، من صعيد مصر. وتولى مشيخة الطريقة الخلوتية، والإفتاء بمصر، وتوفي بالقاهرة في (٦) ربيع الأول. من تصانيفه:

١- أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك.
٢- فتح القدير في أحاديث البشير النذير.
٣- تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان في التصوف.
٤- منظومة الخريدة البهية في التوحيد.
٥- ورسالة في متشابهات القرآن.

والاقتداء به.

وتحرير المسألة:

أن الاسم هل هو عين المسمى وعين التسمية أو لَا هذا ولا ذاك؟

مذهب الشيخ وجميع المحققين: أن اسم كل شيء ذاته، إذا لم يكن هو التسمية، لأن أسماء الله تعالى عنده على أضرب:

ضرب: هو المسمى، وهو الذي يرجع إلى ذاته كشيء موجود.

وضرب: يرجع إلى صفة توجد في ذاته كـ: حيّ، وعالم، وقادر.

وضرب: يرجع إلى نفي كونه غنيًّا وقائمًا بنفسه، وواحدًا.

[٢٩/ أ] **قالت المعتزلة:** إن أسماء الله تعالى غيره، فإنها مخلوقة يخلقها لنفسه، والعبادات أيضًا يخلقونها له.

واستدل القاضي على مذهب الشيخ وهو القول بأن اسم كل شيء ذاته بمذهب أهل اللغة، كما في قول الشاعر:

إلى الحـــول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتـــذر

إذ من المعلوم أن المراد نفس السلام وذاته، لا لفظه، ولفظ «اسم» في البيت مقحم كما في «حاشية المحقق الأمير»، وبأنه لو قال: يا سالم أنت حر، ويا زينب أنت طالق، يحصل العتق والطلاق، ولو لم يكن الاسم هو المسمى لم يحصلا بقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [يوسف: ٤٠].

ومعلوم أن القوم لم يعبدوا قول القائل: واللات والعزى، إنما عبدوا نفس الأصنام، وبقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، فإن التسبيح تعظيم وتنزيه وهو لا يكون لغير الله تعالى.

وأيضًا لو لم يكن الاسم هو المسمى لما أمر النبي ﷺ حين نزلت الآية بجعلها في السجود، وهو ذكر: «سبحان ربي الأعلى».

فإن قلت: إضافة الاسم إلى الرب تدل على أنه غير المسمى؟

قلت: الإضافة قد ترد ولا تدل على المغايرة، كما في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

ثم إن البيت المتقدم للبيد العامري [١]، يخاطب ابنتيه في النياحة عليه بقوله:

---

(١) هو: لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب أبو عقيل، العامري، الشاعر.

قال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (ص ٥٠): «وكان يقال لأبيه: ربيع المقترين لسخائه، وقتلته بنو أسدٍ

فقوما وقــولا بالــذي تعرفانــه ولا تخمشا وجهًا ولا تحلقا شعــر

إلى الحــول ثم اســم السلام عليكما ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتــذر

فإن قلت: لو كان الاسم هو المسمى لزم أن يكون كل من قال: [٢٩/ب] «نارًا» احترق لسانه وفمه؛ لأن النار هي المسمى، وقد حصل في فيه؟

قلت: قول القائل: «نار»، هو التسمية، والتسمية ليست هي المسمى.

فإن قلت: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقول النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر» (١)، يدلان على

=

في حرب بينهم وبين قومه، ويقال: قتله منقذ بن طريف الأسدي، ويقال: قتله صامت بن الأفقم، من بني الصيداء، يقال: ضربه خالد بن نضلة وتمم عليه هذا، وأدرك بثأره ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب أخوه، وذلك أنه قتل قاتله.

ويكنى لبيدٌ: أبا عقيل، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم.

وكان الحارث بن أبي شمرٍ الغساني، وهو الأعرج، وجه إلى المنذر بن ماء السماء مائة فارسٍ وأمره عليهم، فصاروا إلى عسكر المنذر، وأظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته، فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم، فقتل أكثرهم، ونجا لبيدٌ، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم، وهو يوم حليمة، وكانت حليمة بنت ملك غسان، وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا، وألبستهم الأكفان والدروع وبرانس الإضريج.

وأدرك لبيدٌ الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم لبيدٌ الكوفة وبنوه، فرجع بنوه إلى البادية بعد ذلك، فأقام لبيد إلى أن مات بها، فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب، ويقال: إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية، وأنه مات وهو ابن مائةٍ وسبع وخمسين سنةً. ولم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا، واختلف في البيت، قال أبو اليقظان، وهو قوله:

الحَمْــدُ لله إذْ لم يأتِنــي أَجَلــِي حتَّى كَسَاني مِنَ الإسلامِ سِرْبالاَ

وقال غيره: بل هو قوله:

مـا عاتَبَ المَرْءَ الكَريمَ كنَفسِــه والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصالِـحُ

قلت: هذا نقلًا عن هامش «أسماء المغتالين في الجاهلية والإسلام» بتحقيقي، ترجمة رقم (٧٦).

(١) هذا خبر تناوله العلماء بالبحث والدراسة والتحليل وخلصوا إلى أنه ليس بصحيح، وإن كان قد ورد في بعض الكتب الصحاح بألفاظ مختلفة، إلا أنهم لم يجيزوه، وإن كانوا قد أجازوا مضمونه على أن الله تعالى قد قال في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠]، أما هذا العدد المسمى على وجه اليقين فلم يقروه، بل رفضوا كثيرًا مما ورد بالخبر من أسماء قارب عددها الثلاثون اسمًا بينوا أنه لا يجوز أن يوصف سبحانه وتعالى بشيء منها، وأما مواضع الخبر ففي:

«صحيح البخاري» (٣/ ٢٥٩) و(٩/ ١٤٥)، «صحيح مسلم»، الذكر والدعاء (٤/ ٥)، الترمذي (٣٥٠٦، ٣٥٠٧، ٣٥٠٨)، ابن ماجه (٣٨٦٠، ٣٨٦١)، البيهقي (١٠/ ٢٧)، الحاكم في «المستدرك»

=

أن الأسماء غير المسمى.

قلت: ذكر القاضي: أن المراد بالأسماء فيهما المسميات، ونحن لم ندِّع أن كل اسم هو المسمى، بل الاسم قد يكون هو المسمى، وقد يكون غير المسمى، وقد يكون لا هو ولا غيره، أقوال.

ومنه قال الغزالي، والرازي وغيرهما من الأشاعرة: إن الاسم قد يطلق ويراد به اللفظ نحو: سميته زيدًا، وزيد ثلاثي، وضرب فعل ماض، ومن حرف جر، وقد يراد به المعنى كقولك: ذقت العسل، وشربت الماء، وعبدت الله وحده.

وقد يراد به الصفة، كما في قوله ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا»**.

ولا شك أن الاسم بالمعنى الأول غير المسمى وغير التسمية، وبالمعنى الثاني: غير المسمى، وغير التسمية. وبالمعنى الثالث: ينقسم إلى أقسام ثلاثة أشار إليها القاضي من مذهب الشيخ:

وهو إما: عين المسمى، كالموجود والشيء والذات.

وإما: غيره، كصفات الأفعال مثل: الخالق، والرازق، ونحوهما.

وإما: لا وعلى جميع التقادير الاسم غير التسمية؛ لأن التسمية: هي وضع للمسمى أو التلفظ به أو الوصف به، ولا شك أنها غير الاسم. قاله صاحب «الروضة».

وقال العلامة الأمير نحو ما مَرّ.

وعلى المغايرة ظاهر قول صاحب «الهمزية»:

فكل ذات العلوم من [٣٠/ أ] عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء

ثم قال: والتحقيق: أنه أريد من الاسم اللفظ، فهو غير مسماه قطعًا. وإن أريد به ما يفهم منه، فهو عين المسمى، ولا فرق في ذلك بين جامد ومشتق فيما يقضي به التأمل -إلى أن قال: **إن قلت:** ما قرر من أن لفظ الاسم غير، ومفهومه عين مما لا يشك فيه عاقل، فكيف اختلافهم؟

فالجواب كما أفاده السعد: أن اللفظ لما كان يراد نفسه كضرب: فعل ماض، وقد يراد به الماهية الكلية نحو: الإنسان نوع.

وقد يستعمل في فرد معين أو غير معين: كـ: «جاء» في إنسان، إلى غير ذلك.

كان ذلك مشيرًا للتردد، هل الاسم عين مسماه أم لا؟

=

(١/ ١٦)، أحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٨)، «الحلية» (٣/ ١٢٣)، «لسان الميزان» (٤/ ٧٦)، «الميزان» (٥٠٩٥).

وفي الحقيقة: لا تردد، فلذلك قال الكمال بن أبي شريف في «حاشية المحلي» على «جمع الجوامع»: لم يظهر لي في هذه المسألة ما يصلح محلًا لنزاع العلماء.

وقال صاحب المواقف(١): ولا يشك عاقل في أنه ليس النزاع في لفظ «فرس» أنه هل هو نفس الحيوان المخصوص أو غيره؟ بل في مدلول الاسم أهي الذات من حيث هي، أم هي باعتبار أمر صادق عليه عارض له ينبئ عنه؟. اهـ.

هو ولا غيره، كالعالم والقادر.

وقد علمت قبل ما هو التحقيق، والله ولي التوفيق، انتهى المراد منه.

الرابع فيما وقع التنبيه عليه فيما سبق من:

إيراد كلام يتعلق بالنصارى

يتضمن الرد عليهم - لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم - فإنهم جديرون بذلك، وحسبهم جهنم وبئس المصير، فأقول وبالله التوفيق:

اعلم: أن النصارى أكثر الناس اختلافًا وضلالًا وضعفًا في العقول، حتى إنهم لذلك خالفوا المنقول والمعقول، وقالوا بالتثليث على حسب مقتضى رأيهم الخبيث، فإنهم قالوا [٣٠/ ب] بالأقانيم الثلاثة، وهي جمع «أقنوم»، كلمة يونانية معناه: أصل الشيء، عنوا الأصل الذي كانت منه حقيقة آلهتهم:

أقنوم الوجود: ويعبرون عنه بالأب. **وأقنوم العلم**: ويعبرون عنه بالابن والكلمة. **وأقنوم الحياة**: ويعبرون عنه بروح القدس.

ثم قالوا: إن مجموع الثلاثة إله واحد. ثم طُلِبُوا بدليل الحصر في الثلاثة، فقالوا: إن الخلق والإبداع لا يتأتى إلّا بها.

فقيل لهم: والإرادة والقدرة لا يتأتى الخلق إلّا بهما.

واعترفوا: بأن معبودهم جوهر.

---

(١) هو كتاب في علم الكتاب، ألفه العلامة عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الأيجي القاضي المتوفى سنة (٧٥٦هـ)، ألفه لغياث الدين وزير خدابنده، وهو كتاب جليل القدر رفيع الشأن اعتنى به الفضلاء «كشف الظنون» (٢/ ١٨٩١)، وزاد : فشرحه السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة (٨١٦هـ) وهو أدون شروحه، فرغ منه في أوائل شوال سنة (٨٠٧)، بسمرقند، كذا نُقل من خطه.

وشرحه شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني المتوفى سنة (٧٨٦).

وسيف الدين أحمد الأبهري، وكتب على شرح الشريف جماعة تعرض كل منهم لحل مغلقاته. فسرد جماعة كبيرة راجعها في الموضع والمرجع المشار إليه.

فقيل لهم: كيف وقد تركب من صفات؟

فقالوا: لأن الجوهر: الشيء النفيس إلى غير ذلك من الخرافات المحضة، والهزات الصرفة التي خيلتها لهم عقولهم الفاسدة، ومعتقداتهم الكاسدة، أعاذنا الله والمسلمين من ذلك بمنّه وكرمه.

ولذلك قال العلَّامة الشيخ عز الدين عبدالعزيز بن محمد الدميري[1] رحمه الله في كتابه «إرشاد

---

(١) كذا ورد اسمه هنا، وهو الشيخ عز الدين عبدالعزيز بن أحمد بن سعيد المصري، الديريني، الدميري، الدهري، الشافعي، عز الدين، ضياء الدين، أبو محمد.

ولد سنة: (٦١٢هـ)، وتوفي سنة (٦٩٤هـ)، وقيل: (٦٩٩هـ). ومن مصادر ترجمته: «معجم المؤلفين» (٥/ ٢٤١)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ٧٥)، «شذرات الذهب» (٥/ ٤٥٠)، «حسن المحاضرة» (١/ ٢٣٨)، «هدية العارفين» (١/ ٥٨٠)، «كشف الظنون» (١٩٥)، «إيضاح المكنون» (١/ ٦٠)، «ديوان الإسلام» (ت:٩٣٧)، «الأعلام» (٤/ ١٣)، «طبقات الشافعية» للإسنوي (ت:٥١٠).

وقال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة (٦٩٩هـ): «وفيها على خلاف كبير: أبو محمد عبدالعزيز بن محمد... الدميري، الديريني، نسبة إلى ديرين، قرية بصعيد مصر، الفقيه، الشافعي، العالم، الأديب، الصوفي، الرفاعي، أخذ عن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، وغيره ممن عاصره، ثم صحب أبا الفتح بن أبي الغنائم الرسغي، وتخرج به، وتكلم في الطرائق وغلب عليه الميل إلى التصوف، وكان مقره بالريف، ينتقل من موضع إلى موضع، والناس يقصدونه للتبرك به.

ومن تصانيفه: تفسير سماه: «المصباح المنير في علم التفسير»، في مجلد.

ونظم أرجوزة في التفسير سماها: «التيسير في التفسير»، تزيد على ثلاثة آلاف ومائتي بيت.

وكتاب «طهارة القلوب في ذكر علام الغيوب» في التصوف.

ونظم الوجيز فيما يزيد على خمسة آلاف بيت. ونظم «التنبيه»، وله غير ذلك. ومن نظمه:

وعن صحبة الإخوان والكيمياء خذ ... يمينًا فما من الكيمياء ولا خـــل
ولم أر خِلًّا قد تفرد ساعــــــة ... مع الله خالي البال والسر من شغل

قلت: وجمعت له في هامش «ديوان الإسلام» قائمة بأسماء كتبه، تضمنت الآتي:

١- المصباح المنير في علم التفسير (في مجلدين). ٢- طهارة القلوب، والخضوع لعلام الغيوب.

٣- إرشاد الحيارى في ردع من مارى، في أدلة التوحيد والرد على النصارى.

٤- نظم الوجيز للغزالي في الفقه الشافعي.

٥- الشجرة في سيرة النبي ﷺ وأصحابه العشرة. ٦- الأنوار الواضحة في معاني الفاتحة.

٧- التيسير في علم التفسير (في مائتين وثلاثة آلاف بيت). ٨- الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة.

٩- أركان الإسلام (في التوحيد والأحكام).

١٠- دقائق التنبيه (في نظم تنبيه أبي إسحاق في الفروع).

١١- الروضة الأنيقة في بيان الشريعة والحقيقة. ١٢- شرح أسماء الله الحسنى.

١٣- شرح التعجيز مختصر الوجيز لابن منعة في الفروع. ١٤- المورث لمشكل المثلث، لقطرب.

١٥- قلادة الدر المنثور في ذكر يوم البعث والنشور. ١٦- كتاب الأركان.

=

الحيارى في ردع من مارى»: أجمعت النصارى على الشرك بالله تعالى وعبادة المسيح مع الله، وبنوا ذلك على أصول واهية، لا يتصورها إلّا عقول لاهية، ثم اضطربت مذاهبهم على التثليث، وذهبوا إلى مناقضات لا يذهب إليها أحد من العقلاء.

فمنها قولهم: «إن الله جوهر»، تعالى الله عن عقولهم.

ومنها قولهم: «إن الجوهر أصل يجمع ثلاثة أقانيم: الوجود، والعلم، والحياة».

ويسمون الوجود: الإقنيم الأصلي: أبـًا، والعلم: ابنًا، والحياة: الروح القدس.

ويزعمون أن الثلاثة واحد، وهو تناقض لا يخفى على عاقل، ولقد قيل في ذلك:

لا تقل: تعرف النصارى حسـابًا ... لا تعرف إلّا نجاسة وخيـانـه

[٣١/أ] كيف يدري الحساب من جعل ... الواحد جهلًا ثلاثة سبحـانه

وقال أيضًا:

قل للذي يحسب من جهلـه ... النصارى يعرفون الحسـاب

لو صح ذا ما جعلوا واحـدًا ... ثلاثة وهو خلاف الصـواب

ومنها: زعموا أن الابن المسمى الكلمة اتحد بجسد عيسى ﷺ يسمى مسيحًا، وكان بذلك ابنًا للإله، فصار إلهًا.

وتسمى الكلمة: اللاهوت. ويسمون جسد عيسى ﷺ: الناسوت.

ثم يزعمون أنه صلب، وقتل، وهذا غاية الجهل والتناقض، فإن الإله لا يكون مقصورًا كما قيل:

عجبًا للمسيح بين النصـارى ... وإلى أي والـد نسبـوه

نسبوه إلى الإلـه افتـراء ... ثم ظنوا اليهود قـد صلبـوه

ولو حكمنا بصحة الصلب والقتل ... عليه فكيف كان أبـوه

يشفق الوالد الـرءوف على الابن ... إذا ما أعداؤه ضربـوه

فإن كان راضيًا لأذاهـم ... فاحمدوهم لأجل ما فعلـوه

وإن كان ساخطًا لأذاهـم ... فاعبدوهم لأنهم غلبـوه

فانظروا تعلموا جهالة قـوم ... أفسدوا بالقياس ما أثبتـوه

واختلفوا في معنى اتحاد اللاهوت بالناسوت.

=

١٧- ميزان الوفي في معرفة اللحن الخفي.

فمنهم من قال: إن الكلمة دخلت جسد عيسى ﷺ فصار محلًّا لها.

وهذا محال؛ لأن الصفات لا تنتقل من جوهر إلى جوهر، إذ يلزم من ذلك قيامها بنفسها في حالة من الحالات، ويلزم أيضًا من دخولها في المسيح ﷺ خلو الجوهر منها.

ومنهم من [٣١/ ب] قال: إن الاتحاد: امتزاج واختلاط، كامتزاج اللبن بالماء.

وذهب بعضهم إلى أن: الكلمة استحالت لحمًا ودمًا.

وهذا كله مستحيل عند كل عاقل.

وذهب بعضهم: إلى أن الاتحاد معناه ظهور الكلمة على الجسد كالصورة في المرآة.

وهذا أيضًا باطل، فإن الصورة المرئية في المرآة لم تنتقل ذاتها إلى المرآة اختلاطًا ولا مجاورة، وإنما ينظر الإنسان صورته في المرآة، فإن النور ينعكس عليه فيرى صورته في المرآة لصقالة لمرآة، وليس ذلك بحلول ولا مجاورة ولا امتزاج.

ويقال لمن قال: إن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا: لا يجوز أن ينقلب لجزأين.

وانقلاب الكلمة التي هي صفة الجوهر لحمًا ودمًا محال، كما أن انقلاب القديم حادثًا محال.

وثبت أن كلمة الله صفة من صفاته لا تحل في جسم من الأجسام بمعنى الحلول ولا المجاورة، ولا الاختلاط، ولا معنى للاتحاد، ولا معنى لإلهية عيسى ﷺ على وجه من الوجوه.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ **الآية** [المؤمنون: ١١٧].

ويقال للنصارى: إذا قلتم: إن الناسوت حادث، واللاهوت قديم، وقلتم: إن اللاهوت اتحد بالناسوت، فلا يخلو إما أن ينقلب القديم حادثًا، أو الحادث قديمًا، أو يبقى كل واحد على حاله.

ومحال أن ينقلب القديم حادثًا، أو الحادث قديمًا؛ فإن الحقائق لا تنقلب، وحقيقة القديم ما ليس لوجوده بداية، وحقيقة الحادث ما وجد بعد عدم، فلا ينبغي إلّا أن يكون كل واحد على حقيقته، فلا معنى للاتحاد ولا يكون المسيح إلهًا.

ويقال لهم: بأن الكلمة إذا حلت في جسد عيسى أو خالطته، أو صارت صفة له، فهل فارقت الأب أو لا؟ فإن فارقت الأب جوزتم عليه النقص، وإن لم تفارقه لزم قيام صفة بموصوفين أو موجود [٣٢/ أ] في محلين، وذلك مما لا يجوزه عاقل.

ويقال لهم أيضًا: اتحاد اللاهوت بالناسوت واجب أم جائز؟

فإن قالوا: «واجب»، لزم قدم الناسوت، ولا قائل به. وإن قالوا: «جائز»، لزم عليه الحدوث كسائر الحوادث وجاز انتفاء الاتحاد بعد وجوبه كما يجوز عدم سائر الحوادث.

ويقال لهم: هذا الاتحاد كمال أم نقص؟

فإن قالوا: «نقص»، فقد وصفوا الإله بالنقص. وإن قالوا: «كمال»، لزم وجود الاتحاد في الأزل، وأن اللاهوت لم يزل بالناسوت، وذلك قبل وجود الناسوت محال.

ويقال لهم أيضًا: لِمَ حصرتم الأقانيم في بداية الوجود والعلم والحياة؟ وهلّا عددتم القدرة والإرادة وسائر صفات الأقانيم؟

ولِمَ قلتم: الجوهر جامع ثلاثة أقانيم؟ فهلّا قلتم: أربعة؟

فإن الجوهر إن كان هو الأقانيم أو هي صفات له فهو إله واحد، فإن كانت الأقانيم غير الجوهر لزم القول بأربعة.

ولِمَ خصصتم الكلمة بالاتحاد بجسد عيسى ﷺ دون الحياة والوجود؟

لم تنكرون قول من يقول: إن الوجود والحياة اتحدا بجسد عيسى ﷺ؟

وهذا تحكم في التخصيص من غير دليل.

ويقال لهم أيضًا: قلتم: إن كلمة الله اتحدت بجسد عيسى ﷺ دون جسد غيره من الأنبياء؟

فإن قالوا: لأجل ما ظهر على يد عيسى ﷺ من خوارق العادات.

قلنا: فقد ظهرت خوارق العادات على يد غير عيسى ﷺ، كموسى ﷺ ومحمد ﷺ، فَلِمَ تقولوا بألوهية موسى ﷺ فقد قلب العصا ثعبانًا، وفلق البحر وغير ذلك؟

ولِمَ قلتم: إن عيسى ﷺ خالق لما ظهر على يديه؟

وهلّا قلتم: إن الله فاعل ذلك، تصديقًا له وإثباتًا لنبوته كسائر المعجزات للرسل؟

فإن قالوا: إن [٣٢/ ب] موسى ﷺ كان يسأل الله تعالى ويرغب إليه فيما يظهر على يديه.

قلنا: وقد كان ﷺ يتضرع ويسأل الله تعالى، ولو لم يكن يسأل الله ظاهرًا فما المانع من أن يكون متوجهًا بقلبه وسائلًا في سره، وذلك يقوم مقام السؤال باللسان.

ومما زعموا: أنه حين صلب كان يقول: إلهي تركتني.

فإن قالوا: إن عيسى ﷺ كان يدعو ليعلم الناس.

قيل لهم: فلِمَ تنكرون على من يزعم أن موسى ﷺ كان إلهًا وإنما كان يتضرع ويتعبد تعليمًا للناس؟

فإن قالوا: للمسيح ﷺ لاهوت وناسوت.

قلنا لهم: وما المانع أن يكون لغيره من الرسل لاهوت وناسوت.

وكل ما يدعونه في عيسى ﷺ أمكن غيرهم أن يدعي ذلك في غيره من الرسل.

وفي الإنجيل: إن عيسى ﷺ قال: «إني من عند الله أرسلت».

وقال للحواريين: «كما بعثني أبي فأنا أبعثكم».

وقال: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلاهكم».

والمراد بالأب: السيد والمالك، وقد بينه بقوله: «وإلهي وإلهكم»، وإن حملوا الكلام على ظاهره لزمهم أن يقولوا: إن الحواريين آلهة وأولاد، ولا قائل بذلك، فإنه بديهي الاستحالة.

فإن قالوا: إنما قلنا:بإلهية المسيح ﷺ لما ورد في الكتب المنزلة، فقد قال الله تعالى: العذراء تحمل وتلد ابنًا يدعى إلهًا.

قلنا: وقد قال لموسى ﷺ: إني جعلتك إله هارون، ومعناه: أنك تعلمه وتأمره ويجب عليه طاعتك.

ثم يقال لهم: بما تنكرون على من يقول: معنى قوله: «العذرى تحمل وتلد ابنًا يدعى إلهًا»، أي: تلد ابنًا ليستدل باسمه قوم ويدعونه إلهًا مع الله سبحانه وتعالى، فيكون ذلك إخبارًا عن شرككم وافترائكم عليه.

[٣٣/ أ] **فإن قالوا**: إنما كان المسيح إلهًا؛ لأنه خُلق من غير أب؟

قلنا: يلزم ذلك في آدم ﷺ لأنه خلق من غير أب ولا أم، بل يلزم ذلك في سائر الملائكة؛ لأنهم خلقوا من غير أب ولا أم، ثم تظهر على أيديهم من أفعال الله تعالى من العجائب ما لا يحصى، فيلزم أن يكونوا إلهًا، تعالى الله عن ذلك.

قال الله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ الآية [النساء: ١٧٢].

فإن قالوا: إنه قال في الإنجيل: أنا وأبي واحد، ومن رآني فقد رأى أبي.

قلنا: مراده بأبي: مالكي وربي، فإنه قال: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم»، وقال: «أنا وأبي»، معناه: من أطاعني فقد أطاعه، ومن عصاني فقد عصاه، وهذا شائع في المخاطبة، يقول الملك المطاع: إن غلامي قد أقمته مقامي فأنا وهو واحد، وجعلت طاعتي طاعته، قال الله ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، فهذا لا ينكره ذو تحصيل، ولو كان هذا على ظاهره، وأن المراد بالاتحاد أن تكون الولادة والحمل والصلب والقتل والأكل والشرب وغير ذلك من عوارض البشر جائزًا على الأب، فيلزم منه وصف الإله بعوارض البشر، وهذا محال واضح لاشك فيه.

ثم إن النصارى قد أجمعوا على أن الاتحاد فعل من الأفعال، صار به المتحد متحدًا والمسيح مسيحًا.

وحينئذ فيقال لهم: هذا الفعل هل له فاعل أم لا؟ فإن قالوا: لا فاعل له، قلنا لهم: هذا محال، إذ لو جاز وقوع فعل من غير فاعل لجاز ذلك في جميع الأفعال، ويؤدي ذلك إلى نفي الصانع وهو محال.

وإن قالوا: هو فعل فاعل فعله، وكان به متحدًا.

قلنا: هل الفاعل الجوهر، أو الأقانيم [٣٣/ ب] أو واحد منها؟

فإن كان الفاعل هو الجوهر الجامع للأقانيم لزم أن يكون المتحد بالناسوت هو الجوهر، فإن أصلهم أن المتحد هو الذي فعل الاتحاد فصار به متحدًا، ويجب أن يكون هو الإله دون غيره.

فإن كان من فعل الجوهر والأقانيم، فالاتحاد لا يختص بأقنوم من الأقانيم.

فإن قالوا: إن الابن هو الذي يختص بهذا الفعل الذي هو الاتحاد.

قلنا: فما المانع من أن يكون كل أقنوم مختصًا بأفعال ينفرد بها؟

وأي دليل يدل على اختصاص هذا الأقنوم بهذا الفعل؟

وكل ذلك تحكم من غير دليل، وكل دعوى بغير برهان باطلة.

وقولهم: «إن اللاهوت اتحدت بالناسوت»، لا يخلو من أربعة أوجه:

الوجه الأول: أنه امتزاج واختلاط كاختلاط اللبن بالماء، وهو مذهب الروم، وهو ظاهر البطلان، فإنما الامتزاج إنما يكون من جسمين:

فأما القديم: فلا يجوز امتزاجه بغيره.

وأما اللاهوت: فقولهم: «إنه امتزج بالناسوت»، فمحال.

الوجه الثاني: أن يكون معنى اتحاد اللاهوت بالناسوت أنهما صارا شيئًا واحدًا كالجريدة إذا أحميت بالنار.

وهذا محال؛ لأن الحرارة الداخلة على الجريدة عرض زائد دخل عليها بواسطة مجاورتها النار، والنار جسم، فالقول بمثل ذلك بيّن قديم وحادث محال.

الوجه الثالث: أن معناه المجاورة كالثوب على اللابس، والظل والشمس على الجدار، وهذا محال أيضًا.

فإن ضوء الشمس أجزاء منتشرة منبسطة على ما وقعت عليه، والثوب والجسم يتجاوران.

فأما القديم والحادث: فلا يتجاوران ولا يمتزجان.

الوجه الرابع: أن يكون الاتحاد بمعنى [٣٤/ أ] الاتصاف، فيكون اللاهوت صار وصفًا للناسوت كالقدرة والإرادة، وهذا محال من وجوه كثيرة:

منها: أن الصفات لا تنتقل من موصوف إلى موصوف.

ومنها: أن الكلمة إن كانت قد انتقلت إلى الناسوت وخلي الجوهر لزم خلوه من العلم ونقصه. ومنها غير ذلك.

ومما يدل على بطلان قولهم: ما في الإنجيل من أن المسيح ﷺ كان يفر من اليهود من موضع إلى موضع، وأين هذا من وصف الرب القاهر؟!

وإن كان اللاهوت قد صلب كما زعموا فقد قهر محله ومصاحبه وهو الناسوت، فكيف ترك اللاهوت ناسوته يهان ويصلب؟!

فإن قالوا: أراد بذلك تعليمهم.

قلنا: قد حصل مقصوده، فإنهم قد وقفوا بذلك في الضلال والاختلاف، ويقال لهم: إذا كان واحد من الأقانيم ينفرد بالفعل دون الجوهر فأي مزية للجوهر عليه؟

وما المانع من كونه هو الأصل، والجوهر أقنوم له.

ومن مناقضاتهم:

قولهم: إن الابن اتحد بناسوت عيسى ﷺ وكان به متحدًا وحده دون الأب وروح القدس، مع كون الابن غير مباين للجوهر ولا منفصل عنه، فكيف يكون منفردًا بالاتحاد مع كونه غير مباين للجوهر؟

وهذا تناقض لا يخفى على عاقل.

ويقال لهم أيضًا: كيف ولدت مريم الابن دون الأب وروح القدس، وهو غير بائن عنهما، ولا منفصل منهما؟

فيكون المتحد بالجسد حملًا في بطن مريم وهما غير متباينين، فالجوهر والأقانيم لا ينفصل بعضها عن بعض، فكيف يكون منه مولود، ومنه غير مولود؟ ومنه متحد، ومنه غير متحد؟ ومنه غير متحد لولا العجز والجهل؟

ومما يقال أيضًا [٣٤/ب] **للنصارى:** قد زعمتم أن الأب اتحد بجسد عيسى ﷺ، ثم زعمتم أنه صلب وقتل، فهل كان الاتحاد باقيًا في حال القتل والصلب أم لا؟

فإن قالوا: إن الاتحاد كان باقيًا.

قلنا: فالذي مات مسيح من صنفين:

لا هوت هو إله.

وناسوت هو إنسان.

صارا شيئًا واحدًا عندكم، فيجب أن يكون ابن الإله قد مات لما قتل وصلب، فإذا صار ميتًا لم يكن في تلك الحال إلهًا؛ لأن الإله لا يكون ميتًا ولا ناقصًا، ولو جاز ذلك لجاز موت الأب وروح القدس.

وإن قالوا: «إن الاتحاد بطل عند القتل والصلب»، لزم أن يكون المصلوب المقتول إنما هو الإنسان الذي كان الابن متحدًا به، وقد زال الاتحاد فبطلت ألوهية هذا المصلوب.

وهذه مناقضات لا يخفى بطلانها على عاقل.

ومنها: تسميتهم الرب جوهر.

أو قولهم: أن يجمع بين الأقانيم الثلاثة.

وقولهم: إنها آلهة ثلاثة.

وقولهم: إن الثلاثة إله واحد.

وقولهم: إن المسيح إله.

وقولهم: لاهوت قديم جسد حادث اتحدا فصارا واحدًا.

وقولهم: «إن المسيح إله» مع علمهم أنه كان يأكل ويشرب، وتطرأ عليه العوارض البشرية من الصحة والسقم، واللذة والألم، والموت والحياة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]، وهذا من ألطف الكنايات بأن كلًّا منهما يحتاج إلى الفضلات.

وقولهم: إنه يتعبد ويجتهد في العبادات، ويخضع لربه.

وقولهم: إنه صُلب وقتل، وكل ذلك مستحيل في العقل.

واعلم: أن مما يتعلقون به كلمات ينقلونها ويزعمون أنها من الكتب المنزلة، وقد ذكر بعضها فيما سبق [٣٥/ أ] ولنا فيها طريقان:

الأولى: أن أهل الكتب قد بدلوا وغيروا ما أنزل الله تعالى، فلا تقوم الحجة بما ينقلونه عن الكتب إذ لم يثبت بالتواتر نقلًا، ولم تظهر ضلالة عقلًا، ودعوى الخصم ما لم يتواتر به دليل نقل ولم يشهد به دليل عقل ليس بحجة.

والطريق الثانية: أن نقول لهم: هذه الكتب التي ذكرتم لم تنزل باللغة العربية، إنما هو منكم على قدر ما تعتقدونه من التفسير، ونحن لا نقبل تفسيركم من وجهين:

أحدهما: أنكم عندنا غير مصدقين.

والثاني: أنكم لستم من أهل العربية، فلا نقبل منكم ما ذكرتم بالعربية أنه تفسير لما أنزل، فلا حجة لكم فيما تنقلون من ألفاظ العربية أصلًا.

وقد ورد في كتابنا -الذي أنزل بالعربي، وثبت بالتواتر، وهو القرآن العزيز- ألفاظ أشكلت على بعض المسلمين، وتعلق بها المتكلفون من المبطلين.

فمنها: قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١].

وهذا الكتاب عربي، لا يعرف معانيه غير العرب الفصحاء، والرسول ﷺ عند العرب يسمونه كلمة ولسانًا، يقال: هذا لسان فلان وكلمته، أي المبلغ عنه، سمى الله تعالى عيسى ﷺ كلمة لأنه رسول مبلغ عنه.

وسماه روحًا لأنه أحيًا به قلوب المؤمنين، وقد سمى الله تعالى الإيمان روحًا فقال تعالى:

﴿أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٣]، يعني بالروح هنا: التوفيق.

وقال تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [فاطر:١٥]، يعني بالروح: الوحي، وأنه سبحانه ينزل الوحي من أمره على من يشاء من رسله لينذر يوم التلاق، وفي الآية [٣٥/ ب] وجه آخر، وهو: أن قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٧١]، أي: خلق في بطنها، وكذا كونه بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، [مريم:٣٥]، فكأنه ألقى إليها قوله: ﴿كُن﴾، وأرسل إليها الروح التي أعدها لجسد عيسى عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، يعني: الوحي. وقيل: الروح جبريل عليه السلام.

ومنه قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء:١٩٣، ١٩٤]، يعني جبريل عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم:١٧]، قيل: يعني به: جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، أي: من جبريل، وقيل: نفخنا فيها روحًا من الأرواح، وهي الروح التي أعدت لجسد عيسى عليه السلام. انتهى بيسير وتصرف وكثير حذف واختصار.

وقد قدمنا طرفًا من ذلك في التنبيه الثاني، فراجعه إن شئت.

ثم إنها قد وردت آيات في الرد على النصارى صريحًا:

منها: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ الآية [المائدة:٧٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية [المائدة: ١٧].

قال المحقق الأمير في مبحث الوحدانية، وفي «يواقيت الشعراني» في صدر المبحث الأول ما نصه:

فإن قيل: ما وجه كفر من قال: «إن الله ثالث ثلاثة» مع كون رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهما في الغار حين خافا من المشركين: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»[1]

فالجواب كما قال الشيخ محيي الدين في باب الأسرار: أن وجه كفر من قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، كونه: جعل الحق تعالى واحدًا من ثلاثة على الإبهام، والتساوي في مرتبة واحدة، ولو أنه قال: إن الله تعالى ثالث اثنين لم يكفر، كما في الحديث، والمراد بقوله ﷺ

(١) خبر مشهور، أخرجه: البخاري في «الصحيح» (٥/ ٤)، (٦/ ٨٣)، ومسلم في «صحيحه» في فضائل الصحابة (ب١ رقم ١)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤).

[٣٦/ أ] في الحديث: «الله ثالثهما»، أي: حافظهما في الغار من الكفار، والله أعلم.

وقال الشيخ أيضًا في الباب الحادي والثلاثين ومائتين من الفتوحات: إنما لم نكفر من قال: إن الله ثالث اثنين أو رابع ثلاثة؛ لأنه لم يجعله من جنس الممكنات، بخلاف من قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، أو رابع أربعة، أو خامس خمسة، ونحو ذلك، فإنه يكفر، فتأمل.

فالله سبحانه وتعالى واحد به الكل كثرة، وجماعة، ولا يدخل معها في الجنس؛ لأنه إذا جعلنا رابع ثلاثة فهو واحد منفرد، وخامس أربعة فهو واحد منفرد، وهكذا بالغًا ما بلغ.

قال: وليس عندنا في العلم الإلهي أغمض من هذه المسألة؛ لأن الكثرة حالة في عين وجود الواحد بحكم المعية، ولا وجود لها فيه، إذ لا حلول ولا اتحاد، اهـ.

وقال في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات أيضًا في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

اعلم أن الله تبارك وتعالى مع الخلق أينما كانوا سواءً كان عددهم شفعًا أو وترًا، لكن لا يكون الله تعالى واحدًا من شفعيتهم ولا واحدًا من وتريتهم، إذ صفته التي ظهرت للمشاهد لا يمكن أن تقف في المرتبة العددية التي وقف فيها الخلق أبدًا، اهـ كلام الشعراني.

إن قلت: قال النحاة معنى: «ثالث اثنين» ونحوه: جاعل الاثنين ثلاثة بانضمامه لهما، فيلزم أنه واحد من ثلاثة؟

قلت: القوم يلتفتون للطائف التصريح ودقائق التلويح، فلا عبرة بمثل هذا اللازم، على أنه في «تفسير البيضاوي» لقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ [٣٦/ ب] إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(١)

---

(١) البيضاوي هو: عبدالله بن محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي، وقيل: عبدالله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير، البيضاوي، الفارسي، البغدادي، الحنفي، الشافعي، الشيرازي، الفقيه، المفسر، القاضي، أبو الفتح، ناصر الدين، توفي سنة (٦٨٥)، وقيل: (٦٩١)، وقيل: (٦٩٢)، وقيل: (٦٩٦)، عالم مشهور، صاحب تفسير معروف، صيته ذائع، وصنفت في سيرته الكتب وترجمت له مصادر كثيرة منها:
«ديوان الإسلام» (ت:٣٩٦)، «معجم المؤلفين» (٦/ ٩٧)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ٥٩٠)، «البداية والنهاية» (١٣/ ٣٠٩)، «بغية الوعاة» (٢٨٦)، «مرآة الجنان» (٤/ ٢٢٠)، «تاريخ الأدب الفارسي» (١٩٨)، «نزهة الجليس» (٢/ ٨٧)، «مفتاح السعادة» (١/ ٤٣٦)، «التعريف بالمؤرخين» (١/ ١١٦)، «هدية العارفين» (١/ ٤٦٢)، «كشف الظنون» (١٨٦، وغير ذلك كثير)، «إيضاح المكنون» (٢/ ٥٦٩).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٨٢) في ترجمته: «الإمام القاضي، أبو الفتح، عبدالله بن محمد ابن محمد بن محمد البيضاوي، الفارسي، ثم البغدادي، الحنفي، أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمه. سمع أبا جعفر بن المسلمة، وأبا الغنائم بن المأمون، وأبا محمد الصريفيني، وطائفة.

=

[المجادلة: ٧] ما نصه: إلا الله تعالى يجعلهم أربعة من حيث إنه شاركهم في الاطلاع عليها. اهـ.

فما معنى الانضمام هذا الذي عبرت به، والحق غني عن البيان. انتهى المراد منه.

وقال العلامة الجمل ـ في حاشيته على الجلالين، تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[1] [التوبة: ٣٠] ـ وفي الخازن[2]: وروى عطية العوفي

=

وعنه: السمعاني، وابن عساكر، وابن الجوزي، والكندي، وآخرون.

قال السمعاني: شيخ صالح متواضع، مُتَحَرٍّ في قضائه الخير متثبت.

توفي في منتصف جُمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة».

قلت: وجمعت كتبه في قائمة بهامش ديوان الإسلام حوت أربعة وعشرين كتابًا.

(١) وأما عن الجمل فهو: سليمان بن عمر بن منصور، أبو داود، الجمل العجيلي، المصري، الأزهري، الشافعي، المشهور بـ: الجمل، توفي سنة: (١٢٠٤هـ)، في ذي القعدة، جاءت ترجمته في: «حلية البشر» (٢/ ٦٢)، «فهرس الفهارس» (١/ ٢١٩)، «معجم المطبوعات» (٧١٠)، «هدية العارفين» (١/ ٤٠٦ وغير ذلك كثير)، «فهرس التيمورية» (٢/ ٣٣٠)، (٣/ ٦٣)، «إيضاح المكنون» (١/ ٣٠٤)، (٢/ ٥٤، وغير ذلك كثير)، «فهرست الأزهرية» (١/ ٢٤٥)، (٢/ ٥٩٠)، «المكتبة البلدية: فهرس الفقه الشافعي» (١٣)، «فهرس الأدب» (١٠٥)، «معجم المؤلفين» (٤/ ٢٧١)، وقال فيه: «مفسر، فقيه، مشارك في بعض العلوم، ولد في منية عجيل إحدى قرى الغربية بمصر، وانتقل إلى القاهرة، وتوفي في ذي القعدة، ومن تصانيفه:

- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق المخفية.
- فتوحات الوهَّات بتوضيح شرح منهج الطلاب للرملي في فروع الفقه الحنفي.
- المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية.
- الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية على متن الهمزية للبوصيري.
- المنح الإلهية بشرح دلائل الخيرات».

(٢) هو: علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل، أبو الحسن، الشيحي، البغدادي، الفقيه، المفسر، المحدث، الحافظ، المؤرخ، المشهور بالخازن. ولد سنة: (٦٧٨هـ)، وتوفي سنة (٧٤١هـ).

من مصادر ترجمته: «شذرات الذهب» (٦/ ١٣١)، «الدرر الكامنة» (٣/ ٩٧)، «تاريخ علماء بغداد» (١٥١)، «إيضاح المكنون» (١/ ٥٩١)، «كشف الظنون» (١٥٤٠)، «هدية العارفين» (١/ ٧١٨)، برنامج المكتبة العبدلية (١/ ١٠٣)، «فهرس الخديوية» (١/ ١٩٤)، «معجم المؤلفين» (٧/ ١٧٧).

قال ابن العماد في ترجمته في «شذرات الذهب» في وفيات سنة إحدى وأربعين وسبعمائة: وفيها: علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم، الشافعي، خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق، ولد ببغداد سنة ثمان وسبعين وستمائة، وسمع الحديث، وكان صالحًا خيرًا. جمع وألف، فمن تأليفه:

- تفسير القرآن العظيم. - شرح عمدة الأحكام.
- أضاف إلى جامع الأصول: مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه، وسنن الدارقطني، وسماه: مقبول المنقول.

=

عن ابن عباس أنه قال: إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزيرًا كان فيهم، وكانت التوراة عندهم، والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة، ومسحها من صدورهم، فدعى اللهَ عزيرٌ، وابتهل إليه أن يرد إليه التوراة، فبينما هو يصلي مبتهلًا إلى الله ﷺ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه في قومه، وقال: يا قوم قد آتاني التوراة وردّها عَلَيَّ، فعلقوا به يعلمهم، ثم مكثوا ما شاء الله.

ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله، فقالوا: ما أوتي عزير هذا إلّا لأنه ابن الله.

وقال الكلبي [(١)]: إن بختنصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني إسرائيل، وقتل من قرأ

=

- وجمع سيرة.

وحدث ببعض مصنفاته، وكان صوفيًّا بالخانقاه المذكورة، وكان بشوش الوجه، ذا تودد، وسمت حسن، توفي في شعبان.

ووضح لنا أسماء كتبه عمر كحالة في «معجم المؤلفين» فقال: ولد ببغداد، وقدم دمشق، وولي خزانة الكتب بالسميساطية، ومن تصانيفه:

- لباب التأويل في معاني التنزيل (في التفسير).
- شرح عمدة الأحكام للحافظ عبدالغني، وسماه: عمدة الأفهام في شرح الأحكام.
- الروض والحدائق في تهذيب سيرة خير الخلائق محمد ﷺ.
- محمد المصطفى سيد أهل الصدق والصفا.
- مقبول المنقول في عشر مجلدات، جمع فيه بين: مسند الشافعي، وأحمد، والستة، والموطأ، والدارقطني.

(١) هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث، أبو النضر، الإخباري، الكلبي، النسابة، المفسر، الشيعي، الكوفي، توفي سنة: (١٤٦هـ).

هو علم مشهور بالضعف الشديد والأخبار والأنساب، وقد ترجمت له مصادر كثيرة منها: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٤٨)، «ديوان الإسلام» (ت:١٧٤٨)، «طبقات ابن سعد» (٦/ ٢٤٩)، «تاريخ خليفة» (٤٢٣)، «طبقات خليفة» (١٦٧)، «التاريخ الكبير» (١/ ١٠١)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٥١)، «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٧٠)، «كتاب المجروحين» (٢/ ٢٥٣)، «الفهرست» (٩٥)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٣٠٩)، «تهذيب الكمال» (١١٩٩)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٥٦)، «العبر» (١/ ٢٠٧)، «الوافي بالوفيات» (٣/ ٨٣)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ١٧٨)، «الخلاصة» (٣٣٧)، «طبقات المفسرين» (٢/ ١٤٤)، «شذرات الذهب» (١/ ٢١٧)، «هدية العارفين» (٢/ ٧)، «المجروحين» (٢/ ٢٥٣).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته: العلامة الإخباري، أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر، الكلبي، المفسر، وكان رأسًا في الأنساب، إلا أنه شيعي متروك الحديث، يروي عنه ولده هشام وطائفة.

أخذ عن أبي صالح وجرير، والفرزدق وجماعة، وكان الثوري يروي عنه، ويدلسه فيقول: حدثنا أبو النضر.

وذكره ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة (١٤٦هـ) فقال: وفيها: محمد بن السائب أبو

=

التوراة، وكان عزير إذ ذاك صغيرًا، فلم يقتله لصغره، فلما رجع بنوا إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيرًا ليجدد لهم التوراة، ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة سنة، قال: فأتاه ملك بإناء فيه ماء فشرب منه، فمكثت التوراة في صدره، فلما أتاهم قال: أنا عزير، فكذبوه [٣٧/ أ] وقالوا: إن كنت كما تزعم فاتل علينا التوراة، فكتبها لهم من صدره، ثم إن رجلًا منهم قال: إن أبي حدثني عن جدي: إن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم، فانطلقوا معه حتى أخرجوها، فعارضوها بما كتب لهم عزير، فلم يجدوه غادر حرفًا، فقالوا: إن الله لم يقذف التوراة في قلب عزير إلا لأنه ابنه، فعند ذلك قالت اليهود: عزير ابن الله.

فعلى هذين القولين أن هذا القول كان فاشيًا في اليهود جميعًا، ثم إنه انقطع واندرس، فأخبرهم الله عنه، وأظهره عليهم، ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك، فإن خبر الله ﷻ أصدق وأثبت من إنكارهم.

وأما قول النصارى: المسيح ابن الله: فكان السبب فيه: أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع

النضر الكلبي، الكوفي، صاحب التفسير والأخبار والأنساب، أجمعوا على تركه، وقد اتهم بالكذب والرفض.

قال ابن عدي: ليس لأحد أطول من تفسيره، وعنه قال: سميت العرب شعوبًا لأنهم تفرقوا من ولد إسماعيل ﷺ، ومن ولد قحطان، تشعبوا، والعرب كلهم ولد إسماعيل إلا أربع قبائل: السلف، والأوزاع، وحضرموت، وثقيف. وأول من تكلم بالعربية: يعرب بن المميسح بن نبت بن إسماعيل.

وكل نبي ذكر في القرآن فهو من ولد إبراهيم، غير إدريس ونوح ولوط وهود وصالح.

وكأنه لم يستثن آدم لأنه أبو الكل.

قال: ولم يكن في العرب نبي إلّا هود، وصالح، وإسماعيل، ومحمد ﷺ.

وروى ابن عباس : أن أصحاب سفينة نوح كانوا ثمانين رجلًا، فلما كثروا ملكهم نمرود بن كنعان بن حام بن نوح، فلما كفروا بلبل الله ألسنتهم، وتفرقوا اثنين وسبعين لسانًا، وفهم الله العربية عمليقًا، وأميم وطسم ابني لوذ بن سام، وعادًا وعبيلًا بني عوص بن سام بن نوح. انتهى كلام ابن الكلبي.

وانظر ما في كلامه، فإنه ذكر أول من تكلم بالعربية: يعرب من ذرية إسماعيل، ثم ذكر أن الله فهمها عمليقًا، ومن ذكر بعده من ذرية نوح، وكلاهما مخالف لما جاء: إن إسماعيل تعلم العربية من جرهم لما نشأ بينهم، حتى قيل: إن إبراهيم لما كان يبني البيت كان يقول لإسماعيل: هات هيك -والهيك بالسريانية: الحجر- فيقول له إسماعيل: خذ الحجر. فهذا يتكلم بالسريانية، وهذا بالعربية.

وقيل: لما نزل أصحاب نوح من السفينة خلق الله في قلوبهم لغات مختلفة، فتكلم كل منهم بلغة.

قال محققه: كل هذه اجتهادات قابلة للخطأ والصواب، وهي من الأمور التي لا ينبني عليها عمل ولا تؤثر في شرع ولن يسأل عنها الإنسان يوم القيامة، فلا ينبغي الانشغال بها كثيرًا إلا لأصحاب الاختصاص، فربما أفاد ذلك بعض الناس إذا وصلوا إلى حقيقة معينة.

عيسى ﷺ، إحدى وثمانين سنة، يصلون إلى القبلة، ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب.

وكان في اليهود رجل شجاع يقال له: بولس، قتل جماعة من أصحاب عيسى ﷺ.

ثم قال بولس لليهود: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار، وأدخلوا الجنة، فإني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا.

ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه، فعرقبه، وأظهر الندامة والتوبة، ووضع التراب على رأسه، ثم إنه أتى إلى النصارى، فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عدوكم بولس، قد نوديت من السماء: إنه ليس لك توبة حتى تتنصَّر، وقد تبت وأتيتكم، فأدخلوه الكنيسة ونصَّروه، ودخل بيتًا فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الإنجيل.

ثم خرج وقال: قد نوديت: إن الله قد قبل توبتك، فصدقوه وأحبوه [٣٧/ ب] وعلا شأنه فيهم.

ثم إنه عمد إلى ثلاث رجال، اسم واحد: نسطور، والآخر: يعقوب، والآخر: ملكان.

فعلم نسطور: أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة.

وعلم يعقوب: أن عيسى ليس بإنسان وأنه ابن الله.

وعلم ملكان: أن عيسى هو الله، لم يزل، ولا يزال.

فلما استمكن ذلك فيهم، دعا كل واحد منهم في خلوة وقال له: أنت خالصتي وادع الناس إلى ما علَّمتك، وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد.

ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام، وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم: إني سأذبح نفسي تقربًا إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح، فذبح نفسه، وتفرق أولئك الثلاثة.

فذهب واحد إلى الروم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى.

وأظهر كل واحد منهم مقالته، ودعا الناس إليها، فتبعه على ذلك طوائف من الناس، فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال، فكان ذلك سبب قولهم: المسيح ابن الله، اهـ.

وفي «الجلالين»، في تفسير قوله تعالى في «المائدة»: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]: أن القائل بذلك هم اليعقوبية[١]، فرقة من النصارى.

---

(١) قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ٢٢٥) في ذكر أهل الكتاب ومن لهم شبهة كتاب، فذكر منهم النصارى، وذكر اليعقوبية من فرق النصارى فقال فيهم: «اليعقوبية: أصحاب يعقوب. قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا -أي : في الكتاب المنقول عنه هذا التعليق-؛ إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا؛ فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو.

وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

=

=

فمنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى.

ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت؛ فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر لا على طريق حلول جسم فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة؛ بل صار هو: هو؛ وهذا كما يقال: ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان؛ وكما أخبر التنزيل عن جبريل ﷺ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

وزعم أكثر اليعقوبية: أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد؛ إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين؛ فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيبًا، كما تركبت النفس والبدن؛ فصارا جوهرًا واحدًا، أقنومًا واحدًا؛ وهو إنسان كله، وإله كله؛ فيقال: الإنسان صار إلهًا، ولا ينعكس؛ فلا يقال: الإله صار إنسانًا؛ كالفحمة تطرح في النار، فيقال: صارت الفحمة نارًا، ولا يقال: صارت النار فحمة، وهي في الحقيقة: لا نار مطلقة، ولا فحمة مطلقة؛ بل هي: جمرة. وزعموا: أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي، لا الكلي. وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج، والادِّراع، والحلول؛ كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوة.

وأجمع أصحاب التثليث كلهم على أن القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث؛ إلا أن الأقنوم الثاني الذي هو الكلمة اتحدت دون سائر الأقانيم.

وأجمعوا كلهم على أن المسيح ﷺ ولد من مريم عليها السلام، وقتل، وصلب؛ ثم اختلفوا في كيفية ذلك؛ فقالت الملكانية واليعقوبية: إن الذي ولد من مريم هو الإله؛ فالملكانية لما اعتقدت أن المسيح ناسوت كلي أزلي قالوا: إن مريم إنسان جزئي، والجزئي لا يلد الكلي، وإنما ولده الأقنوم القديم. واليعقوبية لما اعتقدت أن المسيح هو جوهر من جوهرين، وهو إله، وهو المولود؛ قالوا: إن مريم ولدت إلهًا - تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وكذلك قالوا في القتل والصلب: إنه وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين؛ قالوا: ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد.

وزعم بعضهم: أنا نثبت وجهين للجوهر القديم؛ فالمسيح: قديم من وجه، محدث من وجه.

وزعم قوم من اليعقوبية: أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئًا، لكنها مرت بها كالماء بالميزاب؛ وما ظهر بها من شخص المسيح في الأعين فهو كالخيال، والصورة في المرآة؛ وإلا فما كان جسمًا متجسمًا كثيفًا في الحقيقة. وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والحسبان؛ وهؤلاء يقال لهم: الإليانية. وهم قوم بالشام، واليمن، وأرمينية؛ قالوا: وإنما صلب الإله من أجلنا؛ حتى يخلصنا. وزعم بعضهم: أن الكلمة كانت تداخل جسم المسيح ﷺ أحيانًا؛ فتصدر عنه الآيات: من إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص؛ وتفارقه في بعض الأوقات؛ فترد عليه الآلام في بعض الأوقات؛ فترد عليه الآلام والأوجاع.

ومنهم: بليارس وأصحابه؛ حكي عنه أنه كان يقول: إذا صار الناس إلى الملكوت الأعلى: أكلوا ألف سنة، وشربوا وناكحوا؛ ثم صاروا إلى النعم التي وعدهم آريوس، وكلها: لذة، وراحة، وسرور، وحبور؛ لا أكل فيها ولا شرب ولا نكاح.

وزعم مقدانيوس أن الجوهر القديم أقنومان فحسب: «أب»، و«ابن»، و«الروح» مخلوق.

وزعم سباليوس: أن القديم جوهر واحد، أقنوم واحد له ثلاث خواص، واتحد بكليته بجسد عيسى ابن مريم عليه السلام.

=

قال المحشي نفسه: أي: القائلون بالاتحاد، وهؤلاء نصارى نجران، استدلوا بصفات عيسى من الإحياء والإنباء بالغيب على الإلهية، فهو مثل قولك: الكرم زيد، أي: حقيقة الكرم في زيد، وعلى هذا قالوا: إن الله هو عيسى ابن مريم، ومعناه: بناء القول على أن حقيقة الله هو، وذلك أن الخبر إذا عرف بالألف واللام أفاد القصر، سواءً كان التعريف فيه عهديًّا أو جنسيًّا، فإذا ضم معه ضمير الفعل ضاعف تأكيد معنى القصر.

فإذًا صدرت [٣٨/ أ] الجملة بأن بلغ الكمال في التحقيق. اهـ كرخي.

ونقل عن أبي السعود (١) غير ما ذكر، فانظره، وذكر بعد ذلك في الآية الأخرى المماثلة لهذه

=

وزعم آريوس: أن الله واحد سماه: أبًا، وأن المسيح كلمة الله وابنه؛ على طريق الاصطفاء؛ وهو مخلوق قبل خلق العالم، وهو خالق الأشياء. وزعم: أن لله تعالى روحًا مخلوقة أكبر من سائر الأرواح، وأنها واسطة بين الآب والابن، تؤدي إليه الوحي. وزعم أن المسيح ابتدأ: جوهرًا، لطيفًا، روحانيًّا، خالصًا، غير مركب ولا ممزوج بشيء من الطبائع الأربع؛ وإنما تدرع بالطبائع الأربع عند الاتحاد بالجسم المأخوذ من مريم. وهزأ آريوس قبل الفرق الثلاث، فتبرأوا منه؛ لمخالفتهم إياه في المذهب».

(١) هو: محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود، العمادي، الحنفي، الشاعر، الفقيه، المفسر، المشهور بأبي السعود. ولد سنة: (٨٩٨هـ)، وقيل: (٩٠٠هـ)، وتوفي سنة: (٩٨٢هـ).

جاءت ترجمته في مصادر منها: «معجم المؤلفين» (١١/ ٣٠١)، «شذرات الذهب» (٨/ ٣٩٨)، «البدر الطالع» (١/ ٢٦١)، «كشف الظنون» (١/ ٦٥، ٢٤٧، ٤٩٨، وغير ذلك كثير)، «كتب خانة» (١٤، ١٥)، «الكواكب السائرة» (١٣٠).

وترجم له ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة، فقال: وفيها: المولى أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، العمادي الحنفي، الإمام، العلامة.

قال في «العقد المنظوم»: ولد سنة ثمان وتسعين وثمانمائة بقرية قريبة من قسطنطينية، وقرأ على والده كثيرًا من جملة ما قرأه عليه: «حاشية التجريد» للشريف الجرجاني بتمامها، و«شرح المفتاح» للشريف أيضًا، قرأه عليه مرتين، و«شرح المواقف» له أيضًا، وصار ملازمًا من المولى سعدي جلبي، وتنقل في المدارس، ثم قلد قضاء برسة، ثم قضاء قسطنطينية، ثم قضاء العسكر في ولاية روم إيلي، ودام عليه مدة ثمان سنين، ثم لما توفي المولى سعد الله بن عيسى بن أمير خان تولى مكانه الفتيا، فقام بأعبائها أتم قيام، وذلك سنة (٩٥٢ هـ)، واستمر على ذلك إلى أن مات.

وسارت أجوبته في جميع العلوم وجميع الآفاق مسير النجوم، وجعلت رشحات أقلامه تميمة نَحْرٍ لكونها يتيمة بَحْرٍ يا له من بحر.

وكان من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها، وضربت له نوبة الامتياز في مشارق الأرض ومغاربها، تفرد في ميدان فضله، فلم يجاره أحد، وانقطع عن القرين والمماثل في كل بلد، وحصل له من المجد والإقبال والشرف والإفضال ما لا يمكن شرحه بالمقال.

وقد عاقه الدرس والفتوى والاشتغال بما هو أهم وأقوى عن التفرغ للتصنيف، سوى أنه اختلس فرصًا وصرفها إلى التفسير الشريف، وقد أتى فيه بما لم تسمع به الأذهان، ولم تقرع بمثله الآذان، وسماه: «إرشاد

=

عن أبي السعود: إن هذه الطائفة قالت: إن مريم ولدت إلهًا، ومعنى هذا عندهم أن الله تعالى حَلّ في ذات عيسى واتحد بها، اهـ.

وفي «الجلالين»، في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]: إن أحد الثلاثة الله، والأخيران: عيسى وأمه.

قال المحشي: هذا وجه في تفسير التثليث عندهم، وهناك وجه آخر للمفسرين: وهو أن النصارى يقولون: إن الإله جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، والروح القدس، فهذه الثلاثة إله واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص، والشعاع، والحرارة.

وعنوا بالأب: الذات، وبالابن: الكلمة، أي: كلام الله، وبالروح القدس: الحياة.

وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا: أن الأب: إله، والابن: إله، والروح: إله، والكل إله واحد، اهـ خازن.

ولهم قبائح كثيرة، وأقوال فاسدة تَنَزَّه الله تعالى عنها، والله تعالى، ولله در البوصيري[1] ﷺ

=

العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، ولما وصل منه إلى آخر سورة (ص) ورد التقاضي من قِبل السلطان سليمان خان فبيض الموجود وأرسله إليه، وبعد ذلك تيسر له الختام، وأنعم عليه السلطان بما لم يدخل تحت الحصر.

وله حاشية على «العناية» من أول كتاب البيع، وبعض حواش على بعض «الكشاف»، وجمعها حال إقرائه له.

وكان طويل القامة، خفيف العارضين، غير متكلف في الطعام واللباس، غير أن فيه نوع اكتراث بمداراة الناس، والميل الزائد لأرباب الرئاسة، فكان ذا مهابة عظيمة، واسع التقرير سائغ التحرير يلفظ الدرر من كلمه، وينثر الجوهر من حكمه، بحرًا زاخرًا، وطودًا باذخًا، وله شعر كثير مطبوع.

(١) هو: محمد بن سعد بن حماد بن محسن بن عبدالله، أبو عبدالله، الدلاهي، الصنهاجي، البوصيري، الشاعر، الصوفي، الزاهد، شرف الدين، المغربي، الشهير بالبوصيري.

ولد سنة: (٦٠٨هـ)، في أول شوال، وتوفي سنة: (٦٩٤هـ) وقيل: (٦٩٥هـ) وقيل: (٦٩٦هـ)، شاعر مشهور بالبُردة التي مدح بها رسول الله ﷺ، وقد تناولها الكثير بالشرح والمعارضة والنهوج، وقد ذاع صيتها وتغنى بها واستشفي بها، وقد ترجمت له بعض المصادر التي منها:

«ديوان الإسلام» (ت:٤٨٨)، «معجم المؤلفين» (١٠/ ٢٨)، «شذرات الذهب» (٥/ ٤٣٢)، «هدية العارفين» (٢/ ١٣٨)، «كشف الظنون» (١٣٣١)، «الأعلام» (٦/ ١٣٩)، «فوات الوفيات» (٣/ ١٠٥)، «الوافي بالوفيات» (٣/ ١٠٥)، «جامع كرامات الأولياء» (٨١، ٨٢).

قال ابن العماد في ترجمته، في وفيات سنة (٥٩٥هـ): «وفيها: شرف الدين البوصيري، صاحب البردة، محمد بن سعد بن حماد الدلاهي المولد، المغربي الأصل، البوصيري المنشأ، ولد بناحية دلاهي في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة، وبرع في النظم، قال فيه الحافظ ابن سيد الناس: هو أحسن من الجزار والوراق، قاله السيوطي في «حُسن المحاضرة»، وأقول: والأمر كما قال ابن سيد الناس، ومن سبر

=

في الرد عليهم وعلى اليهود بقوله:

قوم عيسى عاملتم قوم موسى ... بالذي عاملتم به الحنفاء
صدقوا كتبكم وكذبتموا ... كتبهم إن ذا لبئس البواء
لو جحدنا جحودكم لاستوينا ... أو للحق بالضلال استواء
ما لكم إخوة الكتاب أناسًا ... ليس يرعى للحق منكم إخاء
يحسد الأول الأخير وما زال ... كذا المُحْدَثُونَ والقُدَمَاء
[٣٨/ب] قد علمتم بظلم قابيل هابيل ... ومظلوم الإخوة الأتقياء
وسمعتم بكيد أبناء يعقوب ... أخاهم وكلهم صُلحاء
حين ألقوه في غيابات جُبّ ... ورموه بالإفك وهو براء
فتأسوا بمن مضى إذ ظلمتم ... فالتأسي للنفس فيه عزاء
أنراكم وفيتم حين خانوا ... أنراكم أحسنتموا إذا أساءوا
بل تمادت على التجاهل أباء ... تقفت آثارها الأبناء
بينته توراتهم والأناجيل ... وهم في جحوده شركاء
أن تقولوا: ما بينته فما زالت ... بها عن عيونهم غشواء
أو تقولوا: قد بينته فما ... للأذن عما تقوله صماء
عرفوه وأنكروه ظلمًا ... كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الإله تطفئه الأفواه ... وهو الذي به يستضاء
أَوَ لا ينكرون من طحنتهم ... برحاها عن إمره الهيجاء
وكساهم ثوب الصغار وقد طلت ... دماء منهم وصيرت دماء
كيف يهدي الإله منهم قلوبًا ... حشوها من حبيبه البغضاء

=

شعره علم مزيته، وما أحسن قوله في افتتاح ديوانه:

كتب المِشِيب بأبيض في أسود ... بقضاء ما بيني وبين الخرد

والله أعلم».

خبرونا أهل الكتابين من ... إيش أتاكم تثليثكم والبداء
ما أتى بالعقيدتين كتاب ... واعتقاد لا نص فيه ادعاء
والدعاوي ما لم تقيموا عليها ... بينات إنباؤها ادعاء
ليت شعري ذكر الثلاثة ... والواحد نقص في عدكم أم نماء
كيف وحدتم إلهًا نفى التوحيد ... عنه الآباء والأبناء
أأله مركب؟! ما سمعنا ... بإله لذاته أجزاء
الكل منهم نصيب من الملك ... فهلا تميز الأنصباء
[٣٩/أ] أتراهم لحاجة واضطرار ... خلطوها وما بغى الخلطاء
أهو الراكب للحمار فيا ... عجز إله يمسه الإعياء
أم جميع على الحمار لقد ... جل حمار بجمعهم مشاء
أم سواهم هو الإله فما ... نسبة عيسى إليه والانتماء
أم أردتم بها الصفات فَلِمَ ... خُصّت ثلاثة بوصفه وثناء؟
أم هو ابن الإله فما شاركته ... في معاني النبوة الأنبياء؟
قتلته اليهود فيما زعمتم ... ولأمواتكم به إحياء
إن قولًا أطلقتموه على الله ... تعالى ذكر القول هواء
مثل ما قالت اليهود وكل ... لزمته مقالة شنعاء
إذ هم استقروا البداء وكم ... ساق وبالًا إليهم استقراء
وأراهم لم يجعلوا السواء حدًّا ... لقهار في الخلق فاعِلًا ما يشاء
جوزوا النسخ مثل ما جوزوا ... المسخ عليهم لو أنهم فقهاء
ما هو أن لا يرفع الحكم بالحكم ... وخلق فيه وأمر سواء
ولحكم من الزمان ابتداء ... ولحكم من الزمان انتهاء
فسلوهم إن كان في مسخهم نسخ ... لآيات الله أم إنشاء
وبدا في قولهم ندم الله ... على خلق آدم أم خطاء

أم محا الله آية الليـــل ذكـــرًا … بعد سهر ليوجـــد الإمســـاء
أم بدا للإله في ذبح إسحـــاق … وكان الأمر فيـــه مضـــاء
أو ما حرم الله نكاح الأخـــت … بعد التحليل فهـــو زنـــاء؟
لا تكذب إن اليهود وقد زاغـــوا … عن الحق معشـــر لؤمـــاء
جحدوا المصطفى وآمن بالطاغوت … قـــوم عندهـــم شرفـــاء
[٣٩/ب] قتلوا الأنبياء واتخذوا العجل … ألا إنهم هـــم السفهـــاء
وسفيه من ساءه المن والسلوى … وأرضـــاه الفـــوم والقثـــاء
ملئت بالخبث منهم بطـــون … فهي نار طباقـــها الأمعـــاء
لو أريدوا في حال سبت بخـــير … كان سبتًا لديهم الأربعـــاء
هو يوم مبارك قـــل للتصـــريف … فيه من اليهـــود اعتـــداء
فبظلم منهم وكفـــر عـــدتهم … طيبـــات في تركهـــن ابتـــلاء
خدعـــونا بالمنافقـــين وهـــل … ينفق الأعلى السفيه الشـــقاء
واطمأنوا بقول الأحزاب إخوانهم: … إنـنـــا لكـــم أوليـــاء
حالفوهـــم وخالفوهـــم ولم أدر … لماذا تخـــالـــف الحلـفـــاء
أسلموهـــم لأول الحشـــر لا … ميعادهم صـــادق ولا إيـــلاء
سكن الرعـــب والخـــراب قلوبـــا … وبيوتًا منهم نفاها الجـــلاء
بيوم الأحزاب إذ زاغت الأبصار … فيـــه وضلـــت الأســـراء
وتعـــدوا إلى النبي حـــدودًا … كان فيهـــم عليهم العـــداء
ونهتهم وما انتهت عند قـــوم … فأبيـــد الأَمَّـــار والنَّهـــاء
وتعاطوا في أحمد منكر القـــول … ونطـــق الأراذل العـــوراء
كل رجس يزيده الخلق الســـوء … سفاهـــا والملـــة العوجـــاء
فانظر كيف كان عاقبـــة القـــوم … وما ساق للبـــذي البـــذاء
وجد السب فيه ســـما ولـــم … يدر إذ الميم في مواضـــع بـــاب

كان من فيه قتله بيديه فهو في سوء فعله الزباء
أو هو النحل قرصها يجلب الحتف إليها وما له إنكاء

إلى آخر ما قال رحمه الله.

وسيأتي لنا التعرض لشرح هذه [٤٠/أ] القصيدة[١]...../ [٤١/أ] بنان[٢] عليه العامة حتى ساروا إلى منزله ليهجموا عليه ويقتلوه، فأشرف عليهم أبو حنيفة، فقال: يا قوم، ما تريدون؟

قالوا: كفرت.

قال: أكفر منه توبة، أم كفر ليست منه توبة؟

قالوا: بل كفر منه توبة.

فقال: اشهدوا أني تبت، قد تبت من كل كفر. فرفعوا عنه.

ولم يجسر أبو حنيفة أن يخرج من البيت، وكان رئيس الكوفة في العلم يومئذ: أبا الصباح موسى بن أبي كثمة، وكان في الحج، فلما رجع ونزل بالقادسية قصده النعمان في جوف الليل متنكرًا، فلما دخل في خيمته، قام أبو الصباح، وحضر المسجد، فاجتمع إليه الناس يسألونه عن ذلك، فداراهم وأسكتهم عن هذه المسألة، وأبى بنان إلا تماديًا في غيه لجاجًا وعتوًّا، فقال أبو الصباح لما أعياه أمر بنان لأصحابه: إني أريد أن أدعو بدعاء فأمِّنوا، فرفعوا أيديهم. وقال: يا رب إن علمت أن بنانًا تمادى في غيه لجاجًا وعتوًّا فلا تخرجه من الدنيا حتى تفضحه وتهتك ستره. فأمَّن القوم.

قال علي بن حرملة[٣]: فوالله ما خرج من الدنيا حتى رئي مقطوع اليد والرِّجل مصلوبًا

(١) سقطت الورقة [٤٠/أ، ب] من تصوير المخطوط فانقطع الكلام، وأضفت الكلمة التي أظن أنها هي المتممة للكلام، وفي هذه الورقة ابتدأ في ذكر القول بخلق القرآن والمحنة فيه لأهل العلم.

(٢) تتمة قصة من القصص التي تروى في استتابة أبي حنيفة من محنة خلق القرآن، وقد سقط أولها بسبب سقط الورقة [٤٠/أ، ب]، وقد اتهم أبو حنيفة بأشياء كثيرة منها استتابته من القول بخلق القرآن، وحقيقة ذلك في علم الله تعالى، والذي نعلمه عنه أنه إمام عالم جليل صاحب مدرسة في العقل والرأي، وسأتكلم عن هذه التهمة المنسوبة إليه بعد قليل إن شاء الله تعالى، أما هو، فهو: النعمان بن ثابت بن زوطى، أبو حنيفة، وقد سبق أن ترجمت له ترجمة موجزة فيما سبق من هذه الهوامش.

(٣) هو: علي بن حرملة التيمي، الكوفي، القاضي، ذكره الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧/ ٤١٥)، فقال: علي بن حرملة التيمي من تيم الرباب، كوفي، ولي قضاء القضاة ببغداد في أيام هارون الرشيد بعد موت محمد بن الحسن، وكان من أصحاب أبي حنيفة، وأبي يوسف، وقد حدث عن أبي يوسف.

روى عنه : علي بن مكنف الكوفي، أخبرنا علي بن المحسن، أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، حدثنا
=

بالكوفة، وقد أقر بالسرقة، وأخذ في بيت النار مع الزنادقة.

وقيل له في ذلك، فقال: إنه كان يبغض النبي ﷺ ويتوصل في ذمه بذم أصحابه.

ثم زجر أهل العلم الناس عن الخوض في هذه المسألة وأمسكوا عنها إلى أن انتصب هشام بن عبدالحكم، فأخذ يجددها، فصارت فتنة إلى اليوم (١)

=

أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني، حدثنا أحمد بن محمد بن فنتي، حدثنا علي بن مكنف الفقيه، عن علي بن حرملة عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة، عن زبيد، عن ذر، عن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن النبي ﷺ: «أنه كان يقرأ في الركعة الأولى من الوتر بـ:﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وفي الثانية ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[الكافرون: ١]، وفي الثالثة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾» [الإخلاص: ١].

قال طلحة: علي بن حرملة مقدم في العلم حسن المعرفة، وقد حمل عنه العلم كثير، وله حديث صالح وأخبار. وتقلد قضاء القضاة، وكان مع هارون الرشيد بعد محمد بن الحسن.

(١) كنت قد وعدت بأن أذكر القول في اتهام أبي حنيفة بالقول بخلق القرآن وبراءته من ذلك، فأذكر بعضًا مما ذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» من القول باتهامه، وبعضًا من رد الخطيب أيضًا على ذلك القول، فأقول وبالله التوفيق: يقول الخطيب: ذكر الروايات عمن حكى عن أبي حنيفة القول بخلق القرآن (١٣/ ٣٨٤):

* أخبرنا البرقاني... عن أبي يوسف قال: أول من قال : القرآن مخلوق، أبو حنيفة.

قال محققه: وفي إسناده محمد بن العباس الخزاز، وهو ضعيف.

* كتب إليّ عبدالرحمن بن عثمان الدمشقي، حدثنا عبدالعزيز بن أبي طاهر... سمعت أبا مسهر يقول: قال سلمة بن عمرو القاضي على المنبر: لا رحم الله أبا حنيفة، فإنه أول من زعم أن القرآن مخلوق.

* أخبرنا العتيقي.... حدثني حسن بن أبي مالك، وكان من خيار عباد الله، قال: قلت لأبي يوسف القاضي: ما كان أبو حنيفة يقول في القرآن؟ قال: كان يقول: القرآن مخلوق. قال: قلت : فأنت يا أبا يوسف؟ فقال: لا. قال أبو القاسم: فحدثت بهذا الحديث القاضي البرتي، فقال لي : وأي حسن كان؟ وأي حسن كان؟! يعني: الحسن بن أبي مالك، قال أبو القاسم: فقلت للبرتي: هذا قول أبي حنيفة؟ قال: نعم المشئوم، قال: جعل يقول: أحدث بخلقي.

قال محققه: في إسناده أبو القاسم عبدالله بن محمد البغوي، ضعيف.

* أخبرني الحسن بن محمد الخلال... حدثنا سعيد بن سلم الباهلي، قال: قلنا لأبي يوسف: لِمَ لم تحدثنا عن أبي حنيفة؟ قال: ما تصنعون به؟ مات يوم مات يقول: القرآن مخلوق.

* أخبرنا محمد بن علي المقرئ..... سمعت يحيى بن عبدالحميد يقول: سمعت عشرة كلهم ثقات يقولون: سمعنا أبا حنيفة يقول: القرآن مخلوق.

قال محققه: في إسناده أبو عباد قطن بن بشر البصري العنبري، قيل: كان يسرق الحديث.

* حدثنا أبو عبدالله الحسين بن شجاع الصوفي.. أخبرني إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، قال: هو قول أبي حنيفة: القرآن مخلوق.

قال محققه: في إسناده الحسين بن عبدالأول كذبه يحيى بن معين.

* أخبرني الخلال.... حدثنا أحمد بن يونس قال: كان أبو حنيفة في مجلس عيسى بن موسى، فقال: القرآن مخلوق، قال: فقال: أخرجوه، فإن تاب، وإلّا فاضربوا عنقه.

=

=

قال محققه: في إسناده عمر بن الحسين الأشناني، ضعيف، والحسن بن محمد الخلال كذبه بعضهم.
* أخبرنا ابن رزق....: أخبرني أحمد بن يونس، قال: اجتمع ابن أبي ليلى وأبو حنيفة عند عيسى بن موسى العباسي والي الكوفة، قال: فتكلمنا عنده، قال: فقال أبو حنيفة: القرآن مخلوق، قال: فقال عيسى لابن أبي ليلى، أخرج فاستتبه، فإن تاب وإلّا فاضرب عنقه.
قال محققه: في إسناده مجهول.
* أخبرنا ابن الفضل، أخبرنا دعلج بن أحمد، أخبرنا أحمد بن علي الأبّار، حدثنا سفيان بن وكيع قال: جاء عمر بن حماد بن أبي حنيفة، فجلس إلينا، فقال: سمعت أبي حمادًا يقول: بعث ابن أبي ليلى إلى أبي حنيفة فسأله عن القرآن؟ ففال: مخلوق، فقال: تتوب وإلّا أقدمت عليك؟ قال فتابعه فقال: القرآن كلام الله، قال: فدار به في الخلق يخبرهم أنه قد تاب من قوله: القرآن مخلوق، فقال أبي: فقلت لأبي حنيفة: كيف صرت إلى هذا وتابعته؟ قال: يا بُني خفت أن يقدم عَلَيّ فأعطيته التقية.
قال محققه: في إسناده سفيان بن وكيع بن الجراح، اتهمه بعضهم بالكذب.
* أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي.... عن عمر بن عبيدالله الطنافسي، عن أبيه: أن حماد بن أبي سليمان بعث إلى أبي حنيفة: «إني بريء مما تقول، إلا أن تتوب؟ قال: وكان عنده ابن عيينة، فقال: أخبرني جار لي: أن أبا حنيفة دعاه إلى ما استتيب منه بعدما استتيب.
قال محققه: في إسناده مجهول وفي متنه مجهول.
* أخبرنا محمد بن عبيدالله الحنائي.... حدثنا سفيان بن الثوري، قال: قال لي حماد بن أبي سليمان: أبلغ عني أبا حنيفة المشرك أني بريء منه حتى يرجع عن قوله في القرآن.
قال محققه: في إسناده ضرار بن صرد، اتهم بالكذب، وسليم بن عيسى المقرئ وهو ليس بثقة.
* أخبرنا ابن الفضل... حدثني محمد بن فليح المدني، عن أخيه سليمان – وكان علّامة بالناس-: أن الذي استتاب أبا حنيفة خالد القسري قال: فلما رأى ذلك أخذ في الرأي ليعمي به.
وروي أن يوسف بن عمر استتابه، وقيل: إنه لما تاب رجع وأظهر القول بخلق القرآن فاستتيب دفعة ثانية، فيحتمل أن يكون يوسف استتابه مرة، وخالدًا استتابه مرة، والله أعلم.
قال محققه: في إسناد الخبر ابن درستويه ضعيف، وسليمان أخو محمد بن فليح مجهول». اهـ.
هذا بعض ما ذكر الخطيب في القول باتهام أبي حنيفة رحمه الله تعالى بالقول بخلق القرآن.
وقد أوردت عقب كل خبر ضعفه من قِبل الإسناد، وأنا الآن أشرع في سرد قول الخطيب في براءة أبي حنيفة رحمه الله تعالى من هذا القول في «تاريخ بغداد» أيضًا حيث يقول في (١٣/ ٣٨٣):
* أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق.... سمعت الحكم بن بشير يقول: سمعت سفيان بن سعيد الثوري والنعمان بن ثابت يقولان: القرآن كلام الله غير مخلوق.
* أخبرنا القاضي أبو جعفر السمناني.... عن أبي يوسف قال: ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر حتى قال: من قال القرآن مخلوق فهو كافر.
* أخبرنا الخلال أخبرنا الحريري... عن أبي يوسف عن أبي حنيفة قال: من قال القرآن مخلوق فهو مبتدع، فلا يقولن أحد بقوله، ولا يصلين أحد خلفه.
* قال النخعي: حدثنا نجيح بن إبراهيم، حدثني ابن كرامة ـ وراق أبي بكر بن أبي شيبة - قال: قدم ابن مبارك على أبي حنيفة، فقال له أبو حنيفة: ما هذا الذي درب فيكم؟ قال له : رجل يقال له: جهم، قال:
=

والغرض من هذه الحكاية بيان مبدأ الفتنة وكيفية نسبة خلق القرآن إلى الإمام أبي حنيفة ﷺ.

والمحققون [٤١/ ب] من أصحابه قد نفوا عنه القول بخلق القرآن، ونقلوا عنه مثل مذهب أبي الحسن الأشعري ﷺ، انتهى.

قال في «الروضة»:

أقول وبالله التوفيق: الذي نقله المحققون عن الشيخ أبي الحسن الأشعري ﷺ هو حدوث الحروف والكلمات، وقدم الكلام.

وذكر القاضي أبو بكر ـ من أساطين الأشاعرة ـ عن الشيخ: أن كلام الله تعالى الأزلي مقروء بألسنتنا على الحقيقة، محفوظ في قلوبنا، مسموع بآذاننا، مكتوب في مصاحفنا غير حال في شيء من ذلك، كما أن الله معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا معبود في محاريبنا، غير حال في شيء من ذلك.

والقراءة والقارئ مخلوقان، كما أن العلم والمعرفة مخلوقان قديمان.

وكلام الله تعالى منزل على قلب النبي ﷺ.

هذا مذهب الأشعري الذي صح عنه بنقل الأئمة الثقات.

وهو موافق لما ذكر الإمام أبو حنيفة النعمان في الفقه الأكبر، ونقله عنه المحققون الثقات من أصحابه.

أما قولهم: «قالت الأشاعرة: ما في المصحف ليس بكلام الله تعالى، وإنما هو عبارة عنه»،

=

وما يقول؟ قال: يقول القرآن مخلوق، فقال أبو حنيفة: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

* وقال النخعي: حدثنا أبو بكر المروذي، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يصح عندنا أن أبا حنيفة كان يقول: القرآن مخلوق.

* وقال النخعي : حدثنا محمد بن شاذان الجوهري قال: سمعت أبا سليمان الجوزجاني ومعلى بن منصور الرازي يقولان: ما تكلم أبو حنيفة، ولا أبو يوسف، ولا زفر، ولا محمد، ولا أحد من أصحابهم في القرآن، وإنما تكلم في القرآن بشر المريسي، وابن أبي داود، فهؤلاء شانوا أصحاب أبي حنيفة.

قلت: ومما سبق من سرد هذه الأخبار يتضح لك براءته من تلك التهمة، والمعروف أن أبا حنيفة ليس وحده من بين العلماء أو الفقهاء أو القضاة أو المبرزين الذي قد اتهم بل إن أغلبهم قد اتهم بتهم متعددة، وصلت ببعضهم إلى حد الكفر والإلحاد والزندقة، ومِنْ مَنْ تكون تلك التهم، تكون من علماء آخرين يكونون حاسدين أو حاقدين أو طالبين جاهًا أو سلطانًا أو قربًا من سلطان فيفترون على من يظنون أنه ينافسهم أو يكشف أغراضهم أو نواياهم، فيحاولون إزاحته من الطريق بدس التهم عليه أو نسبة الكفر إليه، عافانا الله وإياكم من التهم والاتهام، ورزقنا الله وإياكم السلامة وحسن الختام.

فعلى تقدير صحة هذه العبارة عن الشيخ، محمولة على ما نقله الأئمة الثقات الذين هم أساطين الأشاعرة من أنه: يريد بها في المصاحف نفس الحروف المؤلفة للكلمات المنتظمة كما قال به الإمام أبو حنيفة.

قال أصحاب أبي حنيفة: القرآن كلام الله تعالى، وصفته، قديم غير محدث، ولا مخلوق، ولا حروف، ولا صوت، ولا مقاطع، ولا هو ولا غيره.

وسمعه جبريل ﷺ بصوت وحرف خلقهما [٤٢/أ] الله تعالى، فنزل به على النبي ﷺ فحفظه ووعاه، وتلاه على أصحابه فحفظوه وتلوه على التابعين، وهلمّ جرًّا إلى أن وصل إلينا.

وهو مقروء بالألسنة، محفوظ بالقلوب، مكتوب في المصاحف، لا يحتمل الزيادة ولا النقصان، وليس بموضوع في المصاحف، أي ليس بحال فيها.

قال في «الروضة» بعدما سبق: قلت: مرادهم بالقرآن: الصفة القائمة بذاته؛ لأنها تسمى قرآنًا، وما في المصحف يسمى قرآنًا، كما أنها تسمى كلام الله تعالى، كذلك ما في المصحف يسمى كلام الله تعالى.

ومرادهم بقولهم: «مقروء بالألسنة»: أي: مقروء ما يدل عليه.

و «مكتوب في المصاحف»: أي: مكتوب ما يدل عليه.

وتحقيقه: أن للشيء وجودًا في الأعيان، ووجودًا في الأذهان، ووجودًا في العبارة، ووجودًا في الكتابة.

فالكتابة تدل على العبارة، وهي تدل على ما في الأذهان، وهو يدل على ما في الأعيان، فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم، كما في قولنا: القرآن غير مخلوق، فالمراد حقيقته الموجودة في الخارج، وحيث يوصف بما هو من لوازم المخلوق، والمحدث يراد به الألفاظ المنطوقة والمسموعة كما في قولنا: قرأت نصف القرآن، أو المخيلة كما في قولنا: حفظت القرآن، أو الأشكال المنقوشة كما في قولنا: يحرم على المحدث مس القرآن.

وقال الشيرازي[1]: وصف كلام الله تعالى بأنه مخلوق أو غير مخلوق بين كفر وبدعة، وذلك لأنه إذا أشير إلى الوصف الدال عليه الكلام المسموع بأنه مخلوق فهو كفر، وإن أشير إلى الكلام المسموع بأنه قديم فإنه إما كفر أو بدعة؛ لأنه كما لا يجوز وصف [٤٢/ب] القديم بأنه مخلوق، لا يجوز وصف المخلوق بأنه قديم.

وكذا إذا أشير إلى المسموع بأنه مخلوق فهو بدعة إذا كان ذلك مما لا يذكره النبي ﷺ والسلف.

---

(١) سبقت ترجمته.

وقد تقرر في القواعد الأصولية: أنّا لا نصف الله تعالى ولا نصف الأمور الإلهية إلّا بما ورد به السمع.

ولمَّا لم يرد السمع بشيء من ذلك فينبغي أن لا يوصف إلّا بما ورد، وقد ورد الوصف بأنه منزل، وعربي، ومحدث -أي: أحدث ذكر وجوده عندنا بعد أن لم يكن- ومحكم، ومفصل، وموصل لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود:١]، ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [القصص:٥١]، وناسخ، ومنسوخ، وصفناه بها.

ولما كان الأمر في هذه المسألة دائرًا بين الكفر والبدعة، كان الإمساك عنها أولى. اهـ.

وذكر **المحقق الأمير في حاشيته**: أن هذه المسألة وقع فيها لأهل السنة بلاء كبير، حتى إن البخاري ﷺ خرج فارًّا، وسُمِعَ يقول: اللهم اقبضني إليك غير مفتون فمات بعد أربعة أيام. وسجن عيسى بن دينار[١] عشرين سنة.

وسئل الشعبي[٢] **فقال**: أما التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن: فهذه الأربعة حادثة،

---

(١) هو: عيسى بن دينار، أبو محمد، الغافقي، القرطبي، الأندلسي، الفقيه. توفي سنة: (٢١٢هـ).
جاءت ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٣٩)، «جذوة المقتبس» (٢٩٨)، «ترتيب المدارك» (٣/ ١٦)، «العبر» (١/ ٣٦٣)، «الديباج المذهب» (٢/ ٦٤)، «تاريخ ابن الفرضي» (١/ ٣٣١)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢٨).
قال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: «فقيه الأندلس ومفتيها، الإمام، أبو محمد، عيسى بن دينار، الغافقي، القرطبي.
ارتحل ولزم ابن القاسم مدة، وعوّل عليه، وكان صالحًا خيّرًا ورعًا يذكر بإجابة الدعوة.
كان ابن وضاح يقول: هو الذي علّم أهل الأندلس الفقه.
وقال محمد بن عبدالملك بن أيمن: كان أفقه من يحيى بن يحيى الليثي.
وقال الفقيه أبان بن عيسى بن دينار: كان أبي قد أجمع على ترك الفتيا بالرأي، وأحب الفتيا بالحديث، فأعجلته المنية عن ذلك.
قلت: كان من أوعية الفقه، ولكنه قليل الحديث.
توفي سنة اثنتي عشرة ومائتين في سن الكهولة، ﷺ».

(٢) هو: عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار - وذو كبار - ويقال: هو عامر بن عبدالله، أبو عمرو، الهمداني، الشعبي. ولد سنة: (١٧هـ)، وقيل: (٢١هـ)، وقيل: (١٩هـ)، وقيل: (١٦هـ)، وقيل: (٢٨هـ)، وقيل: (٣٠هـ). وتوفي سنة: (١٠٥هـ)، وقيل: (١٠٦هـ)، وقيل: (١٠٣هـ).
وهو علم مشهور، ومحدث معروف، وتابعي مرموق، كتبت في سيرته الكتب وترجمت له المصادر الكثيرة منها:
«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٩٤)، «طبقات ابن سعد» (٦/ ٢٤٦)، «طبقات خليفة» (١١٤٤)، «تاريخ البخاري الكبير» (٦/ ٤٥٠)، «الصغير» (١/ ٢٤٣)، «دائرة المعارف» (٤٤٩)، «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٩٢)، «أخبار القضاة (٢/ ٤١٣)، «المنتخب من المذيل» للطبري (٦٣٥)، «الجرح والتعديل» (٣٢٢)، =

البوسي ٣٠

وأشار إلى أصابعه، فكانت سبب نجاته، كذا في البوسي عن الكبرى، واشتهر عن الشافعي.

قال البوسي[1]: ومنهم من تجان، حكي عن بعضهم: أنه دخل على أمير يمتحنه بذلك،

=

«الإكليل» (٨/ ١٤٥)، «الحلية» (٤/ ٣١٠)، «طبقات الشافعية» للعبادي (٥٨)، «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٢٧)، «طبقات الفقهاء» للشيرازي (٨١)، «سمط اللآلئ» (٧٥١)، «الجمع بين رجال الصحيحين» (٣٧٧)، «طبقات فقهاء اليمن» (٧٠)، «اللباب» (٢/ ٢١)، «وفيات الأعيان» (٣/ ١٢)، «تهذيب الكمال» (١/ ٦٤٢)، «تاريخ الإسلام» (٤/ ١٣٠)، «طبقات الحفاظ»(١/ ٧٤)، «العبر» (١/ ١٢٧)، «طبقات المعتزلة» (١٣٠)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ٦٥)، «النجوم الزاهرة» (١/ ٢٥٣)، «شذرات الذهب» (١/ ١٢٦).

ومما ترجم له به الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: «الإمام، علّامة العصر.. قبيلته من كان منهم بالكوفة قيل: شعبي، ومن كان منهم بمصر قيل: الأُشعوبي، ومن كان منهم باليمن قيل لهم: آل ذي شعبين، ومن كان منهم بالشام قيل لهم: الشّعباني، وأرى قبيلة شعبان نزلت بمرج «كفر بطنا» فعرف بهم وهم جميعًا ولد حسان بن عمرو بن شَعْبَيْن...

قال ابن عيينة: علماء الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه.

قال ابن سعد: كان الشعبي ضئيلًا نحيفًا، ولد هو وأخ له تَوْءَمًا.

... قال ابن سعد: قال أصحابنا: كان الشعبي فيمن خرج مع القُرّاء على الحجاج، ثم اختفى زمانًا، وكان يكتب إلى يزيد بن أبي مسلم أن يكلّم فيه الحجاج.

قلت: خرج القراء وهم أهل القرآن والصلاح بالعراق على الحجاج لظلمه وتأخيره الصلاة والجمع في الحضر، وكان ذلك مذهبًا واهيًا لبني أمية.

.... قال إسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن علقمة قال: أفرط ناس في حُبّ عليٍّ كما أفرطت النصارى في حُبّ المسيح.

....قال أبو بكر الهذلي: قال الشعبي: أرأيتم لو قتل الأحنف، وقتل معه صغيرًا كانت ديتهما سواء، أم يفضل الأحنف لعقله وحلمه؟ قلت: بل سواء. قال: فليس القياس بشيء».

وقال محققه: وأحسب أن هذا القول -أي: قوله بأنه أشار إلى أصابعه قاصدًا بها أنها هي المخلوقة -إلى الإمام الشافعي- أنسب منه إلى الشعبي، والله أعلم.

(١) هو: الحسن بن عبدالأعلى بن إبراهيم بن عبيدالله، أبو محمد، الأبناوي، اليمني، الصنعاني، البوسي، المسند. ولد سنة: (١٩٤هـ)، وقيل: (٢١٠هـ). وتوفي سنة: (٢٨٦هـ).

جاءت ترجمته في: «الأنساب» (١/ ١٣)، «معجم البلدان» (بوسي)، «اللباب» (١/ ١٨٧)، وترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٥١)، فقال: المسند المعمر، أبو محمد، الحسن بن عبدالأعلى... الأبناوي، اليمني، الصنعاني، البوسي.

صاحب عبدالرزاق، سمع منه نحو خمسين حديثًا. قال أبو الحسن بن سلمة القطان عنه: ولدت سنة أربع وتسعين ومائة، وسمعت من عبدالرزاق سنة (٢١٠هـ) قلت: روى عنه أبو عوانة في «صحيحه»، وأحمد بن شعيب الأنطاكي، وأبو جعفر محمد بن محمد الجمال، نزل بخارى وحفيده عبدالأعلى بن محمد ابن حسن البوسي، وأبو الحسن بن سلمة، وأبو القاسم الطبراني، وعدة، وما علمت به بأسًا. وقال ابن

=

فقال للأمير: تعزّ، فقال: مِمَّ؟! فقال له: مات القرآن.

فقال: سبحان الله يموت القرآن؟!

فقال: كل مخلوق يموت.

ثم قال: إذا مات القرآن في شعبان، فبماذا يصلي الناس في رمضان؟!

فقال الأمير: أخرجوا عني هذا المجنون.

وفي الدولة العباسية اشتهر الأمر بذلك وعظم البلاء.

قيل: وأول من قال بخلق القرآن في الخلفاء [٤٣/ أ] العباسية المأمون العباسي[1]، وكان

=

منده: توفي سنة (٢٨٦هـ). قلت: فلا أرى أنه معمرًا.

(١) هو: عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، الخليفة العباسي، المأمون. ولد سنة: (١٧٠هـ).

خليفة مشهور، من خلفاء بني العباس، سيرته معروفة ومشهورة، ومن الكتب التي ترجمت له: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٧٢)، «المعارف لابن قتيبة» (٣٨٧)، «الأخبار الطوال» (٤٠٠)، «تاريخ اليعقوبي» (٣/ ١٧٢)، «تاريخ الطبري» (٨/ ٤٧٨)، «مروج الذهب للمسعودي» (٢/ ٢٤٧-٢٦٩)، «البدء والتاريخ» (٦/ ١١٢)، «الفهرست» (١٢٩)، «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٨٣)، «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٢٨٢)، «النبراس» لابن دحية (٤٦-٦٣)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٤٤)، «الذهب المسبوك» (١٨٦)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ٢٢٥)، «تاريخ الخلفاء» (٣٠٦-٣٣٣)، «تاريخ الخميس» (٢/ ٣٣٤)، «شذرات الذهب» (٢/ ٣٩)، «فوات الوفيات» (٢/ ٢٣٥-٢٣٩).

ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء»، فمما قال في ترجمته: « قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ، وعمل الرصد فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، نسأل الله السلامة.

وكان من رجال بني العباس حزمًا وعزمًا ورأيًا وعقلًا وهيبة وحلمًا، ومحاسنه كثيرة في الجملة.

قال ابن أبي الدنيا: كان أبيض ربعة، حسن الوجه، تعلوه صفرة، قد خطه الشيب، وكان طويل اللحية، أعين، ضيق الجبين، على خده شامة. أتته وفاة أبيه وهو بمرو سائرًا لغزو ما وراء النهر، فبايع من قِبَله لأخيه الأمين، ثم جرت بينهما أمور وخطوب وبلاء وحروب تشيب لها النواصي، إلى أن قتل الأمين، وبايع الناس المأمون في أول سنة ثمان وتسعين ومائة.

قال الخطمي: كنيته أبو العباس، فلما استخلف، اكتنى بأبي جعفر، واسم أمه مراجل، ماتت في نفاسها به.

وعن المأمون: من أراد أن يكتب كتابًا سرًّا، فليكتب بلبن حلب لوقته، ويرسله، فيعمد إلى قرطاس، فيحرقه، ويذر رماده على الكتابة، فيقرأ له. قال الصولي: اقترح المأمون في الشطرنج أشياء، وكان يحب اللعب بها، ويكره أن يقول: نلعب بها، بل نتناقل بها.

وقيل: إن المأمون استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس، وقدم دمشق مرتين.

... قال إبراهيم بن نفطويه: حكى داود بن علي، عن يحيى بن أكثم قال: كنت عند المأمون وعنده قواد خراسان، وقد دعا إلى القول بخلق القرآن، فقال لهم: ما تقولون في القرآن ؟ فقالوا: كان شيوخنا

=

شيخه أبو الهذيل العباسي إلّا أن المأمون في خلافته لم يَدْعُ الناس لذلك، بل كان يقدم رجلًا ويؤخر أُخرى إلى أن قوي عزمه في السّنة التي مات فيها على أن يدعو الناس لخلق القرآن، ويشدد العقوبة على من لم يقل به، فطلب الإمام أحمد، وجماعته، فحمل عليه الإمام أحمد، فلما كان في بعض الطريق مات المأمون وبقي أحمد مسجونًا.

ولما حضرت المأمون الوفاة عهد إلى أخيه المعتصم[1] بالخلافة، وأوصاه أن يحمل الناس

يقولون: ما كان فيه من ذكر الحمير والجمال والبقر فهو مخلوق، فأما إذ قال أمير المؤمنين: هو مخلوق، فنحن نقول: كله مخلوق.

فقلت للمأمون: أتفرح بموافقة هؤلاء؟! قلت: وكان شيعيًّا.

قيل: إن المأمون لتشيعه أمر بالنداء بإباحة المتعة - متعة النساء - فدخل عليه يحيى بن أكثم، فذكر له حديث علي ﷺ بتحريمها، فلما علم بصحة الحديث، رجع إلى الحق، وأمر بالنداء بتحريمها.

أما مسألة القرآن، فما رجع عنها، وصمم على امتحان العلماء في سنة ثماني عشرة، وشدد عليهم، فأخذه الله تعالى».

(١) هو: محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن جعفر المنصور، أبو إسحاق الخليفة العباسي، المعتصم. ولد سنة : (١٨٠هـ)، وتوفي سنة (٢٢٧هـ)، يوم الخميس (١١) ربيع الأول، وهو خليفة عباسي معروف مشهور، جاءت ترجمته في مصادر كثيرة منها: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٩٠)، «المعارف» لابن قتيبة (٣٩٢)، «الأخبار الطوال» (٤٠١)، «تاريخ اليعقوبي» (٣/ ١٩٧)، «تاريخ الطبري» (٩ / ١١٨)، «مروج الذهب» للمسعودي (٧ / ١٠٢)، «البدء والتاريخ» (٦ / ١١٤)، «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٤٢)، «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٤٣٩)، «العبر» (١/ ٤٠٠)، «عيون التواريخ» (٨/ ١١٨)، «فوات الوفيات» (٤/ ٤٨)، «الوافي بالوفيات» (٥/ ١٣٩)، « البداية والنهاية» (١٠/ ٢٩٥)، «الذهب المسبوك» (٢٢١)، «النجوم الزاهرة » (٢ / ٢٥٠)، «تاريخ الخلفاء» (٣٣٣)، «تاريخ الخميس» (٢ / ٣٣٦)، «شذرات الذهب» (٢ / ٦٣)وفيه، في وفيات سنة (٢٢٧هـ):

وفي ربيع الأول: الخليفة المعتصم أبو إسحاق، محمد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، وله سبع وأربعون سنة، وعهد إليه بالخلافة المأمون، وكان أبيض، أصهب اللحية، وطويلها، مربوعها، مشرق اللون، قويًّا إلى الغاية، شجاعًا شهمًا مهيبًا. وكان كثير اللهو مسرفًا على نفسه، وهو الذي افتتح عمورية من أرض الروم، وكان يقال له: المثمن ؛ لأنه ولد سنة ثمانين ومائة في ثامن شهر فيها، وهو شعبان، وتوفي أيضًا في ثامن عشر رمضان، وهو ثامن الخلفاء من بني العباس، وفتح ثمان فتوح: عمورية، ومدينة بابك، ومدينة البط، وقلعة الأحراف، ومصر، وأذربيجان، وأرمينية، وديار ربيعة.

ووقف في خدمته ثمانية ملوك: الأفشين، ومازاريا، وبابك، وباطس ملك عمورية، وعجيف ملك أشياحيج، وصول صاحب أسبيجاب، وهاشم ناحور ملك طخارستان، وكناسة ملك السند، فقتل هؤلاء سوى صول وهاشم.

واستخلف ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وخلف ثمانية بنين وثماني بنات، وخلف من الذهب ثمانية آلاف دينار، ومن الدراهم: ثمانية عشر ألف ألف درهم. ومن الخيل: ثمانين ألف فرس، ومن الجمال والبغال مثل ذلك. ومن المماليك: ثمانية آلاف مملوكٍ، وثمانية آلاف جارية. وبنى ثمانية قصور.

على القول بخلق القرآن.

فلما بويع المعتصم اشتدت المحنة وطلب الإمام أحمد وكان في سجن المأمون فَحُمل إليه وامتحنه وعقد له مجلسًا للمناظرة، وكان فيه القاضي أحمد بن أبي داود[1]، وعبدالرحمن بن

دؤاد

=

وكانت له نفس سبعية، إذا غضب لم يبال من قتل، ولا ما فعل.

وقام بعده ابنه الواثق. قال جميع ذلك في «العبر».

ومن عجيب ما اتفق له: أنه كان قاعدًا في مجلس أنسه، والكأس في يده، فبلغه أن امرأة شريفة في الأسر عند علج من علوج الروم في عمورية، وأنه لطمها على وجهها يومًا فصاحت: وامعتصماه، فقال لها العلج: ما يجيء إليك إلّا على أبلق، فختم المعتصم الكأس وناوله للساقي، وقال: والله ما شربته إلّا بعد فك الشريفة من الأسر وقتل العلج، ثم نادى في العساكر المحمدية بالرحيل إلى غزو عمورية، وأمر العسكر ألّا يخرج أحد منهم إلّا على أبلق، فخرجوا معه في سبعين ألف أبلق، فلما فتح الله تعالى عليه عمورية، دخلها وهو يقول: لبيك لبيك، وطلب العلج صاحب الأسيرة الشريفة، وضرب عنقه، وفك قيود الشريفة، وقال للساقي: ائتني بكأسي المختوم، ففك ختمه وشربه، وقال: الآن طاب شرب الشراب. سامحه الله تعالى وجزاه خيرًا.

(١) هو: أحمد بن أبي داود فرج بن حريز، أبو عبدالله الإيادي، البصري، البغدادي، الجهمي، القاضي الشهير بـ: ابن أبي داود.

ولد سنة (١٦٠هـ)، وتوفي سنة (٢٤٠هـ). جاءت ترجمته في عدة مصادر منها:

«ديوان الإسلام» (ت:٩٥٩)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٦٩)، «شذرات الذهب» (٢/ ٩٣)، «ميزان الاعتدال» (١/ ٩٧)، «وفيات الأعيان» (١/ ٨١)، «الوافي بالوفيات» (٧/ ٢٨١)، «لسان الميزان» (١/ ١٧١)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ٣٠٢)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٣١٩)، «تاريخ بغداد» (٤/ ١٤١)، «تاريخ الطبري» (٩/ ١٩٧)، «العبر» (١/ ٤٣١)، «الفهرس» (١٠/ ٣١٩)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٦٩)، وفيه:

«القاضي الكبير، أبو عبدالله، أحمد بن فرج بن حريز، الإيادي، البصري، البغدادي الجهمي، عدوّ أحمد ابن حنبل. كان داعية إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء، وأدب وافر ومكارم.

قال الصولي: أكرم الدولة البرامكة، ثم ابن أبي داود لولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة.

ولد سنة (١٦٠هـ)، ولم يُضف إلى كرمه كرم.

قال حريز بن أحمد بن فرج: كان أبي إذا صلى رفع يده إلى السماء وخاطب ربه ويقول:

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما ... نُجْحُ الأمور بقوة الأسباب
فاليوم حاجتنا إليك وإنما ... يُدعى الطبيب لساعة الأوصاب

وقال أبو العيناء: كان ابن أبي داود شاعرًا مجيدًا، فصيحًا، بليغًا، ما رأيت رئيسًا أفصح منه...

وقد كان ابن أبي داود إِلْبًا على الإمام أحمد، يقول: يا أمير المؤمنين، اقتله، وهو ضال مضل.

... وقد كان ابن أبي داود محسنًا إلى علي بن المديني بالمال؛ لأنه كان بَلَدِيَّهُ، ولشيء آخر، وقد شاخ ورمي بالفالج، وعاده عبدالعزيز الكناني وقال: لم آتك عائدًا، بل لأحمد الله على أن سجنك في جلدك».

إسحاق [١] وغيرهما، ولم يزل معهم في جدال نحو ثلاثة أيام، فأمر أن يضرب بالسياط، فضرب ضربًا وجيعًا حتى غشي عليه، فحمل إلى منزله.

وكانت مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهرًا.

ولما مات المعتصم وولي الواثق [٢] أظهر ما أظهر المأمون والمعتصم من المحنة.

---

(١) هو: عبدالرحمن بن إسحاق بن إبراهيم بن سلمة، الضبي، مولاهم، القاضي، البغدادي.
توفي سنة: (٢٣٢هـ).
ترجم له الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٦٠)، فقال: كان يتولى القضاء على السرقة، ثم ولي القضاء بمدينة المنصور، وبالشرقية.
وأخبرنا علي بن المحسن، أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر قال: عزل إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، فاستقضي مكانه عبدالرحمن بن إسحاق بن إبراهيم بن سلمة، مولى بني ضبة، وجده من أصحاب الدولة، وكان من أصحاب أبي حنيفة، حسن الفقه، وتقلد الحكم في أيام المأمون، وما زال إلى آخر أيام المعتصم، ولما عزل المأمون بشر بن الوليد ضم عمله إلى عبدالرحمن بن إسحاق، وكان على قضاء مدينة الشرقية، فصار على الحكم بالجانب الغربي بأسره.
قلت -أي الخطيب-: قول طلحة : وكان من أصحاب أبي حنيفة، يعني به أنه كان ينتحل في الفقه مذهب أبي حنيفة، ولم ير أبا حنيفة ولا أدركه.
أخبرنا عبدالكريم بن محمد بن أحمد المحاملي قال: قال لنا أبو الحسن الدارقطني: عبدالرحمن بن إسحاق ابن إبراهيم بن سلمة، مولى بني ضبة، كان على قضاء مدينة الشرقية، وكان من أصحاب الرأي، وكان مترفًا جماعًا للمال، وكان قد ولي قبل ذلك قضاء الرقة، ثم قدم بغداد، فولّاه المأمون قضاء الجانب الغربي، وكان عبدالله بن طاهر سبب ولايته، فولى عبدالرحمن وكتب له كتب أصحاب الرأي، وعنى بعد ذلك بحفظ الحديث، فحفظ منه شيئًا صالحًا إلى أن عزل في صفر سنة ثمان وعشرين ومائتين.
أخبرني الحسن بن أبي بكر قال.... قال : حدثنا أحمد بن يونس الضبي، قال: سنة (٢٣٢هـ) فيها مات عبدالرحمن بن إسحاق بِقَيْد في توجهه إلى مكة في ذي القعدة ودفن بها.

(٢) هو: هارون بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن المنصور، أبو جعفر، الخليفة، العباسي، البغدادي. ولد سنة : (١٩٦هـ)، في شعبان. وتوفي سنة (٢٣٢هـ) في (٢٤) ذي الحجة.
وأمه : رومية اسمها: قراطيس، أدركت خلافته، وهو خليفة عباسي مشهور، ومصادر ترجمته كثيرة منها: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٠٦)، «تاريخ اليعقوبي» (٣/ ٢٠٤)، «تاريخ الطبري» (٩/ ١٢٣)، «مروج الذهب» (٧/ ١٤٥)، «الأغاني» (٩/ ٢٧٦)، «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٥)، «الكامل في التاريخ» (٦/ ٥٢٨)، «النبراس» لابن دحية (٧٣)، «فوات الوفيات» (٤/ ٢٢٨)، «تاريخ الخلفاء» (٣٦٧)، «تاريخ الخميس» (٢/ ٣٣٧).
ومما ترجم له به الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: قال يحيى بن أكثم: ما أحسن أحد إلى الطالبين ما أحسن إليهم الواثق، ومات وما فيهم فقير..
قال الخطيب: استولى أحمد بن أبي داود على الواثق وحمله على التشدد في المحنة والدعاء إلى خلق القرآن.
وقيل: إنه رجع عن ذلك قُبيل موته.

وقال للإمام أحمد: لا تساكنني في بلد أنا فيه.

فبقي أحمد مختفيًا إلى أن مات الواثق وولي المتوكل، فرفع المحنة، وأظهر السُّنّة، وأخمد البدعة، وحض على رواية الآثار النبوية، وأمر بإحضار الإمام أحمد، وأعطاه مالًا كثيرًا، فلم يقبله، وفرقه على المساكين.

وأجرى المتوكل على عيال أحمد أربعة آلاف درهم في كل شهر، فلم يرض الإمام أحمد.

ويذكر أن النبي ﷺ قال للإمام الشافعي في المنام: بَشِّر أحمد بالجنة على بلوى تصيبه في خلق القرآن، فأرسل إليه [٤٣/ ب] كتابًا ببغداد، فلما قرأه بكى، ورفع للرسول قميصه الذي يلي جسده، وكان عليه قميصان، فلما رجع للشافعي غسله وادهن بمائه.

ورأى آخر النبي ﷺ فقال له: ما شأن أحمد بن حنبل؟ فقال النبي ﷺ: سيأتيك موسى بن عمران فاسأله، فإذا بموسى فسأله، فقال له: بُلي في السراء والضراء فوجد صادقًا، فأُلحق بالصدِّيقين.

والظاهر أن ابتلاء السر: الدنيا، التي عرضها عليه المتوكل فأبى.

والحكمة من الإحالة على موسى ﷺ: بيان فضل هذه الأمة بشهادة الأنبياء لها، ولأنه الكليم ففيه مناسبة المواقعة.

ويقال: إن الواثق قتل أحمد بن نصر الخزاعي[١] على القول بخلق القرآن، ونصب رأسه إلى

=

قال عبيدالله بن يحيى: حدثنا إبراهيم بن أسباط قال: حُمل رجل مقيدًا، فأُدخل على ابن أبي داود بحضور الواثق، فقال لأحمد: أخبرني عن ما دعوتم الناس إليه، أعلمه رسول الله ﷺ، فما دعا إليه، أم شيء لم يعلمه؟

قال: بل علمه.

قال: فكان يَسَعهُ أن لا يدعو الناس إليه، وأنتم لا يسعكم ؟! فبهتوا، وضحك الواثق وقام قابضًا على فمه، ودخل مجلسًا، ومَدّ رجليه، وهو يقول: أمر وسع رسول الله ﷺ أن يسكت عنه ولا يسعنا!! ثم أمر أن يُعطى الشيخ ثلاثمائة دينار، وأن يرد إلى بلده.

(١) هو: أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم، أبو عبدالله الخزاعي، المروزي، البغدادي، توفي سنة (٢٣١هـ) شهيدًا مظلومًا في شعبان، جاءت ترجمته في مصادر كثيرة منها:

«سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٦٦)، «المحبر» (٤٩٠)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٣٦١)، «تاريخ الطبري» (٦/ ١٣٥)، «الجرح والتعديل» (٢/ ٧٩)، «تاريخ بغداد» (٥/ ١٧٣)، «طبقات الحنابلة» (١/ ٨٠)، «الأنساب» (٥/ ١١٦)، «الكامل في التاريخ» (٧/ ٢٠)، «تهذيب الكمال» (٤٥)، «العبر» (١/ ٤٠٨)، «الوافي بالوفيات» (٨/ ٢١١)، «طبقات الشافعية» (٢/ ٥١)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٠٣)، «تهذيب التهذيب» (١/ ٢٧٨)، «الخلاصة» (١٣)، «شذرات الذهب» (٢/ ٦٩).

قال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: «الإمام الكبير الشهيد... كان جده أحد نقباء الدولة

=

المشرق، فدار إلى القبلة، فأجلس رجلًا بيده عودًا كلما دار الرأس إلى القبلة داره إلى المشرق.

وذكر أنه رؤي في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ورحمني إلّا أني كنت مهمومًا منذ ثلاث، فقيل له: ولِمَ؟ فقال: إن النبي ﷺ مَرَّ عَلَيَّ مرتين فأعرض بوجهه الكريم عني، فغمني ذلك، فلما مَرّ الثالثة قلت: يا رسول الله، ألست على الحق وهم على الباطل؟ فقال ﷺ: بلى. قلت: فما بالك تعرض عني بوجهك الكريم؟ فقال: حياءً منك، إذ قتلك رجل من أهل بيتي.

وذكر الكمال الدميري[(١)] حكاية تدل على أن الواثق رجع عن هذا الاعتقاد وهي:

أن شيخًا حضره فناظره ابن أبي داود، وقال له: ما تقول في القرآن؟

فقال الشيخ: المسألة لي.

قال: سَلْ.

قال: ما تقول في القرآن؟

=

العباسية، وكان أحمد أمّارًا بالمعروف قوّالًا للحق، قال الصولي: كان هو وسهل بن سلامة حين كان المأمون بخراسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قدم المأمون فبايعه سهل ولزم ابن نصر بيته، ثم تحرك في آخر أيام الواثق، اجتمع إليه خلق يأمرون بالمعروف، قال: إلى أن ملكوا بغداد، وتعدى رجلان موسران من أصحابه فبذلوا مالًا وعزما على الوثوب في سنة (٢٣١)، فنما الخبر إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم، فأخذ أحمد وصاحبيه وجماعة ووجد في منزل أحدهما أعلامًا، وضرب خادمًا لأحمد، فأقر بأن هؤلاء كانوا يأتون أحمد ليلًا ويخبرونه بما عملوا، فحملوا إلى سامراء مقيدين، فجلس الواثق لهم وقال لأحمد: دع ما أُخذت له، ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال: أفمخلوق هو؟ قال: كلام الله، قال: فترى ربك في القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية، قال: ويحك!! يرى كما يرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته، ما تقولون فيه؟

فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدّم، ووافقه فقهاء، فأظهر أحمد بن أبي داود أنه كاره لقتله وقال: شيخ مختل تغير عقله، يؤخر.

قال الواثق: ما أراه إلا مؤديًا لكفره قائمًا بما يعتقده، ودعا بالصمصامة، وقام وقال: أحتسب خطاي إلى هذا الكافر، فضرب عنقه بعد أن مدّوا له رأسه بحبل وهو مقيد، ونصب رأسه بالجانب الشرقي، وتُتبع أصحابه فسجنوا».

(١) هو: إلياس بن عبدالله، كمال الدين، الدميري، توفي سنة: (٩٢٣هـ).

ذكره عمر كحالة في «معجم المؤلفين» (٢/ ٣١٤)، وذكر مصادر ترجمته فقال: مخطوط أسماء الرجال الناقلين عن الشافعي والمنسوبين إليه لابن هداية (٧٠/ ١)، وكتاب طبقات الشافعية لابن هداية (٩٢).

وقال في ترجمته: فقيه شافعي من تصانيفه:

- النجم الوهاج في شرح المنهاج.
- وحقائق الأشياء.

قال ابن أبي داود: هو مخلوق.

قال الشيخ: هذا شيء علمه النبي ﷺ [٤٤/ أ] وأبو بكر، وعمر، أم لم يعلموه؟

فقال: لم يعلموه.

فقال الشيخ: سبحان الله، شيء يجهله النبي ﷺ والأئمة بعده وتعلمه أنت يا لكع ابن لكع؟!

فخجل، ثم قال: أقلني والمسألة بحالها.

قال: قد فعلت.

قال: علموه، ولم يدعوا الناس إليه ولا أظهروه لهم.

فقال له: ألا وسعك ووسعنا ما وسعهم من السكوت؟!

فلما سمع ذلك الواثق، دخل خلوة واستلقى على قفاه وجعل الإلزامين اللذين ذكرهما الشيخ.

ويروى أنه جعل ثوبه في فيه من الضحك على ابن داود، وسقط من عينه.

ثم أمر الحاجب أن يطلق الشيخ ويعطيه أربعمائة دينار، كذا في اليوسي على الكبرى،اهـ.

واعلم أن: القرآن بمعنى الصفة النفسية القائمة بالذات العلية منزه عن الحدوث، فليس مخلوقًا ولا قائمًا بمخلوق لاستحالة قيام الحوادث بالذات العلية.

وأما القرآن بمعنى اللفظ المنزل على سيدنا محمد ﷺ فيوصف بذلك، لكن لا يجوز إلّا في مقام التعليم فقط.

وإنما منع الإمام أحمد من أن يقال: لفظي بالقرآن حادث، وإن كان صحيحًا في نفسه؛ لأنه ربما أوهم القرآن بمعنى الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى، وقد يلبس به المبتدع على الناس.

قال في «الجوهرة»:

ونـــزه القـــرآن أي كلامـــه عن الحدوث واحـــذر انتقامـــه

فكل لفـــظ للحـــدوث دلا احمـــل على اللفظ قـــد دلا

أي أن كل لفظ من الكتاب والسنة دل على حدوث القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِى لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١] و﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ [الحجر:٩] [٤٤/ ب] و﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ مُحۡدَثٍ﴾ [الشعراء:٥]، فإنه يحمل على القرآن بمعنى اللفظ المنزل على سيدنا محمد ﷺ، الدال على الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى.

قال شارحها الشيخ عبدالسلام ﵀: «يعني: أن كل ظاهر من الكتاب والسنة ورد دالًا على حدوث كلام الله تعالى، فإنه عندنا محمول على أن المتصف بذلك إنما هو اللفظ الدال على

الكلام النفسي، لا على المعنى النفسي القديم القائم بذاته تعالى، لأنه لا نزاع في إطلاق لفظي القرآن وكلام الله تعالى.

إما بطريق الاشتراك، وهو الأرجح، أو المجاز والحقيقة على هذا المؤلف الحادث، كما هو المتعارف عليه عند العامة والقراء والأصوليين، وإليه ترجع الخواص التي هي من صفات الحروف وعوارض الألفاظ، وكلام الله تعالى بهذا المعنى:

ذكر، ومحدث، وعربي، ومنزل على النبي ﷺ، ومتلو، ومرتب، وفصيح، وبليغ، ومعجز، ومشتمل على مقاطع ومبادئ». انتهى. التسلسل

وقوله: **(أو المجاز والحقيقة)**: قال العلامة في الحاشية: ينبغي أن المجاز: راجع لعنوان كلام الله تعالى، فإنه قيل: إنه حقيقة في النفسيّ مجاز في اللفظيّ المؤلف.

والحقيقة: راجعة لعنوان القرآن، فإنه قيل: حقيقة في المؤلف الحادث وفي القديم مجاز.

فكلا القولين يقابلا الاشتراك فيهما الذي ذكره أولًا، فتدبر المقال وافهمه على هذا المنوال ودع عنك ما قيل وقال، ولا تنظر لمن قال. اهـ.

وكتب على قوله: (على هذا المؤلف الحادث)، فقال: يبقى الكلام في الفضل بينه حيث كان مخلوقًا وبين محمد ﷺ تمسك بعضهم [٤٥/أ] بما يروى كل حرف خير من محمد وآل محمد، لكنه غير محقق الثبوت كما في الكردي على «البردة» وغيره.

وقال المحلي في شرحه على «البردة» عند قوله:

لو ناسبت قدرة آياته عظمًا ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرقم

ما حاصله: أن آيات النبي ﷺ دون مقامه في العظم وإن كان منها القرآن، وقد قال فيه المصنف -يعني: صاحب «البردة»-:

آيات حق من الرحمن محدثة

وقال في حق النبي ﷺ:

وإنه خير خلق الله كلهم

انتهى بالمعنى فانظره.

ويؤيده أنها فعل القارئ، وهو ﷺ أفضل من القارئ، وجميع أفعاله.

والأسلم: الوقوف عن مثل هذا الذي لم ينقل عن السلف الخوض فيه، فإنه لا يضر خلو الذهن منه بخصوصه، انتهى بحروفه. وقال قبل ذلك:

ذكر ابن حجر في «فتح الباري»(١):

---

(١) هو: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر، ويقال: أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل، =

أول من قال: لفظي بالقرآن مخلوق هو: الحسين بن محمد[1] الكرابيسي، أحد أصحاب

=

الكناني، المصري، العسقلاني، الشافعي، الحافظ، القاضي، الفقيه.
الشهرة: ابن حجر العسقلاني. ولد سنة: (٧٧٣هـ)، (١٢ أو ١٣) شعبان، وتوفي سنة: (٨٥٢هـ).
علم مشهور، وحبر معروف، ذاع صيته في كل الأقطار، وكتبه من أشهر الكتب، وكتبت في سيرته الكتب والبحوث الكثيرة، وترجمت له كثير من الكتب والتي منها:
«ديوان الإسلام» (٨٢٣)، «شذرات الذهب» (٧/ ٢٧٠)، «الأعلام» (١/ ١٧٩)، «معجم المؤلفين» (٢/ ٢٠)، «حسن المحاضرة» (١/ ٣٦٣)، «ذيل تذكرة الحفاظ» (٣٢٦)، «طبقات الحفاظ» (٥٤٧)، «الرسالة المستطرفة» (١٢١)، «هدية العارفين» (١/ ١٢٨)، «الضوء اللامع» (٢/ ٣٦)، «التاريخ المكلل» (٣٦٢)، «مقدمة كتاب إنباه الغمر» (٧)، «معجم طبقات الحفاظ» (٥٥، ٣٢١)، «فهرس الفهارس» (١/ ١٢٠)، «الجامع في الرجال» (١٣٦)، «الكنى والألقاب» (١/ ٢٦١)، «البدر الطالع» (١/ ٨٧)، «نظم العقيان» (٤٥)، «القلائد الجوهرية» (٣٣١)، «مفتاح السعادة» (١٢، ٢١)، «إيضاح المكنون» (١/ ١٣)، (٢/ ١٩٧)، «درة الحجال» (٩٤).
مقدمة تحقيقي لكتاب «الإيثار بمعرفة رواة الآثار»، تأليفه حيث ترجمت له فيها» : «ولد بمصر... ومات أبوه وهو حدث السن، فكفله الزكي الخروبي، أُدخل الكتاب بعد أن أكمل خمس سنين، وكان سريع الحفظ، فحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، على الشيخ صدر الدين الصفتي، كما حفظ العمدة، والحاوي الصغير، وألفية العراقي في علوم الحديث، ومختصر ابن الحاجب في الأصول...
صار حافظ الإسلام، وانتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم ومعرفة العالي والنازل وعلل الحديث وغير ذلك، وصار هو المعول عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار، وقدوة الأمة وعلامة العلماء وحجة الأعلام، ومحيي السنة، وانقطع به الطلبة، وحضر دروسه وقرأ عليه غالب علماء مصر، ورحل الناس إليه من الأقطار.
تصدر للفتوى وأملى في مجالس، وتولى مشيخة التدريس في كثير من المدارس، وولي القضاء، وصنف التصانيف النافعة، وانفرد بمعرفة فنون الأحاديث، لاسيما رجاله، وما يتعلق بهم، فدرّس بالحسينية والمنصورية التفسير، ودرس الحديث في البيبرسية، والجمالية المستجدة، والزينية والشيخونية، وفي جامع ابن طولون والقبة المنصورية، وتولى الإسماع بالمحمودية، والفقه بالخروبية بمصر، والشريفية الفخرية، والشيخونية الصالحية النجمية، والصلاحية المجاورة للإمام الشافعي، والمؤيدية، وولي مشيخة البيبرسية، والإفتاء بدار العدل، والخطابة بالجامع الأزهر، ثم بجامع عمرو بن العاص، وتولى خزانة الكتب المحمودية وعمل لها فهرسًا، وأملى من حفظه ما ينف على ألف مجلس، وأملى في خانقاه بيبرس نحوًا من عشرين سنة، ثم انتقل إلى دار الحديث الكاملية بين القصرين.
فوض إليه الملك المؤيد القضاء بالديار الشامية مرارًا، وباشر القضاء بمصر في عهد الملك الأشرف برسباي، ثم اعتزل القضاء وأُعيد إليه مرارًا.
وضمت المقدمة المذكورة قائمة بأسماء كتبه قاربت المائة كتاب، فراجعها في «ديوان الإسلام» أو في الموضع المشار إليه».

(١) كذا جاء بالمخطوط، والصواب: الحسين بن علي بن يزيد أبو علي، الكرابيسي، البغدادي، الفقيه، توفي سنة (٢٤٥هـ)، وقيل: (٢٤٨هـ).

=

الإمام الشافعي، فلما بلغ ذلك الإمام أحمد بدعه وهجره.

ثم قال بذلك داود الأصبهاني[1] رأس الظاهرية وهو يومئذ بنيسابور.

=

وجاءت ترجمته في كثير من المصادر التي منها:

«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٧٩)، «الفهرست» (٢٣٠)، «تاريخ بغداد» (٨/ ٦٤)، «طبقات الفقهاء» للشيرازي (٨٣)، «طبقات الحنابلة» (١/ ١٤٢)، «الأنساب» (١٠/ ٣٧١)، «اللباب» (٣/ ٨٨)، «وفيات الأعيان» (٢/ ١٣٢)، «تهذيب الكمال» (٢٩٧)، «ميزان الاعتدال» (١/ ٥٤٤)، «العبر» (١/ ٤٥٠)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٢/ ١١٧)، «تاريخ ابن كثير» (١١/ ٢)، «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٥٩)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ٣٢١)، «طبقات الحفاظ» (٣٦٨)، «الخلاصة» (٨٤)، «شذرات الذهب» (٢/ ١١٧)، «الانتقاء» (١٠٦)، «وفيات الأعيان» (٢/ ١٣٣).

وقال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»:

«العلامة، فقيه بغداد... كان من بحور العلم، ذكيًّا، فَطِنًا، فصيحًا لَسِنًا، تصانيفه في الفروع والأصول تدل على تبحره، إلّا أنه وقع بينه وبين الإمام أحمد، فهُجِرَ لذلك.

وهو أول من فتق اللفظ، ولما بلغ يحيى بن معين أنه تكلّم في أحمد قال: ما أحوجه إلى أن يُضرب ويشتم.

قال حُسين: لفظي بالقرآن مخلوق، فبلغ قوله ذلك أحمد فأنكره، وقال: هذه بدعة، فأوضح حسين المسألة وقال: تَلَفُّظكَ بالقرآن يعني غير الملفوظ.

وقال في أحمد: أي شيء نعمل بهذا الصبي؟! إن قلنا: مخلوق قال: بدعة، وإن قلنا: غير مخلوق قال: بدعة، فغضب لأحمد أصحابه، ونالوا من حسين.

وقال أحمد: إنما بلواهم من هذه الكتب التي وضعوها وتركوا الآثار».

قال الذهبي: ولا ريب أن ما ابتدعه الكرابيسي، وحرره في مسألة التلفظ، وأنه مخلوق هو حق، لكن أباه أحمد لئلا يُتَذَرّع به إلى القول بخلق القرآن، فَسُدّ الباب لأنك لا تقدر أن تفرز التلفظ من الملفوظ الذي هو كلام الله، إلا في ذهنك.

قلت: وذكرت له في «ديوان الإسلام» كتابين هما:

- أسماء المدلسين من رجال الحديث.
- كتاب الإمامة.

(١) هو: داود بن علي بن خلف، أبو سليمان، الظاهري، الأصبهاني، الفقيه، المجتهد، المحدث، الحافظ، البغدادي، إمام أهل الظاهر.

ولد سنة: (٢٠٢هـ)، وقيل: (٢٠١هـ)، وقيل: (٢٠٠هـ)، توفي سنة (٢٧٠هـ).

هو علم مشهور، وإمام ظاهر لمذهب الظاهرية، كتبت في سيرته الكتب، وترجمت له مصادر عدة، منها: «ديوان الإسلام» (ت:٩٠٩)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٩٧)، «هدية العارفين» (١/ ٣٥٩)، «الأعلام» (٢/ ٣٣٣)، «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٦٩)، «طبقات الفقهاء» (٧٦)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٢/ ٤٢)، «وفيات الأعيان» (١/ ٢١٩)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ٤٧)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٥٨)، «مرآة الجنان» (٢/ ١٨٤)، «لسان الميزان» (١/ ٣٢١)، «معجم المؤلفين» (٤/ ١٣٩)، «فهرست ابن النديم» (١/ ٢١٦)، «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٨٢)، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٣٦)، «مختصر دول

=

فأنكر عليه إسحاق، وبلغ ذلك أحمد، فلما قدم بغداد لم يأذن له بالدخول عليه.

نعم، يجوز ذلك في مقام التعليم فقط. اهـ.

وقد سبق أن أول من أجاب في هذه المسألة أبو حنيفة ﷺ وقال: هو مخلوق، فأغرى بنان عليه العامة حتى ساروا إلى منزله ليهجموا عليه ويقتلوه كما تقدم في القصة.

وقد ذكرنا هناك أن المحققين [٤٥/ ب] من أصحابه نفوا عنه القول بخلق القرآن، فارجع له إن شئت.

= الإسلام» (١/ ١٢٩)، «روضات الجنات» (٢٧٦)، «كشف الظنون» (١٨٣٩)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ١٤)، «المنتظم» (٥/ ٧٥)، «البداية والنهاية» (١١/ ٤٧)، «العبر» (٢/ ٤٥)، «تاريخ أصبهان» بتحقيقي مع آخر (ت:٦٨٤)، «طبقات الحفاظ» (٢٥٣).

وقال الذهبي في ترجمته: «الإمام، البحر، الحافظ، العلّامة، عالم الوقت، أبو سليمان، البغدادي، المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر، مولده سنة مائتين.

.... قال أبو بكر الخطيب: صنف الكتب، وكان إمامًا ورعًا، ناسكًا، زاهدًا، وفي كتبه حديث كثير، لكن الرواية عنه عزيزة جدًّا.

.. قال أبو محمد بن حزم: إنما عرف بالأصبهاني لأن أمه كانت أصبهانية، وكان أبوه حنفي المذهب.

قال أبو عمرو المستملي: رأيت داود بن علي يرد على إسحاق بن راهويه، وما رأيت أحدًا قبله ولا بعده يرد عليه.

قلت -أي الذهبي-: وللعلماء قولان في الاعتداد بخلاف داود وأتباعه:

فمن اعتد بخلافهم قال: ما اعتدادنا بخلافهم لأن مفرداتهم حُجّة، بل لتحكى في الجملة، وبعضها سائغ، وبعضها قوي، وبعضها ساقط، ثم ما تفردوا به هو شيء من قبيل مخالفة الإجماع الظني، وتندر مخالفتهم لإجماع قطعي.

ومن أهدرهم ولم يعتد بهم: لم يعدّ في مسائلهم المفردة خارجين بها من الدين ولا كفّرهم بها، بل يقول: هؤلاء في حَيِّز العوام، أو هم كالشيعة في الفروع، ولا نلتفت إلى أقوالهم، ولا ننصب معهم الخلاف، ولا يعتنى بتحصيل كتبهم، ولا ندل مستفتيًا من العامة عليهم، وإذا تظاهروا بمسألة معلومة البطلان كمسح الرجلين أدبناهم وعذرناهم، وألزمناهم بالغسل جزمًا.

... قلت -أي الذهبي-: لا ريب أن كل مسألة انفرد بها وقُطِع ببطلان قوله فيها فإنها هدر، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عضدها نص وسبقه إليها صاحب أو تابع فهي من مسائل الخلاف فلا هدر.

وفي الجملة: فداود بن علي بصير بالفقه، عالم بالقرآن، حافظ للأثر، رأس في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاء خارق، وفيه دين متين، وكذلك في فقهاء الظاهرية جماعة لهم علم باهر، وذكاء قوي، فالكمال عزيز، والله الموفق».

قلت: لقد أنصف الذهبي وأجاد فلا إلى هؤلاء ذهب ولا إلى أولئك ركن، ولكن تبع الحق وأعطى كلًّا ما يستحق. ولداود كتب كثيرة جمعت منها قائمة في هامش ديوان الإسلام، بلغت سبعًا وثلاثين كتابًا، فراجعها فيه إن أحببت.

وأبو حنيفة: هذا ترجم له العلامة في الحاشية فقال: هو النعمان بن ثابت بن المرزبان.

ولد سنة: ثمانين، ومات في رجب، وقيل: في شعبان، سنة مائة وخمسين في حبس المنصور بعد أن ضربه عشرة أسواط على رأسه فانتفخ، فلما وصل قلبه الورم فمات فجأة، ودفن بمقبرة الخيزران ببغداد، وسبك على قبره بالرصاص، وقصده الناس يصلون على قبره نحو أربعين صباحًا. كذا نقل عن «بدائع الزهور».

قيل: إن سبب ضربه امتناعه من القضاء.

ويحكى: أنه قال للخليفة: لا أصلح للقضاء.

فقال له: ولِمَ؟

فقال: إن كنت صادقًا فذاك، وإلّا فالكاذب لا يتولى القضاء.

واجتمع بمالك فقال: إنه جامع علم الحجاز.

وقال مالك في حقه: رأيت رجلًا لو ادعى أن هذه السارية ذهب لأقام عليه دليلًا.

قال العلامة الملوي(١) **في شرحه الكبير للسلم**: كان يقال: مدعي ذهبيتها يدعي جسميتها،

---

(١) هو: أحمد بن عبدالفتاح بن يوسف بن عمر، أبو العباس، القاهري، الأزهري، الشافعي، المجيري، شهاب الدين، الشهير بـ: الملوي (مركز بمحافظة المنيا بمصر).

ولد في سنة: (١٠٨٨هـ)، في (٢) رمضان، وتوفي في سنة: (١١٨١هـ)، في (١٥) ربيع الأول.

جاءت ترجمته في «معجم المؤلفين» (١/ ٢٧٨)، «هدية العارفين» (١/ ١٧٨)، «سلك الدرر» (١/ ١١٦)، «عجائب الآثار» (١/ ٢٨٦)، «فهرس الفهارس» (١/ ٤٢١)، «فهرس الأزهرية» (٢/ ٦٠٠) و(٦/ ١٨٦)، «معجم المطبوعات» (١٧٩٦)، «إيضاح المكنون» (١/ ١٥٣)، «فهرس التيمورية» (٢/ ٣٨٣)، «الكشاف» (٢٦٥)، «فهرس الخديوية» (٢/ ١٤).

وترجم له إسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين» (١/ ٢٧٨) فقال:

«الملويّ أحمد بن عبدالفتاح بن يوسف بن عُمر المجيري، الملوى شهاب الدين أبو العباس القاهري الأزهري الشافعي ولد سنة (١٠٨٨) وتوفي سنة (١١٨١)، له:

١- الأعلام بإرث ذوي الأرحام في مجلد.
٢- شرحان على آداب السمرقندي.
٣- شرحان على متن السلم.
٤- شرح الصدور بالصلاة على الناصر المنصور.
٥- عقود الدرر على شرح ديباجة المختصر.
٦- فتح الإله بعدة ما يندرج من العقائد في لا إله إلا الله.
٧- فتح السلام.
٨- منهل التحقيق (في مسألة الغرانيق)، وغير ذلك من الحواشي والرسائل».

وزاد عمر كحالة في معجم المؤلفين في كتبه:

٩- حاشية على إيساغوجي (لزكريا الأنصاري) في المنطق.
١٠- حاشية على شرح القيرواني على متن السنوسية أم البراهين.
١١- اختصار فتاوى الشمس الرملي.
١٢- ديوان خطب.

وكل مدع جسميتها صادق.

وجوابه: أنه صادق في مجرد الجسمية، والذهبية قدر آخر.

وعلى أبي حنيفة وأتباعه حمل ما ورد: «لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس»(١).

ولم يصح فيه شيء بخصوصه كباقي الأئمة، إنما الوارد عبارة كلية كـ: «عالم قريش»، حمل على الشافعي، و«عالم المدينة» حُمل على مالك، انتهى المراد منه، والله أعلم.

السادس في مسألة خلافية بين الأشاعرة والماتريدية:

وهي مسألة القضاء والقدر(٢)

وقد سبق منا التنبيه عليها.

أما القضاء:

فهو عند الأشاعرة: إرادة الله تعالى في الأزل [٣٦/أ] بالأشياء قبل إيجادها على طبق ما سبق به العلم الأزلي.

وأما القدر:

فهو عندهم(٣): إيجاد الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها

---

(١) هذا خبر غير صحيح، وقد ورد في بعض الكتب مثل: «مسند أحمد» (٢/ ٢٩٧)، العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٣٩٧)، «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠/ ٦٤)، «كنز العمال» (٣٤١٣١)، «الكامل في الضعفاء» (٤/ ١٣٥٧)، «حلية الأولياء» (٦/ ٦٤)، «الأمالي» (١/ ٦٩)، زعم أنه منصرف إلى سلمان الفارسي ﷺ، وزعم أنه منصرف إلى الإمام الشافعي، وإلى الإمام أبي حنيفة، إلى آخر ذلك من الادعاءات.

(٢) يقول صاحب «معارج القبول»، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في فصل الإيمان بالقدر على أربع مراتب، فيقول في (٢/ ٩٥٠)، في القضاء والقدر أربع مراتب: «والقضاء والقدر عندهم أربع مراتب، جاء بها نبيهم ﷺ وأخبر بها عن ربه تعالى:

الأولى: علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم.

الثانية: كتابة ذلك في الذكر عنده قبل خلق السماوات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه.

الرابعة: خلقه له وإيجاده وتكوينه، فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كل شيء».

(٣) قال صاحب «معارج القبول» في فصل الإيمان بالقدر (٢/ ٩٢٠) : «اعلم رحمك الله تعالى ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه، وهدانا وإياك صراطه المستقيم: أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله ﷻ المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله، وكثيره وقليله، وظاهره وباطنه، وسره =

طبق ما سبق به العلم.

وأما الماتريدية: فالقضاء عندهم هو: الفعل مع زيادة أحكام. وقيل: هو العلم مع تعلقه الأزلي.

وأما القدر عندهم: تحديده تعالى أزلًا كل مخلوق بحده الذي يوجد به من حُسن وقبح ونفع وضر، وما يحويه من زمان ومكان، وما يترتب عليه من طاعة وعصيان، وثواب وعقاب وغفران.

قال الأجهوري [1] ناظمًا للمذهبين في كل واحد من الأمرين:

=

وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى إسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]». ثم ساق الأدلة من القرآن على قوله السابق، ثم أتبعها بالأدلة من الأحاديث النبوية ثم ذكر:

المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ثم سرد أدلة على ذلك من القرآن الكريم وأعقبها بقوله: إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين إثبات العلم والكتاب، أو يذكر كل على حدته وكتابه تعالى من علمه.

ثم أعقب قوله هذا بسرد أدلته من الأحاديث النبوية، ثم أعقبها بقوله: والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد قدمنا منها جملة وافية في أول هذا الشرح عند الكلام على الميثاق، ولله الحمد والمنة.

ثم ذكر بعد فترة: المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن. فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه، ليس لعدم قدرته عليه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[هود: ١١٨]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[يونس: ٩٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة: ١٣].

فالسبب في عدم وجود الشيء هو: عدم مشيئة الله تعالى إيجاده لا أنه عجز عنه، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

ثم ذكر المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، وهو: الإيمان بالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه.

وهاتان المرتبتان قد تقدم بسط الكلام عليهما في توحيد المعرفة والإثبات بما أغنى عن إعادته. ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة.

(١) هو: علي بن محمد بن عبدالرحمن، أبو الإرشاد، نور الدين، الأجهوري، المصري، المالكي.

=

إرادة الله مـــع التعلـــيـــــق في أزلٍ قـضــــاؤه مـحـــــقـق
والقــــدر: الإيجـــاد للأشـــياء علـــ وجـــه معـــين أراده عـــــــلا
وبعضهم قــد قـــال معنى الأول: العلـــم مع تعلــــق في الأزل
والقـــدر: الإيجـــاد للأمـــــور على وفـاق علمـه المذكـــــور

اهـ. ومع اختلافهما في معنى القضاء والقدر، هما متفقان على وجوب الإيمان بهما، قال في «الجوهرة»:

وواجـــب إيماننا بالقـــــــدر وبالقضـــــاء كما أتى في الخـــــبر

فقال الشارح: والإيمان بالقضاء والقدر يستدعي الرضا بهما.

فقال المحقق في الحاشية: ظاهره الرضا بنفس الصفتين، وهو كلام السعد في التخلص عن وجوب الرضا بالكفر.

قال: وهو مقضي لا قضاء، والرضا واجب بالقضاء لا بالمقضي.

والذي حققه الخيالي في حاشيته: أنه لا معنى للرضا بالصفة إلا الرضا بآثارها، وأن نحو الكفر له وجهتان:

- كونه مقضي الله.

=

ولد سنة: (٩٦٧هـ)، وتوفي سنة: (١٠٦٦هـ).

جاءت تراجمه في مصادر عديدة منها:

«معجم المؤلفين» (ج ٧ / ص ٢٠٧)، «الثبت» (٩/ ٢)، «خلاصة الأثر» (٣/ ١٥٧-١٦٠)، «كشف الظنون» (١١٩٠، ١٦٢٨، ١٦٢٩)، «الخطط التوفيقية» (٨/ ٣٣، ٣٤)، «هدية العارفين» (١/ ٧٥٨)، «فهرس الفهارس» (٢/ ١٧١- ١٧٣)، «فهرس التيمورية» (٣/ ١٠)، «فهرس الأزهرية» (١/ ٣١٦، ٣٤٦، ٥٠٣)، «الكشاف» (١١٧)، البغدادي «إيضاح المكنون » (١/ ٢٧، ٦٠٧)، «معجم المؤلفين» (٧/ ٢٠٧)، وقال فيه : «عالم، أديب، مشارك في الفقه والكلام والحديث ومصطلحه والسيرة النبوية والمنطق وغيرها.

ولد بمصر، وتوفي بها مستهل جمادى الأولى، ودفن بجوار المشهد المعروف بإخوة يوسف.

من تصانيفه الكثيرة:

١- مواهب الجليل في تحرير ما حواه مختصر خليل في فروع الفقه المالكي.

٢- شرح على منظومته في العقائد.

٣- شرح ألفية الوافي في مصطلح الحديث في مجلدين وسماه فتح الباقي.

٤- شرح التهذيب للتفتازاني في المنطق.

٥- و«شرح الدرر السنية في نظم السيرة النبوية» للعراقي.

- وكونه مكتسب العبد.

فيرضى به من [٣٦/ ب] الجهة الأولى دون الثانية، وهو معنى قولهم: يجب الإيمان بالقدر ولا يحتج به، وما في «الصحيح»: «لَامَ موسى آدم على معصيته، فقال له آدم: تلومني على شيء قَدَّره الله عَلَيّ قبل أن أُخلق». قال ﷺ: «فحجَّ آدم موسى»[1]، أي: غلبه.

فذلك تأديب في البرزخ، والمنع إنما هو في دار التكليف، أي: الأليق بالولد أن ينظر لجهة عذر والده، انتهى المراد منه.

ومحصل القضاء والقدر: الإرادة والقدرة والعلم، فالمقصود من وجوب الإيمان بهما بيان وجوب اعتقاد عموم إرادة الله تعالى وقدرته وعلمه، والرد على المعتزلة لأنهم القدرية، وهم قدريتان:

أولى: وهي تنكر سبق علم الله تعالى بالأشياء قبل وجودها، وتزعم أن الله تعالى لم يقدر الأمور أزلًا، ولم يتقدم علمه تعالى بها وإنما يأتنفها علمًا حال وقوعها.

وهؤلاء انقرضوا قبل ظهور الشافعي ﵁.

وقدرية ثانية: وهم مطبقون على أن الله تعالى عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، لكنهم خالفوا السلف، فزعموا أن أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الإقدار والتمكين.

وهو مع كونه مذهبًا باطلًا، فهو أخف من المذهب الأول، فإن الأول كفر قطعًا.

وإلزام الشافعي إياهم بقوله: «إن سلم القدرية العلم خصموا» خاص بالثانية التي في عصره، كما صوبه العلامة في الحاشية خلافًا لما في الشرح.

ووجه الإلزام كما يفيده كلام الشيخ عبدالسلام أن يقال لهم:

أتجوزون أن يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم؟

فإن منعوا، وافقوا، وإن أجازوا ألزمهم نسبة الجهل إليه - تعالى [٣٧/ أ] الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. انتهى المراد منه.

قال في الحاشية بعد التصويب المتقدم:

بقي أن الثانية لا يظهر فيها قوله: فإن منعوا وافقوا، لأنهم يقولون: إن العبد يؤثر على

---

(١) هذا الخبر ورد بألفاظ كثيرة في كتب السنة المشهورة وكتب المجاميع والمسانيد، والتي منها: البخاري (٤/ ١٩٢) و(٦/ ١٢٠)، مسلم (في القدر) (١٣/ ١٥، ١٤)، أحمد في المسند (٢/ ٢٦٤)، الطبراني في الكبير (٢/ ١٧٢)، فتح الباري (١١/ ٥٠٥)، الحميدي (١١١٥)، السنة لابن أبي عاصم (١/ ٦٣)، كنز العمال (٦١١)، إتحاف السادة المتقين (٩/ ٢٢٤) و(١١/ ٢٥٦) و(٢٠/ ٢٣٧)، البغوي في التفسير (٤/ ٢٨٤)، ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣١٥).

وفق علم الله تعالى.

وقال شيخنا: مستند الكمال الأحسن توجيه كلام الشافعي، بأن الخلق يستدعي سبق العلم بالتفاصيل، وهو منتف عن العبد.

ولا يخفاك أن الكلام ينبو عنه إلا بمعونة ما يقال: إن سلموا اختصاص العلم التفصيلي بالله ثم سبق ما لهم في هذا.

وبعد: فالذي يظهر في مراد الإمام ما ذكره السنوسي في شرح الكبرى وهو: أن المعتزلة قالوا: لو لم يكن العبد خالقًا لأفعال نفسه لقال: يا رب تعذبني وأنت الذي خلقت المعصية؟!

وهو خلاف قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾ [النساء:١٦٥].

قلنا لهم: ما زال يلزمكم هذا من حيث سبق العلم، فيقول: يا رب حيث علمت أزلًا أني أعصي، فَلِمَ أعطيتني القدرة والداعية؟ ولِمَ خلقتني؟

فهل قدرة العبد تخلق ما سبق به العلم؟

فلم يبق إلّا أنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، وأنه المؤثر.

ولذلك قيل: إن مسألة العلم هي التي حلقت لحى المعتزلة، ولولاها لتمت لهم الدست.

فتدبر بإنصاف، ونسأل الله تعالى من فضله مزيد الإلطاف، اهـ.

والمراد بالداعية هي: الميل النفساني المصاحب للفعل، وحيث ثبت وجوب انفراده تعالى بالخلق والإيجاد علم أنه تعالى خالق لجميع العباد وجميع أعمالهم كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وأما نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [المائدة: ١١٠]، فهو مجاز عن الكسب، ومنه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] [٣٧/ ب] على عموم المجاز، أو الجمع بين الحقيقة والمجاز، واكتفى بالفرض الذهني.

ونقل عن الأستاذ: أن فعل العبد بالقدرتين، وفيه: أن القديمة لا شريك لها ولا معين.

وكذا نُقل عن القاضي: عنه أيضًا: أن قدرة العبد أثرت في فعله وصفه بالطاعة أو المعصية.

قلنا: هذا تابع للأمر والنهي.

واضطرب النقل عن إمام الحرمين.

فمما نقل عنه: لو لم تكن قدرة العبد مؤثرة كانت عجزًا:

قال السنوسي: والذي نعتقده تنزيه هؤلاء الأئمة عن مخالفة مشهور أهل السنة.

ولعل ما نقل عنهم غيره، وقع منهم في محاورة مناظرة لغرض، فجعل مذهبًا لهم أو نحو ذلك.

وأبدع من ذلك، قال الشعراني: إن الزمخشري وأمثاله يجل عن إسناد التأثير للعبد حقيقة، وإنما أرادوا ذلك على سبيل المجاز، حملهم على ذلك: أنه لو كان مجبورًا في الباطن ما صح ثوابه ولا عقابه.

فإما يعترفون بأن قدرته وجميع دواعي فعله التي لا يمكن تخلفه عنها بتركيب الله فيه، وإلا كفرتم وكنتم كالمجوس أو أشر حقيقة واستوجبتم لعنة الكفر.

وحيث كان بتركيب الله تعالى فيه فلم ينفك عن الجبر الباطني أصلًا ولم ينفعكم ما قلتم.

قال ابن عربي: أطلعني الله تعالى على إيجاد أول مخلوق، وقال لي: انظر هل ثَمَّ لبس في انفرادي بالتأثير فيه حيث لا غير إذ ذاك معي؟

فقلت: لا.

قال: تلك سنتي في جميع الآثار، ولو تكاثرت، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً﴾(١) [فاطر:٤٣].

ومن كلامه: قلت: سيدي ومولاي، إذا كان الكل منك وإليك، كان التكليف بمنزلة «افعل يا من لا يفعل»؟

فقيل لي: إذا أمرناك بأمر فاقبله [٣٨/ أ] ولا تحاقق، فإن حضرة الأدب لا تسع المحاققة.

فقلت: سيدي، هو نفس ما نحن فيه، فإن كنت قد قضيت عليّ بالأدب أو المحاققة فلا خروج لي عن قضائك.

فقيل لي: لن نوجدك إلّا على ما علمنا، ولم نعلمك إلّا على ما أنت، ولنا الحجة البالغة.

فحاصل التسليم المحض، وربما هجس لبعض القاصرين: أن من حجة العبد: لِمَ تعذبني والكل فعلك؟!

وهذه في المعنى حجة عليه، فالعذاب فعله أيضًا، ولا يتوجه عليه من غيره سؤال.

---

(١) يذهب ناس إلى أن قول ابن عربي هذا خروج منه على حدود الشرع، وادعاء للنبوة، أو علم الغيب، أو صيرورته أنه بشر غير عادي، وهذا لا يجوز التلفظ به من رجل في مثل مقام أو علم ابن عربي، ويحكمون عليه بالإلحاد والكفر.

ويذهب آخرون إلى: أن هذا نوع من الكشف الذي يتجلى فيه الله تعالى إلى بعض أهل الحقيقة ويجلي لهم بعض الأمور ليقوي إيمانهم ويثبت عقائدهم ويرفعهم إليه مكانًا عليًّا، وهم أهل الصوفية الغلاة.

ويذهب آخرون إلى: أن قوله هذا على سبيل التفكر والتأمل والمجاز وليس على سبيل الحقيقة والمحادثة والمشاهدة، ولكن هو مجرد تأمل وتفكر وتخيل واستنتاج يصل إليه مع كثرة تفكره في الأمر ثم يصيغه بصيغة مجازية ليس على سبيل الحقيقة أو التأكيد ولكن على سبيل تقريب المتأمل أو المتصور إلى المحسوس أو المشاهد فقط، وليس في ذكر لا كفر ولا كشف، إنما هي عبارة غير مقصودة ألفاظها بذاتها، إنما المقصود معناها أو مدلولها فقط.

قال ابن عربي: وقد غلب عَلَيّ شهود الجبر الباطني حتى نبهني تلميذي إسماعيل حفظه الله تعالى، وقال: لو لم يكن للعبد أمر ظاهري ما صح كونه خليفة ولا متخلقًا بالأخلاق[١]

قال: فدخل عَلَيّ بكلامه من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلّا الله تعالى[٢].

ومن كلام الخواص[٣]:

---

(١) ربما أراد بالأمر الظاهر: هي الأعمال والتكاليف الشرعية التي أوجبها الله تعالى على الإنسان المؤمن من صوم وصلاة وزكاة وحج وأعمال بر تقتضي منه الحركة الظاهرة للعيان يراها غيره من العباد أو الناس يعرفون بها أنه مؤمن بهذا الإله الذي خلقه وهو مطيع لما أمره به من تكاليف وواجبات تقتضي بيان عبوديته وإذعانه وطاعته له في ظاهره الذي يدل على باطنه على أرجح الأحوال أو في أغلب الأحوال.

(٢) ومثل هذه العبارة من ابن عربي والتي منها كثير وكثير جدًّا في كتبه تشبث وتمسك من قالوا بأنه الشيخ الأكبر أو الأستاذ حيث قالوا: إن كل ما يقوله وليس بمفهوم لدى البعض إنما هو من قبيل المجاز لا الحقائق، وأن الرجل رجل رباني، صافٍ، يرى بنور الشرع، ولا يعرف غير ما أنزل الله على نبيه ﷺ في كتابه أو ما بلغه عن رسوله ﷺ، وهو هنا يقبل التوجيه حتى من تلاميذه، ولا يخفى ذلك فكيف يعقل أنه يدعي الوحي المباشر الذي هو لا ينزل إلا على الأنبياء، وليس هو ممن يجهلون ذلك ولا ممن يدعون هذا، إنما هو لَيّ لأعناق عباراته من حُساده، ليظهروا عكس ما يريد الرجل حتى ينالوا منه.

(٣) هو: إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق، الخواص، المغربي، الصوفي، الزاهد.

توفي سنة: (٢٩١هـ)، وقيل: (٢٨٤هـ).

علم من أعلام الصوفية، وشيخ من أكابر شيوخهم، نسبت إليه أقوال أظنه منها براء، ونسبت إليه أقوال تدل على حكمته وزهده وورعه، وتناولت سيرته الكتب الكثيرة، وترجمت له المصادر العديدة التي منها: «طبقات الأولياء» (١٦)، «تاريخ بغداد» (٦/ ٧)، «طبقات الصوفية» (٢٨٤)، «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٢٥)، «صفوة الصفوة» (٤/ ٨٠)، «الرسالة القشيرية» (٣١)، «طبقات الشعراني» (١/ ١١٣)، «نتائج الأفكار القدسية» (١/ ١٧٥)، «طبقات المناوي» (١/ ١٨٤)، «التعرف» (١٢)، «معجم المؤلفين» (١/ ٤)، «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٢٣٣)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ١٣٢)، «كشف المحجوب» (١٥٣)، «سيرة ابن خفيف» (٥٥)، «المنتظم» (٦/ ٤٥).

ومما ترجم له به الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» أن قال: «من أهل سر من رأى، وهو أحد شيوخ الصوفية وممن يذكر بالتوكل وكثرة الأسفار إلى مكة وغيرها على التجريد وله كتب مصنفة.

.. عن الفرغاني يقول: كان إبراهيم الخواص مجردًا في التوكل، يدقق فيه، وكان لا يفارقه إبرة وخيط وركوة ومقراض، فقيل له: يا أبا إسحاق لم تحمل هذا وأنت تمنع من كل شيء؟ فقال: مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله علينا فرائض، والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد، فربما يتخرق ثوبه، فإذا لم يكن معه إبرة وخيط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته، وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته، وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة وخيوط فاتهمه في صلاته.

... عن أبي عثمان الأدمي قال: سمعت إبراهيم الخواص - وسئل عن الورع - فقال: ألا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى، ويكون اهتمامه بما يرضي الله تعالى. قال: وقال إبراهيم الخواص: العلم كله في كلمتين: لا تتكلف ما كفيت، ولا تضيع ما استكفيت.

... عن أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري قال: إبراهيم الخواص هو: إبراهيم بن أحمد

=

مثل العبيد في كونهم مظهرًا لأفعالهم فقط كالباب يخرج منه الناس من غير أن يكون مؤثرًا فيهم. فانظر، واعلم أن الإقرار بأن أفعال العباد لله أصل كبير في نفي الكبر والعجب والفخر والرياء والسمعة، فإن أردت شيئًا فهات من عندك شيئًا وسد أبواب مؤاخذة الناس.

قاله العلامة في الحاشية عند قول «الجوهرة»: «فخالق لعبده وما عمل».

وذكر في خطبة «الجوهرة» عند قول الناظم:

وبعد فالعلم بأصل الدين محتم يحتاج للتبيين

إن رئيس من تصدى لدفع الشبهة ونصر السنة الشيخ أبو الحسن الأشعري، بعد أن اشتغل على أبي هاشم الجبائي[1] مدة مديدة في الاعتزال حتى سأله عن ثلاثة إخوة: مات

=

ابن إسماعيل، كنيته أبو إسحاق، من أهل العسكر، صحب أبا عبد الله المغربي، ومات بالري وبها قبره، وكان أحد المذكورين بالتوكل والسياحات، بلغني أنه مات سنة إحدى وتسعين ومائتين، وتولى غسله ودفنه يوسف بن الحسين.

قلت – أي الخطيب- : ذكر غيره أنه مات سنة (٢٨٤هـ) ».

(١) هو: عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، مولى عثمان بن عفان، أبو هاشم الجبائي، المعتزلي، المتكلم، البصري، البغدادي.

ولد سنة (٢٤٧هـ)، توفي سنة (٣٢١هـ)، يوم (٢٣) رجب.

جاءت ترجمته في: «ديوان الإسلام» (٦٧٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٦٣)، «هدية العارفين» (١/ ٥٦٩)، «الأنساب» (٣/ ١٧٦)، «العبر» (٢/ ١٨٧)، «المنتظم» (٦/ ٢٦١)، «فهرس ابن النديم» (٢٤٧)، «تاريخ بغداد» (١١/ ٥٥)، «وفيات الأعيان» (٣/ ١٨٣)، «مرآة الجنان» (٢/ ٢٨١)، «معجم المؤلفين» (٥/ ٢٣٠)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٧٦)، «طبقات المعتزلة» لابن المعترض (٩٤)، «لسان الميزان» (٤/ ١٦) «شذرات الذهب» (٢/ ٢٨٩)، «المشتبه» (١/ ٣٧٨)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ١٣١).

هو من أكابر شيوخ المعتزلة وإليه تنسب الطائفة الهاشمية المعتزلة.

وترجم له الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» فقال: «المتكلم، شيخ المعتزلة، ومصنف الكتب على مذاهبهم، سكن بغداد إلى حين وفاته.

.. أخبرنا التنوخي قال: سمعت أبا الحسن أحمد بن يوسف الأزرق يقول: سمعت أبا هاشم الجبائي يقول: سألني بعض أصحابنا عن مسألة فأجبته عنها فقال لي: يا أبا هاشم لا تظنني لم أكن أعرف هذا. فقلت له: الصاحي بموضع رجلي السكران أعرف من السكران بموضع رجلي نفسه. يعني: أن العالم أعلم بمقدار ما يحسنه الجاهل من الجاهل بقدر ما يحسن.

...أخبرنا علي بن أبي علي عن أبيه قال: حدثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الأيذجي القاضي قال: لما توفي أبو هاشم الجبائي ببغداد اجتمعنا فئة لندفنه فحملناه إلى مقابر الخيزران في يوم مطير ولم يعلم بموته أكثر الناس، فكنا جُميعة في الجنازة، فبينا نحن ندفنه إذ حملت جنازة أخرى ومعها جُميعة عرفتهم بالأدب فقلت لهم: جنازة من هذه؟ فقالوا: جنازة أبي بكر بن دريد. فذكرت حديث الرشيد لما دفن محمد بن الحسن والكسائي بالري في يوم واحد قال: وكان هذا في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، =

أحدهم طائعًا، والثاني عاصيًا، والثالث صغيرًا.

فقال: يثاب الأول، ويعاقب الثاني [٣٨/ ب]، والثالث لا ولا.

فقال: مقتضى وجوب الأصلح أن يبقى الصغير كالطائع.

فقال: علم الله لو كبر عصى، فالصلاح موته صغيرًا.

فقال له: الصلاح على هذا أن يميت العاصي، بل وكل الكفار صغارًا.

فقال له: أبك جنون؟

قال: لا، ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة. فصارت مثلًا.

ونبذ من وقته الاعتزال ونصر السنة، اهـ.

وقال في مبحث الوحدانية، وفي «يواقيت الشعراني» ما نصه:

فإن قلت: فهل وصف الشرك بأنه ظلم عظيم، رجع إلى ظلم العبد نفسه، أو إلى ظلم غيره من الخلق، أو إلى ظلم صفات الألوهية؟

فالجواب: ما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين من «الفتوحات»: «الشرك إنما هو من مظالم العباد، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، فيأتي يوم القيامة من أشركوه مع الله تعالى في الألوهية من حيوان ونحو ذلك فيقول: يا رب خذ لي مظلمتي من هذا الذي جعلني إلهًا ووصفني بما لا ينبغي لي، فيأخذ الله تعالى له مظلمته من المشرك، ويخلده في النار مع شريكه، إن كان حجرًا أو حيوانًا غير إنسان.

أما الإنسان: فلا يخلد في النار مع عبدته إلا إن رضي بما نسب إليه من الألوهية.

=

فأخبرت أصحابنا بالخبر وبكينا على الكلام والعربية طويلًا ثم افترقنا.

قلت -أي الخطيب-: الصحيح أن أبا هاشم مات في سنة إحدى وعشرين، وفيها مات ابن دريد بغير شك.

وذكر لي هلال بن المحسن: أن أبا هاشم مات ليلة السبت الثالث والعشرين من رجب سنة إحدى وعشرين قال: وكان عمره ستًّا وأربعين سنة وثمانية أشهر وإحدى وعشرين يومًا».

قلت: وجمعت له قائمة بأسماء كتبه في هامش «ديوان الإسلام» بلغت ثلاثة عشر كتابًا هي:

١- الجامع الكبير.
٢- العَرَض (العوض).
٣- المسائل العسكرية (العسكريات).
٤- النقض على أرسطاطاليس في الكون والفساد.
٥- الطبائع والنقض على القائلين بها.
٦- الاجتهاد.
٧- كتاب الأبواب الصغير.
٨- كتاب الأبواب الكبير.
٩- كتاب الجامع الصغير.
١٠- كتاب الأنساب.
١١- كتاب الشمائل (في الفقه).
١٢- كتاب تذكرة العالم (في أصول الفقه).
١٣- كتاب العدة (في أصول الفقه).

أما نحو عيسى والعزير عليهما السلام، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: فلا يدخلون النار مع من عبدهم؛ لأن هؤلاء ممن سبقت لهم من الله تعالى»[١] اهـ.

هذا نص الشعراني في أوائل المبحث الأول.

قلت: وكذلك ظلم نفسه حيث عَبّدها لغير الحق، وظلم كل ذرة من ذرات العالم حيث أثبت فيها شركاء.

وهذا وجه العظم الأكيد البليغ.

وأما إساءة الأدب في حضرة الحق فلا [٣٩/ أ] يوازيها شيء، والعياذ بالله تعالى، وهذا الذنب العظيم لم يوجد من غير النوع الإنساني، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لاختلاف أجزائه وكونه مظهر العجائب.

في «اليواقيت» أواخر المبحث الأول ما نصه:

خاتمة:

قال الشيخ في باب الوصايا من «الفتوحات»: «إياكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله، فإن لهم من الله ولاية، العامة فيهم أولياء الله، ولو أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئًا، فالله تعالى يتلقى جميعها بمثلها مغفرة، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته.

وإنما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين لله بظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نرديه».

وأطال في ذلك، ثم قال: «وإذا عمل أحدكم عملًا توعد الله عليه بالنار فليختمه بالتوحيد فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لابد من ذلك، والله تعالى أعلم».

ولا يخفاك أن هذا وارد في حديث: «لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم أتيتني لا تشرك بي شيئًا غفرتها لك ولا أبالي».

أو كما ورد في حديث بطاقة: لا إله إلا الله، حيث ترجح في الميزان بسبعين سجلًّا

---

(١) من سبقت لهم الحسنى، والمراد بهم: من قطع الله تعالى لهم بأنهم من أهل رحمته ورضوانه وجنته، هم الأنبياء فقط، فهؤلاء معشر قد وعدهم الله تعالى بالحسن وزيادة، وليس في ذلك أدنى مراء عند من يؤمن بالله واليوم الآخر.

- أما علي رضي الله عنه: فإنما هو بشر عادي كباقي عباد الله تعالى، لا عهد له، ولا وعد له من الله تعالى بأنه ممن عفا عنهم ووعدهم بالجنة قطعًا، أما مثل هذه الأقوال فإنما يرددها غلاة الشيعة ممن يمجدون الإمام عليًّا رضي الله عنه ويرفعونه فوق شأنه، فمنهم من رفعه مرتبة فوق مرتبة البشر حتى أوصله إلى رتبة الأنبياء، ومنهم من رفعه فوق هذه المنزلة وجعل له عرش يوم القيامة، بل قال: بأن الله يتخلى عن عرشه يوم القيامة لعلي رضي الله عنه ليحكم بين العباد لاستغناء الله تعالى عن ذلك وقبوله بحكم علي رضي الله عنه وقضائه بين الناس وأنه حكم عدل مقسط. وكل هذا قول لا يليق، وقول لا يقبله الإمام علي رضي الله عنه، ولا كل مؤمن، ولا حتى أي إنسان عاقل يدري رأسه من رجليه.

خطايا [(١)]

وحديث ختم المجالس بـ: «أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، كفارة [(٢)]

وفي «مفاتيح الخزائن العلية» لسيدي علي وفا: «من علم أنه لا إله إلا الله لم يبق لأحد عنده ذنب»، إلى أن قال: «وبالجملة: فالتوحيد هو الإسلام».

كما قال سيدي علي وفا: «يا من دينه التوحيد، وبقدر المقام فيه يكون الكمال».

ولذلك كان شعار ساداتنا: الوقاية في جميع الأحوال: يا مولاي، يا واحد.

والناس في التوحيد متفاوتون، فالعامة الإسلامية [٤٠/ أ] اقتصروا على علم ظاهر «لا إله إلا الله».

ومنهم من ترقى إلى معرفة ما يمكن بالبراهين الفكرية.

ومنهم من فُتح عليه بأمور وجدانية.

ومنهم من ذاق الكل من الله وإليه فَرَضِي بكل شيء من هذه الحيثية، كما سبقت الإشارة إليه غير مرة.

---

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال برقم (١٠٩)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه، وعزاه لأحمد، والترمذي، والبيهقي، فقال: «إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مثل مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفّة، والبطاقة في كفّة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء».

ثم ذكر خبرًا آخر عزاه للبخاري والحاكم برقم (١١٠)، عن ابن عمرو رضي الله عنه: «يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذه شيئًا؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، ثم يقول: ألك عذر؟ ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة».

(٢) يشير إلى الخبر الذي رواه الترمذي في «سننه» برقم (٣٤٣٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلّا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك».

والخبر ورد في كتب كثيرة، أذكر منها: أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٠)، الدارمي في «السنن» (٢/ ٢٨٣)، عبدالرزاق في «المصنف» (٢٨٧٩)، الطبراني في «الصغرى» (١/ ٢٢٢)، ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٥٦)، ابن أبي حاتم في «العلل» (٣٧٤)، «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٥).

ومنهم من غاب عن المغايرة وطفح في سكره حيث قال: أنا الله، أو: ما في الجبة إلا الله، أو: ما في الكون إلا الله.

فمنهم من عذره بذلك، ومنهم من عاقبه، والكل على خير إن شاء الله تعالى حيث صح الأصل[١].

---

(١) يشير بقوله هذا إلى الحلاج، وهو: الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبدالله، وأبو مغيث، الفارسي، البيضاوي، الصوفي، المصنف، قتل سنة: (٣٠٩هـ) على الزندقة.

وهو علم مشهور، اختلف الناس فيه بين مؤيد ومعارض، وثبت له التوحيد، ومكفر، وكتبت في سيرته الكتب الكثيرة مادحة وذامة، وإلى الله تعالى أمره، ومن المصادر التي ترجمت له:

«ديوان الإسلام» (ت:٨٠٣)، «هدية العارفين» (١/ ٣٠٤)، «الأعلام» (٢/ ٢٦٠)، «طبقات الصوفية» (٣٠٧)، «الأنساب» (١/ ١٨١)، «طبقات الأولياء» (١٨٧)، «التنبيه والإشراف» (١٧/ ٣)، «فهرست ابن النديم» (١/ ١٩٠)، «روضات الجنات» (٢٢٦)، «وفيات الأعيان» (١/ ١٨٣)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢٥٣)، «تاريخ بغداد» (٨/ ١٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٣)، «الكامل في التاريخ» (٨/ ١٢٦)، «العبر» (٢/ ١٣٨)، «المنتظم» (٦/ ١٦٠)، «ميزان الاعتدال» (١/ ٥٤٨)، «دول الإسلام» (١/ ١٨٧)، «معجم المؤلفين» (٤/ ٦٣)، «مرآة الجنان» (٢/ ٢٥٣)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٧٠)، «لسان الميزان» (٢/ ٢١٤)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ١٨٢).

قلت: وقد جمعت قائمة بأسماء كتبه بهامش ديوان الإسلام، بلغت إحدى وخمسين كتابًا، فراجعها في الموضع المشار إليه إن أحببت.

ومما ترجم له به الذهبي في «سير أعلام النبلاء» أن قال: «الفارسي البيضاوي، الصوفي. والبيضاء: مدينة ببلاد فارس، وكان جده محمي مجوسيًا.

نشأ الحسين بتستر، فصحب سهل بن عبدالله التستري، وصحب ببغداد الجُنيد، وأبا الحسين النوري، وصحب عمرو بن عثمان المكي، وأكثر الترحال والأسفار والمجاهدة.

وكان يصحح حاله أبو العباس بن عطاء، ومحمد بن خفيف، وإبراهيم أبو القاسم النصر آباذي.

وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء، لما سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحُلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، وإلى الشعبذة، والزوكرة، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال، نسأل الله العصمة في الدّين».

ثم ساق بإسناده إلى محمد بن الحلاج، قال: «مولد أبي بطور البيضاء، ومنشؤه تستر، وتلمذ لسهل سنتين، ثم صعد إلى بغداد، كان يلبس المسوح، ووقتًا يلبس الدُّرّاعة والعمامة والقباء، ووقتًا يمشي بخرقتين.

فأول ما سافر إلى البصرة كان له ثمان عشرة سنة، ثم خرج إلى عمرو المكي، فأقام معه ثمانية عشر شهرًا، ثم إلى الجنيد، ثم وقع بينه وبين الجنيد لأجل مسألة، ونسبه الجنيد إلى أنه مدّع، فاستوحش وأخذ والدتي ورجع إلى تستر، فأقام سنة، ووقع له القبول التام، ولم يزل عمرو بن عثمان يكتب الكتب فيه بالعظائم حتى أبى، ورمى بثياب الصوفية ولبس قباء، وأخذ في صحبة أبناء الدنيا.

ثم إنه خرج وغاب عنا خمس سنين بلغ إلى ما وراء النهر، ثم رجع إلى فارس، وأخذ يتكلم على الناس، ويعمل المجلس، ويدعو إلى الله تعالى، وصنف لهم التصانيف، وكان يتكلم على ما في قلوب الناس، فسمّي حلاج الأسرار، ولقب به.

=

وضل كثير في التوحيد كمن قال بالحلول في وحدة الوجود [(١)].

=

ثم قدم الأهواز وطلبني، فحُملت إليه، ثم قدم إلى البصرة، ثم خرج إلى مكة ولبس المرقعة، وخرج معه خلق، وحسده أبو يعقوب النَّهرجُوري وتكلم فيه، ثم جاء إلى الأهواز، وحمل أمي وجماعة من كبار الأهواز إلى بغداد، فأقام بها سنة، ثم قصد إلى الهند وما وراء النهر ثانيًا، ودعا إلى الله وألّف لهم كتبًا، ثم رجع، فكانوا يكاتبونه من الهند بالمغيث، ومن بلاد ماصين وتركستان بالمقيت، ومن خراسان بأبي عبدالله الزاهد، ومن جوزستان بالشيخ حلّاج الأسرار.

وكان ببغداد قوم يسمونه: المُصطلم، وبالبصرة: المُحَيّر.

ثم كثرت الأقاويل عليه بعد رجوعه من هذه السفرة فقام وحج ثالثًا، وجاور سنتين.

ثم رجع وتغير عما كان عليه في الأول، فاقتنى العقار ببغداد، وبنى دارًا، ودعا الناس إلى معنى لم أقف عليه، إلا على شطر منه، ثم وقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية، فقيل: هو ساحر. وقيل: هو مجنون. وقيل: هو ذو كرامات، حتى أخذه السلطان. انتهى كلام ولده».

ثم ساق له ترجمة طويلة إلى أن قال: «قرأت بخط العلامة تاج الدين الفزاري قال: رأيت في سنة سبع وستين وست مائة كتابًا فيه قصة الحلاج، منه: عن إبراهيم الحلواني قال: دخلت على الحسين بن منصور بين المغرب والعتمة، فوجدته يصلي، فجلست كأنه لم يحس بي، فسمعته يقرأ سورة البقرة، فلما ختمها، ركع وقام في الركوع طويلًا، ثم قام إلى الثانية قرأ الفاتحة وآل عمران، فلما سلم تكلم بأشياء لم أسمعها، ثم أخذ في الدعاء، ورفع صوته كأنه مأخوذ من نفسه وقال: يا إله الآلهة ! ورب الأرباب ! ويا من لا تأخذه سنة ! رد إلي نفسي لئلا يفتتن فيَّ عبادك، يا من هو أنا وأنا هو! ولا فرق بين إنيتي وهويتك إلا الحدث والقدم.

ثم رفع رأسه ونظر إلي وضحك في وجهي ضحكات، ثم قال لي: يا أبا إسحاق ! أما ترى إلى ربي ضرب قِدَمه في حدثي حتى استهلك حدثي في قدمه، فلم تبق لي صفة إلا صفة القدم، ونطقي من تلك الصفة، فالخلق كلهم أحداث ينطقون عن حدث، ثم إذا نطقت عن القدم ينكرون علي ويشهدون بكفري، وسيسعون إلى قتلي، وهم في ذلك معذورون، وبكل ما يفعلون مأجورون.

.... وعن جندب بن زاذان -تلميذ الحسين- قال: كتب الحسين إلي: بسم الله المتجلي عن كل شيء لمن يشاء، والسلام عليك يا ولدي، ستر الله عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة كفر، وحقيقة الكفر: معرفة جلية، وإني أوصيك أن لا تغتر بالله، ولا تأيس منه، ولا ترغب في محبته، ولا ترضى أن تكون غير محب، ولا تقل بإثباته، ولا تمل إلى نفيه، وإياك والتوحيد، والسلام.

.... وعنه قال: ما وحد الله غير الله».

انتهى آخر ما نقلته من خط الشيخ تاج الدين.

(١) قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (٢/ ٥٥)، في نشأة التناسخ والحلول: منهم -أي من الحِرنانية-: وإنما نشأ أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم.

وفي كتاب «الفرق بين الفرق» (٢٥٤) في الفصل العاشر من هذا الباب، في ذكر أصناف الحلولية، وبيان خروجها عن فِرَق الإسلام: «الحلولية: في الجملة عشر فرق كل ما كانت في دولة الإسلام، وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع، وتفصيل فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض.

وذلك أن السبئية والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية منهم بأجمعها حُلُولية، وظهر بعدهم المقنعية بما

=

وكقول الفلاسفة: الواحد لا يصدر عنه إلا واحد[(١)]

=

وراء نهر جيحون.

وظهر قوم بمرو يقال لهم: رزامية، وقوم يقال لهم: بركوكية، وظهر بعدهم قوم من الحلولية يقال لهم: حلمانية، وقوم يقال لهم: حلّاجية، ينسبون إلى الحُسين بن منصور المعروف بالحلاج.

وقوم يقال لهم: العذافرة، ينسبون إلى ابن أبي العذافر، وتبع هؤلاء الحلولية قوم الخرمية، شاركوهم في استباحة المحرمات وإسقاط المفروضات.

أما السبئية: فإنما دخلت في جملة الحلولية لقولها بأن عليًّا صار إلهًا بحلول روح الإله فيه.

وكذلك البيانية زعمت أن روح الإله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي، ثم دارت إلى محمد ابن الحنفية، ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم، ثم حلت بعده في بيان بن سمعان، وادعوا بذلك إلهية بيان بن سمعان.

وكذلك الجناحية: منهم حلولية لدعواها أن روح الإله دارت في علي وأولاده، ثم صارت إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، فكفرت بدعواها حلول روح الإله في زعيمها، وكفرت مع ذلك بالقيامة والجنة والنار.

والخطابية كلها حلولية، لدعواها حلول روح الإله في جعفر الصادق، وبعده في أبي الخطاب الأسدي، فهذه الطائفة كافرة من هذه الجهة، ومن جهة دعواها أن الحسن والحسين وأولادهما أبناء الله وأحباؤه، ومن ادعى منهم في نفسه أنه من أبناء الله فهو أكفر من سائر الخطابية.

والشريعية والنميرية منهم حلولية لدعواها أن روح الإله حلت في خمسة أشخاص: النبي ﷺ، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين. ولدعواها أن هؤلاء الأشخاص الخمسة آلهة».

(١) قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (٢/ ١٨٧)، في الإلهيات، في المسألة الثامنة: «في أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وفي ترتيب وجود العقول والنفوس والأجرام العلوية، وأن المحرك المقرب للسماويات نفس، والمبدأ الأبعد عقل، وحال تكون الأسطقسات عن العلل.

إذا صح أن واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته فلا يجوز أن يصدر عنه إلا واحد، ولو لزم عنه شيئان متباينان بالذات والحقيقة لزومًا معًا، فإنما يلزمان عن جهتين مختلفتين في ذاته، ولو كانت الجهتان لازمتين لذاته فالسؤال في لزومهما ثابت حتى يكونا من ذاته فتكون ذاته منقسمة بالمعنى، وقد منعناه وبينا فساده؛ فتبين أن أول الموجودات عن الأول واحد بالعدد، وذاته وماهيته وحده لا ما في مادة، وقد بينا أن كل ذات لا في مادة فهي عقل. وأنت تعلم أن في الموجودات أجسامًا، وكل جسم ممكن الوجود في حيز نفسه، وأنه يجب بغيره، وعلمت أنه لا سبيل إلى أن يكون عن الأول بغير واسطة؛ وعلمت أن الواسطة واحدة؛ فبالحري أن تكون عنها المبدعات الثانية والثالثة وغيرها؛ بسبب إثنينية فيها ضرورة.

فالمعلول الأول ممكن الوجود بذاته وواجب الوجود بالأول، ووجوب وجوده بأنه عقل وهو يعقل ذاته ويعقل الأول ضرورة، وليست الكثرة له من الأول، فإن إمكان وجوده له بذاته لا بسبب الأول، بل له من الأول وجوب وجوده ثم كثرة أنه يعقل الأول ويعقل ذاته كثرة لازمة لوجوب وجوده عن الأول، وهذه كثرة إضافية ليست في أول وجوده وداخلة في مبدأ قوامه، ولولا هذه الكثرة لكان لا يمكن أن يوجد منها إلا وحدة، ولكان يتسلسل الوجود من وحدات فقط؛ فما كان يوجد جسم.

فالعقل الأول يلزم عنه بما يعقل الأول وجود عقل تحته، وبما يعقل ذاته وجود صورة الفلك وكماله وهي =

والكامل الملطوف به المحفوف بالعناية يشهد الواحد في الكثرة ثابتًا على كمال الفطرة ملتزمًا لقوانين الشرع.

وتلك حالة وحي القلب لا السمع.

وإلى ذلك يشير قول ولي نعمتنا سيدي علي وفا في التوجهات: «يا الله، يا هو، استهلك جهات فرقنا بلطفك وجودك في إحاطة وجودك».

والكل محجوبون عن توحده الذي توحده بنفسه إذ لا سبيل لغيره إلى ذلك أبدًا، وعجزت، كما قال السنوسي في «شرح الكبرى» عن الإدراك وانقطع تشوقها للخوض فيما خرج عن دوائر التوهمات والتخيلات.

وقصارى أمرها أنها صارت من أجل اللمحة التي لحظت والرمزة التي بها غابت عن العوالم كلها وفيها تاهت، وبها ولهت تتطاير من وراء حجب الكبرياء، وأردية العز شوقنا، وأنشدني في ذلك لأبي مدين:

فقل للذي ينهي عن الوجد أهلـــه   إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا

وفي «اليواقيت» أواخر المبحث الأول ما نصه:

«إن للحق تعالى مرتبتين:

- مرتبة علية هو عليها في علا ذاته.
- ومرتبة يتنزل منها لقول عباده.

فما عرف الخلق منها إلّا مرتبة التنزل لا غير؛ لأن الله لم يكلف الخلق أن يعرفوه تعالى كما يعرف نفسه أبدًا.

ولو كلفهم بذلك لأدى إلى الإحاطة به كما يحيط هو بنفسه، وذلك محال لتساوي علم العبد وعلم الرب حينئذ»، اهـ.

وإلى المقام الأعلى يشير قول سيدي علي وفا[1] في التوجهات: «يا من هو هو، بما هو هو».

= النفس، وبطبيعة إمكان الوجود الخاصية له المندرجة فيما يعقله لذاته وجود جرمية الفلك الأعلى المندرجة في جملة ذات الفلك الأعلى بنوعه، وهو الأمر المشارك للقوة فيما يعقل الأول يلزم عنه عقل، وبما يختص بذاته على جهتيه الكثرة الأولى بجزأيها أعني المادة والصورة والمادة بتوسط الصورة، أو بمشاركتها كما أن إمكان الوجود يخرج إلى الفعل بالعقل الذي يحاذي صورة الفلك، وكذلك الحال في عقل عقل وفلك فلك.... إلا أن ينتهي إلى العقل الفعال الذي يدبر أنفسنا».

(١) هو: علي بن محمد بن محمد بن وفا، أبو القرش، الأنصاري، السكندري الأصل، الشاذلي، الصوفي، المالكي، الفقيه المغربي، المعروف بابن وفا.

ومن هنا تعلم أن توحد[إن توحّد] مولانا ليس ناشئًا عن توحيدنا، بَلْ هو أزلي قديم، فليس التفعل هنا للمطاوعة كما أنه ليس للتكلف، بل للكمال تفريعًا على الثاني كما في الشاوي[1] على

=

ولد سنة: (٧٥٩هـ)، والمتوفى سنة: (٨٠٧هـ) بالقاهرة في الروضة، يوم الثلاثاء، ثاني عشر ذي الحجة، من مصادر ترجمته:

«معجم المؤلفين» (٧/ ٣٣١)، «الضوء اللامع» (٦/ ٢١)، «إيضاح المكنون» (١/ ١٦١)، «هدية العارفين» (١/ ٨٢٧)، «شذرات الذهب» (٧/ ٧٠)، وقال في ترجمته في وفيات سنة (٨٠٧هـ):

«وفيها: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وفا.

قال في «المنهل الصافي» : الشيخ الواعظ، المعتقد، الصالح، الأديب، الأستاذ، المعروف بسيدي علي وفا الإسكندري الأصل، المالكي، الشاذلي، صاحب النظم الفائق، والألحان المحزنة الحسنة، والحزب المعروف عند بني وفا، ولد بالقاهرة سنة (٧٥٩هـ)، ومات أبوه وتركه صغيرًا، ونشأ هو وأخوه أحمد تحت كنف وصيهما العبد الصالح شمس الدين محمد الزيلعي، فأدبهما، وفقههما، فنشآ على أحسن حال، وأجمل طريقة. ولما صار عمر سيدي علي هذا سبع عشرة سنة جلس موضع أبيه.

قال المقريزي: وتعددت أتباعه وأصحابه ودانوا بحبه، واعتقدوا رؤيته عبادة، وتبعوه في أقواله وأفعاله، وبالغوا في ذلك مبالغة زائدة، وسمعوا ميعاده المشهد، وبذلوا رغائب أموالهم هذا مع تحجبه وتحجب أخيه التحجب الكثير إلّا عند عمل الميعاد والبروز لقبر أبيهما، أو تنقلهما في الأماكن، فنالا من الحظ ما نالا من هو في طريقتهما. وكان – أي صاحب الترجمة – جميل الطريقة، مهابًا، معظمًا، صاحب كلام بديع، ونظم جيد، انتهى. ثم قال في «المنهل»: وكان فقيهًا عارفًا بفنون من العلوم، بارعًا في التصوف، مستحضرًا لتفسير القرآن الكريم، له تآليف منها:

- كتاب الباحث على الإخلاص في أحوال الخواص.
- وتفسير القرآن العزيز.
- وكتاب الكوثر المنزع في الأبحر الأربع في الفقه.
- وديوان شعر معروف، منه:

ترفق فسهم الوجد في مهجتي رشق ... ملكت فأحسن فالتجلد قد أبـق

وطال عليّ الهجر واتصل الضنـــى ... وقصر عني الصبر وانعدم الرمق

وهي طويلة، انتهى ملخصًا.

وقال ابن حجر في «إنباء الغمر»: كان له نظم كثير، واقتدار على جلب الخلق مع خفة ظاهرة، اجتمعت به مرة في دعوة فأنكرت على أصحابه إيماءهم إلى جهته بالسجود، فتلا هو وهو في وسط السماع يدور ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، فنادى من كان حاضرًا من الطلبة كفرت كفرت، فترك المجلس وخرج هو وأصحابه، وكان أبوه معجبًا به، وأذن له في الكلام على الناس وهو دون العشرين، وكان أكثر إقامته بالروضة قريب المشتهى، وشعره ينعق بالاتحاد المفضي إلى الإلحاد، وكذا نظم والده، وفي أواخر أمره نصب في داره منبرًا وصار يصلي الجمعة هو ومن يصاحبه مع أنه مالكي المذهب يرى أن الجمعة لا تصح في البلد، –وإن كبر– إلا في المسجد العتيق من البلد»، انتهى باختصار.

وتوفي يوم الثلاثاء، ثاني عشر ذي الحجة، بالروضة، ودفن عند أبيه بالقرافة.

(١) هو: يحيى بن محمد بن محمد بن عبدالله بن عيسى أبو زكريا، الشاوي، الملياني، النايلي، الجزائري، المالكي، الفقيه. ولد سنة: (١٠٣٠هـ)، وتوفي سنة: (١٠٩٦هـ).

=

الصغرى.

لأن شأن ما يتكلف فيه أن يكون بصفة الكمال. وكذا القول في: التمجيد، والتجمد، والتقديس والتقدس، فمحصله يرجع لتعبدنا بالإقرار بذلك ظاهرًا وباطنًا؛ لأنا نحصل له شيئًا.

وفي قول ولي نعمتنا: سبحانك من حيث أنت، والحمد لك، اللهم رب العالمين.

جمالك في مخيلتي وطرفي ... مقيم ليس يخفى بعد كشف
فإن أغفيت كان عليك وقفي ... واستيقظت كان بك ابتداء

وله قدس الله سره:

ولم يزل بالجمال سكري ... ومن كأس الشهود شربي
فالدهر لي كله سرور ... وطيب عيش وطيش لب
ما ثم فرق ولا فراق ... عن من له وجهتي وقلبي
فلا تهدد ولا تمني ... فأنت سِلمي وأنت حربي

وله أيضًا:

كل الورى منك يا حبيبي ... في قبضة الوجد والتصابي
[٤١/أ] فالبعض يهواك عن حجاب ... والبعض يهوى بلا حجاب

وله أيضًا:

=

من مصادر ترجمته: «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٢٧)، «خلاصة الأثر» (٤٨٦)، «هدية العارفين» (٢/ ٥٣٣)، «الأعلام» (٩/ ٢١٤)، «إيضاح المكنون» (٢/ ٢٢٤)، «فهرست الخديوية» (٢/ ٥٢).

وترجم له الأستاذ عمر كحالة في «معجم المؤلفين» فقال: «فقيه، نحوي، متكلم، ناظم.

ولد بمليانة، وتعلم بالجزائر، وأقام مدة بمصر في عودته من الحج، وتصدر للإقراء بالأزهر، ثم رحل إلى سورية والروم، وتوفي في سفينة راحلًا للحج، ونقل جثمانه إلى القاهرة.

من آثاره:

- حاشية على أم البراهين للسنوسي.
-نظم لامية في إعراب الجلالة وشرحها.
-شرح التسهيل لابن مالك في النحو.
-قرة العين في جمع البين من علم التوحيد.
-النيل الرقيق في حلقوم أنساب الزنديق» اهـ.

العاشـــق العـــارف المحقـــق في الحب يدري عـــن تمـــزدق
ومـــن ســـــواه إذا تعلـــــق يفنى ولا يـــدر مـــن تعشـــق
والســـر في هـــــذه القضـــايا يدريـــه والله مـــن تحـــقـــق

وله:

ظهرت في ســـائر اللطائـــف تدعو البرايـــا إلى التصـــابي
فالبعض يهواك عـــن حجـــاب والبعض يهـــواك بلا حجـــاب [(١)]

وله:

وحدت عبدك في الهوى يـــا سيدي وأرى العبيد توحـــد الســـادات
إن شئت عدني بالوصال ولا تفـــي أو شئت واصلني مدى الســـاعات
فمن استقر على شهـــود واحـــد لم يلتفـــت يومـــًا إلى ميقـــات
وحياة وجهك قد مـــلأت جوانحـــي وغمرت مني ســـائر الـــدارات
وحجبت عني الغير حيث ظهرت لي فكأنما الخلـــوات في الجلـــوات
حضر الحبيب فلســـت أذكر فائتًا أبدًا ولا ألهـــو بما هـــو آت

وله رضي الله عنه:

أَوْمَتْ لِمَغْناك أنبـــأ العِبَـــارات وصرحت بك آيات الإشـــارات
تنزلت كلمات الحســـن منـــك على لوح الوجود بأقـــلام الســـماوات
وأنت في الكل معنى الكل يا أملي وهم غيوبك يا غيب الشـــهادات
فما لغـــيرك مـــن عـين ولا أثـــر أنت القيـــام وقيـــوم الســـماوات
نحن الوجود أرانا الغـــير في عـــدم محض التجرد عن كل الإضـــافـــات
[٤١/ب] الله أكبر هذا السر قد عجزت عن فهم مظهره أهـــل النباهـــات

ومن كلام والده القطب الأعظم، سيدي محمد وفا [(٢)] رضي الله عنه:

---

(١) سبق أن ذكر هذا البيت.

(٢) هو: محمد بن محمد بن محمد، الإسكندري، المالكي، الشاذلي، الصوفي. ولد سنة: (٧٠٢هـ)، بالإسكندرية.

=

سبرت العلـــم تفصـــيلًا وجملـــة وطفت الكـــون بالتحقـــيق كلـــه
فمـــا ألفيـــت غـــير الله شيئًا تجلـــى دون معلـــول وعلـــة
وهذا القول في التخفـــيف أصـــل وأقوال الورى مـــن بعـــد فضلـــه

ومن كلامه:

ليـــس فـــي الملـك فاســـد كـــل مـــا فيـــه صالـــح
باطـــن الســـر ظاهـــــر مشكـــل وهـــو واضـــح
حيـــث مـــا كنت لامـــح لاح منـــــه لائـــــح
وأنـــا منـــه بالهـــــوى فيه غـــــاد ورائـــح

ومن كلامه على طريقة القوم:

انظر في رسمك تصيبوا من نقطـــه صارت مع أخرى وتولفوا خطـــه
اقرأ في لوح جسمك واستخرج المعنى وارقى بفهمك للمقصـــد الأسنى
وخل جسمك في المركـــز الأدنـــى وادرس رسومك واحذر ذينك الغلطه
اجمع فروقك مـــن قـــاص ودانـــي وافن في ذاتك عن جسمك الفـــاني
واحذر تقول هو واحـــد وأنـــا ثاني تبق مروط المشـــرك في ورطـــة

=

وتوفي سنة (٧٦٥هـ)، يوم الثلاثاء الحادي عشر من ربيع الآخر.

جاءت ترجمته في «شذرات الذهب» (٦/ ٢٠٦) في وفيات سنة خمس وستين وسبعمائة، فقال ابن العماد: «وفيها: العارف بالله المحقق، محمد بن محمد بن محمد، المعروف بسيدي محمد وفا، والد بني وفا المشهورين، الإسكندري الأصل، المالكي المذهب، الشاذلي طريقة.

ولد بثغر الإسكندرية سنة اثنتين وسبعمائة، ونشأ بها، وسلك طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

وتخرج على يد الأستاذ ابن باخل.

ثم رحل إلى أخميم وتزوج بها، واشتهر هناك، وصار له سمعة ومريدون وأتباع كثيرة، ثم قدم مصر، وسكن الروضة على شاطئ النيل. وحصل له قبول من أعيان الدولة وغيرهم.

وكان له فضيلة ومشاركة حسنة، ونظم ونثر ومعرفة بالأدب، وكثر أصحابه وصاروا يبالغون في تعظيمه، وكان لوعظه تأثير في القلوب.

ثم سكن القاهرة، ولم يزل أمره يشتهر وذكره ينتشر مع جميل الطريقة وحسن السيرة، إلى أن توفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الآخر، ودفن بالقرافة، وقبره مشهور يزار. قاله في «المنهل الصافي».

خل الأصول وصاحب التفريع … هذا ينكر وهذا في تبديع
والفيلسوفي قال علومكم تشنيع … والكل صاروا بالوهم في خبطة
خل الأصول في ربطة التحديد … واخلع عذارك وجدد التجريد
واشرب بكأسك من خمرة التوحيد … وقل لوهمك عند الفنا خطه
[٤٢/أ] خل السبيحة والدلق والسجاد … واعقد سكيرة من خمرة الأفراد
فلست أنا عابد ولا من الزهاد … هذه طريقة على أهلها شطه
قم يا فقه جيء لحانة الخلاع … واجل شرابي بمشهد الإجماع
وخل عنك توهم الأوضاع … واعقد سكيرة وحل ذي الربطه
خل حديثك واشرب قديم خمري … وإياك لا تصحو واسكر كما سكري
وفي غيابك تحضر كما قدرى … وفي خيالك من الخمار نشطه
حقق بفهمك وخل قيل وقال … وانتظر لمبدي مصادر الأفعال
وافن في ذاتك يقصر الذي طال … واطوي بساطك وتبق في بسطه

ومن كلام سيدي عمر بن الفارض[١] آخر التائية:

---

(١) هو: عمر بن علي بن مُرشد، سلطان العشاق، شرف الدين، وقيل: عمر بن الحسن علي بن المرشد بن علي، أبو القاسم، وقيل: أبو حفص، الحموي، القاهري، الصوفي، المصري، الشاعر، المعروف بابن الفارض.
ولد سنة: (٥٧٦هـ) في (٤) ذي القعدة. توفي سنة: (٦٣٢هـ) في جمادى الأولى.
شاعر، صوفي، مشهور جدًّا، وجاءت ترجمته في مصادر كثيرة منها:
«ديوان الإسلام» (١٦٤١)، «الأعلام» (٥/ ٥٥)، «معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠١)، «كشف الظنون» (٢٦٥)، «إيضاح المكنون» (١/ ١١٨)، «شذرات الذهب» (٥/ ١٤٩)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥٤)، «البداية والنهاية» (١٣/ ١٤٣)، «مختصر أبي الفدا» (٣/ ١٤٩)، «حسن المحاضرة» (١/ ٢٤٦)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٦٦)، «لسان الميزان» (٤/ ٣١٧)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٨٨)، «روضات الجنات» (٥٠٥)، «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٦٨)، «التكملة» (٣/ ٢٥٨٦)، «العبر» (٥/ ١٢٩)، «نثر الجمان» (٢/ ٦٨)، «مجالس العشاق» (١٠٢)، «مجالس المؤمنين» (٢/ ٥٦)، «طبقات الزيله لي» (٩٧).
قال ابن العماد في ترجمته في «شذرات الذهب»، في وفيات سنة (٦٣٢): «وفيها: سيدي ابن الفارض، ناظم الديوان المشهور، شرف الدين، أبو القاسم، عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل، المصري، قال في العبر: هو حجة أهل الوحدة، وحامل لواء الشعراء.
=

=

وقال الشيخ عبدالرءوف المناوي في طبقاته: الملقب في جميع الآفاق بسلطان العشاق والمحبين، المنعوت بين أهل الخلاف والوفاق بأنه سيد شعراء عصره على الإطلاق، له النظم الذي يستحق أهل الحلوم، والنثر الذي تغار منه النثرة بل سائر النجوم، قدم أبوه من حماة إلى مصر فقطنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام.

ثم ولي نيابة الحكم، فغلب عليه التلقيب بالفارض، ثم ولد له بمصر عمر في ذي القعدة سنة (٥٦٦)، فنشأ تحت كنف أبيه في عفاف وصيانة وعبادة وديانة، بل زهد وقناعة، وورع أسدل عليه لباسه وقناعه، فلما شب وترعرع اشتغل بالفقه الشافعي، وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وعنه الحافظ المنذري وغيره.

ثم حبب إليه الخلاء وسلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد وصار يستأذن أباه في السياحة فيسيح في الجبل الثاني من المقطم، ويأوي إلى بعض أوديته مرة، وفي بعض المساجد المهجورة مرة، وفي خرابات القرافة مرة، ثم يعود إلى والده فيقيم عنده مدة، ثم يشتاق إلى التجرد، ويعود إلى الجبل، وهكذا حتى ألف الوحشة وألفه الوحش، فصار لا ينفر منه، ومع ذلك لم يفتح عليه بشيء، حتى أخبره البقال: إنه إنما يفتح عليه بمكة، فخرج فورًا في غير أشهر الحج ذاهبًا إلى مكة، فلم تزل الكعبة أمامه حتى دخلها، وانقطع بواد بينه وبين مكة عشر ليال، فصار يذهب من ذلك الوادي وصحبته أسد عظيم إلى مكة، فيصلي بها الصلوات الخمس ويعود إلى محله من يومه، وأنشأ غالب نظمه حالتئذ، وكان الأسد يكلمه ويسأله أن يركب عليه فيأبى، وأقام كذلك نحو خمسة عشر عامًا، ثم رجع إلى مصر فأقام بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر، وعكف عليه الأئمة، وقصد بالزيارة من الخاص والعام، حتى إن الملك الكامل كان ينزل لزيارته، وسأله أن يعمل له قبرًا عند قبره بالقبة التي بناها على ضريح الإمام الشافعي فأبى.

وكان جميلًا، نبيلًا حسن الهيئة والملبس والصحبة والعِشرة، رقيق الطبع، عذب المنهل والمنبع، فصيح العبارة، دقيق الإشارة، سلس القياد، بديع الإصدار والإيراد، سخيًّا جوادًا، توجه يومًا إلى جامع عمرو فلقيه بعض المكارية فقال: اركب معي على الفتوح، فمر به بعض الأمراء فأعطاه مائة دينار فدفعها إلى المكاري.

وكان أيام النيل يتردد إلى المسجد المعروف بالمشتهى في الروضة ويحب مشاهدة البحر مساء، فتوجه إليه يومًا فسمع قصّارًا يقصر ويقول:

قطع قلبي هذا المقطع لا هو يصفو أو يتقطع

فصرخ وسقط مغمى عليه فصار يفيق ويردد ذلك ويضطرب، ثم يغمى عليه، وهكذا...

وناهيك بديوانه الذي اعترف به الموافق والمخالف، والمعادي والمُحالف، سيما القصيدة التائية.

وقد اعتنى بشرحها جمع من الأعيان كالسراج الهندي الحنفي، والشمس البساطي المالكي، والجلال القزويني الشافعي، غير متعاقبين ولا مبالين بقول المنكرين الحساد.

وشعره ينعت بالاتحاد. وكذا شرحها الفرغاني، والقاشاني، والقيصري، وغيرهم.

وعلى الخمرية وغيرها شروح عدة.

وقال بعض أهل الرسوخ: إن الديوان كله مشروح. وذكر بعض الأكابر أن بعض أهل الظاهر في عصر الحافظ ابن حجر: كتب على التائية شروحًا وأرسله إلى بعض عظماء الصوفية في الوقت ليقرضه، فأقام عنده مدة ثم كتب عليه عند إرساله إليه:

سارت مشرقة وسرت مغربًا شتان بين مشرق ومغرب

=

=
فقيل له في ذلك، فقال: مولانا الشارح اعتنى بإرجاع الضمائر والمبتدأ والخبر والجناس والاستعارة، وما هنالك من اللغة والبديع، ومراد الناظم وراء ذلك كله.

وقد أثني على ديوانه حتى من كان سيء الاعتقاد، ومنهم ابن أبي حجلة الذي عزره السراج الهندي بسبب الوقيعة فيه، فقال: هو من أرق الدواوين شعرًا، وأنفسها درًّا برًّا وبحرًا، وأسرعها للقلوب جرحًا وأكثرها على الطلول نوحًا، إذ هو صادر عن نفثة مصدور عاشق مهجور، وقلب بحر النوى مكسور، والناس يلهجون بقوافيه وما أودع من القوى فيه، وكثر حتى قل من لا رأى ديوانه أو طنت بأذنه قصائده الطنانة.

قال الكمال الإدفوي : وأحسنه: القصيدة الفائية التي أولها:

قلبي يحدثني بأنك متلفي

واللامية التي أولها:

هو الحب فأسلم بالحشا ما الهوى سهل

والكافية التي أولها:

ته دلالًا فأنت أهل لذاك

قال: وأما التائية، فهي عند أهل العلم -يعني الظاهر- غير مرضية، مشعرة بأمور رديئة.

وكان عاشقًا يعشق مطلق الجمال، حتى إنه عشق بعض الجِمال، بل زعم بعض الكُبار: أنه عشق برنية بدكان عطار. وذكر القوصي في «الوحيد»: أنه كان للشيخ جوارٍ بالبهنسا، إحدى قرى مركز العدوة، محافظة المنيا بجمهورية مصر العربية، وهي قريبة من بلد محقق هذا الكتاب، وهو من مواليد مركز العدوة أيضًا، وهي قرية سياحية أثرية إسلامية، على الرغم من صغرها - يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة، وهو يرقص ويتواجد.

ولكل قوم مشرب ولكل مطلبٍ، وليس سماع الفساق كسماع سلطان العشاق.

ولم يزل على حاله راقيًا في سماء كماله، حتى احتضر، فسأل الله أن يحضره في ذلك الهول العظيم جماعة من الأولياء، فحضره جماعة، منهم: البرهان الجعبري، فقال فيما حكاه سبط صاحب الترجمة: رأى الجنة مثلت له فبكى، وتغير لونه ثم قال:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

قال: فقلت له: يا سيدي، هذا مقام كريم، فقال: يا إبراهيم، رابعة وهي امرأة تقول: وعزتك ما عبدتك رغبة في جنتك، بل لمحبتك، وليس هذا ما قطعت عمري في السلوك إليه، فسمعت قائلًا يقول له: فما تروم؟ فقال:

أروم وقد طال المدى منك نظرة

البيت. تهلل وجهه وقضى نحبه، فقلت: إنه أعطي مرامه». انتهى.

وقد شنع عليه بذلك المنكرون، فقال بعضهم: لما كشف له الغطاء وتحقق أنه هو غير الله، وأنه لا حلول ولا اتحاد قال ذلك.

وقال بعضهم: قاله لما حضره ملائكة العذاب الأليم. أستغفر الله، سبحانه، هذا بهتان عظيم.

والحاصل: أنه اختلف في شأن صاحب الترجمة، وابن عربي، والعفيف التلمساني، والقونوي، وابن هود، وابن سبعين، وتلميذه الششتري، وابن مظفر، والصفار من الكفر إلى القطبانية، وكثرت التصانيف من
=

ولا تـــك ممن طبشــته دروســـــه بحيث استقلت عقله واستفـــزت
فثم وراء النقل علــــم يَدِقّ عــــن مدارك غايات العقـــول السليـــمة
ولا تك باللاهــــي عن اللهو جملـــة فهـزل الملاهـي جـد نفس محـــدثة
وإياك والإعراض عن كل صـــورة مموهــــة أو حالــــة مستحيلـــة
ترى صورة الأشياء تجلى عليك من وراء حجاب اللبس في كل خلعـــة
وكل الذي شاهدته فعل واحـــــد بمفرده لكن بحجـــب الأكنـــة
إذا مــا زال الستر لم تـــر غـــيره ولم يبق بالإشكـــال إشكال ريبـــة
وألسنة الأكوان إن كنت واعيًا شهود بتوحيدي بحــــال فصيحـــة
وما عقد الزنار حكمًا سوى يـــدي وإن حـــلّ بالإقرار بي فهو حلتـــي

= الفريقين في هذه القضية، ولا أقول كما قال بعض الأعلام: تسلَّم تَسْلَم، بل أذهب إلى ما ذهب إليه بعضهم: إنه يجب اعتقادهم وتعظيمهم ويحرم النظر في كتبهم على من لم يتأهل لتنزيل ما فيها من الشطحات على قوانين الشريعة المطهرة، وقد وقع لجماعة من الكبار الرجوع عن الإنكار، انتهى كلام المناوي، مختصرًا. وما أحسن قوله في التائية:

وكل أذى في الحب منك إذا بدا جعلت له شكري مكان شكيتي

وله وما رأيته في دواوينه، وهو معنى في غاية اللطف والرقة:

خلص الهوى لك واصطفتك مودتي إني أغار عليك من ملكيكــــا
وأراك تخطر في شمائــلك التـــــي هي فتنة فأغار منك عليــــك

ورؤي في النوم فقيل له: لِمَ لا مدحت المصطفى في ديوانك؟ فقال:

أرى كل مــدح في النبي مقصــــرًا وإن بالغ المُثني عليه وكـــــثر
إذا الله أثنى بالــــذي هــو أهلـــه عليه فما مقدار ما يمدح الـــورى

ويقال: إنه لما نظم قوله:

وعلى تفنن واصفـــيه بحســــنه يفنى الزمـــان وفيه ما لم يوصف

فرح فرحًا شديدًا وقال: لم يمدح ﷺ بمثله. وبعض الناس يقول: باطن كلامه كله مدح فيه ﷺ، وغالب كلامه لا يصلح أن يراد به ذلك، والله أعلم. توفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى عن ست وخمسين سنة إلا شهرًا، ودفن بالمقطم (وهي مقابر بالقاهرة إلى الآن).

السابع مما اختلف فيه أيضا أهل الإيمان:

هل هـــو مخلوق أوْ لا؟

فقيل: إنه مخلوق، وهو قول أهل سمرقند. **وقيل:** غير مخلوق، وهو قول البخاريين منهم.

وهذا الخلاف صدر بعد اتفاقهم على أن أفعال [٤٢/ ب] العباد كلها مخلوقة لله تعالى.

وبالغ بعض مشايخ بخارى -وهي المدينة المعروفة بها وراء النهر- كابن الفضل، والشيخ إسماعيل بن الحسين(١) الزاهد، وتبعهم أئمة فَرْغانة -بفتح الفاء، وسكون الراء، وغين معجمة، وبعد الألف نون-: ولاية وراء الساس، والساس: مدينة وراء سيحون من أعمال سمرقند، فكفَّروا من قال بخلق الإيمان، وألزموا عليه خلق كلام الله تعالى، ورووه عن نوح بن أبي مريم (٢)، عن أبي حنيفة. ونوح عند أهل الحديث غير معتمد.

---

(١) هو إسماعيل بن الحسين بن علي بن الحسن بن هارون، أبو محمد، الفقيه الزاهد، البخاري، توفي سنة: (٤٠٢هـ)، ترجم له الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣١٠)، فقال: «ورد بغداد حاجًّا مرات عدة، وحدث بها عن محمد بن أحمد بن خنب البخاري، وبكر بن محمد بن حمدان المروزي، ومحمد بن عبدالله بن يزداد الرازي، وخلف بن محمد بن الخيام، وعلي بن محتاج بن حمويه الكشاني، ومحمد بن نصر الشرغي، وسهل بن عثمان بن سعيد وأحمد بن سعد بن نصر البخاريين.

حدثني عنه: عبد العزيز بن علي الأزجي، وذكر أنه سمع منه بعد عوده من الحج في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

وحدثني عنه القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني وقال: قدم علينا بغداد حاجًّا في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

أخبرنا أبو جعفر السمناني، أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن الحسين بن علي البخاري الفقيه الزاهد، أخبرنا بكر بن محمد بن حمدان المروزي، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا محمد بن خالد بن عثمة الحنفي، حدثنا مالك بن أنس، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم يبركم أبناءكم، وعفوا تعف نساؤكم، ومن تنصل إليه فلم يقبل لم يرد علي الحوض».

هذا الحديث قد وهم فيه على محمد بن يونس الكديمي لأنه إنما رواه عن علي بن قتيبة الرفاعي عن مالك، ولم يكن عنده ولا عند غيره عن ابن عثمة، وهو محفوظ أن علي بن قتيبة تفرد بروايته.

وقد أخبرنا بصوابه عن محمد بن يونس أبو الحسن محمد بن طلحة النعالي، حدثنا عثمان بن محمد بن بشر ابن سنقر السقطي، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا علي بن قتيبة الرفاعي، حدثنا مالك بن أنس، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم يبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم، ومن تنصل إليه فلم يقبل فلن يرد عليَّ الحوض».

هكذا رواه عن علي بن قتيبة غير واحد، وحدث به بعض الناس عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمذاني عن علي بن قادم عن مالك، فوهم فيه أقبح من وهم من رواه عن ابن عثمة، والله أعلم».

(٢) هو: نوح بن أبي مريم (مافنه)، وقيل: نوح بن يزيد بن جعونة، أبو عصمة، المروزي، القرشي، مولاهم، =

وقال في توجيه كون الإيمان غير مخلوق:

الإيمان أمر حاصل من الله تعالى للعبد؛ لأنه تعالى قال بكلامه الذي ليس بمخلوق: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]، فيكون المتكلم به - أي بالإيمان، وهو: لا إله إلا الله، محمد رسول الله- قد قام به ما ليس بمخلوق؛ لأن من قرأ هذا النظم الدال على كلام الله تعالى يصير قارئًا كلام الله تعالى حقيقة لا مجازًا؛ لأن تلاوة الكلام لا تكون إلا هكذا، وهذا غاية متمسكهم وردهم على مشايخ سمرقند مخالفيهم، مع أن الإيمان بالوفاق من فريقيهم هو التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، وكل منهما فعل من أفعال العباد، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى بالوفاق من أهل السنة.

وقد ذكر علماء بخارى الحنفية في الفقه ما هو ألزم لهم ببطلان متمسكهم، أن مثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢ و٣] إلى آخر الفاتحة، إذا لم يقصد به قراءة القرآن جاز للجنب قراءته [٤٣/أ] وهو -أي: الجنب- ممنوع من قراءة

=

الجامع، المعروف بأبي عصمة.

توفي سنة (١٧٣هـ)، جاءت ترجمته في: «موسوعة رجال الكتب التسعة» (ت:٩٦٦٠)، «تهذيب الكمال» (٣/ ١٤٢٧)، «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٤٨٦)، «تقريب التهذيب» (٢/ ٣٠٩)، «الخلاصة» (٣/ ١٠٢)، «الكاشف» (٣/ ٢١١)، «التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ١١١)، «التاريخ الصغير» للبخاري (٢/ ١٧٩)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٢١٠)، «ميزان الاعتدال» (٤/ ٢٧٩)، لسان الميزان (٧/ ٤١٥)، «المجروحين» (٣/ ٤٨)، «مجمع» (١٠/ ٦٩)، «الضعفاء الكبير» (٤/ ٣٠٤)، «المعين» (٧٢٦)، «الكامل» (٧/ ٢٥٠٥)، «الأنساب» (٣/ ١٧٥)، «التمهيد» (٣/ ٢١١)، «المغني» (٦٦٨٣)، «ضعفاء ابن الجوزي» (٣/ ١٦٧).

ترجم له ابن حجر في «تهذيب التهذيب» فقال: «قاضي مرو، ويعرف بـ: نوح الجامع.

... قال العباس بن مصعب كان أبوه مجوسيًّا، وإنما سمي الجامع لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى، والحديث عن حجاج بن أرطاة وطبقته، والمغازي عن ابن إسحاق، والتفسير عن الكلبي ومقاتل، وكان مع ذلك عالمًا بأمور الدنيا فسمي: الجامع، وأدرك الزهري وابن المنكدر، وكان يدلس عنهما، واستقضى على مرو وأبو حنيفة حيّ.

قال العباس بن مصعب: وروى عن شعبة وابن المبارك، وقال سفيان بن عبدالملك: سمعت ابن المبارك يقول: أكره حديث أبي عصمة. وضعفه، وأنكر كثيرًا منه، فقيل له: إنه يروي عن الزهري؟ فقال: لو أن الزهري في بيت رجل لصاح في المثل، فكيف يأتي على رجل حي والرجل في بيته ولا يخرجه.

... قال البخاري: قال ابن المبارك لوكيع: عندنا شيخ يقال له: أبو عصمة نوح بن أبي مريم كان يضع كما يضع المعلى بن هلال.

... وقال عبدالله بن أحمد، عن أبيه: كان أبو عصمة يروي أحاديث مناكير، ولم يكن في الحديث بذاك، وكان شديدًا على الجهمية والرد عليهم».

القرآن.

فظهر بهذا الذي ذكروه في الفقه: أن ما وافق لفظه لفظ القرآن إن لم يقصد به القرآن لا يكون قرآنًا ولا هو كلام الله تعالى، فبطل ما تمسكوا به، أعني: علماء بخارى.

ولإبطاله وجه آخر وهو: أنه لا يلزم أيضًا كون كل ذكر لله تعالى من القائل: «سبحان الله»، و«الحمد لله»، ونحوهما، بل كل متكلم في أي غرض وإن لم يوافق كلامه نظم القرآن إلّا في أجزاء منه، قد قام به ما ليس بمخلوق من معاني الله تعالى، وذلك لا يقوله ذو لب، إذ من تلك الأجزاء ما يطابق المعنى القائم بذاته تعالى، إذ قل أن لا يشتمل كلام على كلمة مثلها واقع في القرآن، فإن كان قيام ما ليس بمخلوق بالمتكلم لغرض من الأغراض باعتبار موافقة لفظه لفظ القرآن فلا تخصوا الإيمان، بل كل متكلم يلزم قيام ما ليس بمخلوق به باعتبار قصده قراءة القرآن بذلك النظم، فلم يلزم مدعاهم من كون الإيمان غير مخلوق، فإن المتلفظ بالشهادتين إقرار بالتصديق لم يقصد قراءة القرآن.

ونص كلام أبي حنيفة في الوصية صريح في خلق الإيمان حيث قال: نقر بأن العبد في جميع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق. انتهى.

وليس المراد بالوصية، الوصية التي كتبها لعثمان البَتّي[1] بفتح الموحدة، وتشديد المثناة،

---

(١) هو: عثمان بن أسلم، وقيل: عثمان بن مسلم، وقيل: عثمان بن سليمان، البتي، الكوفي، البصري، أبو عمرو، المشهور بـ: عثمان البتي. توفي سنة (١٤٠هـ)، جاءت ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٤٨)، «موسوعة رجال الكتب التسعة» تأليفي مع آخر (ت:٦٠٦٧، ت: ٦٠٨٥)، «تهذيب الكمال» (٢/ ٩٢٠، ٩٢٢)، «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٥٣، ١٦٠)، «تقريب التهذيب» (٢/ ١٤، ١٥)، «الخلاصة» (٢/ ٢٢١، ٢٢٢)، «الكاشف» (٢/ ٢٥٦، ٢٥٨)، «التاريخ الكبير» للبخاري (٦/ ٢١٥، ٢٤٤)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٣)، «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢١).

وقال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: «فقيه البصرة، أبو عمرو، بياع البتوت-الأكيسة-، اسم أبيه مسلم، وقيل: أسلم، وقيل: سليمان، وأصله من الكوفة، حدث عن: أنس بن مالك، والشعبي، وعبد الحميد بن سلمة، والحسن.

وعنه: شعبة، وسفيان، وهشيم، ويزيد بن زريع، وابن علية، وعيسى بن يونس.

وثقه أحمد، والدارقطني، وابن سعد، وابن معين، فيما نقله عباس عنه.

وروى معاوية بن صالح عن ابن معين: ضعيف.

وقال أبو حاتم: شيخ يكتب حديثه.

وقال ابن سعد: له أحاديث، كان صاحب رأي وفقه».

وزاد ابن حجر في «تهذيب التهذيب» فقال: «وقال ابن سعد: كان ثقة، له أحاديث، وكان صاحب رأي وفقه، أخبرنا الأنصاري قال: كان عثمان البتي من أهل الكوفة، فانتقل إلى البصرة فنزلها، وكان مولى لبني زهرة، ويكنى: أبا عمرو، وكان يبيع البتوت، فقيل: البتي، وقال أبو حاتم: شيخ يكتب حديثه، وقال

=

فقيه البصرة، في الرد على المبتدعة.

بل المراد بالوصية التي كتبها لأصحابه في مرض موته حين سألوه أن يوصيهم وصية على طريقة أهل السنة والجماعة.

قال الإمام ابن الهمام: الذي نعتقده: أن القائم بقارئ القرآن كله حادث؛ لأن القائم به إن كان [٤٣/ ب] مجرد التلفظ بأن كان غير متدبر أصلًا وإنما يسرع لسانه في محفوظه غير واع لما يقول أصلًا ومتعقل معناه فظاهر.

أي: أن الذي قام به حادث، إذ الأول وهو التلفظ والمراد به معناه المصدري أمر اعتباري، والاعتباري حادث؛ لأنه مسبوق بما يعتبر به.

والثاني: وهو الملفوظ، معلوم كون العدم سابقًا عليه، وكل ما سبق العدم فهو حادث، وكلما لحق العدم كذلك؛ لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه وإن كان القارئ متدبرًا لما يتلو، فإنما يحدث في نفسه صور معاني النظم، وغايتها أن تدل على القائم بذات الله تعالى للقطع بأنها ليست عين القائم بذاته تعالى، إذ لا يتصور انفكاك ذلك.

فالقائم بذات الله تعالى هو المدلول لفعل القارئ، وهو الكلام النفسي.

والقائم بنفس القارئ هو صفة العلم بتلك المعاني النمطية لا صفة الكلام، أرأيت قارئ ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة: ١١٠]، فإنما قام بذاته علم بأن الله تعالى طلبها من المكلفين لا طلبها أو إقامتها، وكذا كل ناقل كلام الغير من أمره أو نهيه وخبره لم يقم بنفسه منه كلام، بل علم بأن ذلك الغير أمر أو نهي أو أخبر.

قال: فقيل: فكيف قال أهل السنة: القراءة حادثة -أعني: أصوات القارئ المكتسبة له-، والكتابة والمقروء والمكتوب والمحفوظ قديم، وهذا يقتضي قيامه -أي: المعنى القديم- بنفس الإنسان؛ لأن المحفوظ مودع في القلب؟.

فالجواب: أنه ظاهر فيما ذكرت، غير أنهم لم يريدوا هذا الظاهر، بل تساهلوا في هذا اللفظ، وصرحوا بتساهلهم حيث أعقبوا هذا الكلام بقولهم: ليس المقروء [٤٤/ أ] والمكتوب والمحفوظ حالًا في الإنسان، ولا في قلب، ولا في مصحف؛ لأن المراد به المعلوم والقراءة المفهوم من الخط، والمفهوم من الألفاظ المسموعة.

=

الدارقطني: ثقة.

قلت: قال النسائي في «الكنى»: عثمان البتي أخبرنا معاوية بن صالح عن ابن معين قال: عثمان البتي ضعيف. وقال النسائي: هذا عندي خطأ، ولعله أراد عثمان البري، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال ابن أبي خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: مات سنة (١٤٣) وفيها أرخه ابن جرير والقراب».

وبعضهم يقول: ما دلت عليه القراءة والكتابة.

وهذا تصريح منهم بأن المعنى المعلوم ليس حالًّا في القلب، وإنما الحالُّ فيه نفس فهمه ونفس العلم به، أما ما هو متعلق العلم والفهم فليس حالًّا فيه، ومتعلق العلم والفهم هو القديم.

بل نقل بعضهم: أنهم منعوا من إطلاق القول بحلول كلامه تعالى في لسان أو قلب أو مصحف وإن أريد به اللفظي، رعاية للدد؛ لئلا يسبق إلى الفهم إرادة النفس القديم. اهـ.

واعلم: أن الخلاف في كون الإيمان مخلوقًا أو غير مخلوق، ليس خاصًّا بالحنفية، خلافًا لما يوهمه كلام الإمام ابن الهمام المؤذن بأن الخلاف في هذه المسألة غير معروف لغيرهم، فإن الأشعريَّ حكى الخلاف لغيرهم في مقالة مفردة، أملاها في هذه المسألة.

ومن ذهب إلى أن الإيمان مخلوق:

- حارث المحاسبي[1].

---

(١) هو: الحارث بن أسد، أبو عبدالله، البغدادي، المحاسبي، الزاهد، الصوفي، المصنف.

الشهرة: الحارث المحاسبي. توفي سنة: (٢٤٣هـ).

هو شيخ صوفي زاهد مشهور، كثير المحاسبة لنفسه وترويضها على العبادة والزهد والطاعة، صنفت في سيرته الكتب، وذكرته المراجع الكثيرة التي منها:

«ديوان الإسلام» (١٩٣١)، «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١١٠)، «هدية العارفين» (١/ ٦٢٤)، «الأعلام» (٢/ ١٥٣)، «معجم المؤلفين» (٣/ ١٧٤)، «كشف الظنون» (٩٠٨)، «إيضاح المكنون» (١/ ٥٦٩)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٠٣)، «طبقات الصوفية» (٥٦)، «الرسالة القشيرية» (١٥)، «حلية الأولياء» (١٠/ ٧٣)، «صفوة الصفوة» (٢/ ٢٠٧)، «تاريخ بغداد» (٨/ ٢١١)، «اللباب» (٣/ ١٨١)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٥٧)، «العبر» (١/ ٤٤٠)، «تهذيب الكمال» (٢١٥)، «تهذيب التهذيب» (٢/ ١٣٤)، «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٣٠)، «مرآة الجنان» (٢/ ١٤٢)، «طبقات السبكي» (٢/ ٢٧٥)، «الخلاصة» (٦٧)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٤٥)، «طبقات الأولياء» (١٧٥)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ٣١٦)، «طبقات الشعراني» (١/ ١٦٤)، «الكواكب الدرية» (١/ ٢١٨)، «طبقات الإسنوي» (٩)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٧).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: الزاهد، العارف، شيخ الصوفية، أبو عبدالله، الحارث بن أسد البغدادي، المحاسبي، صاحب التصانيف الزهدية.

قال الخطيب: له كتب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة.

قال الجنيد: خَلَّف له أبوه مالًا كثيرًا فتركه، وقال: لا يتوارث أهل ملتين، وكان أبوه واقفيًّا.

قال أبو الحسن بن مقسم: أخبرنا أبو علي بن خيران قال: رأيت المحاسبي متعلقًا بأبيه يقول: طلق أمي، فإنك على دين، وهي على غيره.

قال الجنيد: قال لي الحارث: كم تقول: عُزلتي أُنسِي، لو أنّ نصف الخلق تقربوا مني، ما وجدتُ لهم أُنسًا، ولو أن النصف الآخر نأوا عني ما استوحشتُ.

=

- وجعفر بن حرب[1].

=

واجتاز الحارث يومًا بي، فرأيت في وجهه الضُّرَّ من الجوع، فدعوته وقدمت له ألوانًا فأخذ لقمة فرأيتُه يلوكُها، فوثب وخرج ولفظ اللقمة، فلقيته فعاتبته، فقال: أما الفاقة فكانت شديدة، ولكن إذا لم يكن الطعام مرضيًّا ارتفع إلى أنفي منه زفرة فلم أقبله.

وعن الحارث قال: جوهر الإنسان الفضل، وجوهر العقل التوفيق.

وعنه قال: ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين، وتركها مع نسيانها صفة العارفين.

قلت: المحاسبي كبير القدر، وقد دخل في شيء يسير من الكلام فَنُقِمَ عليه، وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه، وحذر منه.

قال سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة الرازي وسُئل عن المحاسبي وكتبه، فقال: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدعٍ وضلالات، عليك بالأثر تجد غنية، هل بلغكم أن مالكًا والثوري والأوزاعي صنفوا في هذه الخطراتِ والوساوس ؟! ما أسرع الناس إلى البدع !

قال ابن الأعرابي: تفقه الحارث، وكتب الحديث وعرف مذاهب النساك، وكان من العلم بموضع، إلَّا أنّه تكلم في مسألة اللفظ، ومسألة الإيمان، وقيل: هَجَرَه أحمد، فاختفى مُدَّة.

وفي «طبقات الإسنوي» (ت ٩): سمي بذلك ـ أي: المحاسبي ـ لكثرة محاسبته نفسه، ذكره الشيخ، وكذلك ابن الصلاح في «طبقاته» فقال: ذكره الأستاذ أبو منصور التميمي في الطبقة الأولى من أصحاب الشافعي، فقال: هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام. وكتبه في هذه العلوم أصول من يصنف فيها، ولم يكن في أصحاب الشافعي في الفقه والكلام والأصول والقياس والزهد والورع إلَّا لكان مغبرًا في وجوه مخالفيه، والحمد لله على ذلك.

واعترض عليه ابن الصلاح فقال: وصحبته للشافعي لم أر أحدًا ذكرها سواه، وليس هو من أهل الفن فيعتمد عليه في تفرد به والقرائن شاهدة بانتفائها.

قلت: وقد جمعت له قائمة في هامش «ديوان الإسلام» جمعت فيها ما وقفت عليه من أسماء كتبه وكانت على النحو التالي:

١ - التفكر والاعتبار. ٢ - شرح المعرفة (تصوف). ٣- آداب النفوس.
٤ - رسالة المسائل (في الزهد وغيره). ٥ - معاتبة النفس. ٦ - كتاب التوهم.
٧- رسالة البعث والنشور. ٨- الخلوة والتنقل في العبادة.
٩- الرعاية في الأخلاق والزهد «الرعاية لحقوق الله تعالى».
١٠ - رسالة المسترشدين (في التصوف).
١١ - المسائل في أعمال القلوب والجوارح. (رسالة).
١٢ - ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه.

(١) هو: جعفر بن حرب، أبو الفضل، الهمذاني، المعتزلي، العابد.

توفي سنة: (٢٣٦هـ) عن نحو (٦٠ سنة)، وقيل: سنة (٢٣٠ هـ) عن نحو (٥٩سنة).

من مصادر ترجمته: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٤٩)، «مروج الذهب» (٧/ ٢٣١)، «طبقات المعتزلة» (٧٣)، «الفهرست» (٢١٣)، «تاريخ بغداد» (٧/ ١٦٢)، «لسان الميزان» (٢/ ١١٣).

قال الخطيب في «تاريخ بغداد»: درس الكلام بالبصرة على أبي الهذيل العلاف، وكان لجعفر اختصاص

=

وعبدالله بن كُلَّاب [(١)]، وعبدالعزيز المكي وغيرهم من أهل النظر.

وذكر عن أحمد بن حنبل وجماعة من أهل الحديث أنهم يقولون: إن الإيمان غير مخلوق.

=

بالواثق، وصنف كتبًا معروفة عند المتكلمين.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: الهمذاني، العابد، المعتزلي، كان من النُّسَّاك، وله تصانيف. يقال: إنه حضر عند الواثق يومًا للمناظرة، ثم حضرت الصلاة، فتقدم الواثق، فصلى بهم، وتنحى جعفر فنزع خفيه، وصلى وحده، وكان قريبًا من يحيى بن كامل، فجعلت دموع ابن كامل تسيل خوفًا على جعفر من القتل، فكاشر عنها الواثق، فلما خرجوا قال له ابن أبي داود: إن هذا السَّبُعُ لا يحتملك على ما صنعت، فإن عزمت عليه فلا تحضر المجلس، قال: لا أريد الحضور، فلما كان المجلس الآتي، تأملهم الواثق، فقال: أين الشيخ الصالح؟ قال: ابن أبي داود: إنّ به السُّل، ويحتاج أن يضطجع، قال: فذاك. وله كتاب: «متشابه القرآن»، وكتاب «الاستقصاء»، وكتاب «الرد على أصحاب الطبائع»، وكتاب «الأصول».

(١) هو: عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب، وقيل: عبدالله بن محمد بن كُلّاب، أبو محمد، البصري، القطان، المعتزلي. توفي بعد سنة (٢٥٠ هـ)، ومن مصادر ترجمته:

«سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٤)، «الفهرست» (٢٣٠)، «طبقات الشافعية» للسبكي (٢/ ٢٩٩)، «لسان الميزان» (٣/ ٢٩٠)، «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٤٩).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم، أخذ عنه الكلام داود الظاهري، قاله أبو طاهر الذّهلي.

وقيل: إن المحاسبي أخذ علم النظر والجدل عنه أيضًا.

وكان يُلقب كُلَّابًا، لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته.

وأصحابه هم الكُلَّابية، لحق بعضهم أبا الحسن الأشعري، وكان يَرد على الجهمية.

وقال بعض من لا يعلم: إنه ابتدع ما ابتدعه ليدس دين النصارى في ملتنا، وإنه أرضى أخته بذلك، وهذا باطل، والرجل أقرب المتكلمين إلى السُّنّة، بل هو في مناظريهم، وكان يقول بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة. وهذا ما سُبق إليه أبدًا، قاله في معارضة من يقول بخلق القرآن.

وصنف في التوحيد وإثبات الصفات، وأن علو الباري على خلقه معلوم بالفطرة والعقل على وفق النص، وكذلك قال المحاسبي في كتاب «فهم القرآن»، ولم أقع بوفاة ابن كُلَّاب، وقد كان باقيًا قبل الأربعين ومائتين.

وذكر له ابن النجار ترجمة فلم يُحررها، وذكر أنه كان في أيام الجنيد، وسمع شيئًا من عبارات الصوفية، وتعجب منه وهابه.

قال محمد بن إسحاق النديم: وابن كلاب نابتة الحشوية، وله مع عباد بن سلمان مناظرات، فيقول: كلام الله هو الله، فيقول عباد: هو نصراني بهذا القول.

وقال أبو العباس البغوي: قال لي فيثون النصراني: رحم الله عبدالله، كان يجيئني إلى البيعة، وأخذ عني، ولو عاش لنصَّرنا المسلمين.

فقيل لفيثون: ما تقول في المسيح؟ قال: ما يقوله أهلُ سُنَّتِكُم في القرآن.

ولابن كُلاب كتاب: «الصفات»، وكتاب «خلق الأفعال»، وكتاب «الرد على المعتزلة».

والإمام الأشعري مَالَ إلى أن: الإيمان غير مخلوق.

ووجه بما حاصله: أن إطلاق الإيمان في قول من قال: إن الإيمان ينطبق على الإيمان الذي هو من صفات الله تعالى؛ لأن من أسمائه تعالى: المؤمن، كما نطق به الكتاب العزيز، وإيمانه تعالى هو تصديقه في الأزل بكلامه القديم، إخباره الأزلي بوحدانيته تعالى، كما [٤٤/ ب] دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]، ولا يقال: تصديقه تعالى محدث ولا مخلوق، تعالى أن يقوم به حادث.

أفاده في «الروضة»، ثم قال:

قلت: اعلم أنه لا يتحقق في هذه المسألة عند التأمل محل خلاف، لأن الكلام إن كان في الإيمان المكلف به، فهو فعل قلبي يكتسب بمباشرة أسباب محصلة للمخلوق، فلا يتجه خلاف في كونه مخلوقًا.

وإن أراد الإيمان الذي دل عليه اسمه تعالى: المؤمن، فهو من صفاته تعالى، بمعنى: أنه المصدق لإخباره بوحدانيته تعالى في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨]، وقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]، فلا يتجه لأهل السنة خلاف في أنه قديم.

وإن أريد تصديقه رسله عليهم الصلاة والسلام بإظهار المعجزات على أيديهم، فهو من صفات الأفعال.

وقد علم الخلاف فيها بين الفريقين الأشاعرة، والماتريدية. إلى أن قال:

قال الإمام السنوسي: إنه تبارك وتعالى أشار إلى تصديق الرسل بفعل أوجده خارقًا للعادة، تحدى به الرسول، أي: ادعاه قبل وقوعه وطلبه من المولى تبارك وتعالى دليلًا على صدقه في كل ما يبلغ عنه، فأوجده تبارك وتعالى له على وفق دعواه، وأعجز سبحانه كل من يقصد تكذيبه ومعارضته أن يأتي بمثل ذلك الخارق بتنزيل هذا الفعل من المولى تبارك وتعالى باعتبار الوضع والعادة والفعل، وقرينة ذلك الخارق بمنزلة التصريح بالكلام بصدق رسله عليهم الصلاة والسلام بحيث لا يجد الموفق فرقًا بين تصديق الله تعالى لرسوله بهذا [٤٥/ أ] الموصوف وبين تصديقهم بكلامه الصريح. اهـ. والله أعلم.

الثامن في مسألة خلافية تتعلق بالإيمان أيضًا:

وهي مسألة زيادة الإيمان ونقصانه

وهي المشار إليها بقول صاحب «الجوهرة» ﷺ، ونفعنا به:

ورجحت زيادة الإيمان بما يزيد طاعة الإنسان

ونقصـــــــه بنقصهـا وقيـــل: لا | وقيل خلاف كذا قـــد نقـــلا [(١)]

---

(١) وفي «معارج القبول» (٢/ ١٠٠٤) يقول في هذا الموضوع تحت عنوان: (الإيمان يزيد وينقص) ما نصه:

إيماننا يزيد بالطاعات | ونقصه يكون بالزلات

وهذه المسألة الأولى من مسائل هذا الفصل وهي: أن الإيمان يزيد وينقص، وعلى ذلك ترجم البخاري رحمه الله في كتابه فقال في «جامعه»: كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس» وهو قول وفعل ويزيد وينقص، قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، ﴿وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣] ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢] وقال الترمذي رحمه الله تعالى: باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان: وساق فيه حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله».

وحديث: «يا معشر النساء تصدقن..إلخ» وهو في «الصحيحين»، والشاهد منه قوله ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل، ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن».

وذكر حديث أبي هريرة وهو في «الصحيحين» أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون بابًا فأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله» هذا لفظ الترمذي، وقال: حسن صحيح ولفظه: «بضع وستون»، ولمسلم رواية: «بضع وسبعون». لكن قالوا: «شعبة» بدل «بابًا». وقال النسائي: باب زيادة الإيمان، وذكر فيه حديث الشفاعة ودلالته منطوقًا على تفاضل أهل الإيمان فيه.

وأما الزيادة والنقص فدلالته عليهما مفهومًا لا منطوقًا، ومثله حديث أبي سعيد الخدري: «رأيت الناس وعليهم قُمُصٌ منها ما هو يبلغ الثدي»...الحديث وفيه: «وعُرِضَ عليَّ عمر بن الخطاب، وعليه قميص يجره» قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «الدِّين».

ثم ذكر حديث عمر في نزول قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] ودلالتها على ذلك منطوقًا، وعلى ذلك ترجم البخاري رحمه الله وقال: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلًا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة.

وعلى ذلك ترجم أبو داود وغيره من أئمة السنة وساقوا في ذلك أحاديث منطوقها ومفهومها.

قال مسلم بن الحجاج رحمه الله: عن حنظلة الأسدي -قال: وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ- قال: لقيني أبو بكر فقال لي: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد الصغار فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنّا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج، والأولاد، والضيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، أن لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة: =

يعني أنه اختلف: هل يزيد الإيمان بسبب زيادة الطاعات، وهي امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، وينقص بنقصها، أو لا يزيد ولا ينقص؟ فقال جماعة من العلماء: إنه يزيد بزيادة الطاعة وينقص بنقصها في غير الأنبياء والملائكة إذ لا يجوز على إيمانهم النقص إجماعًا وهذا مذهب جمهور الأشاعرة وهو الراجح عند جمع من العلماء.

قال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص محتجين على ذلك بالعقل والنقل:

أما العقل: فلأنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين في الفساد والمعاصي مساويًا لإيمان الأنبياء والملائكة [(١)] عليهم الصلاة والسلام، واللازم باطل فكذا

=

ساعة وساعة» ثلاث مرات.

وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم، وأن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولى.

(١) ويقول صاحب «معارج القبول» أيضًا في (١٠١٧/٢) في فاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان:

والفاسـق الملي ذو العصيـان لم ينف عنه مطلق الإيمـان

لكن بقدر الفسق والمعاصـي إيمانـه مـا زال في انتقاص

هذه هي المسألة الثالثة: وهي أن فساق أهل القبلة لا ينفى عنهم مطلق الإيمان بفسوقهم، ولا يوصفون بالإيمان التام، ولكن من فعل ذلك فهو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم. والمراد بالفسق هنا هو الأصغر، وهو عمل الذنوب، والكبائر التي سماها الله ورسوله فسقًا، وكفرًا، وظلمًا، مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها، فالله تعالى سمى الكاذب فاسقًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦] ومع هذا لم يخرج ذلك الرجل الذي نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ولم ينف عنه الإيمان مطلقًا ولم يمنع من جريان أحكام المؤمنين عليه.

وكذلك قوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». وقال: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض». وقد استتيب كثير من الصحابة على عهده ومن حضوره فوعظهم وأصلح بينهم، ولم يكفرهم بل بقوا أنصاره ووزراءه في الدين، ومعلوم أن أصحاب علي بن أبي طالب وأهل الشام هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارج من بينهما، وقد اقتتلا قتالًا عظيمًا فسمى الجميع مسلمين، وقال ﷺ في سبطه الحسين بن علي: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله تعالى به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين» فأصلح الله تعالى به بين الفرقتين بعد موت أبيه رضي الله عنه في عام الجماعة، ولله الحمد والمنة.

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقًا أو عامله فاسقًا، وبين تسميته مسلمًا وجريان أحكام المسلمين عليه لأنه ليس كل فسق يكون كفرًا ولا كل ما سمي كفرًا وظلمًا يكون مخرجًا من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته، وذلك لأن كلًّا من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في النصوص على قسمين:

أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية.

=

الملزوم.

وأما النقل: فلكثرة النصوص الواردة في هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام لابن عمر رضي الله عنه حين سأله: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار» وقوله عليه الصلاة والسلام: «لو [٤٥/ب] وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به»[(١)].

وكل ما يقبل الزيادة يقبل النقص، وورد: «ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقَرَ في قلبه»[(٢)].

وقال سيدي علي وفا في «المفاتيح»، كما في حاشية العلامة الأمير: قال الصدِّيق: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا.

أي: لو كشف الغطاء للناس كشفًا عامًّا ما ازددت يقينًا لأني كُشف لي الغطاء كشفًا خاصًّا[(٣)].

=

وأصغر ينقص الإيمان وينافي الملة ولا يخرج صاحبه منه.

فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق. قال تعالى في بيان الكفر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وقال النبي ﷺ في بيان الكفر الأصغر: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».. وقال في الفسوق الأكبر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة: ٢٥٤]. وقال تعالى في النفاق الأكبر: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. وقال النبي ﷺ في النفاق الأصغر: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا أوعد أخلف، وإذا خاصم فجر» فهذه الخصال كلها نفاق عملي لا يخرج من الدين إلا إذا صحبه النفاق الاعتقادي المتقدم.

(١) ورد هذا الخبر في عدة مصادر منها: «تذكرة الموضوعات» (٩٣)، «ابن عراق» (١/ ٥٢) ابن عدي في «الكامل» (٤/١٥١٨)، العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ٢٣٤)، «الفوائد المجموعة» (٣٣٥)، «أحاديث القصاص» (١٨)، «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٣٢٣)، (٧/ ٥٧٢). وبنظرة سريعة على أسماء المراجع السابقة يعلم الناظر أن الخبر غير صحيح.

(٢) وهذا أيضًا خبر ليس بصحيح، وقد ورد في عدة كتب منها:

«إتحاف السادة المتقين» (١/ ٣٢٤)، العراقي (١/ ٢٤)، «الأسرار المرفوعة» (٣٠٨)، «الضعيفة» للألباني (٩٦٢) وقال: لا أصل له مرفوعًا: قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٣٠، ١٠٥) طبعة الحلبي: رواه الترمذي الحكيم في «النوادر» من قول بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعًا. وأقره الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (رقم ٩٧٠).

(٣) هذا تأويل للخبر السابق الذي لم يسقه بسند إلى أبي بكر رضي الله عنه، وأظنه ما قال هذا القول، وما أظنه إلا من

=

وفي الحديث: «إن الله يتجلى لأبي بكر خاصة»(١).

وقال جماعة آخرون -من العلماء أعظمهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه، وكثير من المتكلمين-: الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان، وهذا لا يتصور فيه ما ذكر، فالمصدق إذا ضم إلى تصديقه طاعة أو ارتكب معصية فتصديقه بحالة قلة وكثرة.

وأجابوا عما تمسك به الأولون بأن المراد الزيادة بحسب زيادة ما يؤمَن به، والصحابة ﷺ كانوا آمنوا في الجملة، وكانت الشريعة لم تتم، وكانت الأحكام تنزل شيئًا فشيئًا فكانوا يؤمنون بكل ما يتجدد منها.

وقال جماعة منهم الفخر الرازي: ليس هذا الخلاف بين الفريقين حقيقيًا، وإنما هو لفظي؛ لأن ما يدل على أنه يتفاوت مصروف إلى أصله، أعني التصديق، وما يدل على أنه يتفاوت مصروف إلى ما به كماله، وهو الأعمال، فلا خلاف في هذه المسألة فدع تفسير الإيمان، فإن قلنا: «هو التصديق فقط» فلا تفاوت، وإن قلنا: «هو الأعمال مع التصديق» فمتفاوت.

[٤٦/ أ] وإلى القول الأول أشار الناظم بقوله:

ورجحت زيادة الإيمان بما يزيد طاعة الإنسان

ونقصه بنقصها، وإلى الثاني بقوله: (وقيل: لا)، أي: لا يزيد ولا ينقص.

وإلى الثالث بقوله: وقيل: (لا خلف)، أي: لا خلاف بين الفريقين كما علمت.

وأشار بقوله: (كذا قد نقلا). أي: التبري من عهدة صحة هذا القيل.

لأن الأصح أن التصديق القلبي يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، وعدم ذلك، ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريه الشبهة.

=

تأليف بعض غلاة الصوفية، ثم إن تعليق المؤلف على الخبر فيه مغالاة أيضًا، وهذا يكشف عن أنه كان صوفي المسلك.

فليس هناك كشف خاص ولا كشف عام ولا نعرف إلا ما ذكر ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أو بلغنا عن نبينا ﷺ بسند صحيح، فهذا ما نعتقده ويعتقده كل مسلم صحيح الإسلام.

(١) وهذا الخبر أيضًا غير صحيح ولك أن تلقي نظرة سريعة على تلك الكتب التي تذكر الخبر لتعرف أن وجوده فيها مما يشير إلى أنه ليس من الأخبار الصحيحة على أرجح الأقوال أو الظنون:

الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٩) «إتحاف السادة المتقين» (٩/ ٥٨٢)، ابن عراق (٤/ ٣٠٥)، «تذكرة الموضوعات» (٩٣)، «الأسرار المرفوعة» (٤٧٦) «اللالئ المصنوعة» (١/ ١٤٨)، (٢/ ١٤٤)، «كشف الخفا» (١/ ٢٨٥)، و(٢/ ٥٨٣)، «الكامل في الضعفاء» (٥/ ١٨٥٨)، «الموضوعات» (١/ ٣٠٦، ٣٠٧).

ويؤيده: أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى يكون في بعض الأحيان أعظم يقينًا وإخلاصًا منه في بعضها.

فكذلك التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها على أن هذا القيل خلاف المعروف بين القوم من أن الخلاف الحقيقي قاله شارح «الجوهرة» الإمام عبد السلام (١) ﷺ، وقد ذكرناه أيضًا في «ابتسام الأزهار»، فانظره إن شئت.

ولنرجع: لمزيد بيان ومفيد توضيح لبعض ما سلف في الإيمان، فنقول والله المستعان: قد ذكر العلامة في الحاشية أن الإيمان بالنظر لمحله ثلاثة أقسام:

- يزيد وينقص، وهو إيمان الأمة إنسًا وجنًّا.
- ولا يزيد ولا ينقص وهو إيمان الملائكة.
- وقسم يزيد ولا ينقص، وهو إيمان الأنبياء.

ثم قال: إن قلت: كيف هذا مع أنه يلزم من الزيادة النقص؛ لأنه قبل حصول الزيادة كان ناقصًا؟

قلت: المراد أنه لا يرجع للنقص بعد الزيادة، فلا ينافي أنه ينتقل من نقص نسبي إلى زيادة؛ لأن [٤٦/ ب] الكامل يقبل الكمال، وفي الحديث: «إني ليغان على قلبي فأستغفر الله» (٢).

وسأل شعبة الأصمعي عن معناه، فقال: عمن يروى؟ فقال: عن النبي ﷺ. فقال: لو كان على غير قلب النبي ﷺ فسرت لك، وأما قلبه: فلا أدري. فكان شعبة يتعجب من أدبه في ذلك (٣).

---

(١) هو عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم المصري، المالكي، اللقاني، وقد سبق ترجمته.

(٢) هذا الخبر ورد ذكره في عدة مصادر بألفاظ مختلفة تدور كلها نحو هذا المعنى ومن هذه المصادر: «صحيح مسلم» (الذكر ٤١)، «سنن أبي داود» (١٥١٥)، «مسند أحمد» (٤/ ٢١١، ٢٦٠)،، «السنن الكبرى للبيهقي» (٧/ ٥٢)، «معجم الطبراني الكبير» (١/ ٢٨٠)،، «مشكاة المصابيح» (٢٣٢٤)، «إتحاف السادة المتقين» (٥/ ١٥٧) (٨/ ٢٩٩)، (٩/ ٥٩، ٦٢٨)، «تاريخ البخاري الكبير» (٢/ ٤٣)، «تفسير البغوي» (٦/ ١٨٠)، «السيوطي في الدر المنثور» (٦/ ٦٣)، ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ١٠١)، المتقي الهندي في «الكنز» (٢٠٧).

(٣) أترجم الآن لشعبة، وللأصمعي:

أما شعبة فهو: شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام، الأزدي، العتكي مولانا البصري، الواسطي الحافظ.

ولد سنة (٨٠هـ) وقيل: (٨٢هـ). توفي سنة: (١٦٠هـ) لثلاث بقين من جمادى الآخرة.

وهو علم مشهور من أهم أعلام الحديث بل هو أمير المؤمنين في الحديث بلا منازع، ترجمت له العديد من المصادر الإسلامية التي منها:

=

=

«ديون الإسلام» (١٢٣٣)، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٠٢)، «هدية العارفين» (١/ ٤١٧)، «الأعلام» (٣/ ١٦٤)، «معجم المؤلفين» (٤/ ٣٠١)، «إيضاح المكنون» (١/ ٢٧١)، «التاريخ الكبير» (٤/ ٢٤٤)، «التاريخ الصغير» (٢/ ١٣٥)، «الجرح والتعديل» (١/ ١٢٦)، «حلية الأولياء» (٧/ ١٤٤)، «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٨٠)، «طبقات خليفة» (٢٢٢)، «تاريخ خليفة» (٣٠١)، «تاريخ بغداد » (٩/ ٢٥٥)، «تهذيب الكمال» (٥٨٢)، «تهذيب التهذيب» (٤/٣٣٨)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٩٣)، «طبقات الحفاظ» (٨٣)، «شذرات الذهب» (١/٢٤٧)، «المعارف» (٥٠١)، «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٨٣)، «مشاهير علماء الأمصار» (١٧٧)،، «تذهيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٤٤)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٦٩)، «العبر» (١/ ٢٣٤) وقد ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» فمما قال في ترجمته: الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل. قال ابن المديني: له نحو من ألفي حديث.

قلت: (أي: الذهبي): ما أظنه إلا يروي أكثر من ذلك بكثير.

قيل: ولد في سنة ثمانين في دولة عبد الملك بن مروان. وقال أبو يزيد الهروي: ولد سنة اثنتين وثمانين، روى عنه عالم عظيم، وانتشر حديثه في الآفاق.

وكان أبو بسطام إمامًا ثبتًا حجة، ناقدًا جهبذًا، صالحًا زاهدًا، قانعًا بالقوت، رأسًا في العلم والعمل، منقطع القرين، وهو أول من جَرَّح وعَدَّل، أخذ عنه هذا الشأن يحيى بن سعيد القطان، وابن مهدي، وطائفة وكان سفيان الثوري يخضع له ويجله ويقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث.

وقال الشافعي: لولا شعبة لما عُرِفَ الحديث بالعراق. وقال أبو عبد الله الحاكم: شعبة إمام الأئمة بالبصرة في معرفة الحديث.

قال حماد بن زيد: إذا خالفني شعبة في حديث حرت!!

قال البغوي: حدثني جدي أحمد بن منيع قال: سمعت أبا قطن يقول: ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه نسي، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه نسي.

وحدثني عبد الله بن أحمد بن شَبُّوَيْه سمعت أبا الوليد يقول: سمعت شعبة يقول: إذا كان عندي دقيق وقُصب ما أبالي ما فاتني من الدنيا.

ثم ساق ترجمته مطولة قاربت على (٣٠ صفحة).

أما عن الأصمعي فهو: عبد الملك بن قريب (عاصم) بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو سعيد الأصمعي، البصري، اللغوي، الإخباري، أحد الأعلام يقال اسم أبيه: عاصم، ولقبه: قُريب.

ولد سنة: بضع وعشرين ومائة، وقيل: (١٢٣هـ) وتوفي سنة (٢١٠هـ) وقيل: (٢١٥هـ) وقيل: (٢١٦هـ) وعاش (٨٠سنة).

وهو علم من أهم أعلام اللغة والأدب والشعر كتبت في سيرته الكتب، وترجمت له المراجع الكبيرة والكثيرة والتي منها:

«ديون الإسلام» (ت ١٩٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٧٥)، «شذرات الذهب» (٢/ ٣٦)، «تاريخ أصبهان» (تحقيقي ت: ١١٩٦)، «تاريخ ابن معين» (٣٧٤)، «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤١٠)، «التاريخ

=

=

الكبير» (٥/ ٤٢٨)، «تاريخ أبي الفدا» (٢/ ٣٠)، «الجرح والتعديل» (٥/ ٣٦٣)، «مراتب النحويين» (٤٦)، «طبقات النحويين» (١٦٧)، «أخبار النحويين البصريين» (٥٨)، «الأنساب» (١/ ٢٩٣)، «نزهة الألباب» (١١٢)، «إنباه الرواة» (٢/ ١٩٧)، «العبر» (١/ ٣٧٠)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٦٦٢)، «مرآة الجنان» (٢/ ٦٤)، «روضات الجنات» (٤٥٨)، «بغية الوعاة» (٢/ ١١٢)، «المزهر» (٣/ ٤٠٤)، «الخلاصة» (٢٤٥)، «هدية العارفين» (١/ ٦٢٣)، «طبقات المفسرين» (١/ ٣٥٤)، «المعارف لابن قتيبة» (٥٤٣)، «الفهرست» (٦٠)، «تاريخ ابن عساكر» (١٠/ ٢٣٩/ ١)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢٧٣)، «وفيات الأعيان» (٣/ ١٧٠)، «تهذيب الكمال» (٨٦١)، «طبقات القراء لابن الجوزي» (١/ ٤٧٠)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٤١٥)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ١٩٠)، «المزهر» (٢/ ٤٠٤)، «الخلاصة» (٢٤٥)، «شرح الشريشيّ» (٢/ ٢٥٦).

ومما ترجم له به الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: الإمام العلامة الحافظ حجة الأدب، لسان العرب، اللغوي، الأخباري، أحد الأعلام.

قال ثعلب: قيل للأصمعي: كيف حفظت ونسوا؟ قال: دَرَسْتُ وتركوا.

قال عمر بن شبة: قال الأصمعي: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة.

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي.

قال نصر الجهضمي: كان الأصمعي يتقي أن يفسر الحديث كما يتقي أن يفسر القرآن.

قال المبرد: كان الأصمعي بحرًا في اللغة، لا نعرف مثله فيها، وكان أبو زيد أنحى منه.

وعن ابن دريد: أن الأصمعي كان بخيلًا ويجمع أحاديث البخلاء.

كتب شيئًا لا يحصى عن العرب، وكان ذا حفظ وذكاء ولطف عبارة، فَسَادَ.

وتصانيف الأصمعي ونوادره كثيرة، وأكثر تواليفه مختصرات، وقد فقد أكثرها.

قلت: وجمعت في هامش ديوان الإسلام أسماء مؤلفاته على قدر ما وقفت عليه منها، فبلغت سبعًا وأربعين كتابًا وهي:

١- الأجناس (في أصول الفقه).
٢- كتاب السلاح.
٣- أسماء الخمر.
٤- أصول الكلام.
٥- الأضداد في اللغة.
٦- خلق الإنسان.
٧- خلق الفرس.
٨- كتاب الإبل.
٩- كتاب الأبواب.
١٠- كتاب الأخبية والبيوت.
١١- الأراجيز.
١٢- كتاب الاشتقاق.
١٣- كتاب الأصوات.
١٤- كتاب فعل وأفعل.
١٥- كتاب الألفاظ.
١٦- كتاب الأمثال.
١٧- كتبا الأنواء.
١٨- كتاب الأوقات.
١٩- كتاب جزيرة العرب.
٢٠- كتاب الخراج.
٢١- كتاب الخيل.
٢٢- كتاب الدلو.
٢٣- كتاب الرمل.
٢٤- كتاب السرج واللجام والشوى.
٢٥- كتاب الشاة والغنم.
٢٦- كتاب الصفات.

=

وعن الجنيد [(١)]: لولا أنه حال النبي ﷺ لتكلمت فيه، ولا يتكلم على حال إلا من كان

=

٢٧- كتاب غريب الحديث والقرآن.
٢٨- كتاب غريب الحديث والكلام الوحشي.
٢٩- كتاب الفتوح.
٣٠- كتاب الفرق.
٣١- كتاب القلب والأبدان.
٣٢- كتاب اللغات.
٣٣- كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه.
٣٤- كتاب ما تكلم به العرب فكثر في أفواه الناس.
٣٥- كتاب المذكر والمؤنث.
٣٦- كتاب المصادر.
٣٧- كتاب معاني الشعر.
٣٨- كتاب المقصور والممدود.
٣٩- كتاب مياه العرب.
٤٠- كتاب الميسر والقداح.
٤١- كتاب النبات.
٤٢- كتاب النحل والعسل.
٤٣- كتاب النسب.
٤٤- كتاب النوادر.
٤٥- كتاب نوادر الإعراب.
٤٦- كتاب الوحوش.
٤٧- كتاب الهمزة وتحقيقها.

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم النهاوندي، القواريري، الخزاز، الشافعي، البغدادي، شيخ الصوفية، الزاهد. ولد سنة: نيف وعشرين ومائتين. وتوفي سنة (٢٩٨هـ) وقيل: (٢٩٧هـ).
وهو علم من مشاهير علماء الصوفية بل سيدهم وإمامهم وكتبت في سيرته الكتب الكبار وترجمت له مراجع كثيرة جدًا منها:
«ديوان الإسلام» (ت: ٦٤٢) «طبقات الأولياء» (١٢٦)، «طبقات الصوفية» (١٥٥)، «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٥٥)، «الرسالة القشيرية» (١٨)، «صفة الصفوة» (٢/ ٤١٦)، «روضات الجنات» (١٦٤)، «مرآة الجنان» (٢/ ٢٣١)، «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٤١)، «طبقات الحنابلة» (١/ ١٢٧)، «المنتظم» (٦/ ١٠٥)، «العبر» (٢/ ١١٠)، «طبقات الشافعية للسبكي» (٢/ ٢٦٠)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢٢٨)، «البداية والنهاية» (١١/ ١١٣)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ١٦٨)، «معجم المؤلفين» (٣/ ١٦٢)، «كشف الظنون» (١٧٢٧)، «فهرست ابن النديم» (١/ ١٨٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٦٦)، «هدية العارفين» (١/ ٢٥٨)، «الأعلام» (٢/ ١٤١)، «دول الإسلام» (١/ ١٨١).
ومما ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء»:
هو شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، وتفقه على أبي ثور، وسمع من السَّري السَّقَطي وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وصحب أيضًا الحارث المحاسبي، وأبا حمزة البغدادي، وأتقن العلم ثم أقبل على شأنه، وتأله، وتعبد، ونطق بالحكمة، وقلَّ ما روى.
قال ابن المنادي: سمع الكثير وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورزق الذكاء وصواب الجواب، لم يُر في زمانه مثله في عِفَّةٍ وعزوف عن الدنيا.
عن الجنيد أنه قال: ما أخرج الله إلى الأرض علمًا وجعل للخلق إليه سبيلًا إلا وقد جعل لي منه حظًا.
قال أبو نعيم: حدثنا علي بن هارون وآخر قالا: سمعنا الجنيد غير مرة يقول: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به.
وعن أبي القاسم الكعبي أنه قال مرة: رأيت لكم شيخ ببغداد يقال له: الجنيد، ما رأت عيناي مثله، كان الكتبة -يعني: البلغاء- يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة يحضرونه لدقة معانيه، والمتكلمون يحضرونه لزمام

=

مشرفًا عليها، وجلت حالته ﷺ أن يشرف على نهايتها أحد من الخلق.

وقد تمنى الصديق ﷺ مع علو مرتبته أن يعرف ذلك، فعنه: ليتني شهدت ما استغفر منه رسول الله ﷺ.

قال الرافعي[١]:

=

علمه، وكلمه بائن عن فهمهم وعلمهم.

قال الخلدي: لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد، كانت له حال خطيرة وعلم غزير، إذا رأيت حاله رجحته على علمه، وإذا تكلم رجحت علمه على حاله.

السلمي: حدثنا جدي ابن نجيد قال: كان الجنيد يفتح حانوته، ويدخل فيسبل الستر ويصلي أربع مائة ركعة.

قلت: وأحسب أن مثل هذه الأقوال من مبالغات الصوفية، إذ كيف يتسنى له أن يعد تلك الركعات؟ ثم أين الوقت النهاري أو الليلي الذي يتسع لكل هذه الركعات وإن كانت لا تحتوي إلا على الفاتحة وسورة الإخلاص؟! ثم أين هي الصحة أو القوة البدنية التي يستطيع صاحبها أن يؤدي هذه الحركات الصلاتية الكثيرة بكفاءة مقبولة؟! إن هذا لشيء عجاب لا يقبله إلا عقل غير واع لما يسمع.

قيل: كان نقش خاتم الجنيد: إن كنت تأمله فلا تأمنه.

وعنه: سألت الله أن لا يعذبني بكلامي، وربما وقع في نفسي أن زعيم القوم أرذلهم.

وعنه: أعطي أهل بغداد الشطح والعبارة، وأهل خراسان القلب والسخاء، وأهل البصرة الزهد والقناعة، وأهل الشام الحلم والسلامة، وأهل الحجاز الصبر والإنابة.

قال أبو محمد الجريري: سمعت الجنيد يقول: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل؛ بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات.

قلت: هذا حسن، ومراده: قطع أكثر المألوفات وترك فضول الدنيا وجوع بلا إفراط، أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان، ورفض سائر الدنيا ومألوفات النفس من الغذاء والنوم والأهل، فقد عرض نفسه لبلاء عريض، وربما خولط في عقله، وفاته بذلك كثير من الحنيفية السمحة، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا، والسعادة في متابعة السُّنَن، فزن الأمور بالعدل وصم وأفطر، ونم وقم، والزم الورع في القوت، وارض بما قسم الله لك، واصمت إلا من خير.

فرحمة الله على الجنيد، وأين مثل الجنيد في عمله وعمله؟!

قال ابن نجيد: ثلاثة لا رابع لهم: الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام.

وقد كان الجنيد يأنس بصديقه الأستاذ أبي الحسين النوري، وهو أحمد بن محمد الخراساني البغوي الزاهد شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق، وله عبارات دقيقة، يتعلق بها من انحرف من الصوفية، نسأل الله العفو.

(١) هو: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسين، أبو القاسم الرافعي، القزويني، الفقيه، الشافعي، الشهير بالرافعي. ولد سنة: (٥٥٥هـ)، وتوفي سنة: (٦٢٣هـ) وقيل: (٦٢٤هـ).
شيخ من أشهر أعلام الشافعية ومصنفيهم وأئمتهم المبرزين، ترجمت له مصادر عديدة منها: «ديوان الإسلام» (ت ٩٩٤)، «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٢٥٢)، «تهذيب الأسماء واللغات»

=

والذي استحسنه والدي[1] أنه للترقي في الدرجات، فكلما رقى درجة رأى التي تحتها

=

(٢/ ٢٦٤)، «العبر» (٥/ ٩٤)، «تاريخ ابن الوردي» (٢/ ١٤٨)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٧)، «مرآة الجنان» (٤/ ٦٥)، «طبقات السبكي الكبرى» (٨/ ٢٨١)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٦٦)، «شذرات الذهب» (٥/ ١٠٨)، «هدية العارفين» (١/ ٦٠٩)، «الأعلام» (٤/ ٥٥)، «طبقات الشافعية للإسنوي» (٥٢٤)، «معجم المؤلفين» (٦/ ٣)، «طبقات ابن هداية الله» (٨٣)، «مختصر دول الإسلام» (٢/ ٩٧)، «طبقات المفسرين» (٢١)، «مفتاح السعادة» (١/ ٤٤٣)، «كشف الظنون» (١٦٤ وغير ذلك).

قال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»:

شيخ الشافعية، عالم العجم والعرب، إمام الدين أبو القاسم عبد الكريم بن محمد... الرافعي القزويني. قرأ على أبيه في سنة تسع وستين وخمسمائة. وكان من العلماء العاملين، يذكر عنه تعبد ونسك وأحوال وتواضع انتهت إليه معرفة المذهب.

قال ابن الصلاح: أظن أني لم أر في بلاد العجم مثله، كان ذا فنون حسن السيرة، جميل الأمر.

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد الإسفرائيني الصفار: هو شيخنا إمام الدين ناصر السنة صدقًا، أبو القاسم، كان أوحد عصره في الأصول والفروع، مجتهد زمانه وفريد وقته في تفسير القرآن والمذهب، كان له مجلس للتفسير، وتسميع الحديث بجامع قزوين، صنف كثيرًا وكان زاهدًا ورعًا سمع الكثير.

قال الإمام النواوي: هو من الصالحين المتمكنين، وكانت له كرامات كثيرة ظاهرة.

وقال مظفر الدين قاضي قزوين: عندي بخط الرافعي في كتاب «التدوين في تواريخ قزوين» له أنه منسوب إلى رافع بن خديج الأنصاري ﷺ.

قال لي أبو المعالي بن رافع: سمعت الإمام ركن الدين عبد الصمد بن محمد القزويني الشافعي يحكي ذلك سماعًا من مظفر الدين، ثم قال الركن: لم أسمع ببلاد قزوين ببلدة يقال لها: رافعان.

قلت: وقد جمعت أسماء كتبه في هامش «ديوان الإسلام» فكانت على النحو التالي:

١ - التدوين في أخبار قزوين.
٢ - الفتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي (٢٠ جزءًا).
٣ - شرح مسند الشافعي (في مجلدين).
٤ - أربعين حديثًا مروية.
٥ - الأمالي الشارحة على مفردات الفاتحة.
٦ - الترتيب (التذنيب) وهو (فوائد على الوجيز).
٧ - الوضوح (شرح المحرر في فروع الفقه الشافعي).
٨ - ديوان شعره.
٩ - الإيجاز في أخطار الحجاز.
١٠ - روضة (في الفروع).
١١ - سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين (يعني الرافعي وفي نسبته إليه شك).
١٢ - العزيز في شرح الوجيز للغزالي (في الفروع ١٢ مجلد).
١٣ - المحرر (في الفروع).
١٤ - الخواطر (في سفره إلى الحج).

(١) هو: محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن بن الحسين أبو الفضل الرافعي، القزويني، الشافعي.

الشهرة: الرافعي. توفي سنة (٥٨٠هـ) في شهر رمضان، جاءت ترجمته في مصادر منها: «معجم المؤلفين» (١٠/ ١٩٠)، «ديوان الإسلام» (٩٩٣)، «طبقات الشافعية للسبكي» (٦/ ١٣١)، «طبقات الإسنوي» (ت ٥٢٣)، «طبقات ابن هداية الله» (٨٠)، «الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٨٠)، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٩٧) وقال فيه:

الإمام العلامة المفتي الشافعي، تفقه بنيسابور على محمد بن يحيى، وببغداد على أبي منصور بن الرزاز،

=

قاصرة بالإضافة إليها فيستغفر.

كذا في رحلة سيدي عبد الله العياشي(١).

ومما يشير إلى أن إيمان الأنبياء يزيد: قول الخليل: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ولكن في «مفاتيح الخزائن العلية» لسيدي علي وفا معنى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة: ٢٦٠] أو لم يكفك إيمانك؟ قال: بلى، يكفيني إيماني، ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. من قلقه لرؤية الكيفية، وهو حسن أدب.

وفي تفسير الفامي(٢): قيل له ذلك مع علم المولى بأنه أعرف الناس بالإيمان ليجيب بما

=

وبقزوين على مكداد بن علي، وأبي علي بن شافعي.

وسمع من أبي البركات ابن الفراوي، وعبد الخالق ابن الشحامي، وطائفة.

وبرع في المذهب، وتفقه به ولده الإمام مصنف الشرح أبو الفضل محمد بن محمد وغيره.

(١) هو: عبد الله بن محمد العياشي، عفيف الدين الزياتي، الفقيه، الأديب، الشاعر.

توفي سنة (١٠٧٣هـ)، جاءت ترجمته في «اليواقيت الثمينة» (١/ ١٧٨)، «معجم المؤلفين» (٦/ ١٣٥)

وقال مؤلفه: فقيه، أديب، ناظم، من آثاره:

- أرجوزة نظم فيها أهل بدر.

- وأمداح في شيخه ابن عاشر، وأخباره.

(٢) الفامي هو: عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الواحد، الفارسي الفامي الشيرازي، الشافعي، أبو محمد، المصنف، ولد سنة (٤١٤هـ). توفي سنة (٥٠٠هـ) في ٢٧ رمضان بشيراز، انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٢٤٨)، «المنتظم» (٩/ ١٥٢)، «الكامل في التاريخ» (١٠/ ٤٣٩)، «ذيل ابن النجار» (١/ ٣٩٠)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٦٨٣)، «عيون التاريخ» (١٣/ ١٧٦)، «طبقات السبكي» (٥/ ٢٢٩)، «طبقات الإسنوي» (٢/ ٢٧٣)، «البداية والنهاية» (١٢/ ١٦٨)، «شذرات الذهب» (٣/ ٤١٣).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: الإمام المفتي، مدرس النظامية، أبو محمد الفارسي الفامي الشيرازي، الشافعي.

قدم بغداد مدرسًا من جهة نظام الملك سنة ثلاث وثمانين مشاركًا فيها للحسين بن محمد الطبري، فكان كل واحد منهما يدرس يومًا ثم عُزلا بعد سنة.

أملى عن المحدِّث أبي بكر أحمد بن الحسن بن الليث وغيره.

حدَّث عنه: عبد الوهاب الأنماطي، وابن ناصر قال أبو علي بن سُكَّرَة: عبد الوهاب بن محمد الفامي من أئمة الشافعية وكبارهم، سمعت عليه كثيرًا، وسمعته يقول: صنفت سبعين تأليفًا، ولي التفسير ضمنته مائة ألف بيت شاهدًا، أملي وحفظ عليه، عليه تصحيف شنيع، فأجلب عليه، وطولب، ورمي بالاعتزال حتى فر بنفسه.

وقال أحمد بن ثابت الطرقي: سمعت جماعة أن عبد الوهاب أملى عليهم ببغداد: «صلاة في أثر صلاة كتاب في عليين» فصحفها «كنار في غلس» فكلموه في ذلك، فقال: النار في الغلس تكون أضوأ.

=

أجاب، فيظهر للناس حقيقة الحال.

قال: والطمأنينة بانضمام المعاينة إلى الوحي، والاستدلال. اهـ.

وفي «الصحيح»: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» (١)

معناه: لو لحقه شك لتطرق لنا بالأولى نظرًا لحال الأمة، أو تواضعًا، أو المحال جائز أن يستلزم محالًا آخر، لكن لا يتطرق لنا شك، فكذلك هو.

[٤٧/ أ] وبالجملة: الأنبياء دائمًا يترقون بإشارة ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

أفاد ابن وفا: إن دخلت في طاعة فاخرج شاكرًا بنية أحسن منها، أو معصية فاخرج تائبًا راضيًا بالقضاء فيكون لك من هذا المقام وراثة (٢). انتهى المراد منه.

=

قال الطرقي: وسأله صديق له: هل سمعت «جامع أبي عيسى؟» فقال: ما الجامع؟ ومن أبو عيسى؟ ثم سمعته بعد يَعُدُّه في مسموعاته.

ولما أراد أن يُملي بجامع القصر قلت له: لو استعنت بحافظ؟ فقال: إنما يفعل ذا من قلت معرفته، وأنا فحفظي يغنيني، فامتحنت بالاستملاء عليه فرأيته يُسقط من الإسناد رجلًا ويزيد رجلًا، ويجعل الرجل اثنين، فرأيت فضيحة، فمن ذلك: الحسن بن سفيان، حدثنا يزيد بن زريع، فأمسك الجماعة، ونظر إليَّ وتكلموا، فقلت: قد سقط إما محمد بن منهال، أو أمية بن بسطام؟ فقال: اكتبوها كما في أصلي.

وجاء: أخبرنا سهل بن بحر، أنا سألته فصحفها، فقال: أنا سالِبَهُ.

وقال سعيد بن عمرو الأشعثي، فقال: الأشعثي، جعل واو (عمرو) للعطف فرددته فأبى، فقلت: فمن الأشعثي؟ قال: فضول منك.

وجاء ورقة بن قيس بن الربيع، فقلت: هو «عن» بدل «ابن».

وقال في حديث حُمَيل بن بصرة: لقيت أبا هريرة وهو يجيء من الطور، فقال: «الطود».

وفسر مرة: «الخِشف» فقال: طائر. وقال في: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] انتصب على الحال. وقيل: كان معتزليًّا.

(١) ورد هذا الخبر في العديد من الكتب التي منها:
«البخاري» (٤/ ١٧٩)، (٦/ ٣٩)، «مسلم» (١٣٣، ١٨٣٩) ابن ماجه في «السنن» (٤٠٢٦)، مسند أحمد (٢/ ٣٢٦)، «فتح الباري» (٨/ ٢٠١)، (١٢/ ٣٨٢)، «مشكل الآثار» (١/ ١٣٤)، «شرح السنة» (١/ ١١٤)، «مشكاة المصابيح» (٥٧٠٥)، «تاريخ ابن عساكر» (٢/ ١٥٥، ١٦٣)، «كنز العمال» (٢٢٢٩١، ٣٥٥٧٠)، «الدر المنثور» (١/ ٣٣٥)، «البداية والنهاية» (١/ ١٨٠).

(٢) يريد أن يقول: إن كلاً من عند الله، فما عليك أيها الإنسان إلا أن تغتنم فرص الحياة في عمل الطاعات إما شاكرًا وإما صابرًا، فلا تضيع فرص الطاعات بأمل الأعمال وهي الأعمال القلبية بأن يظل قلبك معلقًا بربك ذاكرًا له بالشكر أو الصبر آملًا في أن يكون الوقت اللاحق خير من الوقت السابق وأن المعصية تتبعها طاعة وأن الطاعة يتبعها أجر والمعصية مع التوبة تتبعها مغفرة، فعش حياتك بين هذين الأملين تنجو بإذن الله تعالى.

وهنا لطائف ورقائق تؤخذ مما ذكر في حاشية العلامة البارع الفائق:

الأولى:

ما ذكره على خطبة «الجوهرة» مع شرحها من: أنه يحرم ما يقع من بعض المخرفين من تغزلهم في المقام المحمدي بما يقال في المعشوق مما يأنف أحدنا أن يخاطب به، ولو كان هذا جائزًا ما فات حسان(١) فمن دونه.

---

(١) هو: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو الوليد، ويقال: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو الحسام، الأنصاري الخزرجي، النجاري المدني، الصحابي، الشاعر، بل سيد الشعراء المؤمنين، ابن الفريعة.

تباينت الأقوال في وفاته بين (٤٠هـ) و (٥٤هـ)، وله مائة وعشرون سنة: ستون في الجاهلية وستون في الإسلام.

وهو شاعر رسول الله ﷺ، المؤيد بروح القدس، هو أشهر شعراء الإسلام، كتب في سيرته وترجمته الكتب الكبار، وسارت دواوينه مجال دراسة من كافة المشتغلين بهذا الفن، ومن المصادر التي ترجمت له:

«سيرة أعلام النبلاء» (٢/ ٥١٢)، «مسند أحمد» (٣/ ٤٢٢)، «التاريخ لابن معين» (١٠٧)، «طبقات خليفة» (٨٨)، «تاريخ خليفة» (٢٠٢)، «التاريخ الكبير» (٣/ ٢٩)، «المعارف» (٢/ ١٢٨)، «تاريخ الفسوي» (١/ ٢٣٥)، «الجرح والتعديل» (٣/ ٢٣٣)، «الأغاني» (٤/ ١٣٤: ١٦٩)، «معجم الطبراني» (٤/ ٤٤)، «المستدرك» (٣/ ٤٨٦)، «الاستبصار» (٥١)، «الاستيعاب» (١/ ٣٤١)، «تاريخ ابن عساكر» (٤/ ١٧٩/ ١) «أسد الغابة» (٢/ ٥)، «تهذيب الكمال» (٢٥١)، «تاريخ الإسلام» (٢/ ٢٧٧)، «العبر» (١/ ٥٩)، «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٧٧)، «الإصابة» (٢/ ٢٣٧)، «الخلاصة» (٧٥)، «شذرات الذهب» (١/ ٤١، ٦٠)، «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، بتحقيقي» (ت: ٨١٩)، «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٣٧٩)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ١٢٩)، «الثقات» (٣/ ٧١)، «تقريب التهذيب» (١/ ١٦١)، «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٤٧)، «التحفة اللطيفة» (١/ ٤٦٩)، «تاريخ جرجان» (١٣٥)، «الوافي بالوفيات» (١١/ ٥١٦)، «عنوان النجابة» (١/ ١٦٠)، «الكاشف» (١/ ٢١٦)، «بقي ابن مخلد» (٨٢٠)، «الشعر والشعراء» (٦٠) وفيه:

يكنى أبا الوليد وأمه الفريعة من الخزرج، وهو جاهلي إسلامي متقدم الإسلام إلا أنه لم يشهد مع رسول الله ﷺ مشهدًا لأنه كان جبانًا.

قلت: هذا القول عار من الصحة، ولو كان كما يقولون لهجاه خصماؤه من الشعراء بهذه الصفة الشنيعة، ولكن لا يوجد أو لا يذكر أن أحدًا منهم وصفه بها مما يدل على أنها صفة مفتراة من بعض حساده وخصوصًا من غير الشعراء، ولكنه ربما لم يشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد نظرًا لسنه المتقدم، والله أعلم.

وكان له ناصية يسدلها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه روثنة أنفه من طوله ويقول: ما يسرني به مقول من العرب، والله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه، وعاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة ومات في خلافة معاوية، وعمي في آخر عمره.

قال الأصمعي: الشعر نكد بابه الشر، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره. وكان حسان يفد على ملوك غسان وفيهم يقول:

وقد قالوا: إنما لم يفتتن به ﷺ مع أنه أعطي كل الحسن، وفتن بيوسف مع إعطائه شطره، لأن جماله ﷺ صين بالجلال (١)

كما قال السلطان ابن الفارض(٢):

=

يغشون حتى مــا تـهـر كلابهـم لا يسألون عـن السـواد المقبـل

ولما صار جبلة بن الأيهم إلى الروم ورد على ملك الروم رسول معاوية فسأله جبلة عن حسان فأعلمه أنه قد كبر وعمي، فدفع إليه ألف دينار وحللًا وقال له: إن وجدته حيًّا فادفعها إليه وإن وجدته ميتًا، فانشر الحلل على قبره واشتر له إبلًا وانحرها على قبره فجاء فوجده حيًّا، فأخبره بذلك فبكى، وقال: وددت أنك جئت ووجدتني ميتًا.

وولد له عبد الرحمن بن سيرين أخت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ. وكان لعبد الرحمن ابن يقال له: سعيد، وكان لحسان بنت شاعرة، وأرق ليلة فعن له الشعر فقال:

متاريك أذناب الأمـور إذا اعـترت أخـذنا الفـروع واجـتثثنا أصولهـا

ثم أجبل. أي: انقطع، فقالت له ابنته: كأنك أجبلت؟ قال: أجل، قالت: فأجيز عنك؟ قال: وعندك ذلك قالت: نعم، قال: فافعلي، فقالت:

مقاويل بالمعروف خوس عن الخنـا كـرام يعاطـون العشـيرة سؤلهـا

فحمي الشيخ فقال:

وقافية مثـل السـنان رزئتـهـا تناولت من جـو السـماء نزولها

فقالت:

براها الذي لا ينطق الشعـر عنـده ويعجز عـن أمثالهـا أن يقـولها

فقال: لا قلت شعرًا وأنت حية، قالت: أو أؤمنك؟ قال: وتفعلين؟ قالت: نعم، لا قلت شعرًا، وأنت حي، فانقرض عقب حسان، فلم يبق منهم أحد.

قال حسان: قلت شعرًا لم أقل مثله وهو:

وإن امرءًا أمسـى وأصبـح سالمـًا من الناس إلا مـا جنـى لسعـيد

قال بعض أهل المدينة: ما ذكرت بيت حسان إلا اشتهيت أن أعود في الفتوة:

أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصـوت المطـرب الغـرد

(١) هذا قول مبالغ فيه مبالغة شديدة، وفيه أيضًا تلميح بانتقاص من قدر سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ولقد كان يوسف عليه السلام جميلًا جمالًا فائقًا بنص القرآن الكريم ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١] فقد بهر من رأينه إبهارًا يجعلهن يصفنه بصفة لم يرينها ألا وهي صفة الملائكة بل تخيلن أنه لم يوجد جمال بين البشر مثل هذا، فربما وجد في عالم لم يشهدنه، ألا وهو عالم الملائكة، أما سيدنا محمد ﷺ فلم يتعرض القرآن الكريم لصفته الشكلية وإنما تعرض كثيرًا لصفته الأخلاقية والرسالية فعلى العاقل أن يقف عند حد ما ذكر ربنا سبحانه وتعالى.

(٢) هو: عمر بن علي بن مرشد. وقيل عمر بن الحسن بن علي بن المرشد بن علي، الحموي، المصري، الشاعر، شرف الدين. الشهرة: ابن الفارض.

ولد سنة (٥٧٦هـ) في ٤ ذي القعدة، وتوفي سنة (٦٣٢هـ) في جمادى الأولى.

=

سبحان من أنشأه من سُبُحاته بشرًا بأسرار الغيوب يبشر
قاسوه جهلًا بالغزال تغزلًا هيهات يشبهه الغزال الأحور
هذا وحقك ما له من مشبه وأرى المشبه بالغزالة يكفر
يأتي العظيم الجهل في تشبيهه لولا لرب جماله يستغفر

إلى أن قال:

فعلى جمالك بالكمال جلاله فيها لأهل الكشف سر مضمر

وما وقع لعارف من نحو هذا إما بتأويل يجده أو بجذب أخرجه عن الفتيا[1]، فليس لمن لم

=

من مصادر ترجمته:
«تكملة المنذري» (٣/ ٢٥٨٦)، و«تكملة ابن الصابوني» (٢٧٠)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥٤)، «مختصر أبي الفدا» (٣/ ١٦٤)، «العبر» (٥/ ١٢٩)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٦٦)، «نثر الجمان» (٢/ ٦٨)، «البداية والنهاية» (١٣/ ١٤٣)، «لسان الميزان» (٤/ ٣١٧)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٨٨)، و«حسن المحاضرة» (١/ ٢٤٦)، «مجالس العشاق» (١٠٢)، «مجالس المؤمنين» (٢/ ٥٦)، «وشذرات الذهب» (٥/ ١٤٩)، «روضات الجنات» (٥٠٥)، «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٦٨) وفيه: شاعر الوقت شرف الدين.... صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية.

روى عن القاسم بن عساكر. حدث عنه المنذري، فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى، وأعذنا من الهوى، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد حج وجاور، وكان بزنق الفقر، وشعره في الذروة لا يلحق شأوه.

وقال ابن العماد في «شذرات الذهب»: قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في طبقاته: الملقب في جميع الآفاق بسلطان المحبين والعشاق، والمنعوت بين أهل الخلاف والوفاق بأنه سيد شعراء عصره على الإطلاق، له النظم الذي يستخف أهل الحلوم والنثر الذي تغار منه النثرة بل سائر النجوم، قدم أبوه من حماة إلى مصر فقطنها وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض، ثم ولد له بمصر عمر في ذي القعدة سنة (٥٦٦هـ) فنشأ تحت كنف أبيه في عفاف وصيانة وعبادة وديانة بل زهد وقناعة وورع، أسدل عليه لباسه وقناعه، فلما شب وترعرع اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وعنه الحافظ المنذري وغيره، ثم حبب إليه الخلاء وسلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد وصار يستأذن أباه في السياحة فيسيح في الجبل الثاني من المقطم، ويأوي إلى بعض أوديته مرة وفي بعض المساجد المهجورة في خرابات القرافة مرة ثم يعود إلى والده فيقيم عنده مدة، ثم يشتاق إلى التجرد ويعود إلى الجبل، وهكذا حتى ألفه الوحش وألف الوحش فصار لا ينفر منه ومع ذلك لم يفتح عليه.

(١) هل يقبل مثل هذا القول من رجل عاقل فضلًا عن رجل كبير في العلم بل ومصنف يعتد بقوله؟! فما
=

يساوه أن يقتدي به ما دام مميزًا بين [٤٧/ب] ما يُنافي الجلال وغيره كقوله في القصيدة السابقة.

جنان عدن في جنى وجناته ودليله أن المراشف كوثر

وليس لأحد أن يقول: ما رأينا أحدًا نص على حرمة هذا بخصوصه: فإن هذه البدع لم تشع في زمن الأئمة، فلتوزن بالميزان السابق.

وبالجملة: فجماله ﷺ مغطى بالجلال ولعلو درجته وجلاله وكمال رتبته لا يحتاج لغيره إلا قبله كالوسيلة الممهد المبشر، ومتى حصل لم يحتج لغيره، ولا يحصل معه، ويشكر الله تعالى للبوصيري حيث يقول:

فإن فضل شمس هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

حتى إذا ظهرت في الأفق عم هداها للعالمين وأحيت سائر الأمم

إلى أن قال العلامة الملوي(١): في الحاشية ما نصه:

فائدة: أولاده ﷺ الذكور ثلاثة: عبد الله، ويلقب بالطاهر والطيب، فله لقبان زيادة على الاسم - والقاسم - وإبراهيم.

والإناث أربعة: زينب - ورقية - وأم كلثوم - وفاطمة.

وينبغي حفظهم ومعرفتهم، لأن النبي ﷺ سيدنا، ويقبح على الإنسان أن لا يعرف أولاد سيده(٢). اهـ.

=

معنى العارف في الشريعة؟! وما هذا الإصلاح في مقياس الشرع، وهل جاء محمد ﷺ بمثل هذه التفريعات والتشريعات الغريبة عن الفطر، وهل جاء بتقسيم المؤمنين إلى درجات، وهل هناك إلا رجل عامل ورجل عالم عامل وأتقاهما عند الله تعالى أتقاهما، فمن أين جيء بهذا التفريع الذي هو العارف، ومن أين يقال بجذب، فما هو هذا الجذب؟، ما أراه إلا خبل أصاب بعض الناس فخالفوا الشريعة فجاملهم أتباعهم بمثل هذه المصطلحات إما بقصد أو بغير قصد وإما بقصد سيء أو بقصد حسن فلا يعتد بقول أحدهما كان أو مهما كانت مكانته وعلمه إذا خالف نصًّا، أما من اجتهد فأخطأ فهذا مأجور بلا خلاف فهو قاصد للحق مجتهد في الوصول إليه إلا أنه لم يوفق لبلوغه فيؤجر من أجل اجتهاده. والله أعلم.

(١) هو أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف وقد سبق ترجمته، وراجع «معجم المؤلفين» (١/ ٢٧٨).

(٢) قلت: أما الأولاد فقد ماتوا صغارًا وهم الذكور. وأما الإناث فأنا إن شاء الله تعالى أترجم لهم ترجمة موجزة في هذا المقام:

أما زينب رضي الله عنها: توفيت سنة (٨هـ) أمها خديجة رضي الله عنها، فقد جاءت ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ٣٠)، «نسب قريش» (٢٢، ١٥٧، ١٥٨، ٢١٩، ٢٣١)، «تاريخ خليفة» (٩٢)، «التاريخ الصغير» (١/

=

=

٧، ١٧)، «الاستيعاب» (١٣/ ٢٤)، «أسد الغابة» (٧/ ١٣٠)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٣٤٤)، «العبر» (١/ ١٠)، «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٢)، «العقد الثمين» (٨/ ٢٢٢)، «الإصابة» (١٢/ ٢٧٣)، «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٣٤)، (١٢/ ٢٤٦) وقال في الموضع الأول: كانت ﵂ أكبر بنات رسول الله ﷺ وتوفيت سنة ثمان للهجرة، وغسلتها أم عطية فأعطاهن حقوه، وقال: «أشعرنها إياه» وكان رسول الله ﷺ يحبها ويثني عليها ﵂، عاشت نحو ثلاثين سنة، ومات زوجها أبو العاص في شهر ذي الحجة سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق.

وقال في الموضع الثاني:

زينب بنت رسول الله ﷺ، أكبر أخواتها من المهاجرات السيدات. تزوجها في حياة أمها ابن خالتها: أبو العاص، فولدت له: أمامة التي تزوج بها علي بن أبي طالب بعد فاطمة، وولدت له: علي بن أبي العاص الذي قال: إن رسول الله ﷺ أردفه وراءه يوم الفتح، وأظنه مات صبيًّا.

وذكر ابن سعد: أن أبا العاص تزوج بزينب قبل النبوة، وهذا بعيد.

أسلمت زينب وهاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين. وقيل: هاجرت مع أبيها، ولم يصح.

قال الشعبي: أسلمت زينب وهاجرت، ثم أسلم بعد ذلك، وما فرق بينهما.

وكذا قال قتادة، وقال: ثم أنزلت «براءة» بعد ذلك فإذا أسلمت امرأة قبل زوجها فلا سبيل له عليها إلا بخطبة.

وروى حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ رد ابنته على أبي العاص بنكاح جديد ومهر جديد.

وأما رقية ﵂:

توفيت أيام بدر. أمها خديجة رضي الله تعالى عنها جاء ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ٣٦)، «تاريخ خليفة» (٦٥)، «المعارف» (١٢٥، ١٤١، ١٥٣، ١٥٨، ١٨٥، ١٩٠، ٢٠٣)، «تاريخ الفسوي» (٣/ ١٥٩)، «المستدرك» (٤/ ٤٦)، «الاستيعاب» (٤/ ١٨٣٩)، «أسد الغابة» (٧/ ١١٣)، «الإصابة» (١٢/ ٢٥٧)، «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٦)، «شذرات الذهب» (١/ ٩/ ٥٧)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٥٠) وفيه:

قال ابن سعد: تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة: كذا قال، وصوابه: قبل الهجرة.

فلما أنزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد: ١] قال أبوه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته. ففارقها قبل الدخول.

وأسلمت مع أمها وأخوتها، ثم تزوجها عثمان، قال ابن سعد: هاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين جميعًا.

قال ﷺ: «إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد لوط».

وولدت من عثمان: عبد الله، وبه كان يكنى، وبلغ ست سنين، فنقره ديك في وجهه فطمر وجهه فمات.

ثم هاجرت إلى المدينة بعد عثمان، ومرضت قبيل بدر، فخلف النبي ﷺ عليها عثمان فتوفيت والمسلمون ببدر.

أما أم كلثوم ﵂:

أمها خديجة ﵂: وتوفيت في شعبان سنة (٩هـ) وجاءت ترجمتها في:

«طبقات ابن سعد» (٨/ ٣٧)، «تاريخ خليفة» (٦٦)، «المعارف» (١٢٦، ١٤١، ١٤٢، ١٥٨، ١٧٣،

=

=

١٩٢) «تاريخ الفسوي» (٣/ ١٥٩)، «المستدرك» (٤/ ٤٨)، «الاستيعاب» (٤/ ١٩٥٢)، «أسد الغابة» (٧/ ٣٨٤)، «العبر» (١/ ٥، ١٠)، «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٦)، «الإصابة» (١٣/ ٢٧٥)، «شذرات الذهب» (١/ ١٠، ١٣، ١٦، ١٧)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٥٢) وفيه:

البضعة الرابعة النبوية. يقال: تزوجها عتبة بن أبي لهب ثم فارقها.

أسلمت وهاجرت بعد النبي ﷺ، فلما توفيت أختها رقية تزوج بها عثمان وهي بكر، في ربيع الأول سنة ثلاث، فلم تلد له.

وتوفيت في شعبان سنة تسع، فقال النبي ﷺ: «لو كن عشرًا لزوجتهن عثمان» حكاه ابن سعد.

أما عن فاطمة ﵂:

أمها خديجة رضي الله تعالى عنها، ميلادها: قبل المبعث بقليل. شهرتها: الزهراء. كنيتها: أم أبيها.

توفيت سنة (١١هـ) لثلاث خلون من رمضان وكان لها (٢٩ سنة) وقيل: (٣٠ سنة).

ترجمت له العديد من الكتب، وكتبتْ في سيرتها الكتب واحتفل بها أيما احتفال دون سائر أخواتها ومن المصادر التي ترجمت لها:

«أسماء الصحابة الرواة، بتحقيقي» (ت ١٣٤ في أصحاب الستة عشر حديثًا)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١١٨)، «الثقات» (٣/ ٦)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٢١)، «أسد الغابة» (١/ ١١١)، «الإصابة» (١/ ٤٨)، «الإكمال» (٢/ ٤٨٢)، «الاستيعاب» (٤/ ١٨٨٣)، «تهذيب الكمال» (٣/ ١٦٩)، «تقريب التهذيب» (٢/ ٦٠٩)، «بقي بن مخلد» (١٣٧)، «الخلاصة» (١/ ٤٩٤)، «العبر» (١/ ١٣)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١١٨)، «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٤٠)، «الكاشف» ٣/ ٤٧٧)، «البداية والنهاية» (٧/ ١٠١)، «أعلام النساء» (٤/ ١٠٨)، «السمط الثمين» (١٧١)، «الدر المنثور» (٣٥٩)، «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩)، «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٩)، «مسند أحمد» (٦/ ٢٨٢)، «طبقات خليفة» (٣٣٠)، «تاريخ خليفة» (٦٥)، «المعارف» (١٤١)، «المستدرك» (٣/ ١٥١)، «جامع الأصول» (٩/ ١٢٥)، «تاريخ الإسلام» (١/ ٣٦٠)، «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٠١)، «كنز العمال» (١٣/ ٦٧٤)، «شذرات الذهب» (١/ ٩)، قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»:

سيدة نساء العالمين في زمانها، البضعة النبوية والجهة المصطفوية، أم أبيها بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ.

مولدها قبل المبعث بقليل، وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب في ذي القعدة أو قبيله من سنة اثنتين بعد وقعة بدر.

قال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أحد فولدت له: الحسن، والحسين، ومحسنًا، وأم كلثوم، وزينب.

وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويسر إليها، ومناقبها غزيرة، وكانت صابرة دينة خيرة صينة قانعة شاكرة لله.

وقد غضب لها النبي ﷺ لما بلغه أن أبا الحسن هم بما رآه سائغًا من خطبة بنت أبي جهل فقال: «والله لا تجتمع بنت نبي الله ﷺ وبنت عدو الله، وإنما فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» فترك عليٌّ الخطبة رعاية لها، فما تزوج عليها ولا تسرى، فلما توفيت تزوج وتسرى.

ولما توفي النبي ﷺ حزنت عليه وبكته، وقالت: يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه.

وقالت بعد دفنه: يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ؟! وقد قال لها في =

قلت: وكلهم من خديجة ﵂ إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، أهداها له المقوقس من مصر.

وجمع بعضهم زوجاته اللاتي مات عنهن بقوله:

توفي رسول الله عن تسع نسـوة ... إليهن تعزى المكرمات وتنسـب
فعائشـة ميمـونـة وصفيـة ... وحفص تتلوهـن هـند وزينـب
جويرية مـع رملـة ثم سـودة ... ثلاث وست نظمهن مهـذب[(١)]

=

مرضه: «إني مقبوض في مرضي هذا»، فبكت، وأخبرها أنها أول أهله لحوقًا به، وأنها سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت وكتمت ذلك، فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها عائشة، فحدثتها بما أسر إليها.

وقالت عائشة ﵂: جاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقام إليها وقال: «مرحبًا بنتي».

ولما توفي أبوها تعلقت آمالها بميراثه، وجاءت تطلب ذلك من أبي بكر الصديق، فحدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا نُورَث ما تركناه صدقة» فوجدت عليه، ثم تعللت.

روى إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: لما مرضت فاطمة، أتى أبو بكر، فاستأذن، فقال علي: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم.

قلت -أي الذهبي-: عملت بالسنة ﵂ فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره.

قال: فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ومرضاتكم أهل البيت، قال: فترضاها حتى رضيت.

ثم توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر أو نحوها.

(١) وأنا أترجم لما ذكر من أزواجه ﷺ في هذه الأبيات على الترتيب الوارد بها باختصار من كتاب «المحبر» بتحقيقي (١٠٥):

فعائشة ﵂ هي: بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. وأمها: أم رومان بنت عمر بن عامر من بني مالك من كنانة.

قال له أبو بكر: يا رسول الله، إني قد كنت ذكرتها أو وعدتها لمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف لابنه جبير بن مطعم فدعني حتى أسألها عنهم، ففعل، فتزوجها رسول الله ﷺ وهي يومئذ بنت سبع سنين في شوال، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يبني بها خرجت إليها أمها أم رومان وهي تلعب مع الجواري بين النخل، فأخذت بيدها فأدخلتها على النبي ﷺ في شوال بعد قدومه المدينة، فقام وهي بنت تسع سنين، وتوفي رسول الله وهي بنت ثماني عشرة سنة وتوفيت في سنة سبع وخمسين.

وقال الواقدي: في سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ودفنت من ليلتها بعد الوتر، وصلى عليها أبو هريرة وهو خليفة مروان على المدينة.

وأما ميمونة ﵂ فهي: بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر ابن صعصعة.

وأمها: هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة من جرش آل حمير.

وكانت قبله عند: أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس، وكانت أخت أم الفضل امرأة العباس بن

=

عبد المطلب من أمها وأبيها. تزوجها النبي ﷺ على ما تركت زينب بنتًا خزيمة.
فبينا هو ﷺ جالس إذ أتاه حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس، فقال: يا محمد، إن أجلك قد مضى، فاخرج من بلادنا.
فقال له سعد بن زيد الأنصاري: كذبت، إنها ليست بلادك ولكنها بلاده وبلاد آبائه.
فقال له ﷺ: «مهلًا يا سعد لا تسفه علي زوارنا ما عليك يا حويطب أن نقيم فيكم فنأكل وتأكلوا؟!»
فقال: أحرِّج عليك إلا خرجت. فخرج وخرجوا، وخلف أبا رافع وقال: الحقني بميمونة، قال: فحملها على قلوص فجعل أهل مكة ينفرون بها، ويقولون لها: لا بارك الله لك، حتى وافاه بها بسرف، وذلك في الموادعة حين أخليت مكة لرسول الله ﷺ ثلاثة أيام.
ثم ماتت ميمونة بعد ذلك بمكة. فحملها عبد الله بن عباس وجعل يقول للذين يحملونها: ارفقوا بها فإنها أمكم، فدفنها بسرف على بريد من مكة إلى المدينة.
وأما صفية ﵂ فهي: بنت حيي بن أخطب بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن حبيب بن النضر بن النحام بن ينحوم، من بني إسرائيل من سبط هارون عليه السلام.
وأمها: برة بنت السموأل وكانت قبله عند سلام بن مشكم القرظي، ثم تزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق.
وكان سبب تزوجها: أن النبي ﷺ سباها يوم خيبر، ومعها بنت عم لها، فوهبها لدحية بن خليفة الكلبي، وأمسك رسول الله ﷺ لنفسه، فأبصر بوجهها أثرًا أخضر، فقال: «ما هذا بوجهك؟» قالت: رأيت رؤيا قبل قدومك، ولا والله ما أذكر شيئًا من شأنك، فقصصتها على زوجي كنانة بن الربيع، فلطم وجهي، وقال: إنها تمنين هذا الملك الذي بالمدينة، فقال لها رسول الله ﷺ: «وما رأيت؟» قالت: رأيت القمر نزل من مكانه فخر في حجري، فأعجبت رؤياها رسول الله ﷺ فأمر بلالًا حين قتل بني قريظة أن يحمل صفية إليه، فحملها، فمر بها على القتلى، فقال له النبي ﷺ: «يا بلال أذهبت منك الرحمة؟! أتمر بها على القتلى؟» ثم ضرب عليها الحجاب على البعير، فعلموا أنه قد تزوجها.
وتوفيت صفية في سنة خمسين.
قلت: وقيل: توفيت سنة اثنتين وخمسين، وقيل: سنة ست وثلاثين، ودفنت بالبقيع.
أما حفصة ﵂ فهي: بنت عمر بن الخطاب ﵁.
أمها: زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحية. وكانت قبله عند خُنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم.
وكانت من مهاجرات الحبشة. وتوفيت في سنة خمس وأربعين.
أما هند ﵂ فهي: أم سلمة بنت أبي أمية (سهل) بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أمها: عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة بن علقمة جذل الطعان بن فراس الكنانية.
وكانت سبب تزوجه بها: أنه لما هاجر زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان لها منه: سلمة، وعمرو، وزينب، ودرة، فوثب بنو المغيرة فحبسوها عن أن تهاجر مع زوجها، فقال بنو عبد الأسد: نحن نأخذ عمرو بن أبي سلمة فيكون عندنا، فأبى بنو المغيرة إلا أن يكون مع أمه، حتى وقع الشر بينهم فتهادوا الغلام حتى خلعوا يده أو منكبه، فكانت مخلوعة إلى أن مات.
فكانت أم سلمة تغدو كل يوم فتجلس على الصفا وتستقبل القبلة وتقول:

يا رجما يا رجم استقلي ثم هلالًا وبنيه فلِّي

تعني: بني هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

فلما رأى ذلك بنو المغيرة خلوا سبيلها، فأتت المدينة فقتل عنها أبو سلمة.

فكانت أم سلمة تقول: كان النبي ﷺ يقول: «ما من أحد يصاب بمصيبة فيقول: اللهم أجرني في مصيبتي وصبرني عليها واخلف لي خيرًا منها، إلا فعل الله ذلك به» قالت: فلما هلك أبو سلمة، دعوت الله بهذه الكلمات فكلما دعوت بهن قلت: ومن خير من أبي سلمة؟! فخطبها رسول الله ﷺ، وقد كانت طعنت في السن، فقالت: يا رسول الله، إني امرأة مصبية، وأنا شديدة الغيرة، وقد طعنت في السن، فقال لها: «أما ما ذكرت من صبينك فلا تخافي عليهم العيلة مع الله تعالى ورسوله، وأما الغيرة فإني أدعو الله تعالى فيذهب بها، وأما ما ذكرت من سنك فأنا أكبر منك» فتزوجها ﷺ وكانت أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة، وتزوج بها رسول الله ﷺ في شوال وبنى بها في شوال. وماتت ﵂ في سنة إحدى وستين، وصلى عليها أبو هريرة، وكان والي الوليد بن عتبة على المدينة ودفنها في البقيع.

أما زينب ﵂ فهي: بنت جحش بن رئاب، وأمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. وكانت قبله عند زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ.

وكان سبب تزوجها: أن النبي ﷺ أتى زيدًا، ذات يوم فوقف على بابه، ثم نادي زيدًا، فنظر إلى زينب وعليها قميص لها مردع بالزعفران، فوقعت في نفسه، فقال: «سبحان مقلب القلوب» ثلاثًا، فسمعه زيد وهو يتوضأ فعرف أنها وقعت في نفسه، فخرج زيد إلى النبي ﷺ، فمكث أيّامًا ثم قال: يا رسول الله أنا أطلق زينب، قال: «ولمَ؟» قال: قد ساء خلقها وآذتني بلسانها. فقال: «اتق الله وأمسك عليك زوجك» فطلقها فتزوجها النبي ﷺ.

قال محققه: وقد علقت على هذه الحكاية بهامش المحبر (١٠٨) بقولي: في هذا غمز للنبي ﷺ وحاشاه من ذلك هو المبرأ والمطهر من كل عيب، وقد وقع في ذلك المؤلف عن غير قصد، فإنما هو ناقل ولكنه لم ينتبه في هذه الحال.

وأما قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٨] إلا كقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] فكلًّا نكل علمه إلى الله ﷻ مع تبرئة رسول الله من كل عيب أو نقص، ونظن الخير كل الخير بهم وفيهم في كل حال.

وفي هامش ص ١١١ أقول: وليس في ذلك تشكيك مني في السنة، إنما علينا أن نتحرى الدقة فيما ينقل عن النبي ﷺ وعن آل بيته الكرام، والنظر إلى ما في كتب السير والتواريخ بالحذر حتى لا نكذب صدقًا ولا نصدق كذبًا، خصوصًا أن أغلب كتب التواريخ والسير تسوق الأخبار بلا أسانيد، وفي مثل هذه الأمور الحساسة وهي كتب مشوقة في قراءتها فيسهل انزلاق القارئ فيها، والله أسأل العصمة لنا ولكم وأن يرزقنا وإياكم حسن الختام بالموت على دين الإسلام آمين.

أما جويرية ﵂ فهي: برة بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية الخزاعية.

وكانت قبله عند ابن عمر لها يقال له: مسافع بن صفوان بن ذي الشقر بن أبي سرح المصطلقيّ. وكان سبب تزوجها: أن النبي ﷺ أصابها في غزوة بني المصطلق بالمريسيع فصارت لثابت بن قيس بن شماس ولابن عم له، فكاتباها، فأتت النبي ﷺ تسأله في مكاتبتها، فدخلت على عائشة ﵂ ورسول الله ﷺ داخل، فقالت عائشة ﵂: فساءني ما رأيت منها، وعلمت أن رسول الله ﷺ سيرى فيها ما رأيت،

[٤٨/أ] الثانية

فخرج رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، أنا بنت سيد قومه الحارث بن ضرار وقد أصابني ما رأيت، وصرت حيث بلغك، فأعني على مكاتبتي أعانك الله، فقال لها: «أو خير من ذلك؟ أشتريك وأعتقك وأتزوجك؟» قالت: نعم، فتزوجها ﷺ، فلم تبق امرأة من سبي بني المصطلق عند أحد من أصحابه إلا خلى سبيلها وقالوا: قد صاهر إليهم رسول الله ﷺ فلا ينبغي لنا أن نمسكهن. قالت عائشة ﵂ : فما رأيت امرأة أعظم بركة على قومها منها.

وماتت جويرية في سنة سبع وخمسين، وصلى عليها مروان بن الحكم.

قال محققه: وفي هذه القصة أيضًا طعن في السيدة عائشة ﵂ وفي رسول الله ﷺ وراجع ما سبق أن قلته في ترجمة التي قبلها وتحرَّ قبل أمور دينك وصن عرض نبيك وعرض آل بيته ﷺ.

أما رملة ﵂ فهي: أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية. وأمها: صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش بن رئاب فولدت له جارية فسمتها حبيبة فبها كنيت أم حبيبة. فتزوج حبيبة داود بن عبد عروة بن مسعود بن معتب الثقفي.

وكان عبيد الله هاجر بها إلى الحبشة فكانت معه هناك، فتنصر عبيد الله بعد إسلامه ومات عنها، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى الحبشة فزوجه إياها، وكان ذلك حين افتتح مكة، وقد كان نزل عليه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧]، فكانت المودة؛ تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلان أبو سفيان لرسول الله ﷺ فتلك المودة.

قال: ولما خطب النبي ﷺ أم حبيبة دعا النجاشي أصحاب النبي ﷺ الذين عنده فقال: من أولاكم بهذه المرأة؟ فقال خالد بن سعيد بن العاص بن أمية: أنا أولاهم بها، قال: فزوج نبيكم، قال: فزوجه، ومهر عنه النجاشي أربعمائة دينار.

ثم حملت إلى النبي ﷺ. وماتت أم حبيبة سنة تسع وخمسين رحمها الله.

أما سودة ﵂ فهي: بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك. وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو الخزرجية.

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، والسكران هو أخو سهيل بن عمرو.

وكانت قد رأت في المنام أن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطئ على عنقها، فأخبرت زوجها فقال لها: وأبيك لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنَّك محمد.

ثم رأت في المنام ليلة أخرى كأن قمرًا انقض عليها من السماء وهي مضطجعة، فأخبرت زوجها، فقال لها: وأبيك لئن صدقت رؤياك لا ألبث إلا يسيرًا حتى أموت، ثم تتزوجين بعدي. فاشتكى السكران من يومه، فلم يلبث إلا قليلًا حتى مات، فتزوجها النبي ﷺ، ثم طلقها تطليقة، وكانت قد كبرت، فبلغها ذلك، فجمعت ثيابها، ثم جلست على طريقة الذي يخرج منه إلى الصلاة، فلما دنا منها بكت، ثم قالت: يا رسول الله هل غمصت عليَّ في الإسلام؟ فقال: «اللهم لا» قالت: فإني أسألك لما راجعتني، فراجعها، فقالت له: يا رسول الله، يومي لعائشة في رضاك لأنظر إلى وجهك، فوالله ما بي ما تريد النساء، ولكني أحب أن يبعثني الله في نسائك يوم القيامة. وكانت حاضنة ولده ﷺ.

قال محققه: وتوفيت رحمها الله تعالى آخر خلافة عمر بن الخطاب ﵁. وقيل: توفيت سنة (٥٤) ورجح ذلك الواقدي.

حكى السعد[(١)]: أن أول من أظهر الخلاف في علم أصول الدين: رئيس المعتزلة: واصل بن عطاء[(٢)].

وكان في مجلس الحسن البصري[(٣)]، فقال رجل: يا إمام الدين، زعم أناس كفر من فعل

---

(١) السعد: هو: مسعود بن عبد الله بن محمد التفتازاني وقد سبق ترجمته بأول الكتاب.

(٢) هو واصل بن عطاء أبو حذيفة، المخزومي مولاهم البصري، الغزال، المدني، الأفوه، المعتزلي، المتكلم، البليغ. ولد سنة (٨٠هـ)، وتوفي سنة (١٣١هـ).

هو علم مشهور كتبت في سيرته الكتب وترجمت له المصادر العديدة التي منها:

«ديوان الإسلام» (ت ٢١٦٥)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٩٩)، «الأعلام» (٨/ ١٠٨)، «معجم المؤلفين» (١٣/ ١٥٩)، «معجم الأدباء» (١٩/ ٢٤٣)، «آمالي المرتضى» (١/ ١٦٣)، «وفيات الأعيان» (٦/ ٧)، «تاريخ الإسلام» (٥/ ٣١٠)، «ميزان الاعتدال» (٤/ ٣٢٩)، «لسان الميزان» (٦/ ٢١٤)، «مرآة الجنان» (١/ ٢٧٤)، «النجوم الزاهرة» (١/ ٣١٣)، «الفرق بين الفرق» (١١٧)، «شذرات الذهب» (١/ ١٨٢)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٦٤) وفيه:

البليغ الأفوه أبو حذيفة المخزومي مولاهم البصري، الغزال، وقيل: ولاؤه لبني ضبة.

مولده سنة ثمانين بالمدينة، وكان يلثغ بالراء غينًا، فلاقتداره على اللغة وتوسعه كان يتجنب الوقوع في لفظة فيها راء كما قيل: وخالف الراء حتى احتال للشعر.

وهو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال، طرده الحسن عن مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، فانضم إليه عمرو، واعتزلا حلقة الحسن، فسموا: المعتزلة، قال شاعر:

وجعلت وصلى الراء لم تلفظ به وقطعتني حتى كأنك واصل

وقيل: لواصل تصانيف. وقيل: كان يجيز التلاوة بالمعنى، وهذا جهل، وقيل: عرف بالغزال لتردداه إلى سوق الغزل ليتصدق على النسوة الفقيرات.

جالس أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم لازم الحسن. وكان صموتًا طويل الرقبة جدًا.

وله مؤلف في التوحيد، وكتاب: المعتزلة بين المنزلتين.

قلت: وجمعت أسماء مؤلفاته بهامش «ديوان الإسلام» فكانت على النحو التالي:

١ - معاني القرآن. ٢ - أصناف المرجئة.

٣ - السبيل إلى معرفة الحق. ٤ - طبقات أهل العلم والجهل.

٥ - الخطب (في التوحيد والعدل). ٦ - كتاب التوبة.

٧ - كتاب الخطبة (التي أخرج منها الراء). ٨ - كتاب الدعوة.

٩ - كتاب ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد. ١٠ - كتاب المنزلة بين المنزلتين.

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن (يسار) أبو سعيد، البصري، الأنصاري مولاهم.

الشهرة: الحسن البصري. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر.

وتوفي سنة (١١٠هـ) وقد قارب التسعين سنة. وهو علم مشهور من أعلام الفقه والحديث، ترجمت له: المصادر العديدة التي منها:

«موسوعة رجال الكتب التسعة» تأليفي مع آخر (ت ١٦٥٦)، «ديوان الإسلام» (ت ٧٢٣)، «تهذيب الكمال» (١/ ٢٥٥)، «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٦٣)، «تقريب التهذيب» (١/ ١٦٥)، «الخلاصة» (١/ =

كبيرة. وقال آخرون: لا تضر مع الإيمان معصية أصلًا، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

فما الحق في ذلك؟

فأطرق الإمام مليًّا لينظر في المسألة، فأسرع واصل بإثبات المنزلة بين المنزلتين وعقد له مجلسًا لأسطوانة وقال: الناس ثلاثة أقسام:

مؤمن، وكافر، ولا مؤمن ولا كافر.

فقال الحسن: اعتزلنا واصل.

ثم تعاظم الأمر لما عرَّب المأمون العلوم الفلسفية وطلبها من اليونان فضنوا بها ثم قالوا:

= ٢١٠)، «الكاشف» (١/ ٢٢٠)، «تاريخ البخاري الكبير» (٢/ ٢٨٩)، «الجرح والتعديل» (٣/ ١٧٧)، «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٨٣)، «لسان الميزان» (٢/ ١٩٩)، «طبقات خليفة» (١٧٢٦)، «أخبار القضاة» (٢/ ٣)، «حلية الأولياء» (٢/ ١٣١)، «طبقات ابن سعد» (٩/ ٤٩)، «الثقات» (٤/ ١٢٢)، «طبقات المدلسين» (٦٨، ٧٥)، «هدية العارفين» (١/ ٢٦٥)، «الأعلام» (٢/ ٢٢٦)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٦٣)، «الزهد لأحمد» (٢٥٨)، «المعارف» (٤٤٠)، «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٢)، (٣/ ٣٣٨) «ذيل المذيل» (٦٣٦)، «ذكر أخبار أصبهان» (١/ ٢٥٤)، «فهرست ابن النديم» (٢٠٢) «طبقات الفقهاء» للشيرازي (٨٧)، «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٦١)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٦٩)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٦٦)، «البداية والنهاية» (٩/ ٢٦٦)، «غاية النهاية» (ت ١٠٧٤)، «طبقات المفسرين» (١٤٧/ ١)، شذرات الذهب (١/ ١٣٦).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»:

أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر، كعب بن عمرو السلمي، قاله عبد السلام بن مطهر، عن غاضرة بن قرهد العوفي، ثم قال: وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، ويقال: كان مولى جميل بن قطبة. ويسار أبوه من سبي ميسان، سكن المدينة وأعتق وتزوج بها في خلافة عمر فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر. واسم أمه: خيرة.

ثم نشأ الحسن بوادي القُرى، وحضر الجمعة مع عثمان وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار وله يومئذ (١٤ سنة) قال حجاج بن نصير: سُبيت أم الحسن البصري من ميسان وهي حامل به وولدته بالمدينة. قال محمد بن سلام: حدثنا أبو عمرو الشعاب بإسناده قال: كانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة، فيبكي وهو طفل فتسكته أم سلمة بثديها، وتخرجه إلى أصحاب رسول الله ﷺ وهو صغير، وكانت أمه منقطعة إليها، فكانوا يدعون له، فأخرجته إلى عمر، فدعا له وقال: اللهم فقه في الدين وحببه إلى الناس.

وكان سيد أهل زمانه علمًا وعملًا، وروي: أنه ثدي أم سلمة در عليه ورضعها غير مرة.

قال قتادة: ما جمعت علم الحسن إلى أحد من العلماء إلا وجدت له فضلًا عليه، غير أنه إذا أشكل عليه شيء كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله، وما جالست فقيهًا قط إلا رأيت فضل الحسن.

وقال معاذ بن معاذ: قلت للأشعث: قد لقيت عطاء وعندك مسائل أفلا سألته؟! قال: ما لقيت أحدًا بعد الحسن إلا صغر في عيني. وقال أبو هلال: كنت عند قتادة فجاء الخبر بموت الحسن، فقلت: لقد كان غُمس في العلم غمسة. قال قتادة: بل نبت فيه وتحقبه وتشربه والله لا يبغضه إلا حروري.

أرسلوها لهم فإنها ما دخلت بين قوم إلا وأفسدت عليهم أمور دينهم. اهـ.

وممن ضل ضلالًا بعيدًا: السوفسطائية، فإن منهم عنادية، وهؤلاء جزموا بنفي العالم الذي يستدل به على وجود الصانع.

وعنادية هؤلاء قالوا: الأشياء تابعة لما عند المعتقد تمسكًا بما يتفق كخلل حس الصفراوي حيث يجد السكر مُرًّا. وتناقض كلًّا منهما.

فإن الأولى: أثبتت حقيقة النفي.

والثانية: الاعتقاد.

ولا أدريه، وهؤلاء يزال أحدهم شاكًّا في الأشياء وشاكًّا في أنه شاك.

وهؤلاء من المجانين، لا مناظرة معهم إلا بالتعذيب حتى يعترفوا بتحقيق الألم كغيره أو يموتوا.

وهؤلاء الفرق الثلاثة رد عليهم النسفي(١) في «عقائده» بقوله: قال أهل الحق: حقائق الأشياء ثابتة خلافًا للسوفسطائية.

واعلم: أن معرفة الله تعالى كما تحصل بالعلم والاستدلال تحصل بالكشف والإلهام، ولذلك قال العارف: [٤٦/ ب] ابن عطاء الله في «الهبات والحكم»: متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟

لكن طريق العلم أنسب بعامة الأمة(٢).

---

(١) هو: إبراهيم بن معقل بن الحجاج، أبو إسحاق، النسفي القاضي، توفي سنة (٢٩٥هـ).

جاءت ترجمته في مصادر منها:

«تاريخ ابن عساكر» (٢/ ٢٧٥)، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٨٦)، «العبر» (٢/ ١٠٠)، «الوافي بالوفيات» (٦/ ١٤٩)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ١٦٤)، «طبقات الحفاظ» (٢٩٨)، «طبقات المفسرين» (١/ ٢٢)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢١٨)، «تهذيب بدران» (٢/ ٢٠٠)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٩٣) وفيه: الإمام الحافظ الفقيه القاضي أبو إسحاق النسفي قاضي مدينة نسف التي يقال لها أيضًا: نخشب. له رحلة واسعة.

قال أبو يعلى الخليلي: هو ثقة حافظ، مات في سنة خمس وتسعين ومائتين في ذي الحجة. قلت: (أي الذهبي): له:

- المسند الكبير. - التفسير.

وغير ذلك، وحدث بـ: «صحيح البخاري» عنه، وكان فقيهًا مجتهدًا.

(٢) ابن عطاء هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله السكندري (راجع سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٥) وقد سبق ترجمته.

أما قول المؤلف: «تحصل بالكشف»، فهذا قول عار عن الحقيقة العلمية الدالة على الأصل المتبع في الدين من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

=

قال حجة الإسلام الغزالي[١]: في كتابه «إحياء علوم الدين»: مَثَلُ أهل الظاهر كمن أجرى الماء لحوضه بجدول أعلاه، فإنه وإن لم يسلم الماء من تعفيش الأتربة من الهواء والمارة ونحو ذلك، لكن يسهل مزاولته برأي العين.

ومثل أهل الباطن: كمن سَدَّ الحوض من أعلاه، وأراد أن ينبع الماء من طريق تحت الأرض، فإنه وإن عسر ذلك، وربما زاغ الماء فلم يدرك طريقه لكن ماؤه يخرج أصفى وأبعد عن القذر، والجمع أكمل، والله أعلم.

واعلم أيضًا: أن معرفة الله سبحانه وتعالى لا تجب على المكلف إلا بالشرع لا بالعقل خلافًا للمعتزلة كما تقدم. قال الشيخ عبد السلام في شرح قول «الجوهرة»:

فكل من كلف شرعًا واجبًا ... عليه أن يعرف ما قد وجبا

إلى آخره.

والمكلف: هو: البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة، فمن لم تبلغه الدعوة لا يجب عليه ما ذكر على الأصح، ولا يعذب ويدخل الجنة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٦].

وقال الحافظ في «الإصابة»: ورد من عدة طرق في حق الشيخ الهرم ومن مات في الفترة، ومن ولد أكمه أعمى أصم، ومن ولد مجنونًا أو طرأ عليه الجنون قبل أن يبلغ ونحو ذلك، أن كلًّا منهم يدلي بحجة ويقول: لو عقلت أو ذكرت لآمنت، فترفع لهم نار ويقال لهم: «ادخلوها»، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن امتنع أدخلها كرهًا.

والمراد بالأكمه: الذي لا يدري أين يتوجه، وهو الأحمق والمعتوه المصرح به في الحديث [٤٩/ أ]، والله أعلم. اهـ.

وقوله: (البالغ): هو في حق الإنس، وأما الجن فمكلفون من أصل الخلقة.

قال المصرفي في شرحه عن أبي منصور -يعني الماتريدي- والحنفية: أن الصبي مكلف بالإيمان بالله.

قال: وحملوا رفع القلم عن الصبي على غير الإيمان من الشرعيات.

=

فالعلماء والبسطاء سواء في ذلك وأنسب لهم، يكفيهم قول ربهم، أما ما ذهب هو إليه من أن الكشف يكون لجماعة من الناس دون جماعة فهذا اجتهاد منه يقبله من يشاء ولكن ليس عليه دليل لا من كتاب ولا من سنة صحيحة وإنما نأخذ ديننا من هذين المصدرين المعتمدين من الله تعالى ومن رسوله الكريم ﷺ، وما دون ذلك فلا يخصنا في شيء.

(١) الغزالي هو: أبو حامد المشهور، وقد سبق ترجمته في أوائل هذا الكتاب.

قلت: ولا يعول على ظاهر هذا، فإن جمهور أهل العلم على نجاة الصبيان مطلقًا، وهم في الجنة ولو أولاد الكفار.

وقوله: (العامل): خرج به المجنون والسكران غير المتعمد، أما المتعمد فيستصحب عليه حكم تكليفه الأصلي لتعديه.

وقوله: (ولا يعذب): أي لأن الله تعالى وإن كان لا يُسأل عما يفعل في ملكه ما يشاء ولكن بمقتضى سبق رحمته لا يقع منه ما تحتار فيه العقول كل الحيرة، فضلًا منه تعالى ورحمة، ويرحم الله البوصيري حيث يقول:

لم يمتحنا بما تعيى العقول به   حرصًا علينا فلم نربت ولم نهم

وانظر إلى آية: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]. وآية ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولاً﴾ [طه:١٣٤].

وأما حديث البخاري في التوحيد: «إن الله ينشئ للنار خلقًا» (١).

قال ابن حجر (٢) عن القابسي (٣): المعروف فيه: أن الله ينشئ للجنة.

---

(١) هذا الخبر من الأخبار المطعون فيها وإن كان مما ذكره البخاري، ومعلوم لدى أهل العلم أن بصحيح البخاري عدد من الأحاديث غير صحيح دافع ابن حجر رحمه الله تعالى عن بعضها ولم يجد للبعض الآخر دفاع، وليس معنى ذلك أن البخاري رحمه الله قد أهمل، ولكنه بشر بذل جهده في إخراج الأحاديث على قدر ما أمكنه «صحيحه»، ولكن لابد أن يعتري عمل البشر النقص.

(٢) سبق ترجمته فيما مضى.

(٣) هو: علي بن محمد بن خلف، أبو الحسن، القابسي، المعافري، القروي، المالكي، الحافظ الفقيه، الشهرة: القابسي. ولد سنة (٣٢٤هـ) وتوفي سنة (٤٠٣هـ) في ربيع الآخر.

جاءت ترجمته في:

«ديوان الإسلام» (ت ١٦٧٨)، «معجم المؤلفين» (٧/ ١٩٤)، «الأعلام» (٤/ ٣٢٦)، «هدية العارفين» (١/ ٦٨٥)، «كشف الظنون» (١٩٠٨)، «إيضاح المكنون» (٢/ ١٥٦٦)، شذرات الذهب (٣/ ١٦٨)، «النجوم الزاهرة» (٤/ ٢٣٣)، «البداية والنهاية» (١١/ ٣٥١)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٢٠)، «ترتيب المدارك» (٤/ ٦١٦)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٧٩)، «معالم الإيمان» (٣/ ١٦٨)، «دول الإسلام» (١/ ٢٤٢)، «العبر» (٣/ ٨٥)، «نكت الهميان» (٢١٧)، «الديباج المذهب» (٢/ ١٠١)، «شجر النور الزكية» (١/ ٩٧)، «غاية النهاية» (١/ ٥٦٧)، «طبقات الحفاظ» (٤١٩)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٥٨)

وفيه:

الإمام الحافظ الفقيه العلامة، عالم المغرب، صاحب «الملخص».

كان عارفًا بالعلل والرجال، والفقه والأصول والكلام، مصنفًا يقظًا دينًا تقيًا، وكان ضريرًا، وهو من أصح العلماء كتابًا، كتب له ثقات أصحابه، وضبط له بمكة «صحيح البخاري» وحرره وأتقنه رفيقه الإمام أبو محمد الأصيلي. وقال أبو حاتم الأطرابلسي: كان أبو الحسن القابسي زاهدًا ورعًا يقظًا، لم أر =

وجزم ابن القيم[(١)] بأنه غلط.

بالقيروان إلا معترفًا بفضله، تفقه عليه أبو عمران القابسي، وأبو القاسم اللبيدي، وعتيق السوسي وغيرهم، ألف تواليف بديعة ككتاب «الممهد» في الفقه وغير ذلك.

وتوفي في ربيع الآخر بمدينة القيروان، وبات عند قبره خلق من الناس، وضربت الأخبية ورثته الشعراء سنة ثلاث وأربعمائة. وقد أخذ القراءة عرضًا بمصر عن أبي الفتح بن بدهن، وأقرأ الناس بالقيروان دهرًا، ثم قطع الإقراء لما بلغه أن بعض أصحابه أقرأ الوالي، ثم أعمل نفسه في درس الفقه والحديث حتى برع فيهما وصار إمام العصر.

أثنى عليه بأكثر من هذا أبو عمرو الداني وقال: كتبنا عنه شيئًا كثيرًا، وبقي في الرحلة خمس سنين ورد سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. وقيل له: «القابسي» لأن عمه كان يشد عمامته شدة قابسية فاشتهر لذلك بالقابسي.

قال محققه: وقد جمعت أسماء كتبه في هامش كتاب «ديوان الإسلام» فكانت على النحو التالي:

١- الممهد (في الفقه وأحكام الديانة كبير جدًا). ٢- المنقذ من شبه التأويل.

٣- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين.

٤- ملخص الموطأ (الملخص في تلخيص القبس في شرح الموطأ لأبي بكر المعافري).

٥- المنبه للفطن من غوائل الفتن. ٦- مناسك الحج.

٧- رتب العلم وأهله. ٨- رسالة تزكية الشهود وتجريحهم.

٩- الرسالة الناصرة. ١٠- رسالة أحمية الحصون.

١١- رسالة الاعتقادات. ١٢- رسالة الذكر والدعاء.

(١) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (سعيد) بن حريز، أبو عبد الله الزرعي، الدمشقي، الفقيه، الحنبلي، شمس الدين، المفسر، النحوي الأصولي، المتكلم.

الشهير بـ: ابن القيم الجوزية. ولد سنة (٦٩١هـ)، وتوفي سنة (٧٥١هـ) في ١٣ رجب.

هو علم من أشهر الأعلام وفقيه من أشهر الفقهاء، كتبت في سيرته الكتب، وله مصنفات كثيرة جدًا، ذكر في كثير من كتب التراجم التي منها:

«ديوان الإسلام» (١٧٢٩)، «هدية العارفين» (٢/ ١٥٨)، «الأعلام» (٦/ ٥٦)، «معجم المؤلفين» (٩/ ١٠٦)، «كشف الظنون» (٨٩ وغير ذلك كثير)، «وإيضاح المكنون» (١/ ٢٧١ وغير ذلك)، «النجوم الزاهرة» (١/ ٢٤٩)، «الدرر الكامنة» (٣/ ٤٠٠)، «البدر الطالع» (٢/ ١٤٣)، «بغية الوعاة» (ت: ١١١)، «روضات الجنات» (٢٠٥)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ٢٧٠)، «المجددون في الإسلام» (٣٠٢)، «شذرات الذهب» (٦/ ١٦٨)، «في وفيات سنة» (٧٥١هـ)، فمما قال في ترجمته:

الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق، المفسر، النحوي، الأصولي المتكلم الشهير بـ: ابن القيم الجوزية.

قال ابن رجب: شيخنا ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، وسمع من الشهاب النابلسي وغيره، وتفقه في المذهب وبرع وأفتى ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفًا بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيه المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله والعربية وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام وغير ذلك.

وعالمًا بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ومتونه وبعض رجاله.

=

وقال جماعة: هو مقلوب، ولا يحتج به للاختلاف في لفظه، ولا يظلم ربك أحدًا.

فالمعول عليه كما في حاشية شيخ الإسلام الملوي [(١)]:

أن النار تمتلئ من إبليس وأتباعه، كما أخبر تعالى بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٥].

ولا ينشئ للنار خلقًا جديدًا، بل للجنة على ما ورد.

نعم يضع الرحمن قدمه في النار فتقول: قط قط قط.

[٤٩/ب] وتأويل وضع القدم: التجلي عليها بصفات الجلال، والنظر إليها بعين عظمته تعالى حيث تقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠] فتنزوي إذ ذاك وتتواضع. وعلى فرض صحة أن الله تعالى ينشئ للنار خلقًا فيحمل الإنشاء على إخراجهم من الخلق كما في حديث إظهار بعث

=

وقد حبس مدة لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل، وتصدر للأشغال ونشر العلم.

وقال ابن رجب: وكان ﷺ ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى وتأله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك ولا رأيت أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعاني القرآن والحديث وحقائق الإيمان منه، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله، وقد امتحن وأوذي مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه مشتغلًا بتلاوة القرآن، وبالتدبر والتفكر، ففتح عليه في ذلك خير كثر وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم وتصانيفه ممتلئة بذلك.

وحج مرات كثيرة وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة أمرًا يتعجب منه.

ولازمت مجالسه قبل موته أكثر من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السُّنة، وأشياء من تصانيفه وغيرها.

وأخذ عنه العلم خلق كثير من حياة شيخه وإلى أن مات، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه ويسلمون له كابن عبد الهادي وغيره.

وقال القاضي برهان الدين الزرعي عنه: ما تحت أديم السماء أوسع علمًا منه، ودرَّس بالصدرية، وأَمَّ بالجوزية مدة طويلة، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة، وصنف تصانيف كثيرة جدًّا في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته، وتصنيفه واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لا يحصل لغيره فمن تصانيفه: كتاب «تهذيب سنن أبي داود»،...

قال محققه: وقد ذكرت أسماء كتبه بهامش كتاب «ديوان الإسلام» وقد بلغت قائمة كتبه إلى ست وستين كتابًا في فنون شتى من علوم الشرع.

(١) هو: أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف وقد سبق ترجمته، وراجع «معجم المؤلفين» (١/ ٢٧٨).

النار من بين أهل الموقف، لا أنه إيجاد لقوم لم يعصوا[(١)].

وقوله: «ويدخل الجنة» أي بمحض فضل الله تعالى، فليس ثوابًا إذ لا عمل، فلا ينافي تقدير: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ [الإسراء:١٥] أي: ولا مثيبين، وهذا عطف على النفي لا على المنفي، إذ الحق أنه لا واسطة بين الجنة والنار، وأهل الأعراف مصيرهم إلى الجنة.

وقوله: «الحافظ» يعني: ابن حجر العسقلاني.

و «الإصابة»: اسم كتاب له يقال له: «الإصابة في تمييز[(٢)] الصحابة».

وقوله: «الشيخ الهرم»: أي: الذي أدركته البعثة بعد أن رُدَّ إلى أرذل العمر وذهب عقله حتى صار لا يعلم بعد علم شيئًا.

وقوله: «الفترة»: بفتح الفاء، وسكون المثناة: ما بين النبيِّين من الفتور، وهو: الغفلة والترك، لأنهم تركوا بلا رسول.

وأما الخلقة: فيقال فيها: فطرة بكسر الفاء والطاء. وأما الفقرة: بفتح الفاء وسكون القاف فهي في السجع كشطر البيت في النظم.

وقوله: «فترفع لهم نار» أي: جهنم أو غيرها، ويحتمل خلود الآبين فيها، وعدمه يحتاج لتصحيح نقل صريح[(٣)].

ثم هذا ليس أمر تكليف بدخولها إذ لا تكليف في الآخرة وإنما هو قهر وجبر كما في حاشية الملوي[(٤)]؛ أي: لأن المولى في ذلك اليوم كما في «الصحيح» يغضب غضبًا ما غضب مثله قط فلا يسأل عما يفعل. وهذا هو الذي يذيب الكبود.

وبعد: فكلام ابن حجر هذا مقابل للأصح كما في حاشية شيخنا.

[٥٠/ أ] والحق أن أهل الفترة ناجون، وأطلق الأئمة: ولو غيروا وبدلوا وعبدوا الأصنام،

---

(١) هذا تعليل أو تعليق أو تلفيق لا أراه دقيقًا وإنما نكل أمر الآخرة وما يدور فيها إلى أمرين اثنين:
ما ورد نصًّا صريحًا في القرآن الكريم، وهذا ما لا شك فيه.
وما ثبت ثبوتًا قويًا من الأحاديث النبوية الشريفة.
الأمر الثاني: إيماننا بأن هذا اليوم يكون فيه من الأمور التي لم يحط بها علمنا، فلماذا نحاول استقراء الغيب بعقولنا الناقصة ونتحدث فيما ليس لنا به علم وشاءت إرادته سبحانه وتعالى أن يخفيه عنا فمن كان إيمانه صحيحًا فلا يطرق هذه السبل.

(٢) في المخطوط: «معرفة». والتصويب من المطبوع للكتاب.

(٣) انظر إلى رده على نفسه إذًا فلماذا تفسير التفسير فيتوه القارئ أو الباحث عن الحق بين قول هذا وشرح ذاك والكل مبني على ظن وتخمين، فخروجًا من هذا كله هو: الاكتفاء بما صرح به القرآن الكريم وصح من حديث رسول الله ﷺ صحة لا يختلف فيها اثنان.

(٤) سبق التعريف به قبل قليل والترجمة له قبل ذلك؟

كما في حاشية الملوي، وما ورد في بعضهم من العذاب، إما أنه آحاد لا يعارض القطع، أو أنه لمعنى يخص ذلك البعض يعلمه الله تعالى.

إذا كان هذا في أهل الفترة عمومًا، فأولى نجاة والديه ﷺ، فإنه لا يحل إلا في شريف عند الله تعالى، والشرف لا يجامع كفرًا.

قال المحققون: ليس له أب كافر.

وأما آزر: فكان عم إبراهيم ﷺ فدعاه بالأب على عادة العرب، أو أبوه فيكون جدًّا للنبي ﷺ ولم يسجد للصنم بل كان يصنعه لقومه، فلما أعان على عبادته أسندها له وقال: ﴿لِمَ تَعْبُدُ﴾ [مريم: ٤٣].

وما في «الفقه الأعظم» لأبي حنيفة(١): أنهما ماتا على الكفر، فإما مدسوس عليه، بل نوزع في نسبة الكتاب من أصله له، أو يؤول بأنهما ماتا في زمن الكفر بمعنى الجاهلية وإن كانوا ناجين، وغلط الملاَّ عَلِيّ -يغفر الله له- ومن عجائب ما نسب له مع ذلك من إيمان فرعون اغترارًا بالظواهر في ذلك، ويرحم الله البوصيري حيث يقول:

لم تـــزل في ضـــمائر الكـــون تخـــتار لـــك الأمـــهـــات والآبـــــــاء

وما ورد من نهيه عن استغفاره لهما أو نحو ذلك فمحمول على أنه قبل إخباره بحالهما. أو لئلا يقتدي به أولاد من مضى من الكفار الإسرائيليين ونحوهم.

على أنه قيل: أحياهما الله تعالى زيادة في الفضل وآمنا به(٢). وأنشد الغيطي(٣) في المولد

---

(١) هو النعمان بن ثابت بن زوطي أبو حنيفة وقد سبق ترجمته.

(٢) بالله عليكم، أليس هذا تخبيطًا وتخليطًا وتشتيتًا وضربًا من الخبال، يجعل العالم فضلًا عن العامي في حيرة من أمره.

أيها العلماء، أيها الطلاب، أيها العوام، أفيقوا مما أنتم فيه من الغلو في محبة آل البيت حتى لا يجرفنَّكم تيار الهوى بدعوى الحب الزائد إلى عدم إحقاق الحق، فالحق أحق أن يتبع، ما ورد في كتاب الله تعالى هو الحق المبين، أكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم لا أقربهم منه ﷺ ولا أبعدهم عنه، إنما الميزان هو ما أقره الله تعالى ألا وهو التقوى، يرحم الله تعالى من أثاب وأناب إلى الحق، وجعلنا اللهم منهم.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر، الغيطي، السكندري، الشافعي، نجم الدين، ولد في أوائل العشر الأول من القرن العاشر، وقيل: (٩١٠هـ). وتوفي سنة (٩٨٤هـ).

جاءت ترجمته في عدة مصادر منها: «معجم المؤلفين» (٨/ ٢٩٣)، «الأعلام» (٦/ ٦)، «ديوان الإسلام» (ت ١٥٨٣)، «هدية العارفين» (٢/ ٢٥٢)، «كشف الظنون» (٣٣٦، ١٠٦٧)، «وإيضاح المكنون» (١/ ٢٩)، «الكواكب السائرة» (٣/ ٥١)، «شذرات الذهب» (٨/ ٤٠٦) وفيه:

الإمام، العلامة المحدث، المسند، شيخ الإسلام، ولد في أثناء العشر الأول من القرن العاشر، قال في «الكواكب»: كان رفيقًا لوالدي على والده وعلى القاضي زكريا، قرأ عليه البخاري ومسلم كاملين =

للحافظ الشمس بن ناصر الدين الدمشقي[(١)]:

=

و«سنن أبي داود» إلا يسيرًا من آخرها، وجمع عليه للسبعة، ولبس منه خرقة التصوف، وسمع على الشيخ عبد الحق السنباطي سنن ابن ماجه كاملًا، والموطأ وغير ذلك وقرأ عليه في التفسير، والقراءات والنحو والصرف وأذن له في الإفتاء والتدريس.

وقرأ وسمع على السيد كمال الدين بن حمزة لما قدم مصر، وقرأ على الكمال الطويل كثيرًا، وأجازه بالتدريس والإفتاء.

وأخذ عن الأمين بن النجار، والبدر المشهدي كثيرًا. وعن الشمس المدلجي، وأبي الحسن البكري وغيرهم. قال الشعراوي: أفتى ودرَّس في حياة مشايخه، بإذنهم، وألقى الله محبته في قلوب الخلائق فلا يكرهه إلا مجرم أو منافق، وانتهت إليه الرئاسة في علمي التفسير والحديث والتصوف، ولم يزل آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر يواجه بذلك الأمراء والأكابر، ولا يخاف في الله لومة لائم.

قال: وتولى مشيخة الصلاحية بجوار الإمام الشافعي، ومشيخة الخانقاه السرياقوسية وهما من أجلِّ وظائف مشايخ الإسلام من غير سؤال منه.

وأجمع أهل مصر على جلالته، وما رأيت أحدًا من أولياء مصر إلا يحبه ويجله. وذكره القاضي محب الدين الحنفي في رحلته إلى مصر فقال: وأما حافظ عصره ومحدث مصره، ووحيد دهره الرحلة الإمام والعمدة الهمام الشيخ نجم الدين الغيطي، فإنه محدث هذه الديار على الإطلاق جامع للكمالات الجميلة ومحاسن الأخلاق حاز أنواع الفضائل والعلوم واحتوى على بدائع المنثور والمنظوم، إذا تكلم في الحديث بلفظه الجاري أقر كل مسلم بأنه البخاري، أجمعت على صدارته في العلم علماء البلاد واتفقت على ترجيحه بعلو الإسناد. وقفت له على مؤلف سماه: القول القويم في إقطاع تميم. انتهى.

ومن مؤلفاته «المعراج» المتداول بأيدي الناس يقرؤه علماء الأزهر كل سنة في رجبها.

قال محققه: وجمعت كتبه في هامش «ديوان الإسلام» فكانت على النحو التالي:

١ - الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج.
٢ - الأجوبة المفيدة عن الأسئلة العديدة.
٣- بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الأولين والآخرين.
٤ - التأييدات العلية للأوقاف المصرية.
٥ - أسباب النجاح (في آداب النكاح).
٦ - التشنيب على ابن النقيب.
٧- تلخيص شهاب الأخبار للقضاعي.
٨- شرح الصدور بالشذور.
٩ - العقد الجامع في شرح در اللوامع نظم جمع الجوامع لوالده.
١٠ - فتح المغلق في تصحيح ما في الروضة من الخلاف المطلق.
١١ - الفوائد المنظمة والفوائد المحكمة فيما يقال في ابتداء تدريس الحديث الشريف. تتعلق بالبخاري.
١٢ - القول القويم في إقطاع تميم.
١٣ - اللمحة في اختصار الملحة.
١٤ - مواهب الكريم المنان في الكلام على ليلة النصف من شعبان، وفاتحة سورة الدخان.
١٥ - مشيخته.

(١) هو: محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد وقيل: محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن علي، أبو عبد الله، القيسي الدمشقي، شمس الدين الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي، ولد سنة (٧٧٧هـ) في أواسط المحرم بدمشق.

=

حبى الله النبي مزيـــد فضــــل على فضـــل وكـــان به رفـــات

=

توفي سنة (٨٤٢هـ) في (١٦ رجب وقيل: ربيع الآخر. جاءت ترجمته في العديد من المصادر التي منها: «ديوان الإسلام» (ت: ٢١١٨)، «هدية العارفين» (٢/ ١٩٣)، «الأعلام» (٦/ ٢٣٧)، «معجم المؤلفين» (٩/ ١١٢)، (١٠/ ٢٤٣)، «الضوء اللامع» (٨/ ١٠٩)، «شذرات الذهب» (٧/ ٢٤٣)، البدر الطالع (٢/ ١٩٨)، وقال ابن العماد في ترجمته في «شذرات الذهب»:

الشافعي، وقيل: الحنبلي، ولد في أواسط محرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة بدمشق، ونشأ بها وحفظ القرآن العزيز وعدة متون، وسمع الحديث في صغره من الحافظ أبي بكر بن المحب، وتلا بالروايات على ابن البانياسي ثم أكب على طلب الحديث، ولازم الشيوخ، وكتب الطباق، وسمع من خلق منهم:

بدر الدين بن قوام، ومحمد بن عوض، والعز الأبناسي، وابن غشم المرادي، والصدر المناوي، ونجم الدين بن العز، وبرهان الدين بن عبد الهادي وأبو هريرة ابن الذهبي، وخلائق يطول ذكرهم.

وأخبر السخاوي: أنه قرأ على ابن حجر، وابن حجر قرأ عليه.

ومهر في الحديث وكتب وخرج وعرف العالي والنازل، وخرج لنفسه ولغيره، وصار حافظ الشام بلا منازع، وأخذ العربية عن البانياسي وغيره. والفقه عن ابن خطيب الدهشة، والسراج البلقيني، وأجاز له بالقاهرة الحافظ الزين العراقي والسراج بن الملقن وغيرهما.

واشتهر اسمه وبعد صيته، وألف التآليف الجليلة. ثم سرد عددًا كبيرًا منها غير أنها لم تبلغ ما جمعت له في هامش «ديوان الإسلام» حيث بلغت قائمة مؤلفاته ما يقرب من الأربعين مؤلفًا وهي:

١ - إتحاف السالك براوة الموطأ عن مالك (وقد أعانني الله تعالى على تحقيقه في مجلد صغير).

٢ - إتحاف السامع بافتتاح الجامع في فضل الحديث وأهله.

٣ - الأحاديث الستة في معاني ستة من طريق رواة ستة عن حفاظ الستة عن مشايخ ستة بين مخرجها ورواتها ستة.

٤ - افتتاح القاري في شرح الجامع الصحيح للبخاري.

٥ - الإملاء الأنفس في ترجمة العسس.

٦ - الانتصار لسماع الحجار.

٧ - بديع البيان عن موت الأعيان على الزمان.

٨ - برد الأكباد عند فقد الأولاد.

٩ - بواعث الفكرة في حوادث الهجرة (منظومة).

١٠ - البيان في شرح بديع البيان (له).

١١ - الترجيح لحديث صلاح التسابيح.

١٢ - التلخيص لحديث أبي القميص.

١٣ - تنوير الفكرة في حديث بهز بن حكيم في حسن العشرة.

١٤ - توضيح المشتبه في المؤتلف والمختلف.

١٥ - الجامع للآثار.

١٦ - الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام كافر.

١٧ - رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة.

١٨ - رفع الفرع عن حديث أم زرع.

١٩ - زوال البوسى عمن أشكل عليه حديث لجاج آدم وموسى.

٢٠ - السراج الوهاج في ازدواج المعراج.

٢١ - شرح الإمام في حديث الأحكام.

٢٢ - شن الغارة في فضل زيارة المغارة.

=

[٥٠/ب] فأحيا أمه وكذا أبـــــاه لإيمان بــــه فضــــلًا منيفـــــا
فسلم فالقديم بـــــذا قديــــر وإن كان الحديث به ضعيفـــــا

اهـ. وكان هذا الحديث صح عند أهل الكشف، ولذلك قال بعضهم:

يقنتُ أن أبـــا النبي وأمـــــه أحياهما الرب الكريـــم البـــــاري
حتى شهدا له بصدق رسالتــــه صدق فتلك كرامة المختـــــاري
هذا الحديث ومن يقول بضعفـــــه فهو الضعيف عن الحقيقة عــــاري (١)

الثالثة:

قد تقدم أن معرفة الله سبحانه وتعالى واجبة بالشرع، وهي أول واجب على المكلف.

لكن لا يتوصل إليها إلا بالنظر فيجب بوجوبها لتوقفها عليه مع كونه مقدور المكلف، وكل ما هو كذلك فهو واجب، ولذا قال صاحب «الجوهرة»:

واجــزم بأن أول مــــا يجـــــب معرفة وفيـه خلــف منتصـــــب
فانظـــر لنفســك ثـــم انتقـــــل للعـــالم العلـــوي ثـــم السفـــلي
تجد به صنعًا بديـــع الحكـــــم لكن بـــه قـــام دليل العـــــدم
وكل مـــا جـــاز عليه العـــــدم عليه قطعـــًا يستحيل القـــــدم

والنظر لغة: الإبصار والفكر.

=

٢٣- طبقات الشيوخ (يعني شيوخه).
٢٤- الطلبة اللطيفة بأحاديث البصمة الشريفة.
٢٥- عرف العنبر في وصف المنبر.
٢٦- عقود الدرر في علوم الأثر (أرجوزة).
٢٧- اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق.
٢٨- اللفظ المحرم في فضل عاشور والمحرم.
٢٩- مجلس في ختم صحيح البخاري.
٣٠- مجلس في ختم صحيح مسلم.
٣١- مجلس في ختم الشفا.
٣٢- مجلس في فضل يوم عرفة.
٣٣- منهاج الأصول في معراج الرسول.
٣٤- منهاج السلامة إلى ميزان يوم القيامة.
٣٥- المورد الصادي في مولد الهادي.
٣٦- نشر النعمة بذكر الرحمة.
٣٧- مختصر ختم البخاري.
٣٨- نفحات الأخيار من مسلسلات الأخبار.

(١) سبحان الله! هل يطالب بالدليل المدعي أم المدعى عليه وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. فانظر إليه، يعرف أن الحديث ليس بصحيح ثم هو يصر على ما في رأيه، بل ويتهم من يطالب بالدليل بأنه لا حق له في ذلك وأن في إيمانه خلل!!

وعرفًا: أمور معلومة ليتوصل بها -أي: بترتيبها- إلى مجهول -أي: إلى علمه- كترتيب الصغرى مع الكبرى في قولنا: العالم متغير وكل متغير حادث فإنه موصل للعلم بحدوثه، أي: العالم المجهول قبل ذلك الترتيب.

فنتج من ترتيب هاتين المقدمتين: العلم بأن العالم حادث.

فإذا أردت أن تأتي بقياس مستنبط من نظرك في العالم لتتوصل به إلى تحقيق وجود صانعه قلت: العالم من عرشه لفرشه حادث. [٥١/ أ]، وكل حادث لابد له من محدث.

فينتج: العالم لابد له من محدث صانع حكيم وهو الله تعالى.

فانظر أيها المكلف إلى نفسك أي إلى حول ذاتك، فإنها أقرب الأشياء إليك؛ لقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]. ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [المؤمنون:١٢].

فتستدل بها على وجود صانعك وصفاته، فإنها مشتملة على سمع وبصر، وكلام، وطول وعرض، وعمق، ورضا، وغضب، وبياض، وحمرة، وسواد، وعلم، وجهل، ولذة، وألم، وغير ذلك مما لا يحصى.

وكلها متغيرة وخارجة من العدم إلى الوجود، ومن الوجود إلى العدم، وذلك دليل الحدوث، والافتقار إلى صانع حكيم، واجب الوجود، عام العلم، تام القدرة والإرادة، فتكون حادثة وهي قائمة بالذات لازمة لها، وملازم الحادث حادث أيضًا.

وكذلك تنظر إلى العالم العلوي والسفلي بما نظرت به لنفسك فتستدل به على وجود صانعك.

والعالم: هو ما سوى الله تعالى وصفاته من الموجودات سمي به لأنه علم على وجود الصانع تعالى:

وإلى ما ذكرنا أشار العارف ابن عطاء الله[1]. في حاشية العلامة بقوله:

ما أبينت لك المعالم إلا ... لتراها بعين من لا يراها

فارق عنها رقى من ليس يرضى ... حالة دون أن يرى مولاها

قال في «لطائف المنى»: أنه وجد بخط سيدي أبي العباس المرسي[2] هذه الأبيات:

(١) ابن عطاء الله السكندري سبق ترجمته، وهو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم، وراجع «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٥٥).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن بلال أبو العباس، المرسي، اللغوي، الأديب. توفي سنة (٦٠٤هـ) تقريبًا. جاءت ترجمته في عدة مصادر منها:

أعندك من ليلى حديث محرر فإيراده يحيى الرميم وينشر
فعهدي بها العهد القديم وإنني على كل حال في هواها مقصر
[٥١/ب] وقد كان منها الطيف قدمًا يزورني ولما يزر ما باله يتعذر
فهل بخلت حتى بطيف خيالها أم اعتل حتى لا يصح التصور
ومن وجه ليلى طلعة شمس تستضيء وفي الشمس أبصار الورى تتحير
وما احتجبت إلا برفع حجابها ومن عجب أن الظهور تستر
فالخلق آيات ودلائل وتصير بالقضاء قواطع وشواغل

فإنا لله وإنا إليه راجعون، اهـ. والله أعلم.

الرابعة:

قال العلامة في الحاشية عند قول «الجوهرة»:

وواجب إيماننا بالموت ويقبض الروح رسول الموت

ومما يسهل الموت وجميع ما بعده من الأهوال، ما ذكره السنوسي[(١)] وغيره: ركعتان ليلة الجمعة بعد المغرب بعد الفاتحة الزلزلة خمس عشرة مرة[(٢)].

وروي: أن سورتها تعدل نصف القرآن، وبذلك يدخل في الموكب الإلهي.

قال الشعراني[(٣)]: أوله الثلث الأخير إلا ليلة الجمعة فمن الغروب.

=

«معجم المؤلفين» (٢/ ٦٦)، «الوافي بالوفيات» (٦/ ١٣٩)، «روضات الجنات» (٦٩)، «كشف الظنون» (١٠٨)، (٨٠٩/ ١) «بغية الوعاة» (١/ ٣٦١/ ت ١-٧).

وفيه: قال ابن عبد الملك: كان عالمًا بالنحو واللغة والأدب وله:

«شرح الغريب المصنف». و«شرح الإصلاح» لابن السكيت. أفاد بذلك كله، وأحسن ما شاء وزاد ألفاظًا في الغريب. وكان يقرئ العربية والآداب.

وعليه قرأ المظفر عبد الملك، ونسب إليه ابن خلصة النحوي شرح أدب الكاتب، المسمى بالاقتضاب. وذكر أن ابن السيد البطليوسي أغار عليه وانتحله. ومات قريبًا من سنة ست وأربعمائة.

(١) سبق ترجمته.

(٢) ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ما هو الدليل على مثل هذه الصلاة من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، وهذا من الإخبار بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى أو يطلع عليه نبيًا ليخبر به أمته ليكلفهم به أو يحذرهم أو ينصحهم.

(٣) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن ذوقا بن موسى بن أحمد، السلطان، أبو المواهب،

=

=

أبو عبد الرحمن، الأنصاري، الشاذلي، المصري، الشافعي، الصوفي. الشهرة: الشعراني.
ولد سنة (٨٩٨هـ) في ٢٧ رمضان، وتوفي سنة (٩٧٣هـ).
وهو علم من أشهر أعلام الصوفية، وصاحب طبقاتهم المشهورة، ترجمت له العديد من المصادر وكتبت في سيرته الكتب ومما ترجم له فيها:
«ديوان الإسلام» (ت ١٢٧٥)، «هدية العارفين» (١/ ٦٤١)، «الأعلام» (٤/ ١٨٠)، «معجم المؤلفين» (٦/ ٢١٨)، كشف الظنون (١٢، وغير ذلك كثير)، «إيضاح المكنون» (١/ ٣٢٣)، «الكواكب السائرة» (٣/ ١٧٦)، «شذرات الذهب» (٨/ ٣٧٢)، وفيها:
الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراوي الشافعي: قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في «طبقاته»: هو شيخنا الإمام العالم العامل العابد الزاهد الفقيه، المحدث الأصولي الصوفي المربي المسلك من ذرية محمد ابن الحنفية.
ولد ببلده ونشأ بها ومات أبوه وهو طفل، ومع ذلك ظهرت فيه علامة النجابة ومخايل الرئاسة والولاية، فحفظ القرآن وأبا شجاع والأجرومية وهو ابن نحو سبع أو ثمان، ثم انتقل إلى مصر سنة إحدى عشرة وتسعمائة وهو مراهق، فقطن بجامع الغمري، وجد واجتهد فحفظ عدة متون منها: المنهاج والألفية والتوضيح والتلخيص والشاطبية، وقواعد ابن هشام، بل حفظ الروض إلى القضاء، وذلك من كراماته، وعرض ما حفظ على علماء عصره، ثم شرع في القراءة، فأخذ عن الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري، فقرأ عليه ما لا يحصى كثرة، منه: الكتب الستة، وقرأ على الشمس الدواخلي، والنور المحلي، والنور الجارحي، ومُلَّا علي العجمي، وعلى القسطلاني والأشموني، والقاضي زكريا والشهاب الرملي ما لا يحصى أيضًا.
وحبب إليه الحديث فلازم الاشتغال به، والأخذ عن أهله، ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين ولا لدونة النقلة، بل هو فقيه النظر صوفي الخبر، له دربة بأقوال السلف ومذاهب الخلف.
وكان ينهى عن الحط على الفلاسفة وتنقيصهم وينفر ممن يذمهم ويقول: هؤلاء عقلاء. ثم أقبل على الاشتغال بالطريق فجاهد نفسه مدة وقطع العلائق الدنيوية ومكث سنين لا يضطجع على الأرض ليلًا ولا نهارًا، بل اتخذ له حبلًا بسقف خلوته يجعله في عنقه ليلًا حتى لا يسقط.
وكان يطوي الأيام المتوالية، ويديم الصوم ويفطر على أوقية من الخبز، ويجمع الخروق من الكيمان فيجعلها مرقعة يستتر بها، وكانت عمامته من شراميط الكيمان وقصاصة الجلود، واستمر كذلك حتى قويت روحانيته فصار يطير من صحن الجامع الغمري إلى سطحه.
قلت: وهذه مبالغة من الكتاب لا تخلو منها كتب الصوفية فينتبه لذلك.
وكان يفتح مجلس الذكر عقب العشاء فلا يختمه إلا عند الفجر. ثم أخذ عن مشايخ الطريق وصحب الخواص والمرصفي والشناوي فتسلك بهم، ثم تصدى للتصنيف، فألف كتبًا منها:
مختصر الفتوحات، وسنن البيهقي الكبرى.
قلت: وقد جمعت مؤلفاته بهامش ديوان الإسلام ت ١٢٧٥ فبلغت خمسين مؤلفًا فراجعها في الموضع المشار إليه إن أحببت.
وحسدته طوائف فدسوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع وعقائد زائغة ومسائل تخالف الإجماع وأقاموا عليه القيامة وشنعوا وسبوا ورموه بكل عظيمة، فخذلهم الله وأظهره عليهم، وكان مواظبًا على
=

واعلم: أن العمل للثواب محمود جدًّا حيث قصد مجازاة الحق في تنزله لمن حضره الإطلاق لحضرة التقييد، مع أن أفعاله لا تعلل وعطاياه ليست لعوض، فالأدب التنزل لما رغب فيه فلا تكون العبادة حينئذ للثواب بل صار ملاحظة الثواب عبادة ثانية.

مع أن وصفك الحق الفقر لجميع ما كان من سيدك والمذموم الالتفات للثواب لغرض نفسي والمجال واسع، وما يعقلها إلا العالمون. انتهى.

وقال حجة الإسلام الإمام الغزالي[1] ﷺ ونفعنا الله به في كتابه «منهاج العابدين» في مبحث الإخلاص والرياء من الباب السادس في العقبة السادسة، وهي عقبة القوادح ما نصه:

فإن قلت: أكمل عمل يحتاج إلى إخلاص مفرد، فاعلم أنه [٥١/ أ] قد اختلف في ذلك.

فقيل: إنه يجب لكل عمل إخلاص مفرد.

وقيل: إنه يجوز تناول إخلاص واحد لجملة من العبادات.

أما العمل ذو الأركان كالصلاة والوضوء يكفيهما إخلاص واحد لأن بعضهما متعلق ببعض صلاحًا وفسادًا، فصارت كشيء واحد.

=

السنة مبالغًا في الورع مؤثرًا ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه متحملًا للأذى موزعًا أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسليك وإفادة.

واجتمع بزاويته من العميان وغيرهم نحو مائة فكان يقوم بهم نفقة وكسوة، وكان عظيم الهيبة وافر الجاه والحرمة، تأتي إلى بابه الأمراء، وكان يُسمع لزاويته دوي كدوي النحل ليلًا ونهارًا.

وكان يحيي ليلة الجمعة بالصلاة على المصطفى ﷺ ولم يزل مقيمًا على ذلك معظمًا في صدور الصدور إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته. ومن كلامه:

«دوروا مع الشرع كيف كان، لا مع الكشف فإنه يخطئ»، وقال: «ينبغي إكثار مطالعة كتب الفقه عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة من الطريق فمنعوا مطالعتها وقالوا: إنه حجاب جهلًا منهم».

وقال: «كل إنسان لا يعذب في النار. إلا من الجزء الناري الذي هو أحد أركان بدنه».

وقال: «ذهب بعض أهل الكشف إلى أن جميع الحيوان لهم تكليف إلهي برسول منهم في ذواتهم لا يشعر به إلا من كشف عن بصره، فإن لله حجة على خلقه، فلا يعذب أحدًا إلا جزاء فلا إشكان في إيلام الدواب».

وقال: «الجبر آخر ما تنتهي إليه المعاذير وذلك سبب مآل أهل الرحمة إلى الرحمة». وتوفي رحمه الله تعالى في سنة (٩٧٣هـ) ودفن بجانب زاويته بين السورين.

قلت: وقد صار قبره الآن داخل المسجد المعروف باسمه بالقاهرة والميدان الموجود به المسجد الآن. هو ميدان باب الشعرية لا نسبة إلى الشيخ ولكن لغرض آخر راجعه في كتب الخطط الخاصة بمصر أو القاهرة.

(١) سبق ترجمة الإمام الغزالي ﵀.

فإن قلت: أراد بعمله الخير نفعًا من الله تعالى، ولا يريد من الناس شيئًا من مدحه أو سمعة أو منفعة، يكون ذلك برياء، فاعلم أن ذلك محض الرياء.

قال علماؤنا رحمهم الله تعالى: الاعتبار كان مرادك من عمل الخير نفعًا دنيويًّا فإنه رياء سواء أردته من الله أو من الناس، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وليس الاعتبار بلفظة الرياء واشتقاقها من معنى الرؤية، وإنما سميت هذه الإرادة الفاسدة بهذا الاسم لأنها أكثر ما تقع وتكون من قبل الناس ورؤيتهم.

فإن قلت: إذا كان القصد من الدنيا التي تريدها من الله التعفف عن الناس والعُدة على عبادة الله تعالى يكون ذلك رياء؟

فاعلم: أن التعفف ليس في كثرة المال والجاه والحطام، وإنما هو في القناعة والثقة بكفاية الله تعالى.

وأما العدة على عبادة الله تعالى، فإذا كان مراده ذلك فلا يكون رياء، وكذلك ما يتصل بأمر الآخرة وأسبابها، ويصير قصده قطعًا لذلك، فإن أريد بعمل الخير هذا النوع لا تكون تلك الإرادة رياء، لأن هذه الأمور تصير بتلك النية خيرًا وتصير في حكم أعمال [٥١/ب] الآخرة، ولا يكون إرادة الخير رياء.

وكذلك إن أردت أن يكون لك تعظيم عند الناس أو محبة عند المشايخ والأئمة ويكون قصدك من ذلك التمكن من تأييد مذهب أهل الحق والرد على أهل البدع أو النشر للعلم أو حض الناس على العبادة ونحو ذلك دون أن تقصد بذلك شرف نفسك من حيث هي، أو دنيا تنالها، فإن هذه كلها إرادة شريفة ونيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الرياء، إذ المقصود منها أمر الآخرة بالحقيقة.

واعلم أني سألت بعض مشايخنا عن بعض ما يعتاد أولياؤنا من قراءة سورة الواقعة في أيام العسرة، أليس المراد بذلك أن يدفع الله تلك الشدة عنهم، ويوسع عليهم شيئًا من الدنيا على ما جرت به العادة، فكيف تصح إرادة متاع الدنيا بعمل الآخرة؟

فقال في جوابه رحمه الله كلامًا معناه: أن المراد منهم: أن يرزقهم الله تعالى القناعة أو قوتًا يكون لهم عدة على عبادة الله وقوة على درس العلم، وهذه من جملة إرادة الخير دون الدنيا.

واعلم: أن هذه السيرة -أعني قراءة هذه السورة عند الشدة في أمر الرزق والخصاصة- إنما هو شيء وردت به الأخبار المأثورة عن النبي ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم

أجمعين، حتى إن ابن مسعود [(١)] حين عوتب في أمر ولده إذ لم يترك لهم من الدنيا شيئًا، قال: لقد خلفت لهم سورة الواقعة.

---

(١) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، أبو عبد الرحمن الهذلي، حليف بني زهرة، المكي المهاجري الصحابي البدري، ابن أم عبد.
أمه: أم عبد الله بنت عبد ود بن سواءة. توفي سنة (٣٢هـ) وقيل: (٣٣هـ).
قيل: توفي بالمدينة، وقيل: بالكوفة، والأول أصح. وهو صحابي مشهور، أحد السبعة المشهورين، من المحدثين المكثرين، ترجمت له الكتب العديدة وذكر في مصادر كثيرة منها:
«أسماء الصحابة الرواة» بتحقيقي (ت ٨)، «أسد الغابة» (٣/ ٤٨٤)، «الإصابة» (٤/ ١٢٩)، «الثقات» (٣/ ١٠٨)، «الاستيعاب» (٦٥، ١٣٩)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٣٣٤)، «الأعلام» (٤/ ١٣٧)، «التاريخ الصغير» (١/ ٦٠)، «الجرح والتعديل» (٥/ ١٤٩)، «العبر» (١/ ٢٥)، «حلية الأولياء» (١/ ٣٧٥)، «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٦١)، «المنمق» (٢٩٥)، «تاريخ ابن معين» (٣/ ١٠٦)، «شذرات الذهب» (١/ ٤٢)، «التحفة اللطيفة» (٢/ ٤١٥)، «تهذيب الكمال» (٢/ ٧٤٠)، «تقريب التهذيب» (١/ ٤٧٠)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٢٧)، «معرفة القراء الكبار» (١/ ٣٣)، «غاية النهاية» (١/ ٤٥٨)، «عنوان النجابة» (١٢٧)، «الزهد الكبير» (١٢٤)، «طبقات الحفاظ» (٥، ١٢، ١٣)، «طبقات الشيرازي» (٤٣)، وغير ذلك كثير وكثير.
ومما قال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء» وهي ترجمة طويلة حوالي من أربعين صفحة.
الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، المكي، المهاجري، البدري، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا.
وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السلمي وعبيد بن نفلة، وطائفة. اتفقا له في «الصحيحين» على أربعة وستين حديثًا وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثًا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا، وله عند بقي بن مخلد بالمكرر ثمانمائة وأربعون حديثًا.
قلت: وفي أسماء الصحابة الرواية (٨٤٨) حديثًا على قول ابن حزم.
وعلى قول ابن الجوزي في «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٣٦٣) حديثًا وقال: قال أبو نعيم الأصبهاني: أسند عن النبي ﷺ نيفًا وثلاثمائة حديث. وقال ابن البرقي: الذي أحفظ عنه مائتان ونحو من ثلاثين حديثًا.
قال قيس بن أبي حازم: رأيته آدم خفيف اللحم. وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كان عبد الله رجلًا نحيفًا قصيرًا شديداً، شديد الأدمة وكان لا يغير شيبه.
وروى الأعمش عن إبراهيم قال: كان عبد الله لطيفًا فطنًا.
قلت - أي الذهبي -: كان معدودًا في أذكياء العلماء عن ابن المسيب قال: رأيت ابن مسعود عظيم البطن أحمش الساقين.
قلت - أي الذهبي -: وكان يعرف بأمه فيقال له: ابن أم عبد. روى عن علقمة عن عبد الله أنه قال: كناني رسول الله ﷺ أبا عبد الرحمن قبل أن يولد لي.
عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال عبد الله: لقد رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا.

-

ومن ذلك الأصل في السنة جرت هذه الخصلة في سير علمائنا رحمهم الله تعالى. وإلا فلا مبالاة لهم بحمد الله تعالى لشدة في أمر [٥٣/ أ] الدنيا أو سعة، وهم الذين يغتنمون ضيق الدنيا وعسرها ويتغالون في ذلك فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى منة عظيمة، ويخافون إذا بدا لهم من الله تعالى سعة من الدنيا التي لا يعدها أكثر الناس إلا الإحسان والنعمة أن يكون ذلك استدراجًا من الله تعالى ومصيبة.

كيف وبطانتهم الأشعار والطي في عموم الأحوال؟ ومقدموهم يقولون: الجوع رأس مالنا.. فهذا وضع مذهب أهل التصوف، وهو مذهبي ومذهب أشياخي وبذلك جرت سيرة سلفنا.

وأما تقصير بعض المتأخرين فلا يغتر به، وإنما ذكرنا هذا الفصل لئلا يغمز فيهم مخالف جهلًا منه بمقاصد القوم في أمورهم أو يغلط فيهم مبتدئ سليم الصدر لم يأخذ من العلم حقه.

فإن قيل: كيف يليق هذا بحال أهل العلم والتجرد ذوو الزهد وأرباب الصبر والرياضة؟

فاعلم أن: هذا شيء مأخوذ من السنة، ثم المقصود حصول القناعة والعدة لا اتباع الشره والشهوة والضعف عن احتمال العشرة والشدة.

وأكثر ما يروى في عقب ذلك قناعة القلب، وفقد كلب الجوع وضعفه وسلوة عن الطعام ونهمته، وقد علم ذلك من امتحنه. فاعلم هذه الجملة موفقًا إن شاء الله تعالى.

ثم قال بعد مباحث أخر:

ثم رأيت أن أثبت ها هنا الخبر المأثور عن الصادق المصدوق صلوات الله عليه وعلى آله وسلامه وقد ذكرناه في غير كتاب واحد: روي عن ابن المبارك (١) رحمه الله تعالى عن رجل -

---

=

قال ابن إسحاق: أسلم ابن مسعود بعد اثنتين وعشرين نفسًا. وعن يزيد بن رومان: أسلم ابن مسعود قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

روى ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ: عبد الله بن مسعود.

أبو بكر عن عاصم عن زر قال: أول من قرأ آية عن ظهر قلبه عبد الله بن مسعود.

قلت - أي الذهبي -: هذا مؤول، فقد صلى قبل عبد الله جماعة بالقرآن.

شعبة: عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص: سمعت أبا مسعود، وأبا موسى حين مات عبد الله بن مسعود، وأحدهما يقول لصاحبه: أتراه ترك بعده مثله؟

قال: لئن قلت ذاك لقد كان يؤذن له إذا حجبنا، ويشهد إذا غبنا.

(١) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبد الرحمن، الحنظلي مولاهم، التركي، المروزي، الحافظ، الغازي،

=

هو خالد بن معدان[1] -:

=

الزاهد. ولد سنة (١١٨هـ) وتوفي سنة (١٨١هـ) في رمضان.

وهو علم معروف مشهور بالزهد والورع والعبادة والعلم والتقى والصلاح، كتبت في سيرته الكتب وترجمت له مصادر عديدة منها: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٧٨)، «طبقات خليفة» (٣٢٣)، «تاريخ خليفة» (١٤٦)، «التاريخ الكبير» (٥/ ٢١٢)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٢٢٥)، «المعارف» (٥١١)، «الجرح والتعديل» (٥/ ١٧٩)، «الولاة والقضاة» (٣٦٨)، «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٢)، «الانتقاء» (١٣٢)، «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٥٢)، «طبقات الشيرازي» (٢٦)، «ترتيب المدارك» (٣٠٠)، «صفوة الصفوة» (٤/ ١٣٤)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٢)، «تهذيب الكمال» (٧٣٠)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٧٤)، «العبر» (١/ ٢٨٠)، «الديباج المذهب» (١٣٠)، «غاية النهاية» (١/ ٤٤٦)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٨٢)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ٢٧)، «الخلاصة» (٢١١)، «الطبقات الكبرى» (٥٠)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٩٥).

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، الحافظ الغازي، أحد الأعلام وكانت أمه خوارزمية. طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، فأقدم شيخ لقيه هو: الربيع بن أنس الخراساني، تحيل ودخل عليه إلى السجن، فسمع منه نحوًا من أربعين حديثًا.

ثم ارتحل في سنة (١٤١هـ) وأخذ عن بقايا التابعين وأكثر من الترحال والتطواف، إلى أن مات في طلب العلم وفي الغزو والتجارة، والإنفاق على الإخوان في الله وتجهيزهم معه في الحج.

وصنف التصانيف النافعة الكثيرة. وحديثه حجة بالإجماع وهو في المسانيد والأصول، ويقع لنا حديثه عاليًا، وبيننا وبينه بالإجازة العالية ستة أنفس. وارتحل ابن المبارك إلى الحرمين، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان، وحدث بأماكن.

قال العباس بن مصعب في «تاريخ مرو»: كانت أم عبد الله بن المبارك خوارزمية، وأبوه تركي، وكان عبدًا لرجل تاجر من همذان من بني حنظلة، فكان عبد الله إذا قدم همذان يخضع لوالديه ويعظمهم.

قال العباس بن مصعب: جمع عبد الله بن المبارك: الحديث والفقه، والعربية وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء والتجارة والمحبة عند الفرق.

عباس الدوري سمعت يحيى يقول: ما رأيت أحدًا يحدث لله إلا ستة نفر، منهم: ابن المبارك. أبو حاتم حدثنا ابن الطبَّاع عن ابن مهدي قال: الأئمة الأربعة: سفيان، ومالك، وحماد بن زيد، وابن المبارك.

(١) هو: خالد بن معدان بن أبي كرب، أبو عبد الله، الكلاعي، الحمصي، الفقيه. توفي سنة (١٠٣هـ) وقيل: (١٠٤هـ) وقيل: (١٠٥هـ)، وقيل: (١٠٨هـ).

جاءت ترجمته في العديد من الكتب التي منها: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٣٦)، «طبقات ابن سعد» (٧/ ٤٥٥)، «طبقات خليفة» (٢٩٢٨)، «تاريخ البخاري» (٣/ ١٧٦)، «المعارف» (٦٢٥)، «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٣٢)، «ذيل المذيل» (٦٣٢)، «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ٣٥١)، «الحلية» (٥/ ٢١٠)، «تاريخ ابن عساكر» (٥/ ٢٥٧ أ)، «تهذيب الكمال» (٣٦٥)، «تاريخ الإسلام» (٤/ ١٠٩)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٨٧)، «العبر» (١/ ١٢٦)، «تهذيب التهذيب» (٣/ ١١٨)، «البداية والنهاية» (٩/ ٢٣٠)، «النجوم الزاهرة» (١/ ٢٥٢)، «طبقات السيوطي» (٣٦)، «الخلاصة» (١٠٣)، «شذرات الذهب» (١/ ١٢٦)، «تهذيب ابن عساكر» (٥/ ٨٩).

=

أنه قال لمعاذ بن جبل[(١)] حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ [٥٣/ب] فحفظته

=

ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» فقال: الإمام شيخ أهل الشام. حدث عن خلق من الصحابة، وأكثر ذلك مرسل. وأرسل عن معاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وعائشة وعبادة بن الصامت، وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم. وهو معدود في أئمة الفقه، وثقه ابن سعد، والعجلي، ويعقوب بن شيبة، وابن خراش والنسائي.

بقية عن بحير بن سعد، قال: ما رأيت أحدًا ألزم للعلم من خالد بن معدان، وكان علمه في مصحف له أزرار وعُرى.

قال صفوان بن عمرو: كان خالد بن معدان إذا أمر الناس بالغزو كان فسطاطه أول فسطاط بدابق. قال أبو أسامة: كان الثوري إذا جلسنا معه إنما نسمع الموت الموت، فحدثنا عن ثور عن خالد بن معدان قال: لو كان الموت علمًا يستبق إليه ما سبقني إليه أحد إلا أن يسبقني رجل بفضل قوة، قال: فما زال الثوري يحب خالد بن معدان مذ بلغه هذا عنه.

الوليد بن مسلم عن عبدة بن خالد قال: قلما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم، فعجل ربي قبضي إليك. حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك.

قال شجاع بن الوليد عن عمرو الإيامي عن خالد بن معدان قال: ما من آدمي إلا وله أربع أعين: عينان في رأسه يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيرًا فتح عينيه اللتين في قلبه فيبصر بهما ما وعد بالغيب فأمن الغيب بالغيب. وقال: العين مال، والنفس مال، وخير مال العبد ما انتفع به وابتذله، وشر أموالك ما لا تراه ولا يراك وحسابه عليك ونفعه لغيرك.

وقال: من التمس المحامد في مخالفة الحق رد الله تلك المحامد عليه ذمًّا، ومن اجترأ على الملاوم في موافقة الحق رد الله تلك الملاوم عليه حمدًا. قال يزيد بن هارون: مات خالد بن معدان وهو صائم.

(١) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أديّ بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، السيد، الإمام أبو عبد الرحمن، الأنصاري، الخزرجي، المدني، البدري، إمام العلماء، صاحب رسول الله ﷺ الجشمي.

أمه: هند بنت سهل الجهنية. وفاته سنة (١٧ هـ) أو (١٨هـ) أو (٣٣هـ) أو (٣٤هـ) أو (٣٨هـ) أو (٢٨هـ).

وهو صحابي مشهور بالعلم من صحابة رسول الله ﷺ، ولا يتسع المقام للحديث عنه في هذه العجالة، وقد أفردت سيرته بالترجمة وترجمت له كثير من الكتب التي أذكر منها على سبيل المثال:

«أسماء الصحابة الرواة بتحقيقي» (ت ٢٧)، وقد ذكره ابن حزم في أصحاب المائة وقال: إن له: مائة حديث وخمسة وخمسون حديثًا، وابن البرقي في «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٣٦٤)، وقال: مائة حديث وسبعة وخمسون حديثًا، «أسد الغابة» (٥/ ١٦٤)، «الإصابة» (٦/ ١٠٦)، «الثقات» (٣/ ٣٦٨)، «تجريد أسماء الصحابة» (٢/ ٨٠)، «بقي بن مخلد» (٢٦)، «الاستيعاب» (٣/ ١٤٠٢)، «الاستبصار» (٤٨، ٧١، ١٢٦)، «شذرات الذهب» (١/ ٣٠، ٦٢، ٦٣)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٤)، «غاية النهاية» (٢/ ٣٠١)، «العبر» (١/ ٧٨)، «تهذيب التهذيب» (١٠/ ١٨٦)، «تهذيب الكمال» (٣/ ١٣٣٨)، «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٤٣)، «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٨)، «المصباح المضيء» (١/ ٦٦)، «الأعلام» (٧/

=

وذكرته في كل يوم من شدته ووقته.

قال: نعم، ثم بكى بكاءً طويلًا ثم قال: واشوقاه إلى رسول الله ﷺ، وإلى لقائه. ثم قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ ركب وأردفني خلفه، ثم سرنا فرفع بصره إلى السماء ثم قال: «الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما يشاء، يا معاذ».

قلت: لبيك يا سيد المرسلين قال: «أحدثك بحديث إن أنت حفظته نفعك، وإن ضيعته انقطعت حجتك عند الله ﷻ يا معاذ، إن الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات والأرض، لكل سماء ملك بوابًا خازنًا، وجعل على كل باب من أبواب السماوات ملكًا بوابًا على قدر الباب وجلالته، فتصعد الحفظة بعمل العبد، وله نور وشعاع كالشمس، حتى إذا بلغ السماء الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه، فإذا انتهى إلى الباب قال الملك

=

٢٥٨)، «الطبقات الكبرى» (٩/ ١٨٤)، «مجمع الزوائد» (٩/ ٣١١)، «طبقات الحفاظ» (٦)، «الخلاصة» (٢/ ٣٠١)، «كنز العمال» (١٣/ ٥٨٣)، «تاريخ الإسلام» (٢/ ٣١٩).

قال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»:

قال شبابة: أمه هي: هند بنت سهل من بني رفاعة، ثم جهينة، ولأمه ولد من: الجد بن قيس.

وروى الواقدي عن رجاله: أن معاذًا شهد بدرًا وله عشرون سنة أو إحدى وعشرون. وقال ابن سعد: شهد العقبة في روايتهم جميعًا مع السبعين. وقال عبد الصمد بن سعيد: نزل حمص، وكان طويلًا، حسنًا، جميلًا.

قال علي بن محمد المدائني: معاذ لم يولد له قط، طوال، حسن الثغر، عظيم العينين، أبيض، جعد، قطط.

وروى قتادة عن أنس قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، وزيد، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد أحد عمومتي.

عن ابن سعد: أنبأنا محمد بن عمر حدثنا إسحاق بن يحيى عن مجاهد قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة استخلف عليها عتاب بن أسيد يصلي بهم، وخلف معاذًا يقرئهم ويفقههم.

عن محمد بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه قال: كان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة من المهاجرين: عمر، وعثمان، وعلي، وثلاثة من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ، وزيد.

وروى الأعمش عن أبي سفيان قال: حدثني أشياخ منا: أن رجلًا غاب عن امرأته سنتين فجاء وهي حبلى، فأتى عمر، فهم برجمها، فقال له معاذ: إن يك لك عليها سبيل، فليس لك على ما في بطنها سبيل، فتركها، فوضعت غلامًا، بان أنه يشبه أباه قد خرجت ثنيتاه، فقال الرجل: هذا ابني، فقال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ بن جبل، لولا معاذ لهلك عمر.

الواقدي: حدثنا أيوب بن النعمان عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال: كان عمر يقول حين خرج معاذ إلى الشام: لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه، وفيما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى عليّ وقال: رجل أراد وجهًا - يعني الشهادة - فلا أحبسه.

للحفظة: اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة، أمرني ربي أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني إلى غيري، ثم تصعد الحفظة من الغد، معهم عمل صالح له نور تستكثره الحفظة وتزكيه حتى إذا انتهوا به إلى السماء الثانية قال الملك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فإنه أراد به عرض الدنيا، أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري. فتلعنه الملائكة حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجًا به فيه صدقة وصيام وكثير من البر فتستكثره الحفظة وتزكيه، فإذا انتهوا به إلى السماء الثالثة قال الملك البواب: [٥٤/أ] قفوا، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك صاحب الكبر، أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم. وتصعد الحفظة بعمل العبد وهو يزهر كما تزهر النجوم والكوكب الدري له دوي وتسبيح بصوم وصلاة وحج وعمرة، فإذا انتهوا به إلى السماء الرابعة قال الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك صاحب الإعجاب، أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري، إنه كان إذا عمل عملًا أدخل العجب فيه، وتصعد الحفظة بعمل العبد يزف كما تزف العروس إلى أهلها حتى إذا انتهوا إلى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحج وعمرة له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك الموكل: أنا ملك صاحب الحسد إنه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري. وتصعد الحفظة بعمل العبد، بوضوء تام وصلاة كثيرة وصيام وحج وعمرة، حتى يتجاوز به على السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب: أنا صاحب الرحمة؛ اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لم يرحم قط إنسانًا وإذا أصيب عبد شمت به، أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري. وتصعد الحفظة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلاة وجهاد وورع، له صوت كصوت الرعد، ووضوء كضوء البرق، فإذا انتهوا به إلى السماء السابعة قال لهم الملك الموكل بالسماء: أنا صاحب الذكر -يعني السمعة والصيت في الناس-: إنَّ صاحب هذا العمل أراد به الذكر في المجالس، والرفعة [٥٤/ب] عند القرناء، والجاه عند الكبراء، أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصًا فهو رياء وسمعة، ولا يقبل الله ﷻ عمل المرائي، وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى، وتشيعه ملائكة السماوات حتى يقطع الحجب كلها إلى الله سبحانه وتعالى فيقفون بين يدي الرب جل جلاله ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول الله تعالى: أنتم الحفظة على عمل عبدي، وأنا الرقيب على ما في نفسه، إنه لم يردني بهذا العمل، وأراد به غيري، ولا أخلصه لي، وأنا أعلم بما أراد من عمله، عليه لعنتي، غر الآدميين وغركم، ولم يغرني، وأنا علام الغيوب، المطلع على ما في القلوب لا تخفى

علي خافية، ولا تعزب عني عازبة، علمي بما كان كعلمي بما لم يكن، وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي، وعلمي بالأولين كعلمي بالآخرين، أعلم السر وأخفى، فكيف يغرني عبدي؟! وبعمله إنما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون، وأنا علام الغيوب، عليه لعنتي، وتقول الملائكة السبعة والثلاثة آلاف المشيعون: يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا. وتقول أهل السماوات: عليه لعنة الله، ولعنة اللاعنين».

ثم بكى معاذ ﷺ، وانتحب انتحابًا شديدًا وقال: يا رسول الله، كيف النجاة مما ذكرت؟ قال: «يا معاذ اقتد بنبيك في اليقين» قلت: أنت رسول الله، وأنا معاذ بن جبل، كيف لي النجاة والخلاص؟

قال: «نعم، يا معاذ إن كان في عملك تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس وعن إخوانك من [٥٥/أ] حملة القرآن خاصة، وليردك عن الوقيعة ما تعلمه من عيب نفسك، ولاتزكِّ نفسك بذم إخوانك، ولا ترفع نفسك بوضع إخوانك، ولا تراء بعملك كي تعرف الناس، ولا تدخل في الدنيا دخولًا ينسيك أمر الآخرة، ولا تناجي رجلًا وعندك آخر، ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة ولا تفحش في مجلسك حتى يحذرك من خلقك، ولا تمنَّ على الناس ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب جهنم، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطًا﴾ [النازعات:٢]، يقول: تنزع اللحم عن العظام».

قلت: يا رسول الله، ومن يطيق هذه الخصال؟ قال: «يا معاذ، إن الذي وصفت لك يسير على من يسره الله عليه، إنما يكفيك من ذلك أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، فإذا أنت قد سلمت ونجوت»(١).

قال خالد بن معدان: وكان معاذ لا يكثر من تلاوة القرآن كما يكثر من تلاوة هذا الحديث وذكره في مجلسه.

فلما سمعت أيها الرجل وكلكم هذا الرجل بهذا الحديث العظيم بناؤه، الكبير خطره، الأليم أثره، الذي تطير له القلوب، وتحير له العقول، وتضيق عن حمله الصدور، وتجزع لهوله النفوس، فاعتصم بمولاك إله العالمين، والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء آناء الليل

---

(١) هذا خبر لا يحتاج إلى بحث ولا دراسة لمعرفة ما إذا كان صحيحًا أو ضعيفًا أو موضوعًا، فإن من لا دراية له يعلم أن هذا خبر موضوع مكذوب على سيدنا رسول الله ﷺ، وعلى سيدنا معاذ رضي الله تعالى عنه، وعلى سيدنا خالد بن معدان، وأظن أن الجميع منه براء، لكن هكذا هم الوضاعون يزيفون الكلام ويمطونه ظانين أنه كلما مطوا وزينوا بلغوا مرادهم من إفساد الناس وإضلال العباد جاهلين بأنه ﷺ أوتي جوامع الكلم، وجاهلين أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن ما في أخبارهم من مبالغات هي في نفسها القاضية على أخبارهم بالكذب والبطلان فيأتي خبرهم حاملًا تكذيب نفسه.

وأطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فإنه لا نجاة من
هذا الأمر إلا برحمته ولا سلامة من هذا البحر إلا بنظره وتوفيقه وعنايته.

فتنبه من رقدة الغافلين، وأعط الأمر حقه، وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين، والمستعان بالله على كل حال فإنه خير معين، وهو تعالى أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الخامسة ـ وهي الخاتمة ـ

نسأل الله حسنها، قد سبق منا القول في التنبيه الرابع أننا نتعرض لشرح أبيات الهمزية التي رد بها الشيخ البوصيري ﷺ ونفعنا به على أهل الكتابين: اليهود والنصارى، فنقول وبالله التوفيق:

اعلم أولًا: أن المقصود من وضع هذه القصيدة التي لم يسبق ناظمها بمثلها مدح المصطفى ﷺ وبيان بديع صفاته وباهر معجزاته وبهي شمائله وثنبّ أحواله وآياته وهذا يتعين على المكلف اعتقاده.

ولذا قال شارحها الشهاب بن حجر الهيتمي[1] ﷺ في خطبته: فمما يتعين على كل مكلف:

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر أبو العباس الهيتمي، السعدي، الأنصاري، الشافعي، شهاب الدين، الفقيه، الشهرة: ابن حجر الهيتمي.

ولد سنة (٩٠٩هـ) في رجب. وتوفي سنة (٩٧٣هـ) وقيل: (٩٧٤هـ) بمكة. جاءت ترجمته في:

«ديوان الإسلام» (٨٢٤)، «الكواكب السائرة» (٢/ ١٤٤)، «نفائس الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» (١٣٨)، «شذرات الذهب» (٨/ ٣٧٠)، «فهرس الفهارس» (١/ ٢٥٠)، «ريحانة الألباب» (٢١١)، «البدر الطالع» (١/ ١٠٩)، «تاريخ آداب اللغة العربية» (٣/ ٣٣٤)، «فهرس المخطوطات الظاهرية» (٦/ ٦١)، «جلاء العينين» (١٣٧)، «كشف الظنون» (٥٧، ٦٠، ١٢٨، ٣٠٧، ٦٢٠ وغير ذلك كثير جدًا)، «إيضاح المكنون» (١/ ١٥، ٧٧، ٨١، ١٢٨، وغير ذلك كثيرًا جدًا)، «فهرس مخطوطات الموصل» (٢٣٣)، «فهرس الخديوية» (٥/ ٥١) «فهرس الأزهرية» (٢/ ٤٣١)، «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٢)، «هدية العارفين» (١/ ١٤٦)، «الأعلام» (١/ ٢٢٤)، «النور السافر» (٢٨٧)، «تاريخ آداب العربية» (٣/ ٣٣٤)، وقال ابن العماد في شذرات الذهب في ترجمته:

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر، نسبة على ما قيل إلى جد من أجداده كان ملازمًا للصمت فشبه بالحجر، الهيتمي السعدي، الأنصاري الشافعي، الإمام العلامة الحبر البحر الزاخر، ولد في رجب سنة تسع وتسعمائة في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر المنسوب إليها، ومات أبوه وهو صغير فكلفه الإمامان الكاملان: شمس الدين بن أبي الحمائل، وشمس الدين الشناوي.

ثم إن الشمس الشناوي نقله من محلة أبي الهيتم إلى مقام سيدي أحمد البدوي، فقرأ هناك مبادئ العلوم.

ثم نقله في سنة أربع وعشرين إلى جامع الأزهر فأخذ عن علماء مصر، وكان قد حفظ القرآن العظيم في صغره.

وممن أخذ عنه: شيخ الإسلام القاضي زكريا، والشيخ عبد الحق السنباطي، والشمس المشهدي، =

أن يعتقد أن كمالات نبينا محمد ﷺ لا تحصى، وأن خصائصه ومعجزاته وأحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى، ولم تجتمع قط في مخلوق، وأن حقه على الكمَّل فضلًا عن غيرهم أعظم الحقوق، وأنه لا يقوم ببعض ذلك إلا من بذل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه، واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه.

وأن المادحين لجنابه العلي، والواصفين لكماله الجلي، لم يصلوا إلا إلى قِلٍّ من كُلٍّ لا حد لنهايته، وغيض من فيض لا وصول إلى غايته، ولذا قال في بردة المديح (١):

= والشمس السمهودي، والأمين الغمري، والشهاب الرملي، والطبلاوي، وأبو الحسن البكري، والشمس اللقاني الضيروطي، والشهاب بن النجار الحنبلي، والشهاب بن الصائغ في آخرين. وأذن له بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين.

وبرع في علوم كثيرة من التفسير، والحديث، والكلام، والفقه أصولًا وفروعًا، والفرائض والحساب، والنحو والصرف، والمعاني والبيان، والمنطق، والتصوف.

ومن محفوظاته: المنهاج الفرعي، ومقروآته لا يمكن حصرها. وأما إجازات المشايخ له فكثيرة جدًّا استوعبها في معجم مشايخه.

وقدم إلى مكة في آخر سنة ثلاث وثلاثين، فحج وجاور بها ثم عاد إلى مصر، ثم حج بعياله في آخر سنة سبع وثلاثين ثم حج سنة أربعين، وجاور من ذلك الوقت بمكة، وأقام بها يدرس ويفتي، ويؤلف، ومن مؤلفاته: «شرح المشكاة» و«شرح المنهاج»،... وغير ذلك.

قلت: وقد جمعت مؤلفاته في هامش ديوان الإسلام فبلغت القائمة التي جمعتها إلى خمس وأربعين كتابًا.

وأخذ عنه من لا يحصى كثرة، وازدحم الناس على الأخذ عنه، وافتخروا بالانتساب إليه، وممن أخذ عنه مشافهة شيخ مشايخنا البرهان بن الأحدب.

وبالجملة: فقد كان شيخ الإسلام، خاتمة العلماء الأعلام، بحرًا لا تكدره الدلال، إمام الحرمين كما أجمع عليه الملأ، كوكبًا سيارًا في منهاج سماء الساري، يهتدي به المهتدون، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، واحد العصر، وثاني القطر، وثالث الشمس والبدر، أقسمت المشكلات ألا تتضح إلا لديه، وأكدت المعضلات أليتها أن لا تنجلي إلا عليه لا سيما في الحجاز عليها قد حجر ولا عجب فإنه المسمى بابن حجر.

وتوفي رحمه الله تعالى بمكة في رجب، ودفن بالمحلاة في تربة الطبريني.

(١) في «الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية» (٦/ ٥٩٨) تقول الدكتورة فاطمة محجوب عن بردة المديح هذه: قصيدة البردة الموسومة بـ«الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، الشهيرة بـ«البردة الميمية»، للشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد الدولاحي ثم البوصيري المتوفى سنة (٦٩٤هـ). وهي مشهورة بين الأنام ويتبرك بها الخواص والعوام حتى قرئت قدام الجنائز والمساجد واستشفي بها من الأمراض والأسقام.

وكتبوا عليها من التخميسات والتسبيعات والنظائر ما لا يعد. ذكر السهراني: أنه رأى خمسة وثلاثين تخميسًا جمعها بعض العلماء، ورأى تسبيعًا عجيبًا مبدوءًا من أوله إلى آخره بلفظ الجلالة للشيخ شهاب =

فإن فضل رسول الله ليس له حد فَيُعرَبُ عنه ناطق بِفَمِ

[٥٦/أ] دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

=

الدين أحمد بن عبد الله المكي، فذكره بعد شرح كل بيت. وشرحوها بشروح لا تحصى، غير أنهم اقتصروا على المعنى اللغوي، وأعرضوا عن اللطائف والإشارات، لكن الشيخ ابن المرزوق المغربي، وهو غير المرزوقي النحوي، شرحها شرحًا عظيمًا وبين فيه المعاني التصوفية في غاية الطول والكبر، وكل من صنف شيئًا ادعى أنه لم يسبق به.

قال حاجي خليفة: وهي مائة واثنان وستون بيتًا منها اثنا عشر في المطلع وستة عشر في ذكر النفس وهواها. وثلاثون في مدائح الرسول ﷺ. وتسعة عشر في مولده، وعشرة في يمن دعائه (في من دعا به) وسبعة عشر في مدح القرآن، وثلاثة عشر في ذكر معراجه، واثنان وعشرون في جهاده، وأربعة عشر في الاستغفار، وتسعة في المناجاة.

قالت المؤلفة: وهذا العدد لا يكمل عدد الأبيات التي ذكرها وهي مائة بيت واثنان وستون، والمراجع التي عندي تنص على أن عدد أبيات البردة مائة وستون بيتًا كما سيتضح من المتن الذي سنورده إن شاء الله فيما بعد، وكما نص الناظم في آخر القصيدة.

وروي أنه أنشأها عندما أصابه فالج، فاستشفع بها إلى الله سبحانه وتعالى، ولما نام رأى النبي ﷺ في منامه، فمسح بيده المباركة فعوفي وخرج من بيته أول النهار، فلقيه بعض الفقراء، فقال له: يا سيدي أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ. قال: أي قصيدة تريد؟ فقال: التي أولها: أَمِن تذكر جيران.... إلخ، فأعطاها له، وجرى ذكرها في الناس.

ولما بلغت الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر استنسخها، ونذر أن لا يسمعها إلا حافيًا واقفًا مكشوف الرأس، وكان يتبرك بها هو وأهل بيته. ورأوا من بركتها أمورًا عظيمة في دينهم ودنياهم.

وفي سبب شهرتها بالبردة: أنه أصاب سعد الدين الفارقي رمد عظيم أشرف منه على العمى، فرأى في منامه قائلًا يقول له: امض إلى الصاحب بهاء الدين وخذ منه البردة واجعلها على عينيك تفق إن شاء الله تعالى، فنهض من ساعته وجاء إليه وقال له ما رأى في نومه، فقال الصاحب: ما عندي شيء يقال له: البردة، وإنما عندي مديح النبي ﷺ أنشأها البوصيري، فنحن نستشفي بها، فأخرجها ووضعها سعد الدين على عينيه فعوفي من الرمد، وهذه القصيدة الزهراء والمديحة الغراء بركاتها كثيرة، ولا يزال الناس يتبركون بها في أقطار الأرض.

وقد يروى في إنشائه لها وسبب انتشارها وجوه شتى، والأقرب إلى القبول ما ذكر هاهنا.

لكن قال المولى: «مصنفك»، في شرحه بعد نقل منامه ورؤيته النبي ﷺ: فألقى عليه النبي ﷺ بردًا على عاتقه ومسح بيده، فلما استيقظ وجد بدنه صحيحًا كله، ووجد ذلك البرد على عاتقه ففرح به، فخرج فذكر... إلى آخر القصة.

ثم قال: أو أنه روي عن بعض الكبراء أنه أصابه مرض، فطلب القصيدة فجاء صاحبها إليه وقرأها عليه فشفاه الله سبحانه وتعالى من ساعته فأعطاه بردًا فسميت بالبردة تيمنًا. انتهى والله أعلم.

فاق النبيين فيه في خلق وفي خلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن أداء كل ما يتعين من ذلك. كيف وآي الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول، مصرحة من كل صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول.

ماذا على الشعراء اليوم تمدحه ... من بعد ما مدحت حم تنزيل

فعُلم أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن إحصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه، ولكان المليم بساحل بحرها مقصرًا عن حصر بعض فخرها، ولقد صح لمحبيه أن ينشدوا قول ابن الفارض السعدي (١):

(١) هو: عمر بن علي بن مُرشِد: وقيل: عمر بن الحسن بن علي بن المرشد بن علي أبو حفص، الحموي، القاهري، سلطان العشاق، الصوفي، شرف الدين، الشهرة: ابن الفارض.
ولد سنة (٥٧٦هـ) ٤ من ذي القعدة، وتوفي سنة (٦٣٢هـ) في جمادى الأولى.
علم من أعلام الصوفية والشعر، ترجمت سيرته في كتب مستقلة وذكرت المصادر العديدة ترجمته مختصرة منها:
«سيرة أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٦٨)، «ديوان الإسلام» (ت ١٦٤١)، «الأعلام» (٥/ ٥٥)، «معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠١)، «كشف الظنون» (٢٦٥)، «إيضاح المكنون» (١/ ١١٨)، «شذرات الذهب» (٥/ ١٤٩)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥٤)، «البداية والنهاية» (١٣/ ١٤٣)، «مختصر أبي الفداء» (٣/ ١٦٤)، «حسن المحاضرة» (١/ ٢٤٦)، «روضات الجنات» (٥٠٥)، «لسان الميزان» (٤/ ٣١٧)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٨٨)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٦٦)، قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»:
شاعر الوقت شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، ثم المصري صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية.
حدث عنه المنذري، فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى وأعذنا من الهوى.
فيا أئمة الدين ألا تغضبوا لله؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله.
توفي في جمادى الأولى، وقد حج وجاور، وكان بزنق الفقر، وشعره في الذروة لا يلحق شأوه.
وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في «طبقاته»: الملقب في جميع الآفاق بسلطان المحبين والعشاق المنعوت بين أهل الخلاف والوفاق بأنه سيد شعراء عصره على الإطلاق، له النظم الذي يستخف أهل الحلوم، والنثر الذي تغار منه النثرة بل سائر النجوم. قدم أبوه من حماة إلى مصر فقطنها، وصار يثبت الفروض للنساء والرجال بين يدي الحكام.
ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض ثم ولد له بمصر عمر في ذي القعدة سنة ست وستين وخمسمائة فنشأ تحت كنف أبيه في عفاف وصيانة وعبادة وديانة بل زهد وقناعة وورع أسدل عليه لباسه وقناعه، فلما شب وترعرع اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وعنه الحافظ المنذري وغيره، ثم حبب إليه الخلاء وسلوك طرق الصوفية، فتزهد وتجرد وصار يستأذن أباه في السياحة فيسيح في الجبل الثاني من المقطم، ويأوي إلى بعض أوديته مرة، وفي بعض المساجد المهجورة في خربات القرافة =

ولي الله تعالى في النوم، فقيل له: لم لا مدحت النبي ﷺ - أي بالتصريح، وإلا فنظمه في الحقيقة إما في الحضرة [٥٦/ ب] الإلهية أو فيه ﷺ-؟ فقال رحمه الله تعالى:

أرى كل مدح في النبي مقصرًا وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما تمدح الورى

=

مرة، ثم يعود إلى والده فيقيم عنده مدة، ثم يشتاق إلى التجرد ويعود إلى الجبل، وهكذا حتى ألف الوحشة وألفه الوحش، فصار لا ينفر منه، ومع ذلك لم يفتح عليه بشيء حتى أخبره البقال أنه إنما يفتح عليه بمكة فخرج فورًا وفي غير أشهر الحج ذاهبًا إلى مكة، فلم تزل الكعبة أمامه حتى دخلها وانقطع بواد بينه وبين مكة عشر ليال فصار يذهب من ذلك الوادي وصحبته أسد عظيم إلى مكة فيصلي بها الصلوات الخمس ويعود إلى محله من يومه.

قلت: هذه الحكاية من شطحات الصوفية.

ثم رجع إلى مصر فأقام بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر وعكف عليه الأئمة وقصد بالزيارة من الخاص والعام، حتى إن الملك الكامل كان ينزل لزيارته،وسأله أن يعمل له قبر عند قبره بالقبلة التي بناها على ضريح الإمام الحسين فأبى.

وكان جميلًا نبيلًا حسن الهيئة والملبس حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع عذب المنهل، والنبع فصيح العبارة دقيق الإشارة سلس القياد بديع الإصدار والإيراد سخيًا جوادًا.

توجه يومًا إلى مسجد عمرو بن العاص فلقيه بعض المكارية، فقال: اركب معي على الفتوح، فمر به بعض الأمراء، فأعطاه مائة دينار فدفعها للمكاري، وكان أيام النيل يتردد إلى المسجد المعروف بالمشتهى في الروضة ويحب مشاهدة البحر مساء فتوجه إليه يومًا فسمع قصارًا يقصر يقول:

قطع قلبي هذا المقطع لا هو يصفو أو يتقطع

فصرخ وسقط مغمًى عليه فصار يفيق ويردد ذلك ويضطرب، ثم يغمى عليه، وهكذا.

وقد أثنى على ديوانه حتى من كان سيئ الاعتقاد فيه ومنهم ابن أبي حجلة الذي عزره السراج الهندي بسبب الوقيعة فيه، فقال: هو من أرق الدواوين شعرًا وأنفسها درًا، برًا وبحرًا وأسرعها للقلوب جرحًا وأكثرها على الطلول نوحًا، إذ هو صادر عن نفثة مصدور، وعاشق مهجور، وقلب بحر النوى مكسور، والناس يلهجون بقوافيه وأودع من القوى فيه وكثر حتى قل من لا رأى ديوانه أو طنت بأذنه قصائده الطنانة. وقال الكمال الأدفوي: وأحسنه القصيدة الفائدة التي أولها:

«قلبي يحدثني بأنك متلفي»

واللامية التي أولها:

«هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل»

والكافية التي أولها:

«ته دلالًا فأنت أهلا لذاكا»

قال: وأما التائية فهي عند أهل العلم - يعني الظاهر - غير مرضية مشعرة بأمور رديئة. وكان عاشقًا يعشق مطلق الجمال حتى إنه عشق بعض الجمال، بل زعم بعض الكبار أنه عشق برنية بدكان عطار.

قال البدر الزركشي[(١)]:

(١) هو: محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو الحسن، الشافعي، بدر الدين، الزركشي، الفقيه، الأصولي، المحدث. ولد سنة (٧٤٥هـ) وتوفي سنة (٧٩٤هـ) في ٣ رجب بمصر.

ومن مصادر ترجمته: «الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية» (٢٣/ ٥٥٨)، «معجم المؤلفين» (١٠/ ٢٠٥)، «حسن المحاضرة» (١/ ٢٤٨)، «طبقات الشافعية» (٩٣)، «كشف الظنون» (١٢٥، غير ذلك كثير)، «إعلام الساجد» (١١)، «الدرر الكامنة» (٣/ ٣٩٧)، «شذرات الذهب» (٦/ ٣٣٥).

قالت الدكتورة فاطمة محجوب في «موسوعتها الذهبية»: ترجم له المحقق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم مع دراسة وافية عن مؤلفاته في مقدمة كتاب «البرهان في علوم القرآن» للزركشي الذي قام بتحقيقه فقال ﷺ بعد البسملة:

الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن، وجهبذ من جهابذة أهل النظر، وأرباب الاجتهاد، وهو أيضًا علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين.

ولد بالقاهرة، سنة خمس وأربعين وسبعمائة حينما كانت معمورة بالمدارس غاصة بالفضلاء وحملة العلم، زاخرة بدور الكتب الخاصة والعامة، والمساجد الحافلة بالطلاب للعلم والمعرفة والوافدين من شتى الجهات، ولم يكد يجاوز سن الحداثة، حتى انتظر في حلقات الدرس، وتفقه بمذهب الشافعي، وحفظ كتاب «المنهاج» في الفروع للإمام النووي، وصار يعرف بالمنهاجي، نسبة إلى هذا الكتاب.

وكان الشيخ الإسنوي جمال الدين رئيس الشافعية بالديار المصرية بدر العلماء الزاهر وكوكبهم المتألق، وإمام أهل الحديث بالمدرسة الكاملية غير مدافع، فلزمه وتلمذ له، ونهل من علمه ما شاء الله له أن ينهل، فكان من أنجب تلاميذه وأوعاهم، وأفضلهم وأذكاهم.

كما تخرج على الشيخ سراج الدين البلقيني، والحافظ مغلطاي، وغيرهم من شيوخ مصر وعلمائها.

ثم ترامت إليه شهرة الشيخ شهاب الدين الأذرعي بحلب والحافظ ابن كثير بدمشق فشد إليهما الرحال قصد إلى حلب أولًا حيث أخذ عن الأذرعي الفقه والأصول، ثم عمد إلى دمشق حيث تلقى على ابن كثير الحديث، ثم عاد إلى القاهرة، وقد جمع أشتات العلوم وأحاط بالأصول والفروع وعرف الغامض والواضح، ووعى الغريب والنادر، واستقصى الشاذ والمقيس إلى ذكاء وفطنة وثقافة وألمعية، فأهله كل ذلك للفتيا والتدريس، والتوفر على الجمع والتصنيف واجتمع له من المؤلفات في عمره القصير ما لم يجتمع بغيره من أفذاذ الرجال، وإن كان هذا الفضل لم يعرفه إلا بعد وفاته، وحين توارت شمس حياته.

وكان رضي الخلق محمود الخصال، عذب الشمائل، متواضعًا رقيقًا، يلبس الخلق من الثياب، ويرضى بالقليل من الزاد، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا وشئون الحياة.

قال ابن حجر في «الدرر الكامنة»: وكان منقطعًا في منزله لا يتردد إلى أحد إلا سوق الكتب، وإذا حضر إليها لا يشتري شيئًا، وإنما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه، ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه.

وحكى شمس الدين البرماوي أنه كان منقطعًا إلى الاشتغال بالعلم لا يشتغل عنه بشيء، وله أقارب يكفونه أمر دنياه.

وكان يكتب مصنفاته بنفسه وخطه رديء جدًا، قلَّ من يحسن استخراجه كما أخبر بذلك ابن العماد ولهذا
=

ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام[1]،

=

شاع في الكتب المنقولة عن خطه الغموض والإبهام والتحريف والتصحيف، ولقي منها القراء والدارسون العناء الكثير.

وتولى من المناصب: خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى. وتوفي بمصر في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة بكتمر الساقي يرحمهما الله.

ويقول الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي عن اسم الزركشي ومولده ونشأته:

في شذرات الذهب، وفي الدرر الكامنة، وفي كشف الظنون، وبأول كتاب إعلام الساجد: أن اسمه: محمد ابن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين الشافعي المصري. وذكر بعض ممن ترجم له أن اسمه: محمد بن عبد الله بن بهادر. واتفق الجميع على أن مولده سنة (٧٤٥هـ) ووفاته سنة (٧٩٤هـ).

(١) هو: حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس، أبو تمام، الطائي، الحوراني، الجاسمي، الشاعر، الأديب. الشهرة: أبو تمام. ولد سنة (١٧٢هـ) وقيل: (١٨٨هـ) وقيل: (١٩٠هـ) وقيل: (١٩٢هـ) توفي سنة (٢٢٨هـ) أو سنة (٢٣١هـ). وهو شاعر مشهور وكان نصرانيًا فأسلم واشتهر شعره، وأخباره مدونة في كتب مستقلة وله كتب ودواوين شعر مشهورة، ومن مصادر ترجمته:

«ديوان الإسلام» (٥٧٣)، «هدية العارفين» (١/ ٢٦٢)، «الأعلام» (٢/ ١٦٥)، «شذرات الذهب» (٢/ ٧٢)، «العبر» (١/ ٤١١)، «الفهرست» (١٩٠)، «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٤٨)، «تاريخ الطبري» (٩/ ١٢٤)، «طبقات الشعراء» (٢٨٣)، «الأغاني» (١٦/ ٣٨٣)، «وفيات الأعيان» (٢/ ١١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٩٩)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ٢٦١)، «خزانة الأدب» (١/ ١٧٢)، «تهذيب ابن عساكر» (٤/ ١٨)، «معجم المؤلفين» (٣/ ١٨٣)، «طبقات الشعراء» (١٣٣)، «مروج الذهب» (٧/ ١٥١)، «الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تاريخ الأمم والملوك» (١١/ ٩)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٣٨)، «مرآة الجنان» (٢/ ١٠٢)، «مختصر دول الإسلام» (١/ ١٠٧)، «مفتاح السعادة» (١/ ١٩١)، «كشف الظنون» (٩٦١ وغير ذلك)، «تنقيح المقال» (١/ ٢٥١)، «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٩٩)، «معاهد التنصيص» (١/ ١٤)، «الموازنة بين الطائيين» أخبار أبي تمام للصولي.

قال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة (٢٣١هـ): وفيها: أبو تمام الطائي حبيب بن أوس الحوراني، مقدم شعراء العصر، توفي في آخر السنة كملًا. سئل الشريف الرضي عن أبي تمام، والبحتري، والمتنبي، فقال: أما أبو تمام فخطيب منبر، وأما البحتري فواصف جؤذر، وأما المتنبي فقائد عسكر. وقال أبو الفتوح بن الأثير في كتاب «المثل السائر»، يصف الثلاثة:

وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم سحناته ومستحسناته، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين وفصاحة القدماء، وجمعت بين الأمثال السائرة وكلمة الحكماء.

أما أبو تمام: فرب معان وصيقل ألباب وأذهان وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثره فهو غير مدافع عن مقام الأغراب الذي يبرز فيه على الأضراب، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقير، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام، وكان قوله في البلاغة ما قالت حزام، فخذ مني في ذلك قول حكيم وتعلم، ففوق كل ذي علم عليم.

وأما البحتري: فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى، وأراد أن يشعر فغنى، ولقد حاز طرفي الرقة

=

والبحتري[(١)]،

=

والجزالة على الإطلاق فبينا يكون في شظف نجد حتى يتشبب بريف العراق.
وسئل أبو الطيب عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال: أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحتري، قال: ولعمري لقد أنصف في حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدور من الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه من الأفهام، وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاط الغالية، ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية.
وأما أبو الطيب المتنبي: فأراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه خطاه، ولم يعطه الشعر ما أعطاه، لكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال.
قال: وأنا أقول قولًا لست فيه متأثمًا ولا منه متلثمًا، وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى يظن الفريقين فيه تقابلًا، والسلاحين فيه تواصلًا، وطريقه في ذلك يضل بسالكه ويقوم بعذر تاركه، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان، فيصف لسانه وما أداه إليه عيانه.
ومع هذا فإني رأيت الناس عادلين فيه عن سنن التوسط، فإما مُفَرِّط فيه وإما مُفْرِط، وهو وإن انفرد في طريق وصار أبا عذره، فإن سعادة الرجل كانت أكبر من شعره.
وعلى الحقيقة، فإنه كان خاتم الشعراء، ومهما وصف به فهو فوق الوصف، وفوق الإطراء، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة:

لا تطلبن كريـــمًا بعــد رؤيتــه ... إن الكرام بأسخاهم يدًا خَتموا

ولا تبال بشعـــر بعــد شــاعـــره ... قد أفسد القول حتى أحمد الصمـم

انتهى ما قاله ابن الأثير.

(١) هو: الوليد بن عبيد بن يحيى بن عُبيد، أبو عُبادة، الطائي، البحتري، المنبجي، الشاعر. ولد سنة: (٢٠٥هـ). وتوفي سنة: (٢٨٣هـ) وقيل: (٢٨٤هـ). انظر ترجمته في: «ديوان الإسلام» (ت: ٣٩٣)، «الأعلام» (٨/ ١٢١)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٨٦)، «الأغاني» (٢١/ ٣٩)، «تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٤٦)، «المنتظم» (٦/ ١١)، «معجم الأدباء» (٩/ ٢٤٨)، «وفيات الأعيان» (٦/ ٢١)، «البداية والنهاية» (١١/ ٧٦)، «هدية العارفين» (٢/ ٥٠٠)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ٩٩)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٨٦)، «مفتاح السعادة» (١/ ١٩٣)، «العبر» (٢/ ٧٣).
قال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة (٢٨٤ هـ): أمير شعراء العصر، وحامل لواء القريض، أخذ عن أبي تمام الطائي. قال المبرد: أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده أبو عبادة البحتري.
قال ابن الأهل: نسبة إلى بحتر جد من أجداده واسمه الوليد بن عبيد، أخذ عن أبي تمام الطائي، ومدح المتوكل ومن بعده، وكان أقام ببغداد دهرًا ثم رجع إلى الشام وعرض أول شعره على أبي تمام وهو بحمص، فقال له: أنت أشعر من أنشدني. وكتب له بذلك فعظم وبجل.
وأخباره كثيرة، وكان شعره غير مرتب فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف، ثم جمعه علي بن حمزة الأصبهاني على الأنواع مثل حماسة أبي تمام.
وسئل أبو العلاء المعري عنه وعن أبي تمام والمتنبي فقال: حكيمان والشاعر البحتري. انتهى.
=

وابن الرومي[1]، مدحه ﷺ. ومدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه،
فإن المعاني وإن جلت دون مرتبته، والأوصاف وإن كملت دون وصفه، وكل علو في حقه

وقال ابن خلكان: قال البحتري: أنشدت أبا تمام شعرًا لي في بعض بني حميد وصرت به إلى مال له خطر، فقال لي: أحسنت، أنت أمير الشعراء من بعدي، فكان قوله هذا أحب إليّ من جميع ما حويته.

(١) هو: علي بن العباس بن جريج. وقيل: ابن جرجيس، أبو الحسن، البغدادي، الشاعر، مولى آل المنصور.
الشهرة: ابن الرومي، ولد سنة : (٢٢١هـ) لليلتين خلتا من رجب. توفي سنة (٢٨٤هـ) وقيل: (٢٨٣هـ).
شاعر مشهور له دواوين مشهورة وترجمت له العديد من الكتب التي منها:
«ديوان الإسلام» (١٠٢٢)، «الأعلام» (٤/ ٢٩٧)، «معجم المؤلفين» (٧/ ١١٤)، «شذرات الذهب» (٢/ ١٨٨)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٥٨)، «البداية والنهاية» (١١/ ٧٤)، «المنتظم» (٥/ ١٦٥)، «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٣)، «الكامل في التاريخ» (٧/ ١٥٩)، «اللباب» (١/ ٤٨١)، «المختصر» (٢/ ١٦٠)، «كشف الظنون» (٧٦٦)، «أعيان الشيعة» (١/ ٢٨١)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٩٥).
وقال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة (٢٨٤هـ):
مولى عبد الله بن عيسى بن جعفر المنصور، صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقية، وكان شعره غير مرتب، ثم رتبه أبو بكر الصولي على الحروف.
وله القصائد المطولة والمقاطيع البديعة، وله في الهجاء كل شيء طريف، وكذلك في المديح، وقال في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره:

بلد صحبت بها الشبية والصبا ... ولبست ثوب العز وهو جديد
وإذا تمثل في الضمير رأيته ... وعليه أغصان الشباب تميد

وكان سبب موته: أن الوزير أبا الحسن بن عبد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه وفلتات لسانه فدس عليه مأكلًا مسمومًا في مجلسه، فلما أحس بالسم قام، فقال له الوزير: أين تذهب؟ قال إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال: سلم على والدي، قال: ما طريقي إلى النار، وخرج إلى منزله، فقام أيامًا ومات.
وكان الطبيب يتردد عليه ويعالجه بالأدوية النافعة للسم، فزعم أنه غلط في بعض العقاقير. قال نفطويه: رأيت ابن الرومي يجود بنفسه، فقلت: ما حالك؟ فأنشد:

غلط الطبيب على غلطة مورد ... عجزت موارده عن الإصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما ... غلط الطبيب إصابة المقدار

وقال أبو عثمان الناجمة الشاعر: دخلت على ابن الرومي أعوده فوجدته يجود بنفسه فلما قمت من عنده قال لي منشدًا:

أبا عثمان أنت حميد قومك ... وجودك في العشيرة دون نومك
تزود من أخيك فما تراه ... يراك ولا تراه بعد يومك

وبالجملة: فمحاسنه كثيرة، وله في الطيرة أشياء معروفة فلا نطل بذلك، والله أعلم.

تقصير، ليضيق على التبليغ النطاق، فلا يبلغ إلا قِلًّا من كثير.

وهذا وإن من أبلغ ما مدح به ﷺ هذا النظم الرفيع الرائق، وأحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق البديع، وأجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته، وأفصح ما أشارت إليه منظومة من بدائع كمالاته، ما صاغه صوغ التبر الأحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الإمام العارف الكامل الهمام، المفتي، المحقق، البليغ الأديب، المدقق إمام الشعراء، وأشهر العلماء، وبليغ الفصحاء، وأفصح البلغاء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي، كان أحد أبويه من بوصير الصعيد والآخر من دلاص، فركبت ألسنة منهما فقيل: الدولاصيري، ثم اشتهر بالبوصيري [(١)].

قيل: ولعلها بلد أبيه، فغلبت عليه. ولد سنة ثمان وستمائة، وأخذ عنه الإمام أبو حيان [(٢)]، والإمام أبو الفتح ابن سيد الناس [(٣)].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) هو: علي بن محمد بن العباس، سبق ترجمته.

(٣) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى، أبو الفتح اليعمري، المصري، الأندلسي، الإشبيلي، الشافعي، فتح الدين، الشهرة: ابن سيد الناس. ولد سنة (٦٧١هـ) في ذي الحجة وقيل في ذي القعدة، وتوفي سنة (٧٣٤هـ) في ١١ شعبان.

من مصادر ترجمته: «معجم المؤلفين» (١١/ ٢٨٩)، «ديوان الإسلام» (١٢٢٣)، «هدية العارفين» (٢/ ١٤٩)، «الأعلام» (٧/ ٣٤)، «كشف الظنون» (٢٤٦ وغير ذلك)، «إيضاح المكنون» (١/ ٤٥٣)، «شذرات الذهب» (٦/ ١٠٨)، «الدرر الكامنة» (٤/ ٣٣٠)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٢٨٥)، «طبقات السبكي» (٦/ ٢٩)، «طبقات الإسنوي» (ت ١٢٠٩)، «فوات الوفيات» (٢/ ١٦٩)، «البداية والنهاية» (١٤/ ١٦٩)، «مرآة الجنان» (٤/ ٢٩١)، «حسن المحاضرة» (١/ ٢٠٢)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٤٩).

قال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة (٧٣٤هـ): الإمام الحافظ، اليعمري الأندلسي الإشبيلي المصري، المعروف بابن سيد الناس. قال ابن قاضي شهبة: ولد في ذي الحجة، وقيل: في ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وستمائة بالقاهرة، وسمع الكثير من الجم الغفير، وتفقه على مذهب الشافعي، وأخذ علم الحديث عن والده وابن دقيق العيد، ولازمه سنين كثيرة، وتخرج عليه وقرأ عليه أصول الفقه، وقرأ النحو على ابن النحاس. وولي دار الحديث بجامع الصالح، وخطب بجامع الخندق. وصنف كتبًا نفيسة منها:

السيرة الكبيرة سماها: «عيون الأثر» في مجلدين. واختصره في كراريس سماها «نور العين».

وشرح قطعة من كتاب الترمذي إلى كتاب الصلاة في مجلدين.

وصنف في منع بيع أمهات الأولاد مجلدًا ضخمًا يدل على علم كثير.

وذكره الذهبي في معجمه المختص وقال: أحد أئمة هذا الشأن، كتب بخطه المليح كثيرًا وخرج وصنف وصحح وعلل، وفرع وأصل، وقال الشعر البديع، وكان حلو النادرة حسن المحاضرة، جالسته، =

والعز [٥٧/ أ] بن جماعة [١] وغيرهم. وتوفي سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة.

=

وسمعت قراءته، وأجاز لي مروياته.

عليه مآخذ في دينه وهديه فالله يصلحه وإيانا. وقال ابن كثير: اشتغل بالعلم فبرع، وساد أقرانه في علوم شتى من الحديث والفقه، والنحو، وعلم السير، والتاريخ، وغير ذلك.

وقد جمع سيرة حسنة في مجلدين، وقد حرر، وحبر وأجاد وأفاد، ولم يسلم من بعض الانتقاد، وله الشعر والنثر الفائق، وحسن التصنيف، والترصيف، والتعبير، وجودة البديهة، وحسن الطوية، والعقيدة السلفية، والإفتاء بالأحاديث النبوية. وتذكر عنه شئون أخر الله يتولاه فيها، ولم يكن بمصر في مجموعه مثله في حفظ الأسانيد والمتون، والعلل، والفقه والمِلح، والأشعار، والحكايات.

وقال صاحب البدر السافر: وخالط أهل السفه وشرَّاب المدام، فوقع في الملام، ورشق بسهام الكلام والناس معادن والقرين يكرم ويهين باعتبار المقارن.

قال: ولم يخلف بعده في القاهرة ومصر من يقوم بفنونه مقامه، ولا من يبلغ في ذلك مرامه، أعقبه الله السلامة في دار الإقامة. وقال ابن ناصر الدين: كان إمامًا حافظًا عجيبًا، مصنفًا بارعًا، شاعرًا أديبًا، دخل عليه واحد من الإخوان يوم السبت حادي عشر شعبان، فقام لدخوله، ثم سقط من قامته فلقف ثلاث لقفات ومات من ساعته، ودفن بالقرافة عند ابن أبي جمرة رحمهما الله تعالى.

قلت: وقد جمعت كتبه في هامش ديون الإسلام فكانت القائمة كالآتي:

١- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (في مجلدين).

٢- نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون (مختصر عيون الأثر).

٣- بشرى اللبيب بذكرى الحبيب (شرح بشرى اللبيب).

٤- الدر الثمين على أجوبة الشيخ أبي الحسن الصغير (في الفقه).

٥- المقامات العلية في الكرامات الجلية.

٦- شرح قطعة من كتاب الترمذي إلى كتاب الصلاة (في مجلدين).

٧- منح المدح.

٨- النفح الشذي في شرح جامع الصحيح للترمذي (أبلغ فيه دون الثلث في سبعة مجلدات، وكمله العراقي).

٩- تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة.

(١) هو: عز الدين محمد بن شرف الدين أبي بكر بن عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة. وقيل: محمد بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الكناني، الشافعي، المصري، الحموي، النحوي، البياني، المفسر.

الشهير: بالعز بن جماعة، ولد سنة (٧١٩هـ) وقيل: (٧٤٦هـ) وقيل: (٧٤٩هـ) وتوفي سنة (٨١٩هـ).

انظر ترجمته في: «ديوان الإسلام» (٧٠٧)، «الأعلام» (٦/ ٥٦)، «معجم المؤلفين» (٩/ ١١١)، (١٠/ ٩٢)، «الدرر الكامنة» (١/ ٩٥،٣٩)، «هدية العارفين» (٢/ ١٨٢)، «كشف الظنون» (٩١ وغير ذلك)، «البدر الطالع» (٢/ ١٤٧)، «حسن المحاضرة» (١/ ٣١٧)، «بغية الوعاة» (ت ١١٢)، «الضوء اللامع» (٧/ ١٧١)، «شذرات الذهب» (٧/ ١٣٩)، وفيها:

ولد سنة تسع وأربعين وسبعمائة بمدينة ينبع، قال السيوطي في ترجمته: العلامة المفتي، المتكلم، الجدلي،

=

على ما قاله المقريزي(١)

=

النظار، النحوي، اللغوي، البياني، الخلافي، أستاذ الزمان، وفخر الأوان الجامع لأشتات جميع العلوم.
وقال ابن حجر: سمع من القلانسي، والعرض وغيرهما، وحفظ القرآن في شهر واحد، كل يوم حزبين، واشتغل بالعلوم على كبر، وأخذ عن السراج الهندي، والضياء القرمي، والمحب ناظر الجيش، والركن القرمي، والعلاء السيرامي، وجار الله، والخطابي، وابن خلدون، والحلاوي، والتاج السبكي، وأخيه البهاء، والسراج البلقيني، والعلاء بين صغير الطبيب، وغيرهم.
وأتقن العلوم وصار بحيث يقضي له في كل فن بالجميع، حتى صار المشار إليه بالديار المصرية في الفنون العقلية، والمفاخر به علماء العجم في كل فن، والمعول عليه. وأقرأ وتخرج به طبقات من الخلق، وكان أعجوبة زمانه في التقرير، وليس له في التأليف حظ مع كثرة مؤلفاته حتى جاوزت الألف فإن له على كل كتاب أقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة وأكثر ما بين شرح مطول، ومتوسط، ومختصر، وحواش ونكت إلى غير ذلك.
وكان قد سمَّع الحديث على جده والبياني والقلانسي وغيرهم، وأجاز له أهل عصره مصرًا وشامًا. وكان ينظم شعرًا عجيبًا غالبه بلا وزن، وكان منجمعًا عن بني الدنيا تاركًا للتعرض للمناصب بارًا بأصحابه مبالغًا في إكرامهم يأتي مواضع النزه ويحضر حلق المنافقين وغيرهم، ويمشي بين العوام، ولم يحج ولم يتزوج، وكان لا يحدث إلا متوضئًا ولا يترك أحدًا يستغيب عنده مع محبته للمزاح والمفاكهة واستحسان النادرة.
وكان يعرف علومًا عديدة منها الفقه، والتفسير، والحديث، والأصلان، والجدل والخلاف والنحو، والصرف، المعاني، والبيان، والبديع، والهيئة، والحكمة، والزيج، والطب، والفروسية، والرمح، والنشاب، والدبوس، والتقاف، والرمل، وصناعة النفط، والكيمياء، وفنون أخر.
وعنه أنه قال: أعرف ثلاثين علمًا لا يعرف أهل عصري أسماءها. وقال في رسالته «ضوء الشمس»: سبب ما فتح به علي من العلوم منام رأيته. قال السيوطي: وقد علقت أسماء مصنفاته في نحو كراسين.
وأخذ عنه جمع منهم الكمال بن الهمام، وابن قزيل، والشمس القاياتي، والمحب بن الأقصرائي، وابن حجر وقال: لازمته من سنة تسعين إلى أن مات، وكنت لا أسميه في غيبته إلا إمام الأئمة، وقد أقبل في الأخير على النظر في كتب الحديث.
وكان ينهي أصحابه عن دخول الحمام أيام الطاعون فقدر أن الطاعون ارتفع أو كاد فدخل هو الحمام وخرج فطعن عن قرب ومات. وقال العلامة البقاعي حدثني الشيخ محب الدين الأقصرائي.
وكان ممن لازم الشيخ عز الدين أنه رأى رجلًا تكروريًا اسمه الشيخ عثمان ماغفًا بالغين المعجمة والفاء، ورد إلى القاهرة وله عشرة بنين رجال أتى بهم الشيخ عز الدين للاستفادة فقرأ عليه كتابًا فكان إذا كرر له مسألة وقف ودار ثلاث دورات على هيئة الراقص، ثم انحنى للشيخ على هيئة الراكع، وجلس، فإذا جلس قام بنوه العشرة ففعلوا مثل فعله.
وقال ابن حجر: وكان يعاب على الشيخ عز الدين التزيي بزي العجم من طول الشارب، وعدم السواك، حتى سقطت أسنانه. وتوفي في عشري ربيع الآخر، واشتد أسف الناس عليه، ولم يخلف بعده مثله.
قلت: وقد جمعت ما وقفت عليه من أسماء كتبه في هامش ديوان الإسلام فبلغت القائمة إلى أربعين كتابًا.

(١) هو: أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد أبو العباس، =

المقريزي، القاهري، الشافعي، المؤرخ، الإخباري، تقي الدين، الحنفي البعلي الأصل، الشهرة: المقريزي.
ولد سنة (٧٦٦هـ) وقيل: (٧٦٩هـ). وتوفي سنة (٨٤٥هـ) في ١٦ رمضان.
المؤرخ صاحب الشهرة الكبيرة الواسعة جاءت ترجمته في الكثير من الكتب والتي منها:
«ديوان الإسلام» (ت ١٢٢٨)، معجم المؤلفين (٢/ ١١)، «الأعلام» (١/ ١٧٧)، «هدية العارفين» (١/ ١٢٧)، «كشف الظنون» (٧ وغير ذلك كثير جدًّا)، «شذرات الذهب» (٧/ ٢٥٥)، «حسن المحاضرة» (١/ ٣٢١)، «المنهل الصافي» (٤/ ٣٩)، «الضوء اللامع» (٢/ ٢١)، «البدر الطالع» (١/ ٧٩)، «الخطط التوفيقية» (٩/ ٦٩)، «إيضاح المكنون» (١/ ١٠٠)، «المؤرخون في مصر» (٦/ ١٧)، «مصر الإسلامية» (٤٤: ٦٠).

قال ابن العماد في «شذرات الذهب»: الحنفي البعلي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، الإمام العالم الورع عمدة المؤرخين وعين المحدثين.

ولد بعد سنة ستين وسبعمائة ونشأ بالقاهرة وتفقه على مذهب الحنفية، وهو مذهب جده، العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ، ثم تحول شافعيًا بعد مدة طويلة.

وسمع الكثير من البرهان النشاوري، والبرهان الآمدي، والسراج البلقيني، والزين العراقي، وسمع بمكة من ابن سكر وغيره. وله إجازة من الشيخ شهاب الدين الأذرعي، والجمال الإسنوي وغيرهما.

كان علمًا من الأعلام ضابطًا، مؤرخًا، مفننًا، محدثًا معظمًا في الدول. ولي حسبة القاهرة غير مرة، وعرض عليه قضاء دمشق فأبى.

وكتب الكثير بخطه، وانتقى وحصل الفوائد، واشتهر ذكره في حياته، وبعد موته في التاريخ وغيره، حتى صار يضرب به المثل. وكان منقطعًا في داره ملازمًا للخلوة والعبادة، قل أن يتردد لأحد إلا لضرورة إلا أنه كان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم لميله إلى مذهب الظاهر.

قال ابن تغربردي: قرأت عليه كثيرًا من مصنفاته وكان يرجع إلى قولي فيما أذكره له من الصواب وأجاز لي جميع ما تجوز له وعنه روايته.

ومن مصنفاته: قال محققه: ذكرت أسماء مصنفاته على حسب ما وقفت عليه في هامش ديوان الإسلام وسأذكر هذه القائمة بعد ذكر وفاته.

وتوفي يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان بالقاهرة، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر. انتهى.
أما أسماء كتبه التي وقفت عليها فهي:

١ - إمتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع (في ستة مجلدات).
٢ - درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة.
٣ - مجمع الفوائد ومنبع الفرائد (في النحو ثمانين مجلدًا)؟
٤ - السلوك في معرفة دول الملوك (في عدة مجلدات).
٥ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (في تاريخ مصر).
٦ - اتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء.
٧ - إزالة التعب والعناء في معرفة الحال في الغناء.
٨ - الإشارة والإعلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام.
٩ - إغاثة الأمة بكشف الغمة.

وكان من عجائب الدهر في النظم والنثر، ولو لم يكن له إلا قصيدته المشهورة بـ: «البردة» التي سبب نظمها وقوع فالج به أعيى الأطباء، ففكر في إعمال قصيدة يستشفع بها إليه ﷺ إلى ربه، فأنشأها فرآه ماسحًا بيده الكريمة عليه فعوفي لوقته، ثم لما خرج من بيته لقيه رجل صالح، فطلب منه سماعها فعجب إذ لم يخبر بها أحدًا، فقال الرجل: سمعتها البارحة تنشد بين يديه ﷺ وهو يتمايل كتمايل القضيب فأعطيته إياها.

وقيل: إنه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبي ﷺ في النوم فقرأ عليه شيئًا منها فتفل في عينيه فبرئ لوقته، كفاه ذلك شرفًا وتقدمًا.

وكيف وقد زادت شهرتها إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن. وكان يعاني صنعة الكتابة على الحمايات، وباشر ببلبيس[1] الشرقية[2] ثم ترك ذلك.

وصحب القطب أبا العباس المرسي[3] رضي الله عنه، فعادت عليه بركته، وساعده بلحظه وهمته إلى

=

١٠ - الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام.
١١ - الأوزان والأكيال الشرعية. ١٢ - البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد.
١٣ - البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب.
١٤ - تجريد التوحيد.
١٥ - التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم.
١٦ - جني الأزهار من الروض المعطار.
١٧ - حصول الإنعام والسير في سؤال خاتمة الخير.
١٨ - الخبر عن البشر (في القبائل وأنساب النبي ﷺ في ستة أجزاء).
١٩ - الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك.
٢٠ - شارع النجاة (في حجة الوداع).
٢١ - شذور العقود في ذكر النقود.
٢٢ - الضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري.
٢٣ - الطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة.
٢٤ - عقد جواهر الإسقاط من أخبار مدينة الفسطاط.
٢٥ - العقود في تاريخ العهود.
٢٦ - المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية.
٢٧ - المقتفى (في تراجم أهل مصر). ٢٨ - نحل عبر النحل.

(١) إحدى مراكز محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية.
(٢) إحدى محافظات وسط الدلتا بجمهورية مصر العربية وهي معروفة لأهل مصر وغيرها ومنها جمع غفير من العلماء القدامى والحداث.
(٣) سبق ترجمته وهو أحمد بن محمد بن أحمد، ويمكن مراجعة «بغية الوعاة» (١/ ٣٦١).

أن فاق أهل زمانه.

ورزقه الله الشهرة والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه.

ومن ذلك قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الألفاظ الجزلة المباني، العجيبة الأوضاع البديعة المعاني، العديمة النظير، البديعة المعاني، العديمة النظير، البديعة التحرير، إذ لم ينسج أحد على منوالها، ولا وصل إلى حسنها وكمالها، حتى إن الإمام البرهان القيراطي[1] مع [٥٧/ب] جلالته وتضلعه من العلوم النقلية، وتقدمه على أهل عصره في العلوم العربية والأدبية، لا سيما علم البلاغة، ونقد الشعر وإتقان صنعته، وتمييز حلوه من مره، ونهايته من بدايته، أراد أن يحاكيها ففاته الشنب وانقطعت به الحيل عن أن يبلغ من معارضتها أدنى أرب.

وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها، وبلاغة جمعها، وبداعة صنعها، وامتلاء الخافقين بأنوار جمالها، وإدحاض دعاوى أهل الكتابين ببراهين جلالها.

فهي الآخذة بأزمَّة العقول، والجامعة بين المعقول والمنقول، والحاوية لأكثر المعجزات والحاكية للشمائل الكريمة على سنن قطع أعناق أفكار الشعراء عن أن تشير على محاكاة تلك المحكيات، والسالمة من عيوب الشعر من حيث فن العروض كإدخال عروض على أخرى،

---

(١) هو: إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن شادي بن هلال وقيل: إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد. أبو إسحاق، القيراطي الطائي، المصري، برهان الدين، الشاعر، الأديب. ولد سنة (٧٢٦هـ) في صفر، وتوفي سنة (٧٨١هـ) في ربيع الأول بمكة، من مصادر ترجمته:
«معجم المؤلفين» (١/ ٣٨، ٥٤)، «حسن المحاضرة» (١/ ٢٧٤)، «إيضاح المكنون» (١/ ٥٠١)، «معجم المصنفين» (٣/ ٢١٣-٢١٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٥)، «الدرر الكامنة» (١/ ٣١)، «المنهل الصافي» (١/ ٧٠-٧٦)، «شذرات الذهب» (٦/ ٢٦٩) وفيه:
الطائي، القيراطي، الشاعر المشهور، ولد في صفر سنة ست وعشرين وسبعمائة وتفقه واشتغل وتعانى النظم ففاق فيه. وله ديوان جمعه لنفسه يشتمل على نثر ونظم في غاية الإجادة، واشتهرت مرثيته في الشيخ تقي الدين ناظر الجيش، وفي تاج الدين السبكي، غرر المدائح.
ورسالته التي كتبها للشيخ جمال الدين بن نباتة في غاية الحسن والطول. وكان من تعانيه النظم والنثر عابدًا فاضلًا درس بالفارسية. وكان مشهورًا بالوسوسة في الطهارة. وقد حدث عن ابن شاهد الجيش بـ«الصحيح»، وعن ابن ملوك، وأحمد بن علي بن أيوب المستولي والحسن بن السديد الإربلي، وشمس الدين بن السراج.
وحدث عنه من نظمه القاضي عز الدين بن جماعة والقاضي تقي الدين بن رافع وغيرهما ممن مات قبله، وسمع منه جماعة. ومن شعر:

كأن خديه ديناران قد وزنـــا ... فحرر الصيرفي الوزن واحتاطا
فشح بعضهما عـــن وزن صاحبه ... فزاده من فتيت المسك قيراطا

وقد توفي بمكة مجاورًا في ربيع الآخر وله خمس وخمسون سنة إلا شهرًا.

وضرب على آخر، ومن حيث فن القوافي كالإيطاء: وهو: تكرار لفظ القافية بمعنى قبل سبعة أبيات، وقيل: عشرة.

وكالإكفاء: وهو اختلاف حرف الروي، والأقوى: وهو اختلاف حركتها. وهي من بحر الخفيف وهو مركب من ستة أجزاء: سباعية الحروف، فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين.

وقد يدخله الخبن في «مستفعلن» فيصير «مفعلن» فينتقل إلى «مفاعلن»؛ لأنه أخف، بل وفي جميع أجزائه، فيحذف ثاني كل وهو حسن.

والكف: وهو حذف سابعه من البعض أو الكل غير السادس، إذ لا يوقف على متحرك وهو صالح. انتهى المراد منه ببعض حذف واختصار.

ثم [٥٨/ أ] اعلم ثانيًا: أنه لما ساعدتني سوابق الأقدار وساقتني سوابق العناية من العظيم الكريم الحليم الستار. أمعنت النظر وأعملت الفكر في الرد على أهل الضلال، خصوصًا على فرق النصارى[(١)] الذين ارتكبوا في معتقداتهم المحال، وأبطلت دعاويهم الفاسدة، وأثبت نفي

---

(١) أما فرق النصارى فقد ذكرها الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» (١/ ٢٢٠) فقال: النصارى: أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ﷺ وهو المبعوث حقًا بعد موسى ﷺ، المبشر به في التوراة، وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة ودلائل باهرة مثل: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة، ونطفة البين من غير تعليم سالف.

وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة، وقد أوحى الله تعالى إليه إنطاقًا في المهد، وأوحى إليه إبلاغًا عند الثلاثين. وكانت مدة دعوته: ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام.

فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه، وإنما اختلافاتهم تعود إلى أمرين:

أحدهما: كيفية نزوله واتصاله بأمه، وتجسد الكلمة.

والثاني: كيفية صعوده، واتصاله بالملائكة، وتوحد الكلمة.

أما الأولى: قضوا بتجسد الكلمة، ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلام، فمنهم من قال: أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف. ومنهم من قال: انطبع فيه انطباع النقش في الشمع. ومنهم من قال: ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني، ومنهم من قال: تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: ما زجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء، والماء اللبن، وأثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة. قالوا: الباري تعالى جوهر واحد، يعنون به القائم بالنفس، لا التحيز والحجمية، فهو واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقنومية.

ويعنون بالأقانيم: الصفات، كالوجود والحياة، والعلم، وسموها: الأب، والابن، وروح القدس، وإنما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم.

وقالوا في الصعود: إنه قتل وصلب، قتله اليهود حسدًا وبغيًا وإنكارًا لنبوته ودرجته. ولكن القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي، وإنما ورد على الجزء الناسوتي.

قالوا: وكمال الشخص الإنساني في ثلاثة أشياء: نبوة، وإمامة، وملكة. وغيره من الأنبياء كانوا موصوفين بهذه الصفات الثلاثة أو ببعضها، والمسيح عليه السلام درجته فوق ذلك لأنه الابن الوحيد فلا نظير له،

=

ما تمسكوا به في تجارتهم البائرة الكاسدة.

وناديت على خراب سوقهم بأرفع صوت رعد الاستدلال، وتابعت عليهم بروق سيوف الأدلة متوالية كالأهلة هلالًا بعد هلال. كيف لا، والاستشهاد على بطلان مذاهبهم بقواطع الآيات التي صدعهم بها على وجه التقرير والتكرير صاحب المعجزات صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وسلم على ممر الأزمنة والأوقات؟

ولما أردفتها بأبيات الهمزية التي جعلتها كالشرح عليها[1] أحببت أن أشرحها بشرح يفي

=

ولا قياس له إلى غيره من الأنبياء، وهو الذي به غفرت زلة آدم ﷺ وهو الذي يحاسب الخلق.

ولهم في النزول اختلاف:

فمنهم من يقول: ينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام. ومنهم من يقول: لا نزول إلا يوم الحساب وهو بعد أن قتل وصلب نزل ورأى شخصه شمعون الصفا وهو أفضل الحواريين علمًا وزهدًا وأدبًا، غير أن فولوس شَوَّش أمره، وصير نفسه شريكًا له وغير أوضاع كلامه، وخلطه بكلام الفلاسفة ووساوس خاطره.

ورأيت رسالة فولوس التي كتبها إلى اليونانيين: إنكم تظنون أن مكان عيسى ﷺ كمكان سائر الأنبياء وليس كذلك. بل إنما مثله مثل «ملكيز داق» وهو ملك السلام الذي كان إبراهيم ﷺ يعطي إليه العشور، وكان يبارك على إبراهيم ويمسح رأسه، ومن العجب أنه نقل في الأناجيل أن الرب تعالى قال: إنك أنت الابن الوحيد ومن كان وحيدًا كيف يمثل بواحد من البشر؟!

ثم إن أربعة من الحواريين اجتمعوا وجمع كل واحد منهم جمعًا سماه الإنجيل، وهم: متى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا.

وخاتمة إنجيل متى أنه قال: إني أرسلكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم، فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الأب، والابن، والروح القدس.

وفاتحة إنجيل يوحنا: على القديم الأزلي قد كانت الكلمة وهو ذا الكلمة كانت عند الله والله هو الكلمة، وكل كان بيده.

ثم افترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وكبار فرقهم ثلاثة: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية. وانشعبت منها: الإليانية، والبليارسية، والمقدانوسية، والسبالية، والبوطينوسية، والبولية، إلى سائر الفرق.

(١) ثم ذكر الشهرستاني فرق النصارى الثلاثة الكبرى في المصدر السابق (١/ ٢٢٠) فقال:

أ- الملكانية: هم أصحاب «ملكًا» الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية.

قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم. ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة. ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنًا بل المسيح مع ما تدرع به ابن.

فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن.

وصرحت الملكانية: بأن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة، وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث، وأخبر عنهم القرآن ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

=

وقالت الملكانية: إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي، وهو قديم أزلي من قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلهًا أزليًا، والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معًا. وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله ﷻ وعلى المسيح، لما وجدوا في الإنجيل حيث قال: إنك أنت الابن الوحيد. وحيث قال له سمعون الصفا: إنك ابن الله حقًا. ولعل ذلك من مجاز اللغة كما يقال لطلاب الدنيا: أبناء الدنيا، ولطلاب الآخرة: أبناء الآخرة.

وقد قال المسيح ﷺ للحواريين: أنا أقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل من يؤذيكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء الذي تشرق شمسه على الصالحين والفجرة، وينزل قطره على الأبرار والأثمة وتكونوا تامين كما أن أباكم الذي في السماء تام.

وقال: انظروا صدقاتكم فلا تعطوها قدام الناس لتراؤهم فلا يكون لكم أجر عند أبيكم الذي في السماء

ولما قال أريوس: القديم هو الله، والمسيح هو مخلوق، اجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلد قسطنطينية بمحضر من ملكهم، وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر رجلًا، واتفقوا على هذه الكلمة، اعتقادًا ودعوة، وذلك قولهم: «نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شيء، وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء من أجلنا ومن أجل معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنسانًا، وحُبل به، وولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام فيلاطوس، ودفن، ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين». هذا هو الاتفاق الأول على هذه الكلمات وفيه إشارة إلى حشر الأبدان.

وفي النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان، وقال: إن عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن الجهل، وعاقبة الأخيار: سرور وفرح العلم، وأنكروا أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب، وقال مار إسحاق منهم: إن الله تعالى وعد المطيعين وتوعد العاصين، ولا يجوز أن يخلف الوعد لأنه لا يليق بالكريم، ولكن يخلف الوعيد، فلا يعذب العصاة، ويرجع الخلق إلى سرور وسعادة ونعيم، وعمم هذا الكل إذ العقاب الأبدي لا يليق بالجواد الحق تعالى.

ب- النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة.

قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى ﷺ لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريقة الظهور كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراف الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم.

وأشبه المذاهب بمذهب نسطور في الأقانيم: أحوال أبي هاشم من المعتزلة، فإنه يثبت خواصًا مختلفة لشيء واحد. ويعني بقوله: «واحد» يعني: الإله.

قال: هو واحد بالجوهر، أي: ليس هو مركبًا من جنسين بل هو بسيط وواحد.

=

=

ويعني بالحياة، وبالعلم: قنومين جوهرين، أي: أصلين مبدأين للعالم، ثم فسر العلم بالمنطق والكلمة. ويرجع منتهى كلامه إلى إثبات كونه تعالى موجودًا حيًّا ناطقًا كما تقول الفلاسفة في حد الإنسان، إلا أن هذه المعاني تتغاير في الإنسان لكونه جوهرًا مركبًا، وهو جوهر بسيط غير مركب. وبعضهم يثبت لله تعالى صفات أخر بمنزلة القدرة والإرادة ونحوهما، ولم يجعلوها أقانيم كما جعلوا الحياة والعلم أقنومين.

ومنهم: من أطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة: حي، ناطق، إله.

وزعم الباقون: أن اسم الإله لا يطلق على كل واحد من الأقانيم.

وزعموا: أن الابن لم يزل متولدًا من الآب، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد، والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت، فهو إله وإنسان اتحدا، وهما جوهران أقنومان طبيعتان: جوهر قديم، وجوهر محدث، إله تام، وإنسان تام. ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث، لكنهما صارا مسيحًا واحدًا، وطبيعة واحدة، وربما بدلوا العبارة فوضع مكان الجوهر: الطبيعة، ومكان الأقنوم: الشخصي.

وأما قولهم في القتل والصلب فيخالف قول الملكانية، قالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، لأن الإله لا تحله الآلام.

وبوطينوس، وبولس الشمشاطي فيقولان: إن الإله واحد، وأن المسيح ابتدأ من مريم عليها السلام وإنه عبد صالح مخلوق، إلا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته، وسماه ابنًا على التبني، لا على الولادة والاتحاد.

ومن النسطورية قوم يقال لهم: المصلين، قالوا: إن المسيح مثل ما قال نسطور إلا أنهم قالوا: إذا اجتهد الرجل في العبادة، وترك التغذي باللحم والدسم، ورفض الشهوات النفسانية، والحيوانية، تصفى جوهره حتى يبلغ ملكوت السماوات، ويرى الله تعالى جهرة، وينكشف له ما في الغيب فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ومن النسطورية من ينفي التشبيه، ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما قالت القدرية.

ج- اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو.

وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

فمنهم من قال: إن المسيح هو الله تعالى. ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت، فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو.

وهذا كما قال: ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان، وكما أخبرنا التنزيل عن جبريل ﷺ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

وزعم أكثر اليعقوبية: أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيبًا، كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرًا واحدًا أقنومًا واحدًا، وهو إنسان كله وإله كله، فيقال: الإنسان صار إلهًا، ولا ينعكس، فلا يقال: الإله صار إنسانًا، كالفحمة تطرح في النار فيقال: صارت الفحمة نارًا، ولا يقال: صارت النار فحمة، وهي في الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة بل هي جمرة.

وزعموا: أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع،

=

بمضمونها وما لديها، ويجلي عرائس أبكارها على منصات الألباب مع الاختصار، ويظهر مخبآت أسرارها ظهور الشمس في رابعة النهار، راجيًا أن أندرج به في سلك خدمة جنابه ﷺ وأن أطوق بسببه سوابغ مدده ولحظه الأعظم، فقلت مستعينًا بالله تعالى متوكلًا عليه، ومفوضًا سائر أموري إليه، سائلًا منه أن يتقبله مني فضلًا منه، ويجعله سببًا لي في شفاعة المصطفى والفوز برؤيته حالًا ومآلًا في الجنة.

=

والحلول كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوة. وأجمع أصحاب التثليث كلهم على أن القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث، إلا أن الأقنوم الثاني الذي هو الكلمة اتحد دون سائر الأقانيم.

وأجمعوا كلهم على أن المسيح ﷺ ولد من مريم عليها السلام، وقتل وصلب، ثم اختلفوا في كيفية ذلك.

فقال الملكانية واليعقوبية: إن الذي ولد من مريم هو الإله. فالملكانية لما اعتقدت أن المسيح ناسوت كلي أزلي، قالوا: إن مريم إنسان جزئي، والجزئي لا يلد الكلي، وإنما ولده الأقنوم القديم.

واليعقوبية: لما اعتقدوا أن المسيح هو جوهر من جوهرين، وهو إله، وهو المولود، قالوا: إن مريم ولدت إلهًا، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

وكذلك قالوا في القتل والصلب: إنه وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين، قالوا: لو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد.

وزعم بعضهم: أنا نثبت وجهين للجوهر القديم فالمسيح قديم من وجه محدث من وجه.

وزعم قوم من اليعقوبية: أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئًا ولكنها مرت بها كالماء بالميزاب، وما ظهر بها من شخص المسيح في الأعين فهو كالخيال والصورة في المرآة، وإلا فما كان جسمًا متجسمًا كثيفًا في الحقيقة.

وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والحسبان، وهؤلاء يقال لهم: الإليانية، وهم قوم بالشام، واليمن، وأرمينية قالوا: وإنما صلب الإله من أجلنا حتى يخلصنا.

وزعم بعضهم أن الكلمة كانت تداخل جسم المسيح ﷺ فتصدر عنه الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وتفارقه في بعض الأوقات فترد عليه الآلام والأوجاع.

ومنهم بليارس وأصحابه، حكي عنه أنه كان يقول: إذا صار الناس إلى الملكوت الأعلى أكلوا ألف سنة وشربوا وناكحوا، ثم صاروا إلى النعم التي وعدهم آريوس، وكلها لذة، وراحة، وسرور وحبور، لا أكل فيها ولا شرب ولا نكاح.

وزعم مقدانيوس أن الجوهر القديم أقدومان فحسب: آب، وابن، والروح مخلوق.

وزعم سباليوس: أن القديم جوهر واحد، أقنوم واحد، له ثلاث خواص، واتحد بكليته بجسد عيسى ابن مريم عليه السلام.

وزعم آريوس أن الله واحد، سماه أباه، وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء، وهو مخلوق قبل خلق العالم، وهو خالق الأشياء. وزعم أن الله تعالى روحًا مخلوقة أكبر من سائر الأرواح وأنها واسطة بين الآب، والابن، تؤدي إليه الوحي.

وزعم: أن المسيح ابتدأ جوهرًا لطيفًا روحانيًا غير مركب، ولا ممزوج بشيء من الطبائع الأربع، وإنما تدرع بالطبائع الأربع عن الاتحاد بالجسم المأخوذ من مريم.

وهذا آريوس قبل الفرق الثلاث فتبرءوا منه لمخالفتهم إياه في المذهب.

قال الناظم قدَّس الله روحه ونور ضريحه رادًّا على أهل الكتابين:

قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتكم به الحنفاء

[٥٨/ ب] أي يا قوم، فهو منادى حذفت منه ياء النداء، وحذف حرف النداء جائز إلا في الندبة والاستغاثة ومع الضمير، وكذا مع اسم الإشارة، واسم الجنس على قول فيه.

قال ابن حجر في شرحه على الهمزية: «قوم عيسى»: المدعوين بالنصارى «عاملتم قوم موسى» وهم اليهود بالتصديق بكتابهم وهو التوراة «الذي عاملتكم به» أي بنظيره، وهو التصديق بكتابكم الذي هو الإنجيل «الحنفاء» أي المسلمون جمع «حنيف» وهو المائل عن كل دين إلا الدين الحق، فقوم عيسى وهم النصارى صدقوا كتب قوم موسى وهم اليهود، وهي التوراة، وما بعدها كالزبور، والحنفاء وهم المسلمون صدقوا الإنجيل كما صدقت النصارى التوراة، واليهود كذبت الإنجيل، فالمسلمون مصدقون بالكتابين.

والمعنى: أيها النصارى، عاملتم اليهود بالذي عَامَلتكم أيها الفريقين به الحنفاء فصدقتم أيها النصارى كتب اليهود، وكذبت اليهود كتبكم كما بين ذلك بقوله:

صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم إن ذا لبئس البواء

«صدقوا»: أي قوم عيسى «كتبكم» وهو التوراة، وما بعدها كالزبور، «وكذبتم كتبهم» وهي: الإنجيل، وجمعه للمشاكلة أو لتنزيله منزلة كتب متعددة، وفي هذا التفات لأن قوم عيسى خوطبوا أولًا، وأعيد عليهم ضمير الغيبة، وقوم موسى بالعكس، وبين عيسى وموسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الآتيين، وبين التصديق والتكذيب الطباق.

«إن ذا» الذي فعلتموه معشر اليهود «لبئس البواء» أي: ما بوأتم أي: رجعتم به القهقرى.

وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٠] [٥٩/ أ].

لو جحدنا جحودكم لاستوينا أو للحق بالضلال استواء؟!

«لو جحدنا» من الجحد وهو الإنكار عن علم، «جحودكم» أي مثله بأن أنكرنا كتابكم كما أنكرتم كتابنا وكتاب عيسى «لاستوينا» نحن وأنتم، ولا استواء بيننا وبينكم، فإنا على الحق وأنتم على الضلال، ولا استواء للحق بالضلال كما أشار لذلك بقوله: أو يكون «للحق بالضلال استواء»؟!

فإن قيل: ما ذكر من تصديق النصارى كتب اليهود يخالفه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

قلنا: لا يلزم من ذلك تكذيب كتبهم بل هم مصدقون بها مع قولهم: إنهم ليسوا على شيء، من حيث إنهم ينسبونهم إلى التبديل والتغيير ونسخ شريعتهم بشريعة عيسى، قاله الشيخ:

أحمد بن أحمد عبد الحق السنباطي[١] أحد الشارحين لهذه القصيدة، ونحوه لابن حجر المتقدم ذكره[٢].

ما لكم أخوة الكتاب أناسًا ليس يرعى للحق منكم إخاء

«ما لكم» أي: حاصل حصل لكم معشر الفريقين يا «أخوة الكتاب» من اليهود والنصارى، والمراد بالكتاب الجنس الشامل لكتابيهما وسماهم «إخوة الكتاب» لأنه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والأحكام صاروا مستوين فيهما فيه كما استواء الأخوة في الانتساب إلى أصل واحد.

«أناسًا» خبر لكون محذوف معلوم من السياق، أي: ما لكم ملتبسين بحال هي كونكم أناسًا، «ليس يرعى للحق منكم إخاء» بكسر الهمزة نائب فاعل «يرعى»، ويجوز أنه اسم «ليس» ونائب فاعل «يرعى» ضميره أي: مؤاخاة، أي [٥٩/ أ]: ليس يصدر «منكم» مراعاة للدين الحق للقيام بما يجب له من الحقوق التي منها تصديق محمد ﷺ عملًا بما في كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته ﷺ لكافة الخلق بشيرًا ونذيرًا، بل نبذتم الحق وراء ظهوركم حسدًا كما قال:

يحسد الأول الأخير وما زال كذا المحدثون والقدماء

«يحسد الأول» منكم «الأخير» حسدًا يحمله على عدم مراعاته للحق كما حسدت اليهود عيسى، والفريقان محمدًا ﷺ حسدًا حملهم على عدم مراعاة الحق الذي علموه من كتبهم من

---

(١) هو: أحمد بن أحمد بن عبد الحق، السنباطي، المصري، الشافعي، شهاب الدين. الشهير بـ: السنباطي. توفي سنة (٩٩٠هـ) وقيل: (٩٩٥هـ).
جاءت ترجمته في:
«كشف الظنون» (٨٥٩، ١٩٧١)، «تاريخ آداب اللغة العربية» (٣/ ٣٢٧)، «إيضاح المكنون» (١/ ٩٥)، (٢/ ٢٣٣)، «معجم المؤلفين» (١/ ١٤٩)، وفيه:
عالم مشارك في أنواع من العلوم. من تصانيفه:
توضيح على رسالة المارديني في العمل بالربع المجيب.
شرح البسملة لزكريا الأنصاري
روضة الفهوم بنظم نقاية العلوم للسيوطي
ثم شرحه وسماه: فتح الحي القيوم بشرح روضة الفهوم والنقاية.
إظهار الأسرار الخطية في حل الرسالة الجيبية.
شرح القصيدة الهمزية في المدائح النبوية (وهي المشار إليها هنا).

(٢) سبق ترجمته وهو: أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل، الكناني، العسقلاني المصري، المعروف بابن حجر العسقلاني، وراجع «شذرات الذهب» (٧/ ٢٧٠).

أحقية ما جاء به، بل خانوا بكتمه، وظلموا بقتل عيسى في زعمهم وهمهم بقتل محمد ﷺ، «وما زال كذا» أي: هكذا المذكور من حسد الأول للأخير حسدًا يحمله على عدم مراعاته للحق.

ثم ذكر من ذلك حسد قابيل هابيل، وحسد إخوة يوسف ﷺ له فقال:

قد علمتم بظلم قابيل هابيل ومظلوم الأخوة الأتقياء

«قد» للتحقيق، «علمتم» يا أهل الكتاب، «بظلم قابيل» من إضافة المصدر إلى فاعله، وهو أول أولاد آدم وهم أربعون جاءوا من حواء في عشرين بطنًا في كل بطن ذكر وأنثى، وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا أربعين ألفًا [1].

أخاه «هابيل» ثاني أولاد آدم قتله بشدخ رأسه بين حجرين، حمله على ذلك [٦٠/أ] حسده له على ما آتاه الله من فضله من تقبل قربانه دون قربان قابيل بنزول نار من السماء فأكلته دون قربان قابيل مع تزويج آدم هابيل أخت قابيل وقابيل أخت هابيل.

وكانت أخت قابيل أجمل من أخت هابيل وكان من شريعة آدم: أن اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الأنساب، فكان يزوج ذكور كل بطن لإناث الأخرى وبالعكس، فحسد قابيل هابيل على ذلك فقال: «لأقتلنك».

فقابل إساءته بالإحسان، فقال مستسلمًا لقضاء الله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ﴾ إلى أن قال عز من قائل: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ [المائدة: ٢٨ - ٣٠] فظلمه بقتله.

«ومظلوم الأخوة» أي: والمظلوم من الإخوة لباقيهم هم «الأتقياء» منهم، ولذلك قال ﷺ: «كن خير ابني آدم، كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل».

وعلم مما قررنا: أنه حسده بسببين:

أخروي: وهو ما في الآية.

ودنيوي وهو: ما ذكر من تزوج أخته.

وقد جاء في القضية: أن آدم ﷺ لما أمر قابيل أن يزوج أخته لهابيل، فامتنع وقال: أختي أحسن لا أمكنه منها ولا أرضى أخته، أمرهما أن يقربا قربانًا لله، وكانت العلامة على قبوله إذ ذاك نزول نار من السماء تأكله، فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده إلى أن

(١) هذه أقوال مرسلة في كتب التواريخ والسير، فالله أعلم بحقيقة ما أنجبت وبنوع كل ما أنجبت في كل مرة وعدد مرات الإنجاب، وهي أمور لا يجب الاهتمام بها كثيرًا لأنه لا ينبني عليها عمل، ولن يسألنا الله عنها.

قتله.

وبين «الأول» و«الأخير» و«المحدثون» و«القدماء» جناس الطباق، كـ: «وفيتم وخانوا» و«أحسنتم وأساءوا» و«الآباء والأبناء» و«عرفوه وأنكروه» الإتيان [٦٠/ب] وسمعتم بكيد أبناء يعقوب أخاهم، وكلهم صلحاء.

«وقد سمعتم» وفي نسخة «علمتم» يا أهل الكتاب بكيد أبناء يعقوب المسمى في القرآن بإسرائيل أي: عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ حملهم على ذلك حسدهم له على ما آتاه الله من فضله من زيادة حب أبيه له على حبه لهم، وكلهم صلحاء بل أنبياء على الصحيح؛ لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

فإن الأسباط هم أولاد يعقوب ﷺ وقد ذكرت الآية أنه أُنزل عليهم شيء يجب الإيمان به غير ما أنزل على آبائهم، وذلك الشيء هو الوحي كما هو المتبادر بل صرحت به آية أخرى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣]. ولا ينافي نبوتهم الموجبة لعصمتهم ما ذكر من كيدهم أخاهم بما يأتي لأن ذلك صدر منهم عن تأويلات تراها شريعتهم فهي مجوزة لهم ذلك (١).

وتسميته بالكيد في كلام الناظم باعتبار الصورة الظاهرة، على أن ذلك إنما وقع منهم قبل

(١) اختلف أناس في حكاية كيد أخوة يوسف ﷺ له، ونفى البعض أن يكونوا أنبياء، بل قوم صالحون، وتعجب قوم من قولهم بأن يوسف أحب إلى أبيهم منهم إذ كانوا كبارًا ويوسف صغير فما يشغلهم بذلك؟!

واستكثروا العقوبة التي أوقعوها عليه لمجرد أنه يحبهم أكثر منهم، وذهبوا إلى أن هذا القول ما هو إلّا مجرد ستارًا ستروا به ما كانوا يخفون من أسباب بغضهم له أو خوفهم منه.

وربما كان أبوهم يعلم بسبب عدم رضاهم عن يوسف، أي السبب الحقيقي وراء هذا البغض أو عدم القبول به، ولهذا خاف عليه منهم وخشي أن يصيبوه بمكروه، فكره أن يرسله معهم، ولما لم يرد أن يكشف لهم عما يعرفه عنهم تجاهه من شدة تنافر، قال لهم: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ [يوسف: ١٣] وربما أراد غوائل النفوس، فكنى عنه بالذئب.

وأشياء كثيرة في هذه السورة تدعو للتأمل والتدبر والتفكير، فهي من السور التي تثير جدلًا كثيرًا في كثير من موضوعها، وفي كثير من مواضعها، وسبحان الله، إن لي مع هذه السورة من بين سور القرآن حكايات كثيرة وذكريات عديدة، وكان لي فيها تأملات في حياتي الشبابية وفي السجون، وفي الكهولة، وحتى هذه السن، وكل يوم أرى في هذه السورة أشياء جديدة، فأنا أراها مليئة بالأشياء الغامضة التي تحتاج إلى تجلية وإعمال فكر وتدبر، فهي في رأيي ليست مجرد سورة من سور القرآن، ولا هي كأخواتها من السور، ومن المعروف أنها وحدة واحدة، فهي تتناول حياة أو قصة سيدنا يوسف من الصبا إلى السلطة. فاللهم افتح على من تناولها بشرح وتوضيح حتى يجلي ما فيها من كنوز.

النبوة. وقد ذهب إليه كثيرون، وإن كان الصحيح خلافه كما تقدم إلَّا أن عصمة الأنبياء إنما هي بعد النبوة لا قبلها.

ثم بين كيدهم إياه بقوله:

حين ألقوه في غيابت جب ورموه بالإفك وهو براء

«حين» ظرف للكيد الواقع منهم لأخيهم يوسف ﷺ. «ألقوه في غياب جب» الجب[1] البئر التي تطوى، و«غيابت» قعره، ورموه بذلك خوفًا من تقدمه عليهم مع كونه أصغرهم [٦١/ أ] الذي أنبأت عنه رؤياه المذكورة في أول السورة إذ الأحد عشر كوكبًا مثال لهم لأنهم أحد عشر، والشمس والقمر أبوه وخالته، وسجود الكل له دخولهم تحت أمره وطاعته.

وكان الأمر كذلك كما في آخر السورة، فإنهم لما جاءوا إليه مع أبيهم وخروا له سجدًا قال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠]، الآية.

وحين «رموه بالإفك» أي: الكذب، حيث قالوا: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ يريدون بذلك يوسف ﷺ. «وهو براء» أي بريء مما رموه به، فإنه لم يسرق وإنما أخذ صنمًا لجده أبي أمه من ذهبٍ وفضةٍ فكسره، وألقاه على الطريق، كما روي ذلك عن ابن عباس[2].

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة جبب: الجُبُّ: البئر، مذكر. وقيل: هي البئر لم تطو. وقيل: هي الجيدة الموضع من الكلأ. وقيل: هي البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر. وقيل: لا تكون جُبًّا حتى تكون مما وُجِدَ لا مما حفره الناس.

والجمع: أجباب وجباب وجببة. وفي الحديث: «جُبّ طلعةٍ» مكان جُف طلعه، وهو: أن دفين سحر النبي ﷺ جُعل في جب طلعة أي: في داخلها وهما معًا وعاء طلع النخل.

....يقال: إنها لواسعة الجب مطوية كانت أو غير مطوية. وسميت البئر جبًا لأنها قُطِعَت قطعًا ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما أشبهه.

وقال الليث: الجب: البئر غير البعيدة. وقال الفراء: بئر مجببة الجوف: إذا كان وسطها أوسع شيء منها مقببة. وقالت الكلابية: الجب: القليب الواسعة الشحوة.

(٢) هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم (عمرو) ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر، أبو العباس، القرشي، الفهري، الهاشمي، المكي، الصحابي ﷺ، ابن عم رسول الله ﷺ، البحر الحبر. الشهرة: ابن عباس. أمه: أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية. وميلاده: قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بخمس. وفاته: توفي بالطائف سنة (٦٨هـ) وله (٧١، أو ٧٢، أو ٧٤ سنة).

هو علم مشهور شهرة واسعة من السبعة المكثرين لرواية الحديث على ما يزعم لأن في هذا القول عند أهل التحقيق شك كبير، ومن مصادر ترجمته:

«أسماء الصحابة الرواة بتحقيقي» (ت: ٥)، «الإصابة» (٤/ ٩٠)، «أسد الغابة» (٣/ ٢٩٠)، «الاستيعاب» (٣/ ٩٣٣)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٣٢٠)، «التاريخ الكبير» (٣/ ٣، ٥)، «بقي بن =

=

مخلد» (٥)، «الثقات» (٣/ ٢٠٨)، «الجرح والتعديل» (٥/ ١١٦)، «العبر» (١/ ٤١)، «الأعلام» (٤/ ٩٥)، «شذرات الذهب» (١/ ٧٥)، «صفوة الصفوة» (١/ ٧٤٦)، «الكاشف» (٢/ ١٠٠)، «حلية الأولياء» (١/ ٣١٤)، «البداية والنهاية» (٨/ ١٩٥)، «النجوم الزاهرة» (١/ ١٨٢)، «غاية النهاية» (١/ ٤٢٥)، «طبقات القراء للذهبي» (١/ ٤٢٥)، «تاريخ بغداد» (١/ ١٧٣)، «تهذيب الكمال» (٢/ ٦٩٨)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٧٦)، «تقريب التهذيب» (١/ ٤٢٥)، «إسعاف المبطأ» (١٩٩)، «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٣١)، «تاريخ ابن معين» (٣/ ٣١٥)، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٣١). وقد ذكره ابن حزم في أسماء الصحابة الرواة وما لكل منهم من العدد في أصحاب الألف فقال: له ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا (١٦٦٠). وذكره ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر وذكر عدد أحاديثه فوافق في ذلك ابن حزم، ثم قال: قال البرقي: والذي أحفظ عنه من الحديث نحو أربعمائة حديث.

قال محققه: إلا أن ابن حجر له في عدد أحاديث ابن عباس ﷺ رأي آخر يخالف ذلك تمامًا ويدلل على ذلك بأشياء فقال في آخر ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٧٩): فائدة: روى غندر أن ابن عباس لم يسمع من النبي ﷺ إلا تسعة أحاديث.

وعن يحيى القطان: عشرة. وقال الغزالي في «المستصفى»: أربعة، وفيه نظر في الصحيحين مما صرح فيه بالسماع من النبي ﷺ أكثر من عشرة وفيهما مما يشهد فعله نحو ذلك، وفيهما مما له حكم التصريح نحو ذلك، فضلًا عما ليس في الصحيحين.

وعلل كثيرون ترجيح ما ذهب إليه من أن ما ذكر عند ابن حجر هو الأقرب إلى الصواب إلى صغر سنه وقصره مدة صحبته للنبي ﷺ، فقد قيل: توفي النبي ﷺ وله عشر سنوات، ومن بالغ قال: خمسة عشر وصحبه ﷺ ثلاثون شهرًا فالله أعلم.

ومما ترجم له به الذهبي في «سير أعلام النبلاء» أن قال: مولده بشعب ابن هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي ﷺ نحوًا من ثلاثين شهرًا، وحدث عنه بجملة صالحة، وعن عمر، وعلي، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخلق. وقرأ على أُبي، وزيد.

وقرأ عليه: مجاهد، وسعيد بن جبير، وطائفة، وأمه هي: أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية من هلال بن عامر. وله جماعة أولاد أكبرهم العباس، وبه يُكنى، أبو الخلفاء وهو أصغرهم، والفضل، ومحمد، ولبابة، وأسماء.

وكان وسيمًا، جميلًا، مديد القامة، مهيبًا، كامل العقل، ذكي النفس، من رجال الكمال.

وأولاده: الفضل، ومحمد، وعبيد الله، ماتوا ولا عقب لهم، ولبابة ولها أولاد وعقب من زوجها علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وبنته الأخرى: أسماء وكانت عند ابن عمها عبد الله بن عبيد الله بن العباس، فولدت له حسنًا وحُسينًا. انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان، وأمي من النساء.

قال ابن شهاب: عن عبيد الله عن ابن عباس قال: أقبلت على أتان وقد ناهزت الاحتلام ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى. وروى أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر، قال أبو عبد الله بن منده: أمه هي: أم الفضل أخت أم المؤمنين ميمونة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان أبيض طويلًا بصفرة، جسيمًا، وسيمًا، صبيح الوجه له وفرة، يخضب بالحناء، دعا له النبي ﷺ

=

وقتادة [١].

=

بالحكمة.

قلت: وهو ابن خالة خالد بن الوليد المخزومي. قال سعيد بن سالم: حدثنا ابن جريج قال: كنا جلوسًا مع عطاء في المسجد الحرام فقال عطاء: ما رأيت البدر ليلة أربع عشر إلا ذكرت وجه ابن عباس.

عن ابن جريج عن طاووس قال: ما رأيت أورع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس، لقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة. روى الأعمش عن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه.

قال يزيد بن الأصم: خرج معاوية حاجًّا معه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم.

الأعمش: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا ابن عباس، وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت.

عن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس. قال سفيان بن عيينة: لم يدرك مثل ابن عباس في زمانه، ولا مثل الشعبي في زمانه، ولا مثل الثوري في زمانه.

(١) هو: قتادة بن دعامة بن عزيز (عكابة) (عرنين) أبو الخطاب، السدوسي، البصري، الأكمه، الفقيه، التابعي، المفسر، الحافظ. الشهير بـ: قتادة السدوسي. ولد سنة (٦٠هـ)، وتوفي سنة (١١٧هـ).

عالم مشهور بالعلم وخصوصًا التفسير شائع الذكر فيه وجاءت ترجمته في مصادر عديدة كثيرة منها: «ديون الإسلام» (ت ١٦٦٥)، «هدية العارفين» (١/ ٨٣٤)، «الأعلام» (٥/ ١٨٩)، «معجم المؤلفين» (٨/ ١٢٧)، «شذرات الذهب» (١/ ١٥٣)، «النجوم الزاهرة» (١/ ٢٧٦)، «البداية والنهاية» (٩/ ٣١٣)، «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٢٩)، «طبقات خليفة» (٢١٣)، «تاريخ خليفة» (٣٣٢)، «طبقات الشيرازي» (٨٩)، «التاريخ الكبير» (٧/ ١٨٥)، «التاريخ الصغير» (١/ ٢٨٢)، «تاريخ الفسوي» (٢/ ٢٧٧)، «الجرح والتعديل» (٧/ ١٣٣)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٦٩)، «جمهرة الأنساب» (٣١٨)، «معجم الأدباء» (١٧/ ٩)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٥٧)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٨٥)، «تهذيب الكمال» (١١٢٢)، «تهذيب التهذيب» (٨/ ٣٥١)، «تاريخ الإسلام» (٤/ ٢٩٥)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٢٢)، «العبر» (١/ ١٤٦)، «طبقات المفسرين» (٢/ ٤٣)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ٣٨٥)، «طبقات القراء» (٢/ ٢٥)، «طبقات الحفاظ» (٤٧).

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمته: حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، الضرير، الأكمه [والكمه هو: العمى الذي يولد به الإنسان]. كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، وهو حجة بالإجماع، إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك وكان يرى القدر، نسأل الله العفو ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذلك وسعه والله حكم عدل لطيف بعباده ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زَلله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم لا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجوا له التوبة من ذلك.

=

وزيد بن أسلم [(١)]

=

قال معمر: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام، فقال له في اليوم الثالث: يا عم ارتحل فقد أترفتني [يريد: قد أخذت مني علمي كله، وهو كناية عن سعة علم قتادة وكثرة سؤاله لسعيد].

عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: تكرير الحديث في المجلس يُذهب نوره، ما قلت لأحد قط: أعد عليَّ. قال حنظلة بن أبي سفيان: كنت أرى طاوسًا إذا أتاه قتادة يفر، قال: وكان يتهم بالقدر.

أبو سلمة المنقري: حدثنا أبان العطار قال: ذكر يحيى بن أبي كثير عند قتادة، فقال: متى كان العلم في المساكين! فذكر قتادة عند يحيى بن أبي كثير، فقال: لا يزال أهل البصرة بشر ما كان فيهم قتادة.

قلت: كلام الأقران يطوى ولا يروى، فإن ذكر تأمله المحدث، فإن وجد له متابعًا، وإلا أعرض عنه، قال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالمًا بالتفسير، وباختلاف العلماء، ثم وصفه بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره، وقال: قلما تجد من يتقدمه. وقد كان قتادة رأسًا في العربية والغريب، وأيام العرب وأنسابها، حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب الناس.

(١) هو: زيد بن أسلم، أبو عبد الله، ويقال: أبو أسامة، العدوي، المدني، مولى عمر، العمري، الفقيه، توفي سنة (١٣٦هـ)، جاءت ترجمته في:

«موسوعة رجال الكتب التسعة تأليفي مع آخر» (٢٨٤٣)، «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٩٥)، «تهذيب الكمال» (١/ ٤٤٨)، «تقريب التهذيب» (١/ ٢٧٢)، «الخلاصة» (١/ ٤٣٩)، «الكاشف» (١/ ١٣٦)، «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٨٧)، «التاريخ الصغير» (١/ ١٣٧)، «الجرح والتعديل» (٣/ ٢٥٠٩)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٩٨)، «الثقات» (٦/ ٢٤٦)، «طبقات خليفة» (٢٦٣)، «تاريخ الفسوي» (١/ ٦٧٥)، «حلية الأولياء» (٣/ ٢٢١)، «تاريخ الإسلام» (٥/ ٢٥١)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٣٢)، «طبقات الحفاظ» (٥٣)، «شذرات الذهب» (١/ ١٩٤)، «تهذيب ابن عساكر» (٥/ ٤٤٢)، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣١٦)، وفيه: الإمام الحجة، القدوة أبو عبد الله العدوي العمري، المدني الفقيه، كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ.

قال أبو حازم الأعرج: لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهًا أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه متماريين، ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا. وكان أبو حازم يقول: لا أراني الله يوم زيد بن أسلم، إنه لم يبق أحد أرضى لديني ونفسي منه، قال: فأتاه نعي زيد بن أسلم فعُقِر فما شهده.

وقال البخاري: كان علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم فكُلِّمَ في ذلك، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه.

قلت - أي الذهبي-: لزيد تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، وكان من العلماء العاملين. أرخ ابنه وفاته في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة.

ظهر لزيد من المسند أكثر من مائتي حديث. أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن أنبأنا ابن قدامة أنبأنا ابن البطي، أنبأنا أبو بكر الطريثيثي حدثنا هبة الله اللالكائي، أنبأنا محمد بن عبد الله بن القاسم حدثنا محمد ابن أحمد بن يعقوب، حدثني يعقوب بن شيبة، أنبأنا الحارث بن مسكين، أنبأنا ابن وهب، وابن القاسم قالا: قال مالك: استعمل زيد بني أسلم على معدن بن سُليم، وكان معدنًا لا يزال يُصاب فيه الناس من قبل الجن، فلما وليهم شكوا ذلك إليه، فأمرهم بالأذان، أن يؤذنوا ويرفعوا أصواتهم، ففعلوا، فارتفع عنهم ذلك حتى اليوم. قال مالك: أعجبني ذلك من مشورة زيد بن أسلم.

=

وزاد: أن أمه أمرته بذلك فخانوه بكيدهم له بما ذكر.

وقابل خيانتهم بالوفاء بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف:٩٢] الآية، قاله أحمد بن أحمد بن عبد الحق [1] المتقدم ذكره.

وقال ابن حجر: وفي تسمية الناظم هذا إفكًا نظر ظاهر بل لا يصح كيفًا.

وقد أخرج ابن مردويه [2] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧].

=

قال محققه: والله أعلم بحقيقة الخبر وما أظن أن مثل هذا الخبر صحيح من أساسه لا هو عن زيد ولا هو عن مالك رضي الله عنه، وعلى المسلم أن يتحرى عند الأخذ لدينه، فإن الأمور الاعتقادية تحتاج إلى تمحيص شديد لتسلم عقيدة المرء من الشوائب.

(١) سبق ترجمته قبل قليل، وراجع «معجم المؤلفين» (١/ ١٤٩).

(٢) هو: أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر، أبو بكر الأصبهاني، الحافظ المحدث صاحب التفسير الكبير والتاريخ والأمالي. الشهرة: ابن مردويه. ولد سنة (٣٢٣هـ) وتوفي سنة (٤١٠هـ) لست بقين من رمضان. وهو علم مشهور وصاحب تفسير كبير للقرآن.

جاءت ترجمته في العديد من المصادر التي منها:

«ديوان الإسلام» (ت ٢٠٣٠)، «هدية العارفين» (١/ ٧١)، «الأعلام» (١/ ٢٦١)، «تاريخ أصبهان بتحقيقي» (ت ٢٩٧)، «معجم المؤلفين» (٢/ ١٩٠)، «كشف الظنون» (١/ ٤٣٩)، «شذرات الذهب» (٣/ ١٩٠)، «الوافي بالوفيات» (٨/ ١٠٢)، «النجوم الزاهرة» (٤/ ٢٤٥)، «دول الإسلام» (١/ ٢٤٤)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٥٠)، «العبر» (٣/ ١٠٢)، «طبقات الحفاظ» (٤١٢)، «طبقات المفسرين» (١/ ٩٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٠٨)، وفيه: الحافظ، المجود، العلامة، محدث أصبهان، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ، والأمالي الثلاثمائة مجلس، وغير ذلك.

قال أبو بكر بن أبي علي وذكر أبا بكر بن مردويه: هو أكبر من أن ندل عليه وعلى فضله وعلمه وسيره، وأشهر بالكثرة والثقة من أن يوصف حديثه، أبقاه الله، ومتعه بمحاسنه.

قال أبو موسى في ترجمة ابن مردويه: سمعت أبي يحكي عمن سمع أبا بكر بن مردويه يقول: ما كتبت بعد العصر شيئًا قط، وعميت قبل كل أحد. يعني من أقربائه، وسمعت أنه كان يُملي حفظًا بعدما عمي.

ثم قال: وسمعت الإمام إسماعيل يقول: لو كان ابن مردويه خراسانيًا كان صيته أكثر من صيت الحاكم.

وأجاز لي أبو نعيم الحداد:

سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن مردويه، يقول: رأيت من أحوال جدي من الديانة في الرواية ما قضيت منه العجب من تثبته وإتقانه، وأهدى له كبير حلاوة فقال: إن قبلتها في آذن لك بعد في دخول داري، وإن ترجع به تزد عليَّ كرامة.

ومن تصانيفه كتاب: «المستخرج على صحيح البخاري» بعلو في كثير من أحاديثه الكتاب، حتى كأنه لقي البخاري، وكان من فرسان الحديث: فهمًا يقظًا متقنًا، كثير الحديث جدًا، ومن نظر في تواليفه عرف محله من الحفظ. وله كتاب «التشهد وطرقه وألفاظه» في مجلد صغير، وتفسير للقرآن في سبع مجلدات. يقع لنا

=

قال ﷺ: «سرق يوسف ﷺ صنمًا لجده أبي أمه من ذهب وفضة فكسره، فألقاه في الطريق، فعيره إخوته بذلك»[(١)].

وأخرج ابن جرير[(٢)] عن قتادة قال: سرقته التي عابوه بها: أخذ صنمًا كان لأبي أمه، وإنما أراد بذلك الخير.

حديثه في «الثقفيات» وغيرها.

قلت: وقد ذكرت أسماء كتبه في هامش ديوان الإسلام على ما وقف على اسمه من مؤلفاته فكانت على النحو التالي:

١ - تفسير القرآن الكبير في سبع مجلدات (تفسير المسند للقرآن).

٢ - المستخرج على صحيح البخاري.

٣ - التاريخ والأمالي الثلاثمائة في مجالس.

٤ - الجامع المختصر (في الطب).

٥ - مسند في الحديث.

(١) مثل هذه الأخبار لا يلتفت إليها لأنها تساق في معرض الدفاع أو الرد غير المبرر، فإنما وجه أخوة يوسف إليه هذا الاتهام من باب الدفاع عن أنفسهم ودفع الشبهة عنهم وإلصاق التهمة بمن وجدت عليه البينة على ما ظهر من رجوع الصواع معه وهي في نظرهم أكبر دليل وبينة على أنه سرق وإن كانوا لم يعهدوا عليه من قبل مثل هذا الأمر ولا يكادون يصدقونه عقلًا لكن قد رأوه فعلًا. فما قيمة البحث عن العلة هنا، فعليهم الدفاع عن أنفسهم حتى لا يؤخذوا بجريرته في نظرهم، والله أعلم.

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر، الطبري، المفسر، المصنف المحدث. ولد سنة (٢٢٤هـ). وهو علم مشهور وحبر معروف له تصانيف كثيرة تدل على تبحره في العلم، وقد جاءت ترجمته في مصادر منها:

«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٦٧)، «الفهرست» (٣٢٦)، «تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٢)، «طبقات الشيرازي» (٩٣)، «المنتظم» (٦/ ١٧٠)، «معجم الأدباء» (١٨/ ٤٠، ٩٤)، «إنباه الرواة» (٣/ ٨٩)، «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٧٨)، «وفيات الأعيان» (٤/ ١٩١)، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧١٠)، «العبر» (٢/ ١٤٦)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٩٨)، «طبقات القراء للذهبي» (١/ ٢١٢)، «دول الإسلام» (١/ ١٨٧)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ٢٨٤)، «مرآة الجنان» (٢/ ٢٦٠)، «طبقات الشافعية للسبكي» (٣/ ١٢٠)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٤٥)، «طبقات القراء للجزري» (٢/ ١٠٦)، «لسان الميزان» (٥/ ١٠٠)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ٢٠٥)، «طبقات المفسرين للسيوطي» (٣٠)، «طبقات الحفاظ» (٣٠٧)، «طبقات المفسرين للداودي» (٢/ ١٠٦)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢٦٠)، «الرسالة المستطرفة» (٤٣).

قال الذهبي في «سير الأعلام»: الإمام العلم، المجتهد، عالم العصر، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. مولده سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد سنة أربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا، وذكاءً وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله.

استقر في أواخر أمره ببغداد، وكان من كبار أئمة الاجتهاد، قال الخطيب: كان أحد أئمة العلماء، يحكم

بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظًا لكتاب الله تعالى، عارفًا بالقراءات بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في أخبار الأمم وتاريخهم، وله كتاب التفسير، لم يصنَّف مثله، وكتاب سماه: «تهذيب الآثار» لم أر سواه في معناه، لكن لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد في مسائل حفظت عنه.

قلت: كان ثقة، حافظًا صادقًا، رأسًا في التفسير، إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفًا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك.

قرأ القرآن ببيروت على العباس بن الوليد. وقيل: إن المكتفي أراد أن يحبس وقفًا تجتمع عليه أقاويل العلماء، فأحضر له ابن جرير، فأملى عليهم كتابًا لذلك، فأخرجت له جائزة، فامتنع من قبولها، فقيل له: لابد من قضاء حاجة، قال: أسأل أمير المؤمنين أن يمنع السؤال يوم الجمعة، ففعل ذلك. وكذا التمس منه الوزير أن يعمل له كتابًا في الفقه فألف له كتاب «الخفيف» فوجه إليه بألف دينار فردها.

قال الخطيب البغدادي: حدثني أبو الفرج محمد بن عبيد الله الشيرازي الخرجوشي سمعت أحمد بن منصور الشيرازي سمعت أحمد بن محمد الصحاف السجستاني سمعت أبا العباس البكري يقول: جمعت الرحلة بين ابن جرير، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا [أي: أصابتهم فاقة]، ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أصلي صلاة الخيرة، قال: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع وخصيٌّ من قِبل والي مصر يدق الباب، ففتحوا، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو ذا، فأخرج جرة فيها خمسون دينارًا، فدفعها إليه، ثم قال: وأيكم محمد بن جرير؟ فأعطاه خمسين دينارًا، وكذلك للروياني، وابن خزيمة، ثم قال: إن الأمير كان قائلًا بالأمس فرأى في المنام أن المحامد جياع قد طووا كشحهم، فأنفذ إليهم هذه الصُّرر وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليَّ أحدكم.

وقال أبو محمد الفرغاني في ذيل تاريخه على تاريخ الطبري: حدثني أبو علي هارون بن عبد العزيز: أن أبا جعفر لما دخل بغداد كانت معه بضاعة يتقوت منها، فسرقت، فأفضى به الحال إلى بيع ثيابه وكُمَّي قميصه، فقال له بعض أصدقائه: تنشط لتأديب بعض ولد الوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان؟ قال: نعم، فمضى الرجل، فأحكم له أمره، وعاد فأوصله إلى الوزير بعد أن أعاره ما يلبسه، فقربه الوزير ورفع مجلسه، وأجرى عليه عشرة دنانير في الشهر، فاشترط عليه أوقات طلبه للعلم والصلوات والراحة، وسأل إسلافه رزق شهر ففعل، وأدخل في حجرة التأديب، وخرج إليه الصبي، وهو أبو يحيى، فلما كتَّبه أخذ الخادم اللوح، ودخلوا مستبشرين فلم تبق جارية إلا أهدت إليه صينية فيها دراهم ودنانير، فرد الجميع وقال: قد شورطت على شيء فلا آخذ سواه، فدرى الوزير ذلك، فأدخله إليه وسأله، فقال: هؤلاء عبيد، وهم لا يملكون، فعظم ذلك في نفسه وكان ربما أهدى إليه بعض أصدقائه الشيء فيقبله، ويكافئه أضعافًا لعظم مروءته.

قال الخطيب: بلغني عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفرائيني الفقيه أنه قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى يُحَصِّل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرًا. قال أبو محمد الفرغاني: تم من كتب محمد بن جرير

كتاب: «التفسير»، الذي لو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصى لفعل.

وتم من كتبه كتاب «التاريخ» إلى عصره. وتم أيضًا كتاب «تاريخ الرجال» من الصحابة والتابعين وإلى شيوخه الذين أخذ عنهم أو لقيهم. وتم له كتاب «لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام» وهو مذهبه الذي اختاره وجوده واحتج له، وهو ثلاثة وثمانون كتابًا.

وتم له كتاب «القراءات والتنزيل والعدد». وتم له كتاب «اختلاف علماء الأمصار» وتم له كتاب «الخفيف في أحكام شرائع الإسلام» وهو مختصر لطيف. وتم له كتاب «التبصير» وهو رسالة إلى أهل طبرستان. يشرح بها ما تقلده من أصول الدين.

وابتدأ بتصنيف كتاب «تهذيب الآثار» وهو من عجائب كتبه ابتداء بها أسنده الصديق مما صح عنده سنده، وتكلم على كل حديث منه بعلله وطرقه، ثم فقهه واختلاف العلماء وحججهم، وما فيه من المعاني والغريب والرد على الملحدين، فتم منه مسند العشرة، وأهل البيت والموالي، وبعض مسند ابن عباس، فمات قبل تمامه.

قلت: هذا لو تم لكان يجيء في مائة مجلد.

قال: وابتدأ بكتابة «البسيط» فخرج منه كتاب الطهارة، فجاء في نحو من ألف وخمسمائة ورقة، لأنه ذكر في كل باب منه اختلاف الصحابة والتابعين، وحجة كل قول، وخرج منه أيضًا أكثر كتاب الصلاة، وخرج منه آداب الحكام. وكتاب «المحاضر والسجلات» وكتاب «ترتيب العلماء» وهو من كتبه النفيسة، ابتدأه بآداب النفوس وأقوال الصوفية ولم يتمه.

وكتاب «المناسك» وكتاب «شرح السنة» وهو لطيف بين فيه مذهبه واعتقاده. وكتاب «المسند» المخرج يأتي فيه على جميع ما رواه الصحابي من صحيح وسقيم، ولم يتمه، ولما بلغه أن أبا داود تكلم في حديث غدير خُم، فعمل كتاب «الفضائل» فبدأ بفضل أبي بكر، ثم عمر، وتكلم على تصحيح حديث غدير خُم، واحتج لتصحيحه، ولم يتم الكتاب.

وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد، فأما أهل الدين والعلم فغير منكرين علمه، وزهده في الدنيا ورفضه لها وقناعته ﵀ بما كان يرد عليه من حصة من ضيعة خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة.

قال القاضي أبو عبد الله القضاعي: حدثنا علي بن نصر بن الصباح حدثنا أبو عمر عبيد الله بن أحمد السمسار وأبو القاسم بن عقيل الوراق، أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون، ماتت الهمم.

فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يُملي التفسير قال لهم نحوًا من ذلك، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ.

قال أحمد بن كامل القاضي: أربعة كنت أحب بقاءهم: أبو جعفر بن جرير،والبربري، وأبو عبد الله بن أبي خيثمة، والمعمري، فما رأيت أفهم منهم ولا أحفظ. قال الفرغاني: وكتب إلى المراغي قال: لما تقلد الخاقاني الوزارة وجه إلى أبي جعفر الطبري بمال كثير، فامتنع من قبوله، فعرض عليه القضاء فامتنع، فعرض عليه المظالم فأبى فعاتبه أصحابه وقالوا: لك في هذا ثواب، وتحيي سنة قد درست وطمعوا في
=

وروى نحو ذلك جماعة عن: زيد بن أسلم، وسعيد بن جبير[(١)].

=

قبوله المظالم فباكروه ليركب معهم لقبول ذلك فانتهرهم وقال: قد كنت أظن أني لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه، قال: فانصرفنا خجلين.

(١) هو: سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، الأسدي، الوالبي، المفسر، المقرئ، الحافظ، الشهيد، الكوفي، المحدث. ولد سنة (٤٥)، وتوفي سنة (٩٥) قتله الحجاج صبرًا. وهو أحد الأعلام المشهورين بالصدع بالحق في وجوه الطغاة والجبارين المضحين في سبيل إعلاء الشرع بأرواحهم.

وجاءت ترجمته في: «ديوان الإسلام» (١٠٩٧)، «الأعلام» (٣/ ٩٣)، «طبقات المحدثين بأصبهان بتحقيقي» (ت ٢٢)، « تاريخ أصبهان » بتحقيقي، « الطبقات الكبرى » (٦/ ٢٥٦)، « التاريخ الكبير» (٣/ ٤٦١)، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٣٠)، «تهذيب التهذيب» (٤/ ١١١)، «تقريب التهذيب» (١/ ١٢٠)، «حلية الأولياء» (٤/ ٢/ ٢١)، «البداية والنهاية» (٩/ ٩٨)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٦)، «الزهد لأحمد» (٣٧٠)، «طبقات خليفة» (ت ٢٥٣٤)، «أخبار القضاة» (٢/ ٤١١)، «العبر» (١/ ١١٢)، «شذرات الذهب» (١/ ١٠٨)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٢١)، «النجوم الزاهرة» (١/ ٢٢٨)، «المعارف» (٤٤٥)، «المعرفة والتاريخ» (١/ ٧١٢)، «طبقات الشيرازي» (٨٢)، «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٧٠)، «تهذيب الكمال» (٤٨٠)، «تاريخ الإسلام» (٤/ ٢)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٧١)، «العقد الثمين» (٤/ ٥٤٩)، «غاية النهاية» (١٣٤٠)، «النجوم الزاهرة» (١/ ٢٢٨)، «طبقات المفسرين» (١/ ١٨١).

وقال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: كان من كبار العلماء قرأ القرآن على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة. روى ضمرة بن ربيعة عن أصبغ بن زيد قال: كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح، فلم يصل سعيد تلك الليلة حتى أصبح، فشق عليه، فقال: ما له قطع الله صوته؟! فما سمع له صوت بعد، فقالت له أمه: يا بُني لا تدع على شيء بعدها.

قال عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير بفارس، وكان يتحزن يقول: ليس أحد يسألني عن شيء، وكان يُبكينا، ثم عسى أن لا يقوم حتى نضحك. قال أبو بكر بن عياش عن أبي حصين: أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت له: إن هذا الرجل قادم -يعني خالد بن عبد الله- ولا آمنه عليك، فأطعني واخرج، فقال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله، قلت: إني لأراك كما سمتك أمك سعيدًا. فقدم خالد مكة، فأرسل إليه، فأخذه. قال سالم بن أبي حفصة: لما أتي الحجاج بسعيد بن جبير، قال: أنا سعيد بن جبير، قال: أنت شقي بن كسير، لأقتلنك، قال: فإذًا أنا كما سمتني أمي، ثم قال: دعوني أصلي ركعتين، قال: وجهوه إلى قبلة النصارى، قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وقال: إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم، قال: وما عاذت به؟ قال: قالت: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].

وعن عتبة مولى الحجاج يقول حضرت سعيدًا حين أتي به الحجاج بواسط فجعل الحجاج يقول: ألم أفعل بك؟! ألم أفعل بك؟ فيقول: بلى، قال: فما حملك على ما صنعت من خروجك علينا؟ قال: بيعة كانت علي -يعني لابن الأشعث- فغضب الحجاج وصفق بيديه، وقال: فبيعة أمير المؤمنين كانت أسبق وأولى، وأمر به فضربت عنقه.

قيل: ولو لم يواجهه سعيد بن جبير بهذا الاستحياء كما عفا عن الشعبي لما لاطفه في الاعتذار. قال سليمان التيمي: كان الشعبي يرى التقية، وكان ابن جبير لا يرى التقية، وكان الحجاج إذا أُتي بالرجل -يعني ممن

=

وابن جريج[(١)] وزاد: أن أمه أمرته بذلك [٦١/ ب] لأنها كانت مسلمة.

=

قام عليه- قال له : أكفرت بخروجك علي؟ فإن قال: نعم، خلى سبيله، فقال لسعيد: أكفرت؟ قال: لا، قال: اختر أي قتلة أقتلك، قال: اختر أنت، فإن القصاص أمامك.

قال أبو نعيم: حدثنا عبد الواحد بن أيمن قال: قلت لسعيد بن جبير: ما تقول للحجاج؟ قال: لا أشهد على نفسي بالكفر.

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: حدثنا أبي قال: سمعت مالكًا يقول: حدثني ربيعة، عن سعيد بن جبير، وكان سعيد من العباد العلماء، قتله الحجاج بن يوسف، وجده في الكعبة وناسًا فيهم طلق بن حبيب، فسار بهم إلى العراق فقتلهم عن غير شيء تعلق عليهم به إلا العبادة، فلما قتل سعيد بن جبير خرج منه دم كثير حتى راع الحجاج، فدعا طبيبًا قال له: ما بال دم هذا كثير؟ قال: إن أمنتني أخبرتك، فأمنه، قال: قتلته ونفسه معه.

عن عبد السلام بن حرب عن خُصيف قال: كان أعلمهم بالقرآن مجاهد، وأعلمهم بالحج عطاء، وأعلمهم بالحلال والحرام طاوس، وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب، وأجمعهم لهذه العلوم سعيد ابن جبير. وكان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين، ومن زعم أنه عاش تسعًا وأربعين سنة لم يصنع شيئًا، وقد مر قوله لابنه: ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟ فعلى هذا يكون مولده في خلافة أبي الحسن علي ابن أبي طالب ﷺ.

(١) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو خالد، وأبو الوليد، القرشي، الأموي، المكي، شيخ الحرم، المصنف الحافظ. الشهرة: ابن جريج. ولد سنة (٨٠هـ) عام الجحاف (سيل كان بمكة) توفي سنة (١٥٠ هـ)، وقيل: (١٥١هـ)، وقيل: (١٤٩هـ)، من مصادر ترجمته:

«سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٢٥)، «طبقات خليفة» (٢٨٣)، «تاريخ البخاري» (٥/ ٤٢٢)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٩٨)، «الجرح والتعديل» (٥/ ٣٥٦)، «مشاهير علماء الأمصار» (١٤٥)، «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤٠٠)، «طبقات الشيرازي» (ح ١٨)، «الكامل في التاريخ» (٥/ ٥٩٤)، «وفيات الأعيان» (٣/ ١٦٣)، «تهذيب الكمال» (٨٥٧)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٦٩)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٦٥٩)، «العبر» (١/ ٢١٣)، «تاريخ الذهبي» (٦/ ٩٦)، «غاية النهاية» (١/ ٤٩٦)، «العقد الثمين» (٥/ ٥٠٨)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٤٠٢)، «الخلاصة» (٢٤٤)، «طبقات المفسرين» (١/ ٣٥٢).

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد، القرشي، الأموي، المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة، مولى أمية بن خالد.

وقيل: كان جد جريج عبدًا لأم حبيب بنت جبير، زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، الأموي فنسب ولاؤه إليه، وهو عبد رومي، وكان لابن جريج أخ اسمه محمد لا يكاد يعرف، وابن اسمه محمد.

قال عبد الله بن أحمد: قلت: لأبي مرة: من أول من صنف الكتب بمكة؟ قال: ابن جريج وابن أبي عروبة، أنبأني المسلم بن محمد أنبأنا الكندي أنبأنا القزاز أنبأنا أبو بكر بن ثابت أنبأنا علي بن محمد المعدل حدثنا إسماعيل الصفار، حدثنا محمد بن عبيد الله المنادي حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق، قال: أهل مكة يقولون: أخذ ابن جريج الصلاة عن عطاء، وأخذها عطاء من ابن الزبير، وأخذها ابن الزبير من أبي

=

قال الإمام الشافعي ﷺ: كان زيد هذا من العالمين بالقرآن.

فالحاصل: أنه وقع منه صورة سرقة، فذكروها تعييرًا له، فهم لم يكذبوا، وإنما الذي وقعوا فيه أنهم عيروه بما لا عار فيه، بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي «سعادة الدارين في صلح الأخوين» وذكرت فيه نحو ما سبق وملخصه.

واعلم: أن واقعة يوسف ﷺ مع إخوته عليهم السلام واقعة عجيبة تشتمل على عجائب وغرائب، وحكم وأحكام، وعبر وأمثال، وذل وانخفاض، وعلو وارتفاع، وعلى حسن عاقبة الصبر وحسن عاقبة الحسد، وعلى نصر المحق وإن لم يكن له أعوان ولا أنصار، وعلى خذلان المبطل، وإن كان أعوانه وأنصاره الوزراء والملوك فضلًا عن غيرهم.

وعلى أن التباغض والتحاسد بين الإخوة أمر قديم قل ما يسلم منه خيم أو أديم وإن كملوا وجلّوا وعلت أقدارهم ومراتبهم، وزكت معادنهم ومذاهبهم. لما أن يوسف ﷺ وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحاء بل أنبياء بنص قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية، اتفقوا على أن المراد بالأسباط: أولاد يعقوب.

فكوننا أمرنا بالإيمان بما أُنزل إلى أبيهم وبما أنزل إليهم ظاهرًا ونص في أنه أنزل إليهم ما

=

بكر، وأخذها أبو بكر من النبي ﷺ.

قلت - أي الذهبي -: ولما كان ابن جريج يروي الرواية بالإجازة، وبالمناولة ويتوسع في ذلك ومن ثم دخل عليه الداخل في رواياته عن الزهري، لأنه حمل عنه مناولة، وهذه الأشياء يدخلها التصحيف ولا سيما في ذلك العصر لم يكن حدث في الخط بعد شكل ولا نقط.

قال أبو غسان زنيج سمعت جريرًا الضبي يقول: كان ابن جريج يرى المتعة، وتزوج بستين امرأة، وقيل: إنه عهد إلى أولاده في أسمائهن لئلا يغلط أحد منهم ويتزوج واحدة مما نكح أبوه بالمتعة.

قال محققه: يريد أنه جعل لهن كشف بأسمائهن وتركه لأولاده، أو بما يشبه في عصرنا بالتوثيق أو السجل المدني المصغر كي يعرف أبناؤه من هن زوجات أبيه حفاظًا على الشرع ومراعاة للنسب ولمن أراد أن يصل منهن إكرامًا للرحم.

وقد كان شيخ الحرم بعد الصحابة: عطاء، ومجاهد، وخلفهما قيس بن سعد، وابن جريج، ثم تفرد بالإمامة ابن جريج، فدون العلم وحمل عنه الناس، وعليه تفقه مسلم بن خالد الزنجي، وتفقه بالزنجي الإمام أبو عبد الله الشافعي، وكان الشافعي بصيرًا بعلم ابن جريج عالمًا بدقائقه، وبعلم سفيان بن عيينة.

وروايات ابن جريج وافرة في الكتب الستة وفي «مسند أحمد»، و«معجم الطبراني الأكبر»، وفي الأجزاء.

قال أبو عاصم النبيل: كان ابن جريج من العباد، كان يصوم الدهر سوى ثلاثة أيام من الشهر، وكانت له امرأة عابدة.

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: استمتع ابن جريج بتسعين امرأة، حتى إنه كان يحتقن في الليل بأوقية شيرج طلبًا للجماع.

يجب علينا الإيمان به إجماعًا، وهذا صريح في نبوتهم. وعليه فقد يشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الأمور الكثيرة التي ظواهرها يجب تنزيه الأنبياء عليهم السلام منها بناء على أن الأصح بل الصواب أن الأنبياء عليهم السلام جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة [٦٢/ أ] وبعدها من صغائر المعاصي وكبائرها سهوها وعمدها.

ويجاب: بأن ذلك يتأتى على مذهب كثيرين بل نقل عن الأكثرين: أن العصمة إنما تستشكل على قواعد شرعنا، أما على شرعهم فنحن لا ندريه، وبفرض أنه يوافق شرعنا في ذلك فيحتمل أن لهم تأويلًا يسوغ لهم ارتكاب ما فعلوه، وتعبير كثير كالناظم ببغضهم وحسدهم ونحو ذلك من العبارات التي ظاهرها لا يليق بهم، إنما هو بناء على عدم نبوتهم، كما هو قول بعضهم فيهم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر(١):

---

(١) هو: محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري الشافعي، الإمام، المفسر، اللغوي. الشهرة: ابن المنذر، ولد سنة (٢٤٢هـ) وتوفي سنة (٣٠٩هـ) وقيل: (٣١٠هـ)، وقيل: (٣١٨هـ). جاءت ترجمته في: «ديوان الإسلام» (ت ٢٠١٧)، «هدية العارفين» (٢/ ٣١)، «الأعلام» (٥/ ٢٩٤)، «معجم المؤلفين» (٨/ ٢٢٠)، «كشف الظنون» (١٠٣، وغير ذلك كثير)، «إيضاح المكنون» (١/ ٣٤٩)، «الرسالة المستطرفة» (٧٧)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢٨٠)، «طبقات العبادي» (٦٧)، «طبقات الشيرازي» (١٠٨)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٧٠)، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٤٥٠)، «لسان الميزان» (٥/ ٢٧)، «طبقات المفسرين للسيوطي» (٢٨)، «طبقات المفسرين للداودي» (٢/ ٥٠)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ١٩٦)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٥٠)، «الوافي بالوفيات» (١/ ٣٣٦)، «مرآة الجنان» (٢/ ٢٦١)، «طبقات الشافعية للسبكي» (٣/ ١٠٢)، «العقد الثمين» (١/ ٤٠٧)، «شذرات الذهب» (٢/ ٢٨٠)، «الأصوليين» (١/ ١٦٨)، «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٩٠)، وفيه:

الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام، الفقيه، نزيل مكة، وصاحب التصانيف، كالإشراف في اختلاف العلماء، وكتاب «الإجماع طبقات» وكتاب «المبسوط» وغير ذلك.

ولد في حدود موت أحمد بن حنبل. ولم يذكره الحاكم في «تاريخه» نسيه، ولا هو في «تاريخ بغداد» ولا «تاريخ دمشق» فإنه ما دخلها. وعداده في الفقهاء الشافعية.

قال الشيخ محيي الدين النواوي: له من التحقيق في كتبه ما لا يقاربه فيه أحد، وهو في نهاية من التمكن من معرفة الحديث، وله اختيار فلا يتقيد في الاختيار بمذهب بعينه، بل يدور مع ظهور الدليل.

قلت: ما يتقيد بمذهب واحد إلا من هو قاصر في التمكن من العلم كأكثر علماء زماننا، أو من هو متعصب وهذا الإمام فهو من حملة الحجة، جار في مضمار ابن جرير، وابن سريج، وتلك الحلبة رحمهم الله. ولابن المنذر تفسير كبير في بضعة عشر مجلدًا يقضي له بالإمامة في علم التأويل أيضًا.

قلت: وقد جمعت أسماء مؤلفاته على ما وقفت عليه في هامش ديوان الإسلام فكانت على النحو التالي:

١- الإشراف على مذهب أهل العلم. ٢- إثبات القياس.

٣- تفسير القرآن (في عشر مجلدات). ٤- المبسوط (في الفقه).

أن أبا عمرو[1] قيل له: كيف تقرأ ﴿نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]. بالنون وهم أنبياء؟ فقال: لم يكونوا يومئذ أنبياء.

=

٥- المسائل (في الفقه).	٦- كتاب الإجماع.
٧- الاقتصاد في الإجماع والخلاف.	٨- الإقناع (في الفروع).
٩- الأوسط في السنن والإجماع والخلاف (في ١٥ مجلد).	١٠- جامع الأذكار.
١١- كتاب السنن.	

(١) هو: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان، التميمي، المازني، شيخ القراء، والعربية، البصري، الشهرة: أبو عمرو. ولد سنة (٧٠هـ) وتوفي سنة (١٥٤هـ) وقيل: سنة (١٥٧هـ) وقيل: (١٥٩)، أحد القراء السبعة المشهورين. اختلف في اسمه على واحد وعشرين قولًا هي:

١- زبان وهو الأصح.	٢- جبر.	٣- اسمه كنيته.	٤- جنيد.
٥- جَزْء.	٦- حماد.	٧- حميد.	٨- خير.
٩- ربان.	١٠- عتبة.	١١- عثمان.	١٢- عربان.
١٣- عقبة.	١٤- عمار.	١٥- عيار.	١٦- عيينة.
١٧- فائد.	١٨- قبيصة.	١٩- محبوب.	٢٠- محمد.
٢١- يحيى.			

ومن مصادر ترجمته: «ديوان الإسلام» (ت ١٤٥٢)، «التاريخ الكبير» (٩/ ٥٥)، «طبقات الزبيدي» (٢٨-١٢٦)، «تهذيب الكمال» (١٦٢٩)، «تهذيب التهذيب» (١٢/ ١٧٨)، «العبر» (١/ ٢٢٣)، «تاريخ الإسلام» (٦/ ٣٢٢)، «فوات الوفيات» (١/ ٢٣١)، «طبقات القراء» (١/ ٢٨٨)، «أخبار النحويين البصريين» (٢٢)، «نزهة الألباء» (١٥)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٦٦)، «بغية الوعاة» (١٨٦٤)، «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٤٠٧)، وفيه:

شيخ القراء، والعربية، أمه من بني حنيفة. اختلف في اسمه على أقوال: أشهرها، زبّان، وقيل: العُريان.

برز في الحروف، وفي النحو، وتصدر للإفادة مدة، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم. تلا عليه يحيى اليزيدي، والعباس بن الفضل، وعبد الوارث بن سعيد، وشجاع البلخي، وحسين الجعفي، ومعاذ ابن معاذ، ويونس بن حبيب النحوي وسهل بن يوسف، وأبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس، وسلام الطويل وعدة.

وانتصب للإقراء في أيام الحسن البصري. قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقراءات والعربية، والشعر وأيام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثم تنسك فأحرقها، وكان من أشراف العرب، مدحه الفرزدق وغيره، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: ليس به بأس. وقال أبو عمرو الشيباني: ما رأيت مثل أبي عمرو. قال نصر بن علي الجهضمي عن أبيه عن شعبة قال: انظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختاره فاكتبه، فإنه سيصير للناس أستاذًا.

قال الأصمعي: قال لي أبو عمرو: كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك، أو تسأل من لا يجيبك أو تحدث من لا ينصت لك.

=

والحاصل: أنه يجب علينا الإيمان بنزاهتهم وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم. انتهت عبارة الكتاب المذكورة. اهـ.

وقد علمت تحقيق أول الكتاب المذكور فارجع له إن أردت، وإذ قد علمتم ذلك: «يا أهل الكتاب» والمراد النصارى منهم:

فتأسوا بمن مضى إذ ظلمتم ... فالتأسي للنفس فيه عزاء

«فتأسوا» أي: تعزوا إذ التأسي: التعزي، من «تأسيت بفلان» أي: تعزيت به، أي حملت حالي على حاله، ففي التأسي تسكين النفس على الأمر المشق وتصبرها عليه، والتعزي الحمل على الصبر بوعد الأجر، فمعنى التأسي والتعزي واحد أو متقارب، وساغ ذكرهما على الأول لاختلاف لفظهما بمن مضى قبلكم من أهل الفضل إذ حُسدتم فَظُلِمْتُم من اليهود بالخيانة والإساءة، كما حسد من مضى قبلكم فظلموا بهما فقابلوا الخيانة بالوفاء، والإساءة بالإحسان [٦٢/ب] فتأسوا بهم في ذلك، فالتأسي: في المصائب لا سيما بالكمل، «للنفس فيه عزاء» أي تسل وتصبر يحملها على أن لا يصدر منها إلا كمال الأخلاق والإعراض عن النظر إلى ما يصدر من أهل النفاق والشقاق.

أتراكم وفيتم حين خانوا ... أم تراكم أحسنتم إذ أساءوا

«أتراكم» تأسيتم بهم فوفيتم بما عاهدتم الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ «حين خانوا» أي اليهود ما عاهدوا الله عليه من الإيمان بعيسى، ثم بمحمد ﷺ «أم تراكم» تأسيتم به «فأحسنتم» بالمناصرة لمحمد ﷺ وأتباعه «إذ أساءوا» أي: اليهود بالمناصرة عليه وعلى عيسى بقتله في زعمهم الفاسد للإنكار، أي: لم يقع منكم الوفاء والإحسان.

كما لم يقع من اليهود ما ذكر ... بل تمادت على التجاهل إباء

تقفت آثارها الأبناء

«بل تمادت» أي تتابعت واستمرت «على التجاهل» أي إظهار الجهل من الفريقين اليهود والنصارى مع علمهم بالحق، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(1) الآية [النمل:

=

قال الأصمعي: كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننته لا يعرف شيئًا كان يتكلم كلامًا سهلًا.
قال اليزيدي: سمعت أبا عمرو يقول: سمع سعيد بن جبير قراءتي، فقال: الزم قراءتك هذه.

(١) وقال ابن كثير في تفسيرها: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي في ظاهر أمرهم ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي ظلمًا من أنفسهم سجية ملعونة ﴿وَعُلُوًّا﴾ أي استكبارًا عن اتباع الحق، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة
=

١٤]. فأظهروا خلاف الحق وهو الباطل، وأداموا على العمل به إباءً لهم. «تقفت» أي اتبعت آثارها الباطلة الأبناء كما قال تعالى حاكيًا عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾. [الزخرف:٢٣] [١].

بينته توراتهم والأناجيل وهم في جحودهم شركاء

«بينته» أي: الحق الذي تجاهلوا عنه من نبوة محمد ﷺ، وعموم رسالته.

«توراتهم» المنزلة على موسى ﷺ من أوريت [٦٣/ أ] الزند، قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور [٢]

والأناجيل المنزلة على عيسى من تنجل الشيء أخرجه [٣] والإنجيل واحد، وإنما جمعه باعتبار إفراده.

=

واحدة وفحوى الخطاب يقول: احذروا أيها المكذبون لمحمد ﷺ الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى فإن محمدًا ﷺ أشرف وأعظم من موسى ﷺ وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى ﷺ بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ المواثيق له، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

(١) وقال ابن كثير فيها: أي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين هاهنا وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً﴾ [الأنبياء: ٩٣] وقولهم: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: ورائهم ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ دعوى منهم بلا دليل، ثم بيَّن جل وعلا أن مقالتهم، قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وهكذا قال هاهنا ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

(٢) قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة «ورى»: التوراة عند أبي العباس تفعلة. وعند الفارسي: فوعلة، قال: لقلة تفعلةٍ في الأسماء وكثرة فَوْعَلَةٍ.

ووريت الشيء، وواريته: أخفيته، وتوارى هو: استتر. قال الفراء في كتابه في المصادر:

التوراة من الفعل التَّفْعِلَةُ، كأنها أخذت من أوريت الزناد ووريتها، فتكون تفعلة في لغة طيئ لأنهم يقولون في التوصية: توصاة، وللجارية: جاراة، وللناصية: ناصاة.

وقال أبو إسحاق في التوراة: قال البصريون: توراة أصلها فَوْعَلَة، وفوعلة كثير في الكلام مثل الحوصلة والدوخلة، وكل ما قلت فيه فوعلت فمصدره فوعلة، فالأصل عندهم ووراة، ولكن الواو الأولى قلبت تاء كما قلبت في تولج وإنما هو فوعل من ولجت، ومثله كثير.

(٣) قال منظور في «لسان العرب» في مادة «نجل»: الإنجيل: مثل الإكليل والإخريط. وقيل: اشتقاقه من «رينجل» الذي هو: الأصل.

وقيل: هو كريم النجل أي الأصل والطبع وهو من الفعل إفعيل. وقرأ الحسن ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ

=

وقد حكى الله ما ذكر عنهما بقوله عز من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وهذا من أعظم الأدلة على صحة نبوته وعموم رسالته وعلى أنه ﷺ على البينة الواضحة من أمره لأنه صرح بذلك على رؤوس أهل الكتابين، ولم يخش أن أحدًا منهم يقول ليس ذلك في كتابنا.

فإذا قد صرح بذلك وصح ولم يعترضوه كانوا عالمين به، وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد، قال تعالى: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦][(١)]. و﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦، والمائدة: ١٣][(٢)]. ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، و﴿لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الصف:٨][(٣)].

=

ٱلْإِنجِيلِ﴾ [المائدة: ٤٧] بفتح الهمزة. وليس هذا المثال من كلام العرب.

قال الزجاج: وللقائل أن يقول: هو اسم أعجمي فلا ينكر أن يقع بفتح الهمزة أو كسرها، لأن كثيرًا من الهمزة العجمية يخالف الأمثلة العربية نحو: آجر، وإبراهيم، وهابيل، وقابيل.

(١) وقال ابن كثير في «تفسيره»: يخبر تعالى أن العلماء من أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاء به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لرجل معه صغير: «ابنك هذا؟» قال: نعم يا رسول الله، أشهد به، قال: «أما إنه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه».

قال القرطبي: ويروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمدًا كما تعرف ولدك؟ قال: نعم، وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وإني لأعرف ما كان من أمه.

قلت: وقد يكون المراد: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ من بين أبناء الناس كلهم، لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلهم.

ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والإتقان العلمي ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ وهم يعلمون.

ثم ثبَّت تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فقال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩].

(٢) ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية في الموضع الأول: أي يتأولونه على غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله ﷻ قصدًا منهم وافتراء. ويقول في الموضع الثاني وهو من سورة المائدة أي فسدت فهومهم وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل عياذًا بالله تعالى من ذلك.

ويقول ابن كثير أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ من نفس السورة الآية ٤١ أي: يتأولونه على غير تأويله، ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

(٣) وفي تفسيرها يقول ابن كثير: أي يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه. وكما أن هذا مستحيل، ذلك مستحيل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ

=

و﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [1] [الصف:٦] و ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] [2].

= وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨ – ٩].

(١) وقال ابن كثير في تفسيرها: يعني التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد، فعيسى عليه السلام، وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرًا بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده، ولا نبوة وما أحسن ما أورد البخاري الذي قال فيه: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، والماحي، الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» رواه مسلم من حديث الزهري به نحوه.

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبدة عن أبي موسى قال: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال: «أنا محمد، وأنا أحمد والحاشر، والمقفي نبي الرحمة، والتوبة والملحمة»، ورواه مسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية.

(٢) وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعني اليهود ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني من التوراة وقوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩] أي وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

كما قال محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمرو عن قتادة الأنصاري عن أشياخ منهم قال: فينا والله وفيهم -يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم- نزلت هذه القصة، يعني فلما جاءهم قالوا: كنا قد علوناهم قهرًا دهرًا في الجاهلية، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب، وهم يقولون: إن نبيًّا سيبعث الآن، نتبعه قد أظل زمانه فنقتلهم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وقال: يستنصرون يقولون: نحن نعين محمدًا عليهم، وليسوا كذلك بل يكذبون.

وقال محمد بن إسحاق: أخبرني محمد بن أبي محمد أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن يهودًا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، وداود بن سلمى: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته، وقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذر لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ الآية.

=

وأخرج ابن عساكر[(١)] في تاريخ دمشق:

=

وقال العوفي: عن ابن عباس ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب، يعني بذلك أهل الكتاب، فلما بعث محمد ﷺ ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه.

وقال أبو العالية: كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم، فلما بعث الله محمدًا ﷺ ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدًا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ فقال الله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

(١) هو: علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، أبو القاسم الدمشقي، الشافعي، الحافظ، المؤرخ، الأخباري، ثقة الدين. ولد سنة (٤٩٩هـ في المحرم) وتوفي سنة (٥٧١هـ في ١١ رجب).

وهو علم من الأعلام المبرزين في مجال التأليف والتحديث والتأريخ وجاءت ترجمته في مصادر كثيرة جدًّا منها:

«ديوان الإسلام» (ت ١٥١١)، «معجم المؤلفين» (٧/ ٦٩)، «الأعلام» (٤/ ٢٧٣)، «كشف الظنون» (٥٤ وغير ذلك)، «إيضاح المكنون» (١/ ٢٢٤)، «هدية العارفين» (١/ ٧٠١)، «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٥٥٤)، «فريدة القصر» (قسم شعراء الشام) (١/ ٢٧٤)، «المنتظم» (١/ ٢٦١)، «معجم الأدباء» (١٣/ ٧٣)، «مرآة الزمان» (٨/ ٢١٢)، «جامع المسانيد للخوارزمي» (٢/ ٥٣٩)، «الروضتين» (١/ ١٠)، (٢/ ٢٦١)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٠٩)، «المختصر» (٣/ ٥٩)، «العبر» (٤/ ٢١٢)، «دول الإسلام» (٢/ ٨٥)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٢٨)، «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» (١٨٦)، «تتمة المختصر» (٢/ ١٢٢)، «الوافي بالوفيات» (خ١٩/ ق١٤٤)، «مرآة الجنان» (٣/ ٢٩٣)، «طبقات السبكي» (٧/ ٢١٥)، «طبقات الإسنوي» (٢/ ٢١٦)، «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٩٤)، «النجوم الزاهرة» (٦/ ٧٧)، «طبقات الحفاظ» (٤٧٤)، «الدارس للنعيمي» (١/ ١٠٠)، «مفتاح السعادة» (١/ ٢٦٦)، «تاريخ الخميس» (٢/ ٣٦٦)، «الزيارات بدمشق» (٧٣)، «شذرات الذهب» (٤/ ٢٣٩)، «أبجد العلوم» (٢/ ٣٧٥)، «تهذيب تاريخ دمشق» (١/ ٧)، «منتخبات التواريخ» (٤٧٨)، «معجم المطبوعات» (١٨١)، «كنوز الأجداد» (٣٠٦)، «تاريخ بروكلمان» (٦/ ٦٩)، «المنتخب من مخطوطات الحديث» (٧٩).

ومما ترجم له به الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: الإمام العلامة الحافظ الكبير المجود، محدث الشام، ثقة الدين أبو القاسم الدمشقي الشافعي، صاحب تاريخ دمشق.

و«عساكر» لا أدرى لقب من هو من أجداده، أو لعله اسم لأحدهم، عدد شيوخه الذي في معجمه ألف وثلاثمائة شيخ بالسماع، وستة وأربعون شيخًا أنشدوه، وعن مائتين وتسعين شيخًا بالإجازة الكل في معجمه، وبضع وثمانون امرأة لهن معجم صغير سمعناه، وصنف الكثير وكان فهمًا حافظًا ذكيًا بصيرًا بهذا الشأن لا يلحق شأوه ولا يشق غباره، ولا كان له نظير في زمانه.

وقد روى لشيوخي نحو من أربعين نفسًا من أصحاب الحافظ أفردت لهم جزء. قال ابنه القاسم: روى عنه أشياء من تصانيفه بالإجازة في حياته واشتهر اسمه في الأرض، وتفقه في حداثته على جمال الإسلام أبي الحسن السلمي وغيره، وانتفع بصحبة جده لأمه القاضي أبو المفضل عيسى بن علي القرشي في النحو

=

أن ابن سلام[(١)] لما سمع بمخرج النبي ﷺ بمكة ذهب إليه فقال ﷺ له: «أنت ابن سلام عالم يثرب؟».

وعلق مسائل من الخلاف عن أبي سعد بن أبي صالح الكرماني ببغداد، ولازم الدرس والتفقه بالنظامية ببغداد وصنف وجمع فأحسن.

وأملى في أربعمائة مجلس وثمانية. قال: وكان مواظبًا على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، ويعتكف في المنارة الشرقية، وكان كثير النوافل والأذكار، يحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والتسبيح، ويحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة، قال لي: لما حملت بي أمي رأت في منامها قائلًا يقول: تلدين غلامًا يكون له شأن.

وحدثني أن أباه رأى رؤيا معناها: يولد لك ولد يحيي الله به السنة. ولما عزم على الرحلة قال له أبو الحسن بن قيس أرجو أن يحيي الله بك هذا الشأن. وحدثنا التاج محمد بن عبد الرحمن المسعودي قال سمعت الحافظ أبا العلاء الهمذاني يقول لبعض تلامذته وقد استأذنه أن يرحل فقال: إن عرفت أستاذًا أعلم مني أو في الفضل مثلي فحينئذ آذن إليك أن تسافر إليه. اللهم إلا أن تسافر إلى الحافظ ابن عساكر، فإنه حافظ كما يجب. فقلت: من هذا الحافظ؟ فقال: حافظ الشام أبو القاسم، يسكن دمشق، وأثنى عليه، وكان يجري ذكره عند ابن شيخه وهو الخطيب أبو الفضل بن أبي نصر الطوسي، فيقول: ما نعلم من يستحق هذا اللقب اليوم أعني الحافظ ويكون حقيقيًا به سواه، كذا حدثني أبو المواهب بن صصري.

وقال أبو العلاء يومًا: أي شيء فتح له؟ وكيف ترى الناس له؟ قلت: هو بعيد عن هذا كله، لم يشتغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتصنيف والتسميع حتى في نزهة وخلوته، فقال: الحمد لله هذا ثمرة العلم، إلا إنا قد حصل لنا هذه الدار، والكتب والمسجد، هذا يدل على قلة حظوظ أهل العلم في بلادكم، ثم قال لي: ما كان يسمى أبا القاسم ببغداد إلا شعلة نار من توقده وذكائه وحسن إدراكه.

وروى زين الأمناء حدثنا ابن القزويني عن والده مدرس النظامية قال: حكى لنا الفراوي قال: قدم علينا ابن عساكر فقرأ علي في ثلاثة أيام فأكثر، فأضجرني وآليت أن أغلق بابي وأمتنع، جرى هذا الخاطر لي بالليل، فقدم من الغد شخص، فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليك، رأيته في النوم، فقال: امض إلى الفراوي، وقل له: إن قدم بلدكم رجل من أهل الشام أسمر يطلب حديثي فلا يأخذكم منه ضجر ولا ملل، قال: فما كان الفراوي يقوم حتى يقوم الحافظ أولًا.

قال محققه: وقد جمعت أسماء كتبه في قائمة بهامش ديوان الإسلام تضمنت على اثنين وسبعين كتابًا فراجعها في المصدر المشار إليه إن أحببت.

(١) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث... من ذرية يوسف ﷺ، أبو يوسف حليف القواقل من الخزرج، الإسرائيلي، الأنصاري، الصحابي. توفي سنة (٤٣هـ) في صفر. من مصادر ترجمته:
«أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد بتحقيقي» (١٠٥)، «أسد الغابة» (٣/ ٢٦٤)، «الإصابة» (٤/ ٨٠)، «الثقات» (٣/ ٢٢٨)، «نقصة الصديان بتحقيقي» (٢٤٥)، «بقي بن مخلد» (١٠٧)، «عنوان النجابة» (١٢٤)، «شذرات الذهب» (١/ ٤٠)، «تقريب التهذيب» (١/ ٤٢٢)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٤٩)، «تهذيب الكمال» (٢/ ٦٩١)، «العبر» (١/ ٥١)، «الأعلام» (٤/ ٩٠)، «الاستيعاب» (٣/ ٩٢١)، «الوافي بالوفيات» (١٧/ ١٩٨)، «الجرح والتعديل» (٥/ ٦٢)، «التاريخ =

قال: نعم، قال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أتجدني في التوراة؟».

قال: انسب ربك؟ قال: فارتج النبي ﷺ، فنزل جبريل ﷺ وقال له: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ [الصمد: ١ – ٤].

= الكبير» (٣/ ١٨)، «صفوة الصفوة» (١/ ٧١٨)، «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٣٦٧)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤١٣)، وذكره ابن حزم في أسماء الصحابة الرواة في أصحاب العشرات وقال: إن له خمسة وعشرين حديثًا، وكذا ذكر ابن الجوزي عدد أحاديثه في «تلقيح فهوم أهل الأثر» كما قال ابن حزم.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته:

الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي ﷺ. وكان فيما بلغنا: ممن شهد فتح بيت المقدس، نقله الواقدي، قال محمد بن سعد: اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ.

قال ابن سعد: هو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام وهو حليف القواقلة. قال: وله إسلام قديم بعد أن قدم النبي ﷺ المدينة، وهو من أحبار اليهود.

قال عوف الأعرابي: حدثنا زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس عليه، وكنت فيمن انجفل، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذب، فكان أول شيء سمعته يقول: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

عبد الوارث: حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: أقبل نبي الله إلى المدينة، فقالوا: جاء نبي الله فاستشرفوا ينظرون، وسمع ابن سلام وهو في نخل يخترف فعجل قبل أن يضع التي يخترف فيها، فسمع من النبي ﷺ ثم رجع إلى أهله، فلما خلا نبي الله ﷺ جاء فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأرسل إليهم فجاءوا، فقال: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله حقًا، وأني جئتكم بحق فأسلموا»، قالوا: ما نعلمه، قال: «فأي رجل فيكم ابن سلام؟» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم فقال: «اخرج عليهم»، فخرج عليهم وقال: ويلكم اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقًّا، قالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ.

قال ابن سعد: أخبرنا حماد بن عمرو حدثنا زيد بن رفيع عن سعيد الجهني، عن يزيد بن عميرة: أنه لما احتضر معاذ قعد يزيد عند رأسه يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: أبكي لما فاتني من العلم، قال: إن العلم كما هو لم يذهب، فاطلبه عند أربعة. فسماهم وفيهم: عبد الله بن سلام، الذي قال رسول الله ﷺ فيه: «هو عاشر عشرة في الجنة».

عكرمة بن عمارة عن محمد بن القاسم قال: زعم عبد الله بن حنظلة: أن عبد الله بن سلام مر في السوق عليه حزمة من حطب، فقيل له: أليس أغناك الله؟ قال: بلى، ولكن أردت أن أقمع الكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة خردل من كبر».

فقرأها عليهم، فقال ابن سلام: أشهد أنك رسول الله، وأن الله يظهرك ويظهر دينك على الأديان، وإني لأجد صفتك في كتاب الله تعالى [٦٣/ ب] -أي: التوراة-: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة السيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله تعالى حتى تستقيم به الملة العوجاء المعوجة حتى يقولوا: لا إله إلا الله تفتح بها أعين عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا[1].

و«هم» أي: اليهود والنصارى «في جحوده» أي: ذلك الحق الذي بين كتابها، وهو الإنكار بعد العلم. «شركاء» أي: مشتركون.

أن تقولوا ما بينته فما زالت بها عن عيونهم غشواء

«إن» شرطية، «تقولوا» معشر النصارى واليهود: «ما» نافية، «بيَّنته» أي ما بينت التوراة والإنجيل ذلك المذكور. «فما زالت بها» أي: التوراة والإنجيل «عن عيونهم غشواء» بالمعجمة والمهملة أي في بصائرهم ظلمة مانعة لهم عن إبصارهم الحق من قولهم: «ركب فلان العشواء»، إذا كان قد خبط أمره على غير بصيرة.

وقولهم: ركب متن عمياء، وخبط خبط غشواء، وهي الناقة التي لا تبصر أمامها، فهي تخبط بيديها كل شيء، ففيه إشارة للمثل المذكور.

أو تقولوا: قد بينته فما للأذن عما تقوله صماء

«أو تقولوا: قد بينته» كما هو الحق «فما» أي: أي شيء حصل «للأذن» أي لآذانكم حتى إنها «عما تقوله» أي: التوراة والإنجيل «صماء» أي: غير سامعة له سماع قبول، أي: موجب للإعراض عن ذلك إلا محض العناد والحسد.

عرفوه وأنكروه وظلمًا كتمته الشهادة الشهداء

«عرفوه» أي الحق ببواطنهم معرفة تعيينية وأنكروه بظواهرهم [٦٤/ أ] كما قال تعالى عنهم: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2] [البقرة:١٤٦].

---

(١) أطراف هذا الخبر عند ابن عساكر في «تاريخه» (١/ ٣٤١)، «كنز العمال» (٣٥٤١٤)، مسلم في «الصحيح» (الحدود ب٦) «ابن ماجه» (٢٥٥٨)، «أحمد في المسند» (٥/ ٤١١)، «الدر المنثور» (١/ ٩٠)، «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٣٤)، «الطبري» (٤/ ٥)، «القرطبي» (٦/ ١٧٧)، «دلائل النبوة» (١٢٥)، ابن كثير في «التفسير» (٤/ ٣٩٥)، «البداية والنهاية» (٢/ ٣٢٣).

(٢) وقال ابن كثير في تفسيرها في «تفسيره»:

يخبر تعالى أن العلماء من أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاء به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده،
=

«وظلمًا» مفعول لأجله، «كتمته» أي الحق المذكور «الشهادة» بدل اشتمال من خبر كتمته أي كتمت الشهادة به ظلمًا. «الشهداء» الذين هم أهل الكتابين لأنهم عرفوا صفة النبي ﷺ وصفة دينه معرفة قطعية، ثم أنكروا ذلك رأسًا حسدًا وعنادًا، ومباهتة وتلبيسًا على ضعفائهم ليبقى ما ينالوه منهم.

قال ابن حجر[1]: نكتة إيقاع الظاهر موضع المضمر إذ الأصل كتموا الشهادة به للتعجيل بما قررته أنهم بلغوا من العلم به ﷺ وبحقيقة دينه مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك كتموه.

ونور الإله تطفئه الأفواه وهو الذي به يستضاء

أيكتمون ذلك ويظهرون الضلال «ونور الإله» الذي هو النبوة والرسالة «تطفئه» من طفئت النار أذهبت حرها «الأفواه» أي الألسنة المتقولة بالباطل لا يكون ذلك ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[2] [الصف: ٨] ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وكيف يطغى ذلك على النور الإلهي؟!

وهو الذي به يستضاء، أي دائمًا ظاهرًا وباطنًا، أي يبصرون به الحق من الباطل والصادق من الكاذب.

أتنكرون من طحنتهم برحاها عن أمره الهيجاء

«أتنكرون» الحق أيها الملاعين ولا تنكرون «من طحنتهم» أي أهلكتهم «برحاها» أي أسلحتها عن أمره ﷺ.

=

والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لرجل معه صغير: «أبنك هذا؟» قال: نعم يا رسول الله أشهد به، قال: «أما إنه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه».

قال القرطبي: ويروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمدًا كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وإني لأدري ما كان من أمه.

قلت: وقد يكون المراد ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ من بين أبناء الناس كلهم، لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلهم.

ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والإتقان العلمي ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثم ثبت تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين، وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك، فقال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

(١) هو: العسقلاني، وقد سبق ترجمته.

(٢) وقال ابن كثير في تفسيرها: أي يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذاك ذلك مستحيل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

«الهيجاء» أي حربه ﷺ. أي لا ينبغي ذلك بل الذي ينبغي لكم الرجوع عن الضلال والاعتراف بأنكم إن دمتم عليه طحنكم ﷺ [٦٤/ب] برحى حربه، كما طحن آباءكم وأبناءكم وأهاليكم بجلاء بني النضير إلى أرض الشام وألزمهم أن لا يحمل كل واحد منهم إلا حمل بعير غير السلاح، وقتل بني قريظة [(١)].

(١) يحكي ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة الحشر سبب جلاء بني النضير المشار إليه هنا فيقول: كان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب السير: أنه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم وكانوا سبعين وأخلت منهم عمرو بن أمية الضمري، فلما كان في أثناء الطريق راجعًا إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «لقد قتلت رجلين لأدينهما» وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج منها شرقيها.

قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما فيها.

حدثني يزيد بن رومان: وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لم تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ على جنب جدار من بيوتهم فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيرحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعًا إلى المدينة فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلًا مقبلًا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلًا المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت به من الغدر به وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعة بن مالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم. وإن خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف في قلوبهم الرعب.

فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرًا فأعطاهما رسول الله ﷺ، قال: ولم يسلم من بني النضير إلا رجلين: يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش، وأبو سعيد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها.

=

كساهم ثوب الصغار وقد طَلّت دما منهم وصينت دماء

ولشدة بأسه وظهور نصرته ﷺ «كساهم ثوب الصغار» أي الذل، كضرب الرق على غير المقاتلين من بني قريظة، وقد استعار اللباس للصغار على حد ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[1] [النحل: ١١٢]، ثم قرنه بما يلائم المشبه به، وهو الكسوة، وبما يلائم المشبه، وهو طُلول دماء وصون دماء، فالأولى ترشيحية والثانية تجريدية، والحال أنه قد طُلت، بضم الطاء أي أريقت «دما منهم» أي دماء بعضهم كبني قريظة «وصينت دماء» بعضهم كبني النضير، أو المراد دماء المسلمين لأن الله تعالى جعل لهم الغلبة والدائرة على أعدائهم، وإذا تقرر اتصاف أهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق لهم أن يقال في حقهم:

كيف يهدي الإله منهم قلوبًا حشوها من حبيبه البغضاء

=

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: «ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني»، فجعل يامين بن عمرو لرجل جعلًا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق بنحو ما تقدم فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني بني النضير، ﴿مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال: من شك في أن أرض المحشر هاهنا -يعني الشام- فليقرأ هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ قال لهم رسول الله ﷺ: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر».

وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن قال: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير قال: «هذا أول الحشر وأنا على الأثر» ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به.

(١) وقال ابن كثير في تفسيرها: أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كانت يجبى إليها ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، وذلك أنهم استعصوا على رسول الله ﷺ وأبوا إلّا خلافه، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء كان لهم، فأكلوا العلهز، وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه، وقوله: ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ وذلك أنهم بُدلوا بأمنهم خوفًا من رسول الله ﷺ وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة من سطوته وسراياه وجيوشه، وجعل كل ما لهم في دمار وسفال حتى فتحها الله على رسوله ﷺ، وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول ﷺ الذي بعثه الله فيهم منهم، وامتن به عليهم في قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

«كيف يهدي» أو يُوصل «الإله منهم قلوبًا حشوها» أي ملئها «من حبيبه» محمد ﷺ، و«من» بمعنى اللام المعدية، تتعلق بقوله: «البغضاء» أي شدة البغض لحبيبه ﷺ.

قال ابن حجر: ويصح على بعد أنها للتعليل أي من أجله، أو «من» للبدل أي حشوها بغضه بدل حبه.

خبرونا أهل الكتابين من أين ... أتاكم تثليثكم والبداء

[٦٥/ أ] «خبرونا» أي أعلمونا يا «أهل الكتابين» أي التوراة والإنجيل «من أين» استفهام إنكاري «أتاكم» أي النصارى منكم «تثليثكم» أي ادعاؤكم أن الله ثالث ثلاثة: الآب والابن والروح القدس. مريدين بالآب الوجود، وبالابن العلم، وبروح القدس الحياة، من أين «أتاكم» أي اليهود منكم «البداء» أي ادعاؤكم استلزام النسخ «للبداء» أي الظهور المصلحة بعد خفائها، والبداء بالباء الموحدة، والدال المهملة والمد، من بدا بمعنى ظهر، ويقال: بدا لي في الأمر، أي تغير رأيي فيه كما كان وهذا منقول عن سيبويه(١).

---

(١) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الفارس البصري، النحوي، الحجة، الشهرة: سيبويه. توفي سنة (١٦١هـ)، وقيل: (١٧٧هـ)، وقيل: (١٨٠هـ) وقيل: (١٨٨هـ) وقيل: (١٩٤هـ). هو من أشهر مشاهير اللغة خصوصًا النحو كتبت في سيرته الكتب وترجمت له المصادر العديدة التي منها:

«ديوان الإسلام» (١١١١)، «الأعلام» (٥/ ٨١)، «معجم المؤلفين» (٨/ ١٠)، «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٥١)، «طبقات النحويين» (٦٦)، «الفهرست» (١/ ٥١)، «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٩٥)، «نزهة الألباء» (٦٠)، «معجم الأدباء» (١٦/ ١١٤)، «إنباه الرواة» (٢/ ٣٤٦)، «وفيات الأعيان» (١/ ٤٨٧)، «العبر» (١/ ٢٧٨)، «مرآة الجنان» (١/ ٤٤٥)، «البداية والنهاية» (١/ ١٧٦)، «بغية الوعاة» (٢/ ٢٢٩)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ٨٨)، «مفتاح السعادة» (١/ ١٢٨)، «نفح الطيب» (٢/ ٢٨٧)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٥٢)، «أخبار النحويين البصريين» (١٥)، «الشريشي» (٢/ ١٧)، «هدية العارفين» (١/ ٨٠٢).

قال صاحب «بغية الوعاة»: لُقِّب سيبويه ومعناه: رائحة التفاح، فقيل: كانت أمه ترقصه بذلك في صغره. وقيل: كان من يلقاه لا يزال يشم رائحة الطيب فسمي بذلك.

وقيل: كان يعتاد شم التفاح. وقيل: لقب بذلك للطافته، لأن التفاح من أطيب الفواكه.

كان أصله من البيضاء من أرض فارس، ونشأ بالبصرة، وأخذ عن الخليل، ويونس، وأبي الخطاب الأخفش، وعيسى بن عمر. وقال بعضهم: كنت عند الخليل فأقبل سيبويه فقال: مرحبًا بزائر لا يمل.

قال: وسمعت الخليل يقولها لغيره. وقال الخطيب في «تاريخ بغداد»:

معروف بسيبويه النحوي، من أهل البصرة كان يطلب الآثار والفقه، ثم صحب الخليل بن أحمد فبرع في النحو، وورد بغداد، وجرت بينه وبين الكسائي وأصحابه مناظرة.

.... عن إبراهيم الحربي قال: سمي سيبويه سيبويه لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحة.

.... عن محمد بن جعفر التميمي قال: كان سيبويه في أول أيامه يعجبه الفقهاء، وأهل الحديث، وكان يستملي على حماد بن سلمة، فلحن في حرف فعابه حماد، فأنف من ذلك، ولزم الخليل بن أحمد وكان من

وقال السهيلي[(١)]: من أجل أن البدو: الظهور. البدأ في وصف الباري سبحانه وتعالى محالٌ؛ لأنه لا يبدو له شيء كان غائبًا عنه.

=

أهل فارس من البيضاء، ومنشؤه بالبصرة، واسمه: عمرو بن عثمان بن قنبر، وكنيته أبو بشر، وسيبويه لقب، وتفسيره ريح التفاح، لأن سيب: التفاحة، وويه: الريح، وكانت والدته ترقصه وهو صغير بذلك.

عن نصر بن علي قال: برز من أصحاب الخليل أربعة: عمرو بن عثمان أبو بشر المعروف بسيبويه، والنضر ابن شميل، وعلي بن نصر، ومؤرج السدوسي.

عن محمد بن يزيد قال: كان سيبويه وحماد بن سلمة أكثر في النحو من النضر بن شميل والأخفش، وكان النضر أعلم الأربعة باللغة والحديث.

عن ابن سلام قال: كان سيبويه النحوي مولى ابن الحارث بن كعب غاية الخلق في النحو، وكتابه هو الإمام فيه، وكان الأخفش أخذ عنه، وكان أفهم الناس في النحو.

.... عن الحافظ قال: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئًا أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهدي لك شيئًا ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر أشرف من هذا الكتاب، وهذا كتاب اشتريته لك من ميراث الفراء، فقال: والله ما أهديت إلي شيئًا أحب إلي منه.

قال التاريخي: وحدثني ابن الأعلم حدثنا محمد بن سلام قال: كان سيبويه النحوي جالسًا في حلقة بالبصرة فتذاكرنا شيئًا من حديث قتادة فذكر حديثًا غريبًا وقال: لم يرو هذا إلا سعيد بن أبي العروبة، فقال له بعض ولد جعفر: ما هاتان الزيادتان يا أبا بشر؟ قال: هكذا يقال، لأن العروبة يوم الجمعة، فمن قال عروبة فقد أخطأ، قال ابن سلام: فذكرت ذلك ليونس، فقال: أصاب، لله دره.

وقال التاريخي: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي قال سمعت ابن عائشة يقول: كنا نجلس مع سيبويه النحوي في المسجد وكان شابًا جميلًا نظيفًا قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب في كل أدب بسهم مع حداثة سنه وبراعته في النحو، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ هبت ريح أطارت الورق، فقال لبعض أهل الحلقة: انظر أي ريح هي؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرس فنظر ثم عاد فقال: ما ثبت الفرس على شيء، فقال سيبويه: العرب تقول في مثل هذا: قد تذاءبت الريح، وتذاءبت أي فعلت فعل الذئب، وذلك أنه يجيء من هاهنا ومن هاهنا ليختل فيتوهم الناظر أنه عدة ذئاب.

أخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري، وأحمد بن عمر بن روح قالا: حدثنا المعافي بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الواحد أخبرني أبو الحسن بن كيسان، قال: سهرت ليلة أدرس، قال: ثم نمت فرأيت جماعة من الجن يتذاكرون بالفقه، والحديث، والحساب، والنحو والشعر، قال: قلت: أفيكم علماء؟ قالوا: نعم، قال فقلت -من همي بالنحو-: إلى من تميلون من النحويين؟ قالوا: إلى سيبويه، قال أبو عمر: فحدثت بها أبا موسى، وكان يغيظه لحسد كان بينهما، فقال لي أبو موسى: إنما مالوا إليه لأن سيبويه من الجن.

(١) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حبيش، أبو القاسم، وأبو زيد، وأبو الحسن، الضرير، المؤرخ، السهيلي، اللغوي، المقرئ المالكي الأندلسي، الأديب، الخثعمي، النحوي، المالقي، الشهرة: السُّهيلي. ولد سنة (٥٠٧هـ)، وقيل: (٥٠٨هـ) وقيل: (٥٠٩هـ). وتوفي سنة (٥٨١هـ) في شعبان بمراكش، ومن مصادر ترجمته:

=

=

«ديوان الإسلام» (ت ١١٨٩)، «الأعلام» (٣/ ٣١٣)، «معجم المؤلفين» (٥/ ١٤٧)، «هدية العارفين» (١/ ٥٢٠)، «كشف الظنون» (٤٢١)، «وفيات الأعيان» (١/ ٣٥١)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٧)، «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ١٥٧)، «إيضاح المكنون» (٢/ ٤٥١)، «إنباه الرواة» (٢/ ١٦٢)، «البداية والنهاية» (١٢/ ٣١٨)، «بغية الوعاة» (ت ١٤٩١)، «مرآة الجنان» (٣/ ٤٢٢)، «مختصر دول الإسلام» (٢/ ٦٧)، «الديباج المذهب» (١٥٠)، «المطرب» (٤٤٨)، «التكملة» (٢/ ٥٧٢)، «مختصر دول الإسلام» (٢/ ٦٧)، «السعادة الأبدية» (١٥٨)، «شذرات الذهب» (٤/ ٢٧١)، وفيها:

الأندلسي المالقي، النحوي الحافظ، العلم صاحب التصانيف منها: «الروض الأنف» في شرح سيرة ابن هشام، «والإعلام بما أبهم القرآن من الأسماء الأعلام»، وكتاب «نتائج النظر». ومسألة رؤية الله ﷻ في المنام ورؤية النبي ﷺ.

ومسألة السر في عور الدجال. ومسائل كثيرة. وله أبيات الفرج المشهورة.

قلت: وسأذكر قائمة بأسماء كتبه عقب هذه الترجمة.

قال ابن دحية: أنشدنيها، وقال: ما يسأل الله بها أحد حاجة إلا أعطاه إياها وهي:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن ... اَمنن فإن الخير عندك أجمع

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأي باب أقرع

ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... وبالافتقار إليك فقري أدفع

من ذا الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا لمجدك أن تقنط عاصيًا ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

وله أشعار كثيرة نافعة، وكان مالكيًا ضريرًا أخذ القراءات عن جماعة.

وروى عن ابن العربي والكبار، وبرع في العربية واللغات والأخبار والأثر، وتصدر للإفادة وكان مشهورًا بالصلاح والورع والعفاف، والقناعة والكفاف.

وأقام ببلده إلى أن نمى خبره إلى مراكش فطلبه واليها، وأحسن إليه وأقبل عليه، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام وهو منسوب إلى السهيل قرية بالقرب من مالقة بالأندلس. وتوفي في شعبان في اليوم الذي توفي فيه شيخ الإسكندرية أبو الطاهر بن عوف، وعاش اثنتين وسبعين سنة.

قلت: وقد جمعت مؤلفاته بهامش ديوان الإسلام، فكانت على النحو التالي:

١- التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام.

٢- القصيدة العينية.

٣- الروض الأنف في شرح تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام.

٤- نتائج النظر، ومسألة رؤية الله ﷻ في المنام ورؤية النبي ﷺ.

٥- شرح الجمل للزجاجي في (النحو) لم يتم.

٦- له أشعار كثيرة.

=

وحاصل المعنى: أنه لم يأتكم واحد من هذين الأمرين عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم ونقصان أحلامكم، كما دل على ذلك قوله:

مـــا أتى بالعقيدتـــين كتـــــاب واعتقـــاد لا نص فيــــه ادعـــــاء

«ما أتى بالعقيدتين» المذكورتين كتاب من كتب الله تعالى أبدًا ولا قام على ذلك دليل عقلي قطعي واعتقاد وهو جزم الذهن بالحكم.

ثم إن طائف ذلك الحكم ما في نفس الأمر كما اعتقادنا فصحيح واعتقادهم باطل «لا نص فيه» أي في إثباته من كتاب منها «ادعاء» أي ادعاء باطل لأنه اختراع في الدين لمجرد التشهي، وعبر بالنص، وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بأن خلا عن احتمال آخر يتطرق إليه دون الدليل الأعم، لأن الاعتقادات لا يكفي فيها الدليل الظني، وكالنص حكم [٦٥/ ب] العقل القطعي.

فالاعتقاد المستند إليه صحيح وإن لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تأويل النص إليه كآيات الصفات وأحاديثها لأن ظاهرها محالًا على الله عقلًا، فوجب صرفها عنه بتأويلها بما يوافق العقل، انظر شرح ابن حجر.

والدعاوى مـــا لم تقيموا عليهـــا بينـــات أبناؤهـــــا أدعيـــــاء

«والدعاوى» التي تقولون بها معشر اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها كالفتاوى، «ما» مصدرية ظرفية «لم تقيموا عليها بينات» أي أدلة قطعية لأن الكلام في الاعتقادات، وهي لا يفيد فيها الظني.

«أبناؤها» أي نتائجها «أدعياء» أي باطلة، والدعي في الأصل: من ينسب إلى شخص بالكذب، ومن يتبناه الإنسان وليس بابن له[(١)] فشبه دعاويهم بوطء الزنا، بجامع فساد كل

=

٧- الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب (ربما كان رقم ١).
٨- المختصر الوجيز فيما تضمن كتاب الله العزيز في ذكر من لم يسم فيه العليم من نبيٍّ وولي وغيرهم، آدمي أو ملك. أو غير ذلك من كل شيء.
٩- مسألة السر في الأعور الدجال.
١٠- كتاب الفرائض.

(١) قال ابن منظور في «لسان العرب» في مادة «دعا»: الدعوة بكسر الدال: ادعاء الولد الدعي غير أبيه. يقال: دعيٌّ بين الدعوة والدعاوة، وقال ابن الأعرابي: المُدَعى: المتهم في نسبه وهو الَّدعيّ. والدعي أيضًا: المتبنى الذي تبناه رجل فدعاه ابنه ونسبه إلى غيره، وكان النبي ﷺ تبنى زيد بن حارثة، فأمر الله ﷺ أن ينسب الناس إلى آبائهم وألا ينسبوا إلى من تبناهم فقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ
=

وقبحه وعدم الاعتداد بها ينشأ عنه لأنه ناشئ عن أصل فاسد، وهذا استعارة بالكناية، ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه الذي هو وطء الزنا وهم الأبناء الذين هم نتيجته، ثم رشح لها بذكر الأدعياء المناسب للمشبه به في النظم القياسي الاقتراني المركب من مقدمتين حملتين المنتج إنتاج الشكل الأول:

الأولى: فالأولى الاعتقاد الذي لا نص فيه دعوى.

والثانية: الدعوى بلا بينة باطلة.

فينتج الاعتقاد الذي لا نص فيه باطل.

ثم أخذ في الرد على النصارى في دعواهم أن الله ثلاثة مع دعواهم أنه واحد، فقال:

ليت شعري ذكر الثلاثة والواحد نقص في عدكم أم نماء

[٦٦/ أ] «ليت» حرف تمني «شعري» أي علمي، يعني ليتني علمت لما تقولونه انضباطًا حتى أتكلم معكم في رده بأبلغ مما هنا وهو ذكر الثلاثة الصادر منكم تارة حيث قلتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[1] [المائدة:٧٣]: الأب، والابن والروح القدس.

= تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]. والدَّعيُّ: المنسوب إلى غير أبيه، وإنه لَبين الدِّعْوَة والدعْوةِ بالفتح لعدي بن الرباب، وسائر العرب تكسرها.

(١) وقال ابن كثير في هذه الآية وفي آية النساء ١٧١، فقال في الموضع الثاني عند قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ أي فصدقوا بأن الله واحد أحد لا ولد له ولا صاحبة، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وهذه الآية والتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وكما قال في آخر السورة المذكورة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾ الآية وقال في أولها: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية، والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فمنهم من يعتقده إلهًا، ومنهم من يعتقده شريكًا ومنهم من يعتقده ولدًا، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولًا، ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم، وهو سعيد بن بطريق بطراك الإسكندرية في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة، وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة، وأنهم اختلفوا عليه اختلافًا لا ينضبط ولا ينحصر، فكانوا أزيد من ألفين أسقفًا فكانوا أحزابًا كثيرة كل خمسين منهم على مقالة، وعشرون على مقالة ومائة على مقالة، وسبعون على مقالة، وأزيد من ذلك وأنقص.

=

وذكر الواحد الصادر منكم تارة أخرى في قولكم: إله واحد، «نقص في عدكم» عن الثلاثة؟ «أم» ذكر الثلاثة «نماء» أي زيادة على الواحد؟ فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصًا، وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة، وهذا تناقض عجيب لا يصدر من عاقل، لأنكم تارة تثبتون تعدد الإله وتارة تثبتون عدم تعدده، ولذا قال متعجبًا:

كيف وجدتم إلهًا نفى التو حيد عنه الآباء والأبناء؟

«كيف وجدتم» أيها القائلون بالتثليث «إلهًا» بأن قلتم: إن الإله واحد وقد «نفى التوحيد عنه الآباء والأبناء؟» وأنتم قد أثبتموها في دعواكم التثليث بقولكم: الآب، والابن، وروح القدس.

فإن قالوا: واحد مركب من ثلاثة أجزاء فكل منها إله؟

قلنا: أيوجد إله مركب من ثلاثة أجزاء كل منها إله؟! ما سمعنا بإله أي بوجود إله لذاته أجزاء أو جزآن، بل ولا تعقلناه لأنه مما يحيله العقل بالبديهة كما أنه يحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] [الأنبياء: ٢٢].

=

فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفرًا وقد توافقوا على مقالة، فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفًا داهية ومحق ما عداها من الأقوال، وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر، وبنيت لهم الكنائس، ووضعوا لهم كتبًا وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقنونها الولدان من الصغار ليعتقدوها، ويعمدونهم عليها، وأتباع هؤلاء هم الملكية.

ثم إنهم اجتمعوا مجمعًا ثانيًا فحدث فيهم اليعقوبية، ثم مجمعًا ثالثًا، فحدث فيه النسطورية، وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك، وفي اللاهوت، والناسوت، على زعمهم هل اتحدا أو ما اتحدا، أو امتزجا أو حل فيهم على ثلاث مقالات، وكلا منهم يكفر الفرقة الأخرى.

ونحن نكفّر الثلاثة، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] أي يكن خيرًا لكم.

ويقول ابن كثير أيضًا في الموضع الأول الذي هو المشار إليه هنا من قول المؤلف عند تفسيره لقوله تعالى في سورة المائدة الآية(٧٣): ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ قال: هو قول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة، فهذا قول غريب في تفسير الآية، أن المراد بذلك طائفة والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة.

قال مجاهد وغير واحد: ثم اختلفوا في ذلك فقيل: المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

وقال ابن جرير وغيره: والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم، وهم مختلفون فيها اختلافًا متباينًا ليس هذا موضع بسطه، وكل فرقة منهم كفرت الأخرى، والحق أن الثلاثة كافرة. وقال السدي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار.

(١) وقال القرطبي في تفسيرها (٧/ ٤٣١٩):

=

وبيان إحالة العقل لما ذكر: أنه لو فرض إله مركب من أجزاء متعددة قيل لهم: ألكل منهم أي من تلك الآلهة نصيب أي جزء من الملك؟ فإن قالوا: نعم، قيل [٦٦/ ب] لهم: فهلا وفي نسخة: فلم لا، وحذفت ألف «ما» الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] تميز بالبناء للفاعل، أي تتميز أو للمفعول إلا نصبًا، أي نصيب كل من الإلهة حتى يكون ذلك التميز دليلًا على ما زعمتموه «ولا» تمييز كما هو بديهي بين الثلاثة والواحد و«النقص والنماء» جناس التقابل كالحاجة والاضطرار والإماتة والإحياء الإثبات.

فإن قالوا: لكل منهم نصيب أو أنصب لكنهم خلطوها. قيل لهم: أتراهم أي أتظنهم لحاجة أي احتياج واضطرا أو أي شدة لحاجة كمعاونة بعضهم لبعض خلطوها خلطًا يمنع تمييزها. فإن قالوا: نعم.

قلنا لهم: الإله لا يحتاج ولا يضطر لشيء مطلقًا لأنه غني بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعي على عدم ألوهيته.

وإن قالوا: خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا لهم: أيتصور وجود شركة دائمة بين شريكين فأكثر في ممالك؟

والحاصل أن «ما» نافية «بغي» أي ظلم الملوك «الخلطاء» أي الشركاء أي بعضهم على بعض لا يتصور ذلك، بل متى وجدتم شركة دائمة بين شريكين فأكثر وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد، لأنهما إن استويا في القوة تمانعا، ولم يقع فعل من أحدهما، وإن تقاربا وقع مراد الغالب فقط، وتخلف مراد المغلوب، فيلزم أن لا يتم نظام هذا العالم لأن الغرض وقوع الشركة وعدم التمييز.

واحتمال توافقهما دائمًا الذي لا يجوزه العقل لا نظر إليه لأنه مما تحيله العادة، التي هي مناط الأدلة القرآنية والسلائق العربية.

=

أي: لو كان في السماوات والأرضين آلهة غير الله معبودون لفسدتا. قال الكسائي وسيبويه: (إلا) بمعنى (غير)، فلما جعلت (إلا) في موضع (غير) أعرب الاسم الذي بعدها بإعراب (غير) كما قال:

وكل أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدان

وحكى سيبويه: لو كان معنا رجل إلا زيد لهلكنا. وقال الفراء: (إلا) هنا في موضع (سوى).والمعنى: لو كان فيهما آلهة سوى الله تعالى لفسد أهلها.

وقال غيره: أي لو كان فيهما إلهان لفسد التدبير لأن أحدهما إن أراد شيئًا والآخر ضده كان أحدهما عاجزًا.

وقيل: المعنى ﴿لَفَسَدَتَا﴾: أي لخربتا، وهلك من فيهما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء.

[٦٧/ أ] فليس ذلك دليلًا إقناعيًا خلافًا لمن وهم فيه، وكون العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لأن كل من عرفها حكم أن شريكين في الإيجاد والإمداد لا يتصور دوامهما على الموافقة لأن من شأن النفس أن لا تريد بقاء شريك معها، وكل ذلك باطل، لأنا نشاهد هذا العالم باقيًا على أكمل وجه الإتقان، وأحكم قواعد الشروط والأركان.

ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقًا وأن الإله لا شريك له مطلقًا وإلا لفسد هذا العالم وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

فالملازمة المستفادة من لفظه عادية لا عقلية لجواز اتفاقهم في المراد عقلًا، فلا يلزم الفساد لكن العادة تحيله كما مر. ثم من النصارى -لعنهم الله- من يزعم أن الله تعالى هو المسيح ابن مريم(١).

ومنهم من يزعم أنه ابن الله(٢).

---

(١) يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧] يقول تعالى مخبرًا وحاكيًا بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه أنه هو الله تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا ثم قال مخبرًا عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي لو أراد ذلك فمن ذا الذي كان يمنعه منه أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك، ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي جميع الموجودات ملكه وخلقه وهو القادر على ما يشاء لا يسأل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته. وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة.

ثم يقول ابن كثير أيضًا في نفس السورة عند الآية ٧٢: يقول الله تعالى حاكمًا بتكفير فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا وتنزه وتقدس.

هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد الله ورسوله وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل إني أنا الله، ولا ابن الله، بل قال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] إلى أن قال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦] وكذا قال لهم في حال كهولته ونبوته آمرًا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ أي فيعبد معه غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في كتابه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ من سورة التوبة الآية: ٣٠: وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية على الله تعالى. فأما اليهود فقالوا في العزير: إنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

=

فيقال لهم: من المعلوم أن عيسى كان يركب حمارًا، وحينئذ يقال لهم: أتقولون هو أي الإله الراكب الحمار؟ فإن قالوا: إنه هو. فركوبه يستدعي حدوثه وتعبه، وهو يستدعي عجزه،

=

وذكر السدي وغيره: أن الشبهة التي حصلت لهم في ذلك: أن العمالقة لما غلبت على بني إسرائيل فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم، بقي العزير يبكي على بني إسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه، فبينما هو ذات يوم إذ مر على جبانة، وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول: وامطعماه واكاسياه، فقال لها: ويحك من كان يطعمك قبل هذا؟ قالت: الله، قال: فإن الله حي لا يموت، قالت: يا عزير، فمن كان يُعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله، قالت: فلم تبكي عليهم؟ فعرف أنه شيء قد وعظ به، ثم قيل له: اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه وصلي هناك ركعتين، فإنك ستلقى هناك شيخًا فما أطعمك فكله، فذهب ففعل ما أمر به، فإذا الشيخ فقال له: افتح فمك، ففتح فمه، فألقى فيه شيئًا كهيئة الجمرة العظيمة ثلاث مرات، فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة، فقال: يا بني إسرائيل قد جئتكم بالتوراة، فقالوا: يا عزير ما كنت كذابًا. فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلمًا، وكتب التوراة بأصبعه كلها، فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبل وقابلوه بها فوجدوا ما جاء به صحيحًا، فقال بعض جهلتهم: إنما صنع هذا لأنه ابن الله.

وأما ضلال النصارى في المسيح فظاهر، ولهذا كذب الله سبحانه وتعالى الطائفتين فقال: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلاقهم ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ أي يشابهون ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ أي من قبلهم من الأمم كما ضل هؤلاء ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس : لعنهم الله ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون إلى الباطل ؟ وقوله : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ وروى الإمام أحمد، والترمذي، وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم ﷺ أنه لما بلغه دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم منَّ رسول الله ﷺ على أخته، وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فتقدم عدي إلى المدينة وكان رئيسًا في قومه طيء، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضلة وهو يقرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» وقال رسول الله ﷺ: «يا عدي ما تقول؟ أيضرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئًا أكبر من الله؟ ما يضرك أن يقال: لا إله إلا الله فهل تعلم إلهًا غير الله؟» ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق، قال: فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال: «إن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون» وهكذا قال حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا.

وقال السدي: استصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله تعالى وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ أي الذي حرم الشيء فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع وما حكم به نفذ ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] **أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان.**

والإله لا يكون عاجزًا ولا حادثًا، وما زعمتموه يلزمكم عجزه وحدوثه، وحينئذ فيقال على جهة التعجب من دعواهم المستلزمة ذلك: يا عجز إله يمسه الإعياء، أي التعب. «أم» متصلة لمعادلتها للهمزة، تقولون: الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة جميع على حمار، فيقال لكم: لقد جل حينئذ حمار يجمعهم أي الآلهة مشى صيغة مبالغة من مشى، وقبح إله يحتاج إلى أن يمشي به [٦٧/ب] حمار.

فالجملة الخبرية في النظم تفيد التعجب مما يترتب على ما فيها. «أم» متصلة أيضًا لمعادلتها للهمزة يقولون: «سواهم» أي سوى الثلاثة الذين على الحمار هو الإله «فما» أي فبسبب ذلك يقال: «ما» نسبة عيسى الراكب الحمار، و«الانتماء» أي الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة أي لا نسبة بينهما إلا التباين فكيف قلتم بالاتحاد والامتزاج؟ أم تقولون: ليس هو الراكب الحمار؟ ماذا أردتم بها؟ أي بالثلاثة التي هي الله عندكم الصفات قامت بعيسى قيام العرض بمحله فكان هو الله عندكم فلم خصت ثلاثة بضم أوله، والصرف للوزن بوصفه أي الإله وثناء بضم أوله أيضًا وآحاد وحذفه من باب الاكتفاء، أي فلم اختصت ثلاثة واثنتان وواحدة من الصفات بوصف الإله؟ أي بالوصف بأنها إله؟ فليكن التكرار المستفاد من هذه الألفاظ المعدولات عن ثلاثة وثلاثة واثنين واثنين وواحد وواحد، ومن ثم كان صرف ثلاث في كلامه للضرورة ليس مرادًا وإنما المراد ثلاثة واثنتان وواحد كما مر، فعلم بذلك أن الصفات لا تنحصر في اثنين، ولا في ثلاثة، فادعاء التثليث تحكم صرف لا يقول به عاقل.

أم تقولون: هو أي الراكب الحمار عيسى ﷺ ابن الله الإله؟ فيقال لكم: لم اختص عيسى ﷺ بذلك حتى إنه «ما» نافية شاركته في معاني النبوة «الأنبياء» بل عيسى وبقية الأنبياء عليهم السلام في ذلك على حد سواء. فادعاء النبوة لعيسى ﷺ دونهم تحكم باطل لمشاركتهم [٦٨/أ] له في معاني النبوة.

«قتلته» أي عيسى ﷺ اليهود حال كون قتلهم له إنما هو فيها أي في المعقول الذي زعمتم معشر النصارى فلا يكون الله ولا ابنه، وإلا لم يتمكنوا من قتله، وهذا زعم باطل فإن الزعم أصله وموضعه قول الكذب.

ومن ثَمَّ قالت العرب: «زعموا» مطية الكذب[1].

---

(١) قلت: وفي الخبر «بئس مطية الرجل :زعموا» وفي «موسوعة أمثال العرب» (٤/ ١٤٨):
«زعموا» مطية الكذب، وقيل: «زعموا» كنية الكذب. أي قولهم «زعموا» مطية الكذب. وفي «لسان العرب» لابن منظور في مادة «زعم» (١٨٣٦): الزعم: الكذب، قال الكميت:

إذا الآكام اكتست مآليها وكان زعم اللوامع الكذب

يريد السراب، والعرب تقول: أكذب من يلمع. وقال شريح: زعموا كنية الكذب، وقال شمر: الزعم =

وقد يستعمل بمعنى قال مجردًا عن التكذيب، كقول أم هانئ[1] للنبي ﷺ يوم فتح مكة: زعم ابن أمي – أي: علي – أنه قاتل من أجرته؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ».

=

والتزاعم أكثر ما يقال فيما يشك فيه ولا يحقق، وقد يكون الزعم بمعنى القول، وروى بيت الجعدي..

وفي الحديث: «بئس مطية الرجل زعموا» معناه أن الرجل إذا أراد المسير إلى بلد والظعن في حاجة ركب مطيته، وسار حتى يقضي إربه، فشبه ما يُقدِّمه المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى غرضه من قوله: زعموا كذا وكذا بالمطية التي يتوصل بها إلى الحاجة. وإنما يقال: «زعموا» في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنما يحكى على الألسن على سبيل البلاغ، فذُمَّ من الحديث ما كان هذا سبيله.

(١) هي: فاختة بنت أبي طالب بن عبد مناف، أم هانئ، القرشية الهاشمية، بنت عم رسول الله ﷺ وأخت علي بن أبي طالب. قيل: اسمها: هند، وقيل: فاطمة، وقيل: فاختة وهو الأشهر، زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ. أمها: فاطمة بنت أسد. وفاتها: قال الترمذي وغيرها: عاشت بعد علي. ومن مصادر ترجمتها الكثيرة:

«أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد منهم من العدد بتحقيقي» (ت ٦٨)، «والإصابة» (٨/ ٢٨٧)، «أسد الغابة» (٧/ ٤٠٤)، «الاستيعاب» (٤/ ١٩٦٣)، «بقي بن مخلد» (٧٠)، «تجريد أسماء الصحابة» (٢/ ٣٣٧)، «تهذيب الكمال» (٣/ ١٧٠٦)، «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٨١)، «تقريب التهذيب» (٢/ ٦٢٥)، «الكاشف» (٣/ ٤٩٢)، «الجرح والتعديل» (٩/ ٤٦٧)، «أعلام النساء» (٤/ ١٤). قلت: وقد ذكرها ابن حزم في الصحابة الرواة في أصحاب العشرات وقال: إن لها: ستة وأربعين حديثًا، وكذا ذكر لها مثل هذا العدد ابن الجوزي في «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٣٦٦).

وقال صاحب «أعلام النساء» في ترجمتها:

من فواضل نساء عصرها خطبها رسول الله ﷺ إلى عمه أبي طالب قبل أن يوحي إليه، وخطبها معه هبيرة بن أبي وهب فتزوجها هبيرة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا عم زوجت هبيرة وتركتني؟» قال: يا ابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم والكريم يكافئ الكريم.

وأسلمت أم هانئ عام الفتح فلما أسلمت وفتح الرسول ﷺ مكة هرب زوجها هبيرة إلى نجران وقال: حين فر معتذرًا من فراره:

لعمرك ما وليت ظهري محمدًا ... وأصحابه جبنًا ولا خيفة القتل

ولكنني قلبت أمري فلم أجد ... لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلي

وقفت فلما خفت ضيقة موقفي ... رجعت لعود كالهزبر إلى الشبل

ولما بلغه إسلام أم هانئ، وكانت تحته قال أبياتًا منها:

وعاذلة هبت بليل تلومني ... وتعذلني بالليل ضل ضلالها

وتزعم أني إن أطعت عشيرتي ... سأردى وهل يرديني إلا زوالها

وقال يخاطب أم هانئ:

=

وكيف يصح هذا الزعم، والحال، أنه قد كان لأمواتكم به أي بسبب عيشى ﷺ إحياء بإذن الله تعالى، والإحياء: رد الروح إلى الجسد بعد مفارقتها له، فمن كان يريد الحياة الدنيا بعد ذهابها بإذن الله تعالى فكيف لا يحفظها عن الذهاب بإذنه لا سيما عن نفسه بل تمكن منه من قتله، فتصديقكم لليهود في قتله شاهد صدق على سخافة عقولكم وأنه لا مسكة لها ولا تثبت لأنكم تقعون في التناقض الصريح ولا تتنبهون له، وعلى كل حال إن قولًا مما حكي عنكم كقولكم بالتثليث أطلقتموه معشر النصارى على الله تعالى عما تقوْلونه أنتم وأمثالكم علوًا كبيرًا.

«ذكرًا» أي ثناء وتعظيمًا في قولكم الله ثالث ثلاثة: «لقول هُراء» بضم الهاء من هري الكلام إذا كثر الخطأ.

وفي نسخة بالزاي من قولهم: «هُزْؤة» بالتسكين أي مهزوئه، وبالتحريك يهزء بالناس ويصح أن «ذكرًا» تمييز من [٦٨/ ب] تعالى أي تعالى ذكرًا، وهذا من القول البديع الجامع مثل

=

فإن كنت قد تابعت دين محمد وقطعت الأرحام منك حبالها

فكوني على أعلى سحيق بهضبة ململمة غبراء يبس بلالها

ولجأ الحارث بن هشام إلى منزل أم هانئ يوم فتح مكة مستجيرًا بها، فدخل عليها أخوها علي فخبرته الخبر فأخذ السيف ليقتله، فقالت أم هانئ: يا ابن أم قد أجرته، فلم يلتفت إلى قولها، فوثبت فقبضت على يديه، وقالت: والله لا تقتله وقد أجرته، فلم يقدر أن يرفع قدمه عن الأرض وجعل يتفلت منها فلا يقدر، فدخل النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ألا ترى أني أجرت فلانًا فأراد علي أن يقتله؟! فقال النبي ﷺ: «قد أجرنا من أجرت، ولا تغضبي عليًا فإن الله يغضب لغضبه أطلقي عنه» فأطلقت عنه فقال عليه الصلاة والسلام: «يا علي غلبتك امرأة؟» فقال: والله يا رسول الله ما قدرت أن أرفع قدمي من الأرض، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «لو أن طالبًا ولد الناس كانوا شجاعًا»، وخطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها لما فرق الإسلام بينها وبين زوجها هبيرة. فقالت: والله إن كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام، ولكني امرأة مصبية وأكره أن يؤذوك. فقال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن المطايا نساء قريش أحناه على ولد في صغر وأرعاه لزوج في ذات يده». وفي رواية أخرى: أنها قالت: يا رسول الله؛ لأنت أحب إليّ من سمعي وبصري، وحق الزوج عظيم فأخشى إن أقبلت على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي، وإن أقبلت على ولدي أن أضيع حق الزوج، فقال رسول الله ﷺ. «إن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغر وأرعاه على بعل في ذات يده».

وروت أم هانئ عن النبي ﷺ (٤٦ حديثًا) وروى عنها مولاها أبو مرة، وأبو صالح باذام، وابن ابنها جعدة المخزومي، وابن ابنها يحيى بن جعفر، وابن ابنها هارون، وعبد الله بن عياش، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وابنه عبد الله، والشعبي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعطاء وكريب، ومجاهد، وعروة ابن الزبير، ومحمد بن عقبة بن أبي مالك.

يجوز نصبه حالًا أي القول هذا الحال كونه «مثل» أو نعتًا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدأ محذوف أي هو مثل ما قالت اليهود «قولهم بالبداء» فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وإن تباين تفصيل كل من المقالتين وكل من الفريقين لزمته، أي: لزمته دعواه مقالته شنعاء أي قبيحة جدًا إذ هم استقروا البداء وكم ساق وبالًا إليهم استقراء «إذ هم» أي: اليهود «استقروا البداء» أي: تتبعوه حتى قالوا: لا يجوز عقلًا ولا سمعًا على الله نسخ ملة بملة لأنه يوهم البداء وهو ظهور المصلحة له بعد خفائها ووافقهم بعض غلاة الرافضة(١). ومنهم من جوزه عقلًا ومنعه شرعًا.

واعلم أن شريعة نبينا عليه الصلاة والسلام ناسخة لجميع الشرائع إجماعًا، واختلفوا في شريعة عيسى هل هي ناسخة لشريعة موسى أو مخصصة؟ والأظهر أنها مخصصة لا ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾(٢) [آل عمران: ٥٠].

---

(١) قال أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» (١/ ٨٨):
الرافضة: (الإمامية): أربع وعشرون فرقة: إنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر. وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول: إنه ليس بإمام.
وأبطلوا جميعًا الاجتهاد في الأحكام. وزعموا جميعًا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس. وزعموا أن عليًا رضي الله عنه كان مصيبًا في جميع أحواله وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين إلا «الكاملية» أصحاب أبي كامل، فإنهم أكفروا الناس بتركهم الاقتداء به. وأكفروا عليًا بترك الطلب، وأنكروا الخروج على أئمة الجور، وقالوا: ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته، وهم سوى الكاملية أربع وعشرون فرقة، وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب.

(٢) وقال ابن كثير في تفسيرها:
فيه دلالة على أن عيسى ﷺ نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين. ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئًا، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ وكشف لهم عن الغطاء من ذلك كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف:٦٣]، والله أعلم.
وقال القرطبي في تفسيرها (٣/ ١٣٣٨): ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ فيه حذف «أي: ولأحل لكم جئتكم ببعض الذي حرم عليكم» يعني من الأطعمة، قيل: إنما أحل لهم عيسى ﷺ ما حرم عليهم بذنوبهم ولم يكن في التوراة نحو أكل الشحوم وكل ذي ظفر.
وقيل: إنما أحل لهم أشياء حرمتها عليهم الأحبار ولم تكن في التوراة محرمة عليهم.
قال أبو عبيدة: يجوز أن يكون بعض بمعنى كل، وأنشد لبيد:

تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها

وهذا القول غلط عند أهل النظر من أهل اللغة لأن البعض والجزء لا يكونان بمعنى الكل من أكل الشحوم وغيرها.

=

قال الإمام في تفسيره: روي: أن الرسل تبقى بعد موسى كلهم على شريعة إلا شريعة عيسى ﷺ. انتهى من شرح ابن حجر. وفيه كلام طويل يخرجنا ذكره عن الاختصار فراجعه إن شئت.

«وكم» أي مرات كثيرة ساق «وبالًا» أي عذابًا إليهم استقراء البداء وتتبعه من ذلك: زعمهم: أنه لا يجوز على الله نسخ ملة بملة لأنه يستلزم البداء، أي ظهور مصلحة له بعد خفائها، فينسخ ما مضى من أجلها، وهو باطل، وهذا الاستلزام ممنوع على [٦٩/ أ] الله يلزم دعواهم هذه: أنه سبحانه وتعالى لا يفعل ما يشاء في خلقه كما قال:

وأراهم لم يجعلوا الواحد القهار ... في الخلق فاعلًا ما يشـــاء

«وأراهم» أي أعلم أنهم لقولهم بذلك أعني امتناع النسخ لئلا يلزم البداء. «لم يجعلوا» أي لم يعتقدوا «الواحد» في ذاته، وصفاته، وأفعاله «القهار في خلقه» أي لخلقه على نفوذ ما أراه فيه.

ويصح تعلقه بفاعلًا فهي على حالها «فاعلًا ما يشاء» لأن امتناع النسخ عليه يستلزم عجزه وقهره، وذلك باطل لأنه فاعل المشيئة أي الاختيار.

جوزوا النسخ مثل ما جوزوا ... المسخ عليهم لو أنهم فقهـــاء

فيه تقديم جواب «لو» عليها أي لو أنهم فُهُمًا لجوزوا «النسخ» على الملل «مثل ما جوزوا المسخ عليهم» فإنهم قائلون بجوازه، بل بوقوعه على طائفة منهم خالفوا في السبت، فمسخهم الله قردة وخنازير [1]

=

ولم يحل لهم القتل، ولا سرقة ولا فاحشة، والدليل على هذا أنه روي عن قتادة أنه قال: جاءهم عيسى بألين مما جاء به موسى صلى الله عليهما وعلى نبينا لأن موسى جاءهم بتحريم الإبل وأشياء من الشحوم فجاءهم عيسى بتحليل بعضها وقرأ النخعي: بعض الذي حَرُمَ مثل كرم أي صار حرامًا، وقد يوضع البعض بمعنى الكل إذا انضمت إليه قرينة تدل عليه كما قال الشاعر:

أبا منذر فنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

يريد: بعض الشر أهون من كله.

(١) قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الآيات [١٦٤: ١٦٦] من سورة الأعراف.

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المحذور، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت كما تقدم بيانه في سورة البقرة، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي لم ينهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيكم إياهم؟ قالت لهم

=

فلو كان لهم فهمٌ لقالوا بوقوع النسخ كما قالوا بوقوع المسخ إذ لا فرق بينهما، وهم لبلادتهم وعدم فهمهم وذكائهم لا يفرقون.

«ومثل» صفة المصدر محذوف، أي جوزوا النسخ تجويزًا مثل ما جوزوا المسخ، و«ما» هذه مصدرية أي مثل تجويزهم المسخ.

والنسخ لغة: الإزالة والتغيير والنقل؛ كنسخت الشمس الظل والريح التراب، ونسخت الكتاب أي نقلته. وشرعًا: بيان انتهاء حكم شرعي بخطاب آخر شرعي.

والمسخ: تحويل الصورة إلى أقل منها لمسخهم قردة وخنازير في زمن موسى ﷺ لما خالفوه في السبت.

وهو لا يكون إلا أن يرفع الحكم بالحكم، وخلق فيه وأمر سواء [٦٩/ب] وهو أي النسخ، أي ما هو أي ليس فيه إلا أن يرفع الحكم الشرعي الأولى أي يرفع استمراره وتعلقه بالمكلف لا ذاته التي هي خطاب الله المتعلق بفعل المكلف، إذ ذاته التي هي خطاب الله المتعلق بفعل المكلف، فلا يرتفع بالحكم الشرعي الثاني، كما أن المسخ ما هو إلا أن يرتفع خلق صورة أولى بخلق صورة ثانية، كما قال «وخلق» أي إيجاد ثان «فيه» أي في المسخ، وأمر ثان بالنسخ

=

المنكرة: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ بعضهم بالرفع كأنه على تقدير هذا: هذا معذرة. وقرأ آخرون بالنصب أي نفعل ذلك معذرة إلى ربكم أي فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقولون: ولعل لهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: فلما أبى الفاعلون قبول النصيحة أنجينا الذين ينهون عن السوء ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي ارتكبوا المعصية ﴿بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍۭ﴾ فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيمة فيذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على قولين.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها: إيلة، فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم، وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعًا في ساحل البحر فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها، فمضى على ذلك ما شاء الله، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا: تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم، فلم يزدادوا إلا غيًّا وعتوًّا، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة: تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ وكانوا أشد غضبًا لله من الطائفة الأخرى، فقالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ والذين قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة.

سواء فكما ارتفع بالخلق الثاني في المسخ الخلق الأول ارتفع بالأمر الثاني في النسخ الأمر الأول.

والمراد فيه ارتفاع التعلق بالتعلق، أي تعلق الحكم بالمكلف، وإلا فالحكم الذي من جملته الأمر قديم، وما ثبت قدمه استحال عدمه.

والحاصل: أن المسخ الذي اعترفت به اليهود هو خلق الصورة الثانية الصورة الأولى وخلقها بالصورة الثانية.

والنسخ[1] الذي أنكروه: هو رفع الحكم الأول وخلقه بالحكم الثاني، وحينئذ يقال لهم: إذا جوزتم الأول لزمكم أن تجوزوا الثاني، وإلا فأنتم سفهاء معاندون لا يلتفت إليكم.

---

(١) يقول ابن منظور في «لسان العرب» في النسخ في مادة «نَسَخَ» (٤٤٠٧): نسخ الشيء ينسخه وانتسخه واستنسخه: اكتتبه عن معارضة.

وفي «التهذيب»: النسخ: اكتتابك كتابًا عن كتاب حرفًا بحرف والأصل نُسْخَة والمكتوب عنه نُسْخَة لأنه قام مقامه، والكاتب ناسخ ومنتسخ.

والاستنساخ: كتب كتاب من كتاب وفي التنزيل: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله. وفي «التهذيب»: أي تأمر بإثباته.

والنسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، وفي التنزيل: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة، وقرأ ابن عامر: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ بضم النون يعني: ما ننسخك من آية والقراءة هي الأولى.

وقال ابن الأعرابي: النسخ: تبديل الشيء من الشيء وهو غيره، وننسخ الآية بالآية: إزالة مثل حكمها، والنسخ: نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو. وقال الفراء وأبو سعيد: مسخه الله قردًا ونسخه قردًا بمعنى واحد.

ونسخ الشيء بالشيء ينسخه وانتسخه: أزاله به وأداله، والشيء ينسخ الشيء نسخًا أي يزيله، ويكون مكانه، وقال الليث: النسخ: أن تزايل أمرًا كان من قبل يعمل به، ثم تنسخه بحادث غيره. وقال الفراء: النسخ: أن تعمل بالآية ثم تنزل آية أخرى فتعمل بها وتترك الأولى.

والأشياء تتناسخ: تتداول فيكون بعضها مكان بعض كالدول والملك. والعرب تقول: نسخت الشمس الظل وانتسخته أزالته، والمعنى أذهبت الظل وحلت محله.

وقال ابن منظور: أيضًا في المسخ في «لسان العرب» في مادة «مسخ» (٤١٩٩):

المسخ: تحويل صورة إلى صورة أقبح منها، وفي التهذيب: تحويل خلق إلى صورة أخرى، مسخه الله قردًا يمسخه وهو مسخ ومسيخ، وكذلك المشوه الخلق. وفي حديث ابن عباس: الجان مسيخ الجن، كما مسخت القردة من بني إسرائيل. ومسيخ: فعيل بمعنى مفعول من المسخ، وهو قلب الخلقة من شيء إلى شيء. والمسيخ من الناس: الذي لا ملاحة له، ومن اللحم الذي لا طعم له، ومن الطعام الذي لا ملح له ولا لون ولا طعم.

وقال مدرك القيسي: هو المليح أيضًا، ومن الفاكهة: هو ما لا طعم له، وقد مَسُخَ مَسَاخَة، وربما خصوا به ما بين الحلاوة والمرارة.

ولحكم من الزمـــان انتهـــاء　　　ولحكم من الزمـــان ابتـــداء

ولا يلزم على ذلك البداء، بل يكون في علمه تعالى «لحكم من الزمان انتهاء» في التعليق وهو المنسوخ و «لحكم من الزمان ابتداء» فيه وهو الناسخ. والتعبير بالانتهاء لا ينافي تفسير النسخ بالرفع السابق لما علمت من أن المراد رفع تعلقه بالمكلف أو دوامه وهو الانتهاء المذكور.

ثم إن مسخ من مُسخ من اليهود كان في صورتهم حتى صار أقاربهم من المؤمنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم(١)، فقد كان يجيء القرد [٧٠/ أ] منهم إلى قريبه ويتمسح به وتدمع

(١) قال ابن كثير في تفسيره لسورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الآية: ٦٥].
قال شيبان النحوي عن قتادة: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فصار القوم قردة تعاوي لها أذناب بعدما كانوا رجالًا ونساء.
وقال عطاء الخراساني: نودوا: يا أهل القرية ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فجعل الذين نهوا يدخلون عليهم فيقولون ألم ننهكم؟ فيقولون: برؤوسهم أي بلى.
وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة بالمصيصية حدثنا محمد بن مسلم يعني الطائفي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: إنما كان الذين اعتدوا في السبت فجعلوا قردة فواقًا ثم هلكوا، ما كان للمسخ نسل. وقال الضحاك عن ابن عباس: فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول: إذ لا يحيون في الأرض إلا ثلاثة أيام قال: ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل، وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة أيام التي ذكرها الله في كتابه، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن يشاء ويحوله كما يشاء، وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: يعني أذلة صاغرين.
وروي عن مجاهد وقتادة، والربيع، وأبي مالك نحوه. وقال محمد بن إسحاق عن داود بن أبي الحصين عن عكرمة، قال: قال ابن عباس. إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم يوم الجمعة، فخالفوا إلى السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به، فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه، فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره، وكانوا في قرية بين إيلة والطور، يقال لها: مدين، فحرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها وأكلها، وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعًا إلى ساحل بحرهم، حتى إذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حوتًا صغيرًا ولا كبيرًا، حتى إذا كان يوم السبت أتين شرعًا حتى إذا ذهب السبت ذهبن، فكانوا كذلك حتى طال عليهم الأمد، وقرموا إلى الحيتان، عمد رجل منهم فأخذ حوتًا سرًّا يوم السبت فحزمه بخيط ثم أرسله في الماء، وأوتد له وتدًا في الساحل، فأوثقه، ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه، أي: إني لم آخذه في يوم السبت، فانطلق به فأكله حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك، ووجد الناس ريح الحيتان، فقال أهل القرية: والله لقد وجدنا ريح الحيتان، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل، قال: ففعلوا مثل ما فعل، وصنعوا سرًّا زمانًا طويلًا، لم يعجل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية وباعوها في الأسواق.
فقالت طائفة منهم من أهل البقية: ويحكم اتقوا الله ونهوا عما كانوا يصنعون. فقالت طائفة أخرى لم تأكل
=

عيناه، فيقول له: ألم ننهك عن المخالفة؟ فيشير برأسه: أن نعم.

وقيل: المسخ في قلوبهم فقط، بأن جعلت كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما ذكره مجاهد كما في ابن حجر.

وإذا أردتم أيها المسلمون المبالغة في إدحاض حجتهم

فسلوهم أكان في مسخهم نسخ لآيات الله أم إنشاء

«فسلوهم» قائلين لهم: «أكان في مسخهم» التفات عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم حيث مسخوا قردة كما تقدم «نسخ لآيات الله» أي للصور الأولى مع بقاء الجسم وتسميتها بآيات الله لدلالتها عليه «أَمْ» فيه «إنشاء» أي ابتداء الأجسام ذوات صور؟

فإن قالوا بالأول فقد ناقضوا أنفسهم ولزمتهم الحجة واعترفوا بالنسخ. وإن قالوا بالثاني فهو مكابرة للحس لا يسغ عاقل التكلم بها. والحق كما قال ابن حجر: أن المسيح متردد بين إنشاء الخلق وبين النسخ لأنه بالنسبة إلى الصورة الأولى نسخ، وبالنسبة إلى الصورة الثانية المتجددة القبيحة إنشاء، وبدأ في قولهم: «ندم الله على خلق آدم أم خطأ».

وسلوهم أيضًا «أبدأ» بالمدُ، وهو مبتدأ خبره في قولهم الثابت عنهم: «ندم الله على خلق آدم»[1] أي: صدر عنهم ذلك القول عن قصد منهم أم هو خطأ؟ المشهور فيه القصر ويجوز

= الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ بسخطنا أعمالهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

قال ابن عباس: فبينا هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم فقدوا الناس فلم يروهم، قال: فقال بعضهم لبعض: إن للناس شأنًا، فانظروا ما هو؟ فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها مغلقة عليهم، قد دخلوها ليلًا فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم، فأصبحوا فيها قردة، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه، وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد. قال: قال ابن عباس: فلولا ما ذكر الله أنه نجى الذين نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم. قال: وهي القرية التي قال جل ثناؤه لمحمد ﷺ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾.

(١) قال ابن القيم في كتابه «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (ص ٤١٨): في (باب افتراءات في التوراة تشهد بالتحريف)، والعنوان من عمل محقق الكتاب المشار إليه:

وفيها: ورأى الله أن قد كثر فساد الآدميين في الأرض فندم على خلقهم، وقال: سأذهب الآدميين الذين خلقت على الأرض والخشاش وطيور السماء لأني نادم على خلقها جدًا. تعالى الله عن إفك المفترين وعما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

قلت: ويؤيد ما ذهب إليه ابن القيم ما ورد في سفر التكوين الإصحاح السادس الآية (٥) «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم (٦) فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه (٧) فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته =

مده كما جرى عليه الناظم أي أو صدر منهم ذلك القول عن غير قصد، أي سلوهم عن قولهم هذا هو عن قصد منهم أو عن خطأ منهم؟

فإن قالوا: عن قصد، كان البداء الذي أنكروه لأنه يستلزم جهل الله تعالى بالعواقب للأمور؟ وحينئذ فكيف يمنعون [٧٠/ ب] النسخ فرارًا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض قبيح[(١)]

الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم (٨) وأما نوح فهو جد نعمة في عيني الرب (١٣) فقال الرب لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلمًا منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض (١٤) اصنع لنفسك فلكًا من خشب جقر تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار (١٥) وهكذا تصنعه ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراع عرضه، وثلاثين ذراعًا ارتفاعه (١٦) وتصنع كواء للفلك». إلى أن قال في أول الإصحاح السابع:

«(١) وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك، لأني إياك رأيت بارًا لدي في هذا الجبل (٢) من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرًا وأنثى، ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكرًا وأنثى (٣) ومن طيور السماء أيضًا سبعة سبعة ذكرًا وأنثى لاستبقى نسل على وجه الأرض (٤) لأني بعد سبعة أيام أيضًا أمطر على الأرض أربعين يومًا وأربعين ليلة، وامْحُ عن وجه الأرض كل قائم عملته» ثم يكمل ابن القيم قوله فيقول:

وعندهم في توراتهم أيضًا: أن الله ندم على تمليكه شاول على إسرائيل. قلت: ويؤيد قول ابن القيم ما جاء في سفر صموئيل الأول: «(١٠) وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلًا: (١١) ندمت على أني قد جعلت شاول ملكًا، لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي».

ويكمل ابن القيم فيقول: «وعندهم فيها أيضًا: أن نوحًا لما خرج من السفينة بنى بيتًا مذبحًا لله، وقرب عليه قرابين واستنشق الله رائحة القتار (أي: رائحة اللحم المطهو في القدر) فقال في ذاته: لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشر مطبوع على الرداءة، وأن أهلك جميع الحيوان كما صنعت».

قلت: ويؤيد قوله ما جاء في سفر التكوين الإصحاح (٨) الآيات (٢٠: ٢٢): «وبنى نوح مذبحًا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضًا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان».

(١) يقول ابن القيم أيضًا في «هداية الحيارى» (٤٨٨): وفي زمنه -يعني زمن قسطنطين الرومي- بدل دين المسيح وهو الذي شاد دين النصرانية المبتدع، وقام به وقعد وكان عدتهم زهاء ألفي رجل -أي عدة الرجال الذين نصروا مجمع نيقية- فقرروا تقريرًا ثم رفضوه، ولم يرتضوه، ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلًا منهم، والنصارى يسمونهم الآباء، فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم، لا تتم لأحد منهم نصرانية إلا به ويسمونه سنهودس وهي الأمانة ولفظها: نؤمن بالله الأب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخالق كل شيء الذي من أجلنا معاشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول

وإن قالوا: إنه خطأ محض منهم، فيكفيهم الاعتراف به على نفوسهم وأنهم في غاية السفاهة. والغباوة وسبيلهم الاعتراف بالبداء لا بالخطأ فاتضح بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرًا من البداء.

وسلوهم أيضًا عما لا يمكنهم إنكاره لا أنه أمر محسوس، ورد القرآن على طبقة فقولوا لهم: أعلامة الليل والنهار باقية فلا تزول إحداها بالأخرى أو غير باقية فتزول إحداهما بالأخرى؟ كما يشير قوله:

أم محى الله آية الليل ذكـــرًا   بعد سهو ليوجـــد الإمســـاء

=

وأخذ وصلب أيام بلاطس الرومي ومات، ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ونؤمن بالرب الواحد الذي يخرج من أبيه روح محبته وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسة سلبحية جاثلقية وبقايا أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين.

فصرحوا فيها بأن المسيح رب، وأنه ابن الله، وأنه بكره، وأنه ليس له ولد غيره، وأنه ليس بمصنوع أي ليس بعبد مخلوق، بل هو رب خالق، وأنه إله حق، استل وولد من إله حق، وأنه مساوٍ لأبيه في الجوهر، وأنه بيده أتقنت العوالم، وهذه اليد التي أتقنت بها العوالم عندهم هي التي ذاقت مر المسامير كما صرحوا به في كتبهم، وهذه ألفاظهم، قالوا: وقد قال القدوة عندنا: إن اليد التي سمرها اليهود في الخشبة هي اليد التي عجنت طينة آدم وخلقته، وهي اليد التي شبرت السماء (أي قاستها أو حددت اتساعها) وهي اليد التي كتبت التوراة لموسى.

قالوا: وقد وصفوا صنع اليهود به وهذه ألفاظهم أنهم لطموا الإله وضربوه على رأسه. قالوا: وفي بشارة الأنبياء به: أن الإله تحبل به امرأة عذراء وتلده ويؤخذ ويصلب ويقتل. قالوا: وأما سنهودس دون الأمم قد اجتمع عليه سبعمائة من الآباء وهم القدوة، وفيه: أن مريم حبلت بالإله وأولدته وأرضعته وسقته وأطعمته.

قالوا: وعندنا أن المسيح ابن آدم وهو ربه، وخالقه ورازقه، وابن إبراهيم وربه وخالقه ورازقه، وابن إسرائيل وربه وخالقه ورازقه، وابن مريم وخالقها ورازقها. قالوا: وقد قال علماؤنا من هو القدوة عنه جميع طوائفنا: يسوع في البدء لم يزل كلمة، والكلمة لم تزل الله، والله هو الكلمة.

فذاك الذي ولدته مريم وعاينه الناس، وكان بينهم هو الله، وهو ابن الله وهو كلمة الله. هذه ألفاظهم.

قالوا: فالقديم الأزلي خالق السماوات والأرض هو الذي عاينه الناس بأبصارهم ولمسوه بأيديهم، وهو الذي حبلت به مريم، وخاطب الناس من بطنها، حيث قال للأعمى: أنت مؤمن بالله؟ قال الأعمى: ومن هو حتى أؤمن به؟ قال: هو المخاطب لك. فقال: آمنت بك وخر ساجدًا.

قالوا: فالذي حبلت به مريم هو الله، وابن الله، وكلمة الله. قالوا: وهو الذي ولد ورضع وفطم، وأخذ وصلب وصفع وكتفت يداه وسمر في وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لأجل خلاص النصارى من خطاياهم.

«أم محى الله آية» أي علامة «الليل» اسم جنس جمعي، واحده ليلة كتمر وتمرة، أي أطمس الله الآية التي هي الليل بالظلام «ذُكرًا» بضم الذال، تمييزًا، أي: من جهة الذكر، أي العلم أي عند ذكر أي تذكر وعلم «بعد سهو» منه في عدم محوها أو عن علم لم يسبقه سهو؟ «ليوجد الإمساء» أي الدخول في المساء، وهو ما بعد الزوال[1]، والمراد هاهنا: ما بعد الغروب.

فإن قالوا: نعم. لزمهم البداء اللازم له النسخ عندهم. وإن قالوا: لا. لزمهم النسخ. هكذا قرره ابن عبد الحق[2]

---

(١) قال ابن منظور في «لسان العرب» في مادة «مسا»: المساء: ضد الصباح، والإمساء نقيض الإصباح. قال سيبويه: قالوا: الصباح والمساء كما قالوا: البياض والسواد، ولقيته صباح مساء، مبني، وصباحِ مساء مضاف. والجمع: أمسية (عن ابن الأعرابي). والمُمْسِيُ والمِمْسِيُ: كالمساء، والمُسِيُ من المساء كالصُّبح من الصَّباح والمسي كالمصبح. والمسار: بعد الظهر إلى صلاة المغرب، وقال بعضهم: إلى نصف الليل.
وقول الناس: كيف أمسيت؟ أي كيف أنت في وقت المساء، ومسَّيت فلانًا: قلت له: كيف أمسيت؟ وأمسينا نحن: صرنا وقت المساء.

(٢) هو: عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله بن علي بن مسعود بن الشمائل. ويقال: عبد المؤمن بن عبد الخالق بن عبد الله بن علي بن مسعود، أبو الفضل، صفي الدين، الحنبلي، البغدادي، الشهرة: ابن عبد الحق، وابن الشمائل. ولد سنة (٦٥٨هـ) في ١٧ جمادى الآخرة ببغداد. وتوفي سنة (٧٣٩هـ) في ١٠ صفر ببغداد ودفن بباب حر. جاءت ترجمته في:
«ديوان الإسلام» (ت ٧٤١)، «معجم المؤلفين» (٦/ ١٩٧)، «هدية العارفين» (١/ ٦٣٠)، «كشف الظنون» (٨٤٤)، «إيضاح المكنون» (٢/ ٤٦٣)، «البدر الطالع» (١/ ٤٠٤)، «الدرر الكامنة» (٣/ ٣٢)، «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٤٦)، «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٧٧)، «تاريخ علماء بغداد» (١٢٢-١٢٧)، «الرد على الوافر» (٥٧، ٥٨)، «التعريف بالمؤرخين» (١/ ١٧٤)، «شذرات الذهب» (٦/ ١٢١)، وفيها: عالم بغداد صفي الدين عبد المؤمن بن الخطيب عبد الحق بن عبد الله بن مسعود بن الشمائل البغدادي، الحنبلي، الإمام الفرض، المتقن، ولد في سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وستمائة ببغداد، وسمع بها الحديث من عبد الصمد بن أبي الجيش، وابن الكسار، وخلق.
وسمع بدمشق من الشرف ابن عساكر وجماعة، وبمكة من الفخر التوزري. وأجاز له ابن البخاري، وأحمد بن شيبان، وبنت مكي وغيرهم من أهل الشام، ومصر، والعراق، وتفقه على: أبي طالب عبد الرحمن بن عمر البصري لازمه حتى برع وأفتى، ومهر في علم الفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، والهندسة، والمساحة، ونحو ذلك، واشتغل في أول أمره بعد التفقه بالكتابة والأعمال الدنيوية مدة، ثم ترك ذلك، وأقبل على العلم، فلازمه مطالعة، وكتابة، وتدريسًا، وتصنيفًا، وإشغالًا، وإفتاءً إلى حين موته، وصنف في علوم كثيرة، فمن مصنفاته:

- شرح المحرر في الفقه ست مجلدت.
- شرح العمدة، مجلدان.
- إدراك الغاية في اختصار الهداية مجلد لطيف.
- وشرحه في أربع مجلدات.
- تلخيص المنقح، في الجدل.
- تحقيق الأمل، في علم الأصول والجدل.
- اللامع المغيث في علم المواريث.
- مختصر تاريخ الطبري، في أربع مجلدات.

=

وقرره ابن حجر بتقرير آخر يعلم بالوقوف على عباراته في المزج. وقال بعد ذلك أي فسلوهم هل هذا المحو واقع أو لا؟ وبفرض وقوعه هل هو عن عمد بعد سهو أو سهو ابتداءً؟

فإن قالوا بالأول لزمهم القول بالنسخ، لأنه بمنزلته. وإن قالوا بالثاني من الترديد الأول فقد كابروا الحس. أو من الترديد الثاني [٧١/ أ] لزمهم القول بالبداء. لأن من يجوز السهو يجوز البداء لأنه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرًا منه.

ثم قال: وقد بين الله تعالى، حكمة اختلاف الليل والنهار في غير ما آية فقال عز من قائل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص: ٧١] الآيات، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢] أي يخلف أحدهما الآخر ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾(1) [الإسراء:١٢].

=

- مختصر الرد على الرافضي، للشيخ تقي الدين بن تيمية في مجلدين لطيفين.
- مختصر معجم البلدان. وله غير ذلك

وخرج لنفسه معجم شيوخه بالسماع والإجازة نحوًا من ثلاثمائة شيخ

له شعر، وسمع منه خلق كثير، وله شعر رائق منه:

لا ترج غير الله سبحانه ... واقطع عرى الآمال من خلقه
لا تطلبن الفضل من غـــيره ... واضنن بماء الوجه واستبقه
فالرزق مقسوم مـــا لامــــرئ ... سوى الذي قدر من رزقه
والفقير خير للفتى من غنى ... يكون طول الدهر في رقـــه

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة عاشر صفر ببغداد ودفن بمقبرة الإمام أحمد.

قلت: ومن الكتب التي وقفت له عليها ولم يذكرها ابن العماد ودونتها بهامش ديوان الإسلام هي: المطالب العوالي لتقرير منهاج الاستقامة.

- تسهيل الفصول في علم الأصول. – قواعد الأصول ومعاقد الفصول.

(١) وقد ورد ذكر الليل في القرآن الكريم أربعًا وسبعين مرة، وورد ذكر النهار فيه: أربعًا وخمسين مرة، وقد تركت ذكر تلك الآيات خوفًا من الإطالة. والمراد من استشهاده هنا بأن مثل هذه الأمور الكونية، ولا يمكن لمخلوق مهما علا شأنه أن يدبر شيئًا منها مهما حقر وما يدور فيها وكيف كانت وكيف تكون ماذا يكون لو لم يكن وماذا يكون إذا محيت أو نسفت، فكل هذا من قدرة الإله الواحد الحق الخالق البارئ سبحانه.

وأذكر قول ابن كثير في الآية الأولى التي ذكرها فقط للتدليل على عجز البشر عن مثل ما يذهب إليه اليهود أو النصارى في دعواهم في العزير أو عيسى عليه السلام، فيقول ابن كثير: يقول تعالى ممتنًا على عباده بما

=

والحاصل: أن الحكمة كما تقتضي دوام الأشياء فلا تبدل ولا تغير تقتضي تبديلها وتغييرها. انتهى المراد منه.

أم بدا للإله في ذبح إسحاق (١) وقد كان الأمر فيه مضاء

=

سخر لهم من الليل والنهار الذي لا قوام لهم بدونها وبين أنه جعل الليل قائمًا عليهم سرمدًا إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم ولسئمته النفوس وانحصرت منه، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ أي تبصرون به وتستأنسون بسببه ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، ثم أخبر تعالى أنه لو جعل النهار سرمدًا أي قائمًا مستمرًا إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم ولتعبت الأبدان وكلت من كثرة الحركات والأشغال ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي تستريحون من حركاتكم وأشغالكم ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي بكم ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي خلق هذا وهذا ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ أي في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي في النهار لا بالأسفار والترحال والحركات والأشغال، وهذا من باب اللف والنشر، وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار أو بالنهار استدركه بالليل كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، والآيات في هذا كثيرة.

(١) ذهب قوم إلى القول بأن الذبيح هو إسحاق لا إسماعيل، ولكلا الطرفين استدلالات وأنا أذكر طرفًا من استدلالات كلًّا منهما على ما ورد في تفسير ابن كثير في سورة الصافات عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الآية: ١٠١] وما بعدها حيث قال:

فصل في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الذبيح هو إسحاق:

قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة ﷺ قال يوسف ﷺ للملك في وجهه: ترغب أن تأكل معي، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله؟!

وعن سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: قال موسى ﷺ يا رب يقولون: بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فيم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيء قط إلا اختارني عليه، وإن إسحاق جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حُسن ظن.

وعن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال: افتخر رجل عند ابن مسعود ﷺ فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله بن مسعود ﷺ : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله، وهذا صحيح عن ابن مسعود ﷺ، وكذا روي عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ : إنه إسحاق. وعن أبيه العباس، وعن علي بن أبي طالب مثل ذلك، وكذلك قال عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي، وعبيد بن عمير، وأبو ميسرة، وزيد بن أسلم، وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم ابن أبي برزة، ومكحول وعثمان بن أبي حاضر، والسدي، والحسن،وقتادة، وأبو الهذيل، وابن سابط، وهذا اختيار ابن جرير.

وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق، وهكذا روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء بن حارثة عن أبي هريرة ﷺ عن كعب الأحبار أنه قال: هو إسحاق،

=

=

وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر ﷺ عن كتبه القديمة فربما استمع له عمر ﷺ، فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها، وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده.

ثم قال ابن كثير: ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل ﷺ، وهو الصحيح المقطوع به. قد تقدمت الرواية عن ابن عباس ﷺ أنه إسحاق ﷺ والله تعالى أعلم.

وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبي، ويوسف بن مهران، ومجاهد، وعطاء وغير واحد عن ابن عباس ﷺ أنه هو إسماعيل ﷺ. وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: المفدى: إسماعيل ﷺ وزعمت يهود أنه إسحاق ﷺ وكذبت يهود.

وقال إسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر ﷺ قال: الذبيح إسماعيل ﷺ. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو إسماعيل ﷺ وكذا قال يوسف بن مهران. وقال الشعبي: هو إسماعيل ﷺ، وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة. وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار، وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري: أنه كان لا يشك في ذلك، أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل ﷺ.

قال ابن إسحاق: وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول: إن الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من أبنائه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى، وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال الله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢] ويقول الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] يقول بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمر بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بما وعده، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل.

قال ابن إسحاق: سمعته يقول ذلك كثيرًا. وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي، أنه حدثه أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز ﷺ وهو خليفة إذ كان معه بالشام، فقال له عمر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت. ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديًا فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم، فسأله عمر بن عبد العزيز ﷺ عن ذلك -قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز- فقال له عمر: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل، والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره، لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم، والله أعلم أيهما كان، وكل قد كان طاهرًا طيبًا مطيعًا لله ﷺ.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: سألت أبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فقال: إسماعيل، ذكره في كتاب «الزهد»، وقال ابن أبي حاتم يقول: سمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل ﷺ.

قال: وروي عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن ومجاهد والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح ﷺ أنهم قالوا: الذبيح إسماعيل ﷺ.

وقال البغوي في «تفسيره»: وإليه ذهب عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، والسدي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي والكلبي، وهو رواية عن ابن عباس، وحكاه أيضًا عن أبي عمرو بن العلاء.

«أم بدا للإله في ذبح إسحاق» بن إبراهيم الخليل، فنهى عنه أباه بعد أن أمره به في المنام كما قال.

والحال أنه «قد كان الأمر» أي أمره به، «فيه» أي في ذبحه أي بذبحه من الله لخليله إبراهيم ﷺ في النوم «مضاء» أي ماضٍ نافذ. وفي نسخة: «قضاء» بالقاف. أي حتم لأن رؤيا الأنبياء؛ وحي، ومن ثَمَّ سارع إلى امتثاله فأضجعه لجنبه، وهم بذبحه، فنهي عنه.

أي سلوهم عما وقع للخليل حيث أمر بذبح ولده ثم نسخه تعالى فنهاه عنه، وأمره بفدائه بذبح عظيم. فإن قالوا: نعم، بدا له فيه فنهي عنه. كان اعترافًا منهم بالبداء اللازم له النسخ عندهم وإن قالوا: لا، لزمهم النسخ.

وعبارة ابن حجر هنا أي سلوهم [٧١/ ب] عما وقع للخليل أنه أمر بذبح ولده أمرًا جازمًا، ثم عند إرادته له لما أضجعه على جنبه نسخه تعالى، فأمره بتركه، وفداه بذبح عظيم، وما يقال: إن الرقبة كسيت نحاسًا، وأنه مر بالسكين عليها فلم تؤثر، ونحو ذلك مما يذكره الخطباء والقصَّاص فكله لم يثبت فيه شيء (١).

فإن قالوا: إن الأمر بالفداء وترك الذبح نسخ للأمر بالذبح. لزمهم القول بالنسخ مطلقًا، أو غير نسخ لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة. اهـ.

---

(١) القول بأن الله ضرب على عنق الذبيح بصفحة من نحاس ليس بصحيح كما أشار إلى ذلك المؤلف رحمنا الله وإياه، وقد ذكر ذلك ابن كثير في «تفسيره» منسوبًا إلى السدي دون سند، حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٥]: أي: قد حصل المقصود من رؤياك، وإضجاعك ولدك للذبح، وذكر السدي وغيره: أنه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئًا بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس، ونودي إبراهيم ﷺ عند ذلك: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾.

ثم ذهب ابن كثير إلى موضوع النسخ في هذه المسألة مبينًا أن علم الله تعالى أسبق وأنه إنما أراد أن يبتلي إبراهيم عليه السلام بما أمره به فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢١] أي: هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجًا ومخرجًا، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافًا لطائفة من المعتزلة، والدلالة من هذه ظاهرة، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم ﷺ ذبح ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، وإنما كان المقصود من شرعه أولًا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦] أي الاختيار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلمًا لأمر الله تعالى منقادًا لطاعته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

ثم إن ما جرى عليه الناظم من أن المأمور بذبحه إسحاق هو ما ذهب إليه الأكثرون، قيل: وأجمع عليه أهل الكتابين. وذهب غيرهم إلى أنه إسماعيل وصحح. ولكل من القولين أدلة تطلب من محالها[(١)]

وسلوهم أيضًا فقولوا لهم: تنكرون النسخ وتقولون: ما حرم الله نكاح الأخت بعد التحليل في زمن آدم ﷺ؟ أو تقولون: حرمه بعد أن حلله. وعليه فهو أي نكاحها الزنا موجب للرجم ومد الزنا لغة؟

فإن قالوا: حرمها بعد أن أحلها، فهذا صريح في النسخ الذي أنكروه. وإن قالوا: لم يحرمها أو لم يحللها، فهو عناد محض وقائله لا يخاطب ولا يكالم، وحينئذ لا تكذب بل صدق إن اليهود والحال أنهم قد زعموا أي مالوا عن الحق من وجوه عديدة سفهًا وحسدًا «معشر» أي قوم «لؤماء» جميع لئيم. وهو: الدون الأصل الشحيح النفس، فإنهم:

جحدوا والمطصفى وآمن بالطاغوت قوم هم عندهم شرفاء

«جحدوا المصطفى» ﷺ أي أنكروا نبوته ورسالته [٧٢/ أ] وكفروا بها بعد علمهم بها علمًا يقينيًّا، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[(٢)] [النمل:١٤].

والحال أنه قد «آمن بالطاغوت» أي الشيطان وكل ما عبد من دون الله أو صد عن عبادته فعلوت من الطغيان [(٣)]

---

(١) سبق أن سردت أدلة هؤلاء وهؤلاء مختصرة قبل يسير نقلًا عن ابن كثير، فراجعها إن أحببت.

(٢) وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية حاكيًا عن عادة أهل الكفر والجحود المنكرين للحق في كل الأزمنة والواقفين في وجوه دعاة الناس إلى الهدى أمثال من يقفون في وجهك اليوم كان قوم موسى كذلك حتى أنه بعد أن جاءهم بالآيات البينات الواضحات لم يقروا بالحق حسدًا له وكبرًا وعلوًّا فقال ابن كثير: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي في ظاهر أمرهم ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي ظلمًا من أنفسهم سجية ملعونة ﴿وَعُلُوًّا﴾ أي استكبارًا عن اتباع الحق، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة.

وفحوى الخطاب يقول: احذروا أيها المكذبون لمحمد ﷺ الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى فإن محمدًا ﷺ أشرف وأعظم من موسى ﷺ وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى ﷺ بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ المواثيق له، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

(٣) قال ابن منظور في «لسان العرب» في مادة «طغى»: الطاغوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وزنه فعلوت، إنما هو طغيوت، قدمت الياء قبل الغين، وهي مفتوحة وقبلها فتحة فقلبت ألفًا. وطاغوت وإن جاء على وزن لاهوت، هو مقلوب لأنه من طغى، ولاهوت غير مقلوب لأنه من لاه بمنزلة =

«قوم» منهم «هم عندهم شرفاء» وهم جمع من علماء اليهود كحُيَيّ بن أخطب[1]، فإنهم لما ذهبوا لقريش وغيرهم ليحرضوهم على قتاله ﷺ سألوهم أنحن خير دينًا من محمد؟ قالوا:

=

الرغبوت والرهبوت.

وأصل وزن طاغوت طغيوت على فعلوت، ثم قدمت الياء قبل الغين محافظة على بقائها فصار طغيوت ووزنه فعلوت، ثم قلبت الياء ألفًا لتحركها انفتاح ما قبلها فصار طاغوت. وقوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، قال الليث: الطاغوت: تاؤها زائدة وهي مشتقة من طغى.

وقال أبو إسحاق: كل معبود من دون الله ﷻ جبت وطاغوت.

وقيل: الجبت والطاغوت : الكهنة والشياطين. وقيل: الجبت والطاغوت: حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف اليهوديان.

قال الأزهري: وهذا غير خارج عما قاله أهل اللغة لأنهم إذا اتبعوا أمرهما فقد أطاعوهما من دون الله تعالى. وقال الشعبي وعطاء ومجاهد: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان والكاهن وكل رأس في الضلال قد يكون واحدًا، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] وقد يكون جمعًا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فجمع.

قال الليث: إنما أخبر عن الطاغوت بجمع لأنه جنس على حد قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١] وقال الكسائي: الطاغوت، واحد، وجماع. وقال ابن السكيت: هو مثل الفلك يذكر ويؤنث، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧] وقال الأخفش: الطاغوت يكون للأصنام، والطاغوت يكون من الجن والإنس.

وقال شمر: الطاغوت يكون من الأصنام ويكون من الشياطين، وقال ابن الأعرابي: الجبت رئيس اليهود، والطاغوت رئيس النصارى، وقال ابن عباس: الطاغوت: كعب بن الأشرف، والجبت: حيي بن أخطب.

وجمع الطاغوت: طواغيت.. ومنه «هذه طاغية دوس وخثعم»، أي صنمهم ومعبودهم، قال: ويجوز أن يكون أراد بالطواغي من طغى في الكفر وجاوز الحد، وهم عظماؤهم وكبراؤهم. قال: وأما الطواغيت فجمع طاغوت، وهو الشيطان أو من يزين لهم أن يعبدوا من الأصنام، ويقال للصنم: طاغوت.

(١) قال ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٣٢٦) في الأعداء من اليهود: ونصبت عند ذلك أحبار اليهود لرسول الله ﷺ العداوة بغيًا وحسدًا وضغنًا لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله ﷺ منهم وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي ﷺ، وجحودهم الإسلام.

وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله ﷺ ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه، إلا قليلًا من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها.

منهم: حيي بن أخطب، وأخواه: أبو ياسر بن أخطب وجدي بن أخطب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن أبي الحقيق، أبو رافع الأعور، وهو الذي قتله أصحاب رسول الله ﷺ

=

نعم، ففرحوا وخرجوا لقتاله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾[1] [النساء: ٥١].

=

بخيبر، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف وهو من طيء، ثم أحد بني نبهان، وأمه من بني النضير، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف، وكردم بن قيس حليف كعب بن الأشرف. فهؤلاء من بني النضير. ثم ساق باقي المنافقين وتركتهم لعدم الإطالة. وإنما كان المراد هو ذكر حُيي بن أخطب.

(١) ويقول ابن كثير في تفسيرها : أما الجبت: فقال محمد بن إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر بن الخطاب أنه قال: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، وهكذا روي عن ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والشعبي، وعطية: الجبت الشيطان، وزاد ابن عباس: بالحبشية. وعن ابن عباس أيضًا: الجبت الشرك، وعنه: الجبت الأصنام.

وعن الشعبي : الجبت الكاهن.وعن ابن عباس: الجبت حيي بن أخطب. وعن مجاهد: الجبت: كعب بن الأشرف، وقال العلامة أبو نصر بن إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه «الصحاح»: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك.

وفي الحديث: «الطيرة والعيافة والطرق من الجبت» قال: وليس هذا من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذي نفي، وهذا الحديث الذي ذكره الإمام أحمد في «مسنده» فقال: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف بن حيان أبو العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه وهو قبيصة بن مخارق أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت» وقال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط في الأرض، والجبت: قال الحسن: رنة الشيطان، وهكذا رواه أبو داود في «سننه» والنسائي وابن أبي حاتم في «تفسيره» من حديث عوف الأعرابي به.

وقد تقدم الكلام عن الطاغوت في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله أنه سئل عن الطواغيت فقال: هم كهان تنزل عليهم الشياطين. وقال مجاهد: الطاغوت الشيطان في صورة إنسان. يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم.

وقال الإمام مالك: هو كل ما يعبد من دون الله.

قوله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ أي يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم، فقد روى ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله ابن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء ونسقي الماء على اللبن، ونفك العاني ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور قطع أرحامنا واتبعه سُراق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟

فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلًا، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ الآية. وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف.

=

وهذا البيت كالذي بعده بيان لعظيم لومهم وزيغهم عن الحق إذ جحدوا الحق الأظهر من الشمس وأقروا من آمن بالباطل ومدحوهم بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم وطرفائهم.

وقوله: «المصطفى» أي المختار من الصفوة والمصفى من كل نقص، ثم إن ظاهر النظم كما قال ابن حجر: أن المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم. وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما صرح به قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٢٣].

قال المفسرون: هم اليهود ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي عن أشراف كفار العرب ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

ويجاب بأن المراد: وآمن بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم شرفاء. ومعنى الآية حينئذ: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: اليهود ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من كفار العرب الذين آمنوا بالجبت والطاغوت، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ [٧٢/ ب] ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾.

قتلوا الأنبياء، واتخذوا العجل، ألا إنهم هم السفهاء، قتلوا الأنبياء كزكريا، ويحيى وأشعيا وغيرهم.

وقد جاء: أنهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيًا، واتخذوا العجل إلهًا ومعبودًا من دون الله[1].

=

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد عن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش: ألا هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة وأهل السقاية، قال: فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] ونزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿نَصِيرًا﴾.

وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة: حيي بن أخطب، وسلام بن الحقيق، وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق، وأبو عامر، ووحوح بن عامر، وهودة بن قيس.

فأما وحوح وأبو عامر وهودة، فمن بني وائل، وكان سائرهم من بني النضير، فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتب الأولى، فسألوهم: أدينكم خير أم دين محمد ﷺ؟ فسألوهم، فقالوا: دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه، فأنزل الله تعالى ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ وهذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين، وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم، وقد أجابوهم وجاءوا معهم يوم الأحزاب حتى حفر النبي ﷺ وأصحابه حول المدينة الخندق فكفى الله شرهم ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

(١) يقول ابن القيم في كتابه «هداية الحيارى» في إجابته على المسألة السابعة في الوجه الخامس (٤٦٤) في الرد على اليهود: ولما ذهب لميقات ربه لم يمهلوه أن عبدوا بعد ذهابه العجل المصوغ، وغلب أخوه هارون

=

مع أن السامري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم من الحلي الذي استعاروه من القبط قبل غرقهم، وألقى فيه قبضة من تراب أخذه من تحت حافر فرس جبريل ﷺ الذي جاء به لفرعون حين دخل وراءهم البحر لما انفرق لهم لأنه كان أحجم عن دخوله وبمجرد أن ألقى

معهم ولم يقدر على الإنكار عليهم، وكانوا مع مشاهدتهم العجائب يهمون برجم موسى وأخيه في كثير من الأوقات، والوحي بين أظهرهم.

ولما ندبهم إلى الجهاد قالوا: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] وآذوا موسى بأنواع الأذى حتى قالوا: إنه آدر وهذا لكونه كان يغتسل وحده، واغتسل يومًا ووضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه وعدا خلفه عريانًا حتى نظر بنو إسرائيل إلى عورته فرأوه أحسن خلق الله متجردًا.

قلت: في هذا القول نظر والأرجح فيه أنهم آذوه بقولهم: قتل أخاه هارون، والأول لا يصح.

ولما مات أخوه هارون قالوا: موسى قتله وغيبه، فرفعت الملائكة لهم تابوته بين السماء والأرض حتى عاينوه ميتًا.

وآثروا العودة إلى مصر، وإلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل، والقثاء والعدس، هكذا عندهم. والذي حكاه الله عنهم آثروا ذلك على المنِّ والسلوى.

وانهماكهم على الزنا، وموسى بين أظهرهم وأعداؤهم بإزائهم حتى ضعفوا عنهم ولم يظفروا بهم. معروف عندهم.

وعبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون، وتحيلهم على صيد الحيتان في يوم السبت لا تنسه حتى مسخوا قردة خاسئين.

وقتلهم الأنبياء بغير حق، قتلوا في يوم واحد سبعين نبيًا في أول النهار، وأقاموا السوق آخره، كأنهم جزروا غنمًا. أمر معروف، وقتلهم يحيى بن زكريا ونشرهم إياه بالمنشار. وإصرارهم على العظائم.

واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة.

ورميهم لوطًا بأنه وطئ ابنتيه وأولدهما.

ورميهم يوسف بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتى انشق الحائط وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله، فقام وهرب، وهذا لو رآه أفسق الناس وأفجرهم لقام ولم يقض غرضه.

وطاعتهم للخارج على ولد سليمان بن داود لما وضع لهم كبشين من ذهب، فعكفت جملتهم على عبادتها إلى أن جرت الحرب بينهم وبين المؤمنين الذين كانوا مع ولد سليمان، وقتل منهم في معركة واحدة ألوف مُؤلفة.

أفلا يستحي عباد الكباش والبقر من تعيير الموحدين بذنوبهم. أو لا يستحي ذرية قتلة الأنبياء من تعيير المجاهدين لأعداء الله.

فإن ذرية من سيوف آبائهم تقطر من دماء الأنبياء ممن تقطر سيوفهم من دماء الكفار المشركين.

أو لا يستحي من يقول في صلاته لربه انتبه كم تنام استيقظ من رقدك ينخيه بذلك ويحميه من تعيير من يقول في صلاته ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ١، ٤].

تلك القبضة خور العجل[١]، فقال: هذا إلهكم وإله موسى، فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه معبودًا وإلهًا كما قصه الله تعالى علينا مبسوطًا في القرآن.

---

(١) قال ابن كثير عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [الآية: ٩٥ من سورة طه] قال موسى ﷺ للسامري: ما حملك على ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟ قال محمد بن إسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان السامري رجل من أهل باجر وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حُب عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل، وكان اسمه موسى بن ظفر. وفي رواية عن ابن عباس: أنه كان من كرمان.

وقال قتادة: كان من قرية سامرا ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ﴾ أي رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] أي من أثر فرسه، هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار بن الحارث أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن السدي عن أبي بن عمارة عن علي ﷺ قال: إن جبريل ﷺ لما نزل فصعد بموسى ﷺ إلى السماء بصر به السامري من بين الناس، فقبض قبضة من أثر الفرس، قال: وحمل جبريل موسى ﷺ خلفه حتى إذا دنا من باب السماء صعد وكتب الله الألواح وهو يسمع صرير الأقلام في الألواح فلما أخبره أن قومه قد فتنوا من بعده قال: نزل موسى فأخذ العجل فأحرقه. حديث غريب.

وقال مجاهد: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ قال: من تحت حافر فرس جبريل. قال: والقبضة: ملء الكف بأطراف الأصابع.

قال مجاهد: نبذ السامري أي ألقى ما كان في يده على حلية بني إسرائيل، فانسبك عجلًا جسدًا له خوار حفيف الريح فيه فهو خواره.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا علي بن المديني حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمارة حدثنا عكرمة: أن السامري رأى الرسول فألقى في روعه: إنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء فقلت له: كن فكان. فقبض قبضة من أثر الرسول، فيبست أصابعه على القبضة، فلما ذهب موسى للميقات وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلي آل فرعون، فقال لهم السامري: إنما أصابكم من أجل هذا الحلي، فاجمعوها فجمعوها، فأوقدوا عليه فذاب، فرآه السامري فألقى في روعه أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه فقلت: كن فكان، فقذف القبضة وقال: كن فكان عجلًا جسدًا له خوار، فقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾، ولهذا قال: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي ألقيتها مع من ألقى، ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ أي حسنته وأعجبها، إذ ذاك، ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس أي لا تماس الناس ولا يمسونك ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي يوم القيامة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي لا محيد عنه.

وقال قتادة: ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ قال عقوبة لهم، وبقاياهم اليوم يقولون: لا مساس. وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ قال الحسن وقتادة، وأبو نهيك: لن تغيب عنه. وقوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ أي معبودك ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي قمت على عبادته يعني العجل ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس والسدي: استحله بالمبارد وألقاه على النار.

وقال قتادة: استحال العجل من الذهب لحمًا ودمًا فحرقه بالنار، ثم ألقى رماده في البحر ولهذا قال: =

ومن ثم كان في كلامه اقتباس كقوله «ألا» حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع في إلقاء سمعه لما بعدها.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣] بجهلهم إنه مركب فلا أَسْفَهُ ولا أغبى، منهم، جمع سفيه، وهو: من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأي، وانطماس بصيرة.

ومن ثم لم ينظروا إلى كونه محدثًا بحضرتهم من جماد، والإله لا يكون كذلك عند من له أدنى عقل وتمييز.

ومما يدل على سفههم: أن الله تعالى أنزل عليهم وهم في التيه في غاية الاضطرارية المن والسلوى، فتبرموا منهما وسألوا بدلهما الفوم والقثاء ونظائرهما كما أشار لذلك بقوله (١).

=

﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمارة بن عبد الله وأبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: إن موسى لما تعجل إلى ربه عمد السامري، فجمع ما قدر عليه من حلي نساء بني إسرائيل، ثم صوره عجلًا، قال: فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها، وهو على شط نهر، فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب، فقالوا لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضًا.

وهكذا قال السدي، وقد تقدم في تفسير سورة البقرة ثم في حديث الفتون بسط ذلك. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] يقول لهم موسى ﷺ: ليس هذا إلهكم ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له، فإن كل شيء فقير إليه عبد له. وقوله ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ نصب على التميز أي هو عالم بكل شيء أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا فلا يعزب عنه مثقال ذرة، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦] والآيات في هذا كثيرة جدًا.

(١) يشير إلى قوله الله تعالى في سورة البقرة الآية ٥٧ والتي يفسرها ابن كثير في كتابه فيقول: لما ذكر الله تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكرهم أيضًا بما أسبغ عليهم من النعم فقال: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ وهو جمع غمامة سمي بذلك لأنه يغم السماء أي يواريها ويسترها وهو السحاب الأبيض ظللوا به في التيه ليقيهم حر الشمس كما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس في حديث الفتون.

قال: ثم ظلل عليهم في التيه بغمام.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن أبي عمر، والربيع بن أنس، وأبي مجلز، والضحاك والسدي نحو قول ابن عباس.

وقال الحسن وقتادة ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾: كان هذا في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس. وقال

=

ابن جرير: قال آخرون: وهو غمام أبرد من هذا وأطيب.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ قال: ليس بالسحاب هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ولم يكن إلا لهم.

وهكذا رواه ابن جرير عن المثنى بن إبراهيم عن أبي حذيفة. وكذا رواه الثوري وغيره عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وكأنه يريد والله أعلم أن ليس من زي هذا السحاب بل أحسن منه وأطيب وأبهى منظرًا، كما قال سنيد في تفسيره عن حجاج بن محمد عن أبي جريج قال: قال ابن عباس: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ قال: غمام أبرد من هذا وأطيب وهو الذي يأتي الله فيه في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر.

قال ابن عباس: وكان معهم في التيه وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في المن ما هو؟ فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: كان المن ينزل عليهم على الأشجار، فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا.

وقال مجاهد: المن صَمغ. وقال عكرمة: المن شيء أنزله الله عليهم مثل ظل شبه الرب الغليظ. وقال السدي: قالوا: يا موسى كيف لنا بها هاهنا أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن فكان يسقط على شجرة الزنجبيل.

وقال قتادة: كان المن ينزل عليهم في محالهم سقوط الثلج، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدى ذلك فسد ولم يبق، حتى إذا كان يوم سادسه يوم جمعتهم أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنه كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر معيشتهم ولا يطلبه لشيء، وهذا كله في البرية.

وقال الربيع بن أنس: المن شراب كان يتنزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء، ثم يشربونه. وقال وهب ابن منبه وسئل عن المن؟ فقال: خبز رقاق مثل الذرة أو مثل النقي، وعن عامر الشعبي قال: عسلكم هذا جزء من سبعين جزءًا من المن. والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن، فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب.

والظاهر والله أعلم: أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد.

فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعامًا وحلاوة، وإن مزج مع الماء صار شرابًا طيبًا، وإن ركب مع غيره صار نوعًا آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده.

والدليل على ذلك قول البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

وأما السلوى: فقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: السلوى طائر يشبه بالسمان كانوا يأكلون منه.

وقال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: السلوى طائر يشبه السمان.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا قرة بن خالد عن جهضم عن ابن عباس قال: السلوى هو السمان.

وكذا قال مجاهد، والشعبي والضحاك، والحسن وعكرمة والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى.

وسفيه من ساءه المن والسلوى وأرضاه الفوم والقثاء

و«سفيه» خبر مقدم أو مبتدأ، وسوغ الابتداء به وقوعه بيانًا لما قبله من ساه أي أحزنه المن، وهو نوع من الحلوى [٧٣/ أ] يسمى الترنجبين، كان ينزل عليهم وهم في التيه في غاية الاضطرار.

=

وعن عكرمة: أما السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور أو نحو ذلك.

وقال قتادة: السلوى كان من طير إلى الحمرة تحشرها عليهم الريح الجنوب، وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإن تعدى فسد ولم يبق عنده حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه لشيء، ولا يطلبه.

وقال وهب بن منبه: السلوى طير سمين مثل الحمامة كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت. وفي رواية عن وهب قال: سألت بنو إسرائيل موسى ﷺ لحمًا، فقال الله: لأطعمنهم من أقل لحم يعلم من الأرض، فأرسل عليهم ريحًا فأذرت عند مساكنهم السلوى، وهو السماني مثل ميل في ميل قيد رمح في السماء فخبوا للغد فنتن اللحم وخنز الخبز.

قال السدي: لما دخل بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى ﷺ: كيف لنا بما هاهنا أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن فكان ينزل على شجر الزنجبل، والسلوى، وهو طائر يشبه السماني أكبر منه، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير، فإن كان سمينًا ذبحه، وإلا أرسله، فإذا سمن أتاه فقالوا: هذا الطعام فأين الشراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، فشرب كل سبط من عين.

فقالوا: هذا الشراب فأين الظل؟ فظلل عليهم الغمام. فقالوا: هذا الظل فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يخرق لهم ثوب، وذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧] وقوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَٱشْرَبُوا مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠] وروي عن وهب بن منبه، وعبد الرحمن بن زياد بن أسلم نحو ما قاله السدي.

وقال سنيد عن حجاج عن ابن جرير قال: قال ابن عباس: خلق لهم فيه التيه: ثياب لا تخرق ولا تدرن.

قال ابن جريج: فكان الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت، فلا يصبح فاسدًا.

قال ابن عطية: السلوى: طير بإجماع المفسرين، وقد غلط الهذلي في قوله: إنه العسل.

قال القرطبي: دعوى الإجماع لا تصح لأن المؤرج أحد علماء اللغة والتفسير قال: إنه العسل، واستدل ببيت الهذلي:

وقاسمها بالله جهدًا لأنتم ألذ من السلوى إذا ما أشورها

وذكر أنه كذلك في لغة كنانة لأنه يسلى به، ومنه: عين سلوان. وقال الجوهري: السلوى العسل. وقال بعضهم: السلوان: دواء يشفي الحزين فيسلو، والأطباء يسمونه: مفرج.

والسلوى: جمع بلفظ الواحد أيضًا كما يقال: سماني للمفرد والجمع، ويلي كذلك.

وقال الخليل: واحده سلواة، وقال الكسائي: السلوى واحدة جمعه سلاوى.

والسلوى وهو نوع من الطير يسمى السماني من أشهى الطير لحمًا، وأنفعها وأطيبها غذاءً كان يأتيهم إلى محالهم فرقًا فرقًا، فيمدوا أيديهم إليه فيأخذونه ما شاءوا، و«أرضاه الفوم» أي الثوم، كما قرئ به شاذًا، والقثاء بل سأل فيهما وفي نظائرهما قال تعالى تبكيتًا لهم بعدما ذكر أنه أنزل عليهم المن والسلوى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾(١) [البقرة:٦١].

---

(١) وقال ابن كثير في تفسيرها: يقول الله تعالى واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى طعامًا طيبًا نافعًا هنيئًا سهلًا، واذكروا ضيركم وضجركم مما رزقناكم، وسؤالكم موسى ﷺ استبدال ذلك بالأطعمة الدنيئة من البقول ونحوها مما سألتم، قال الحسن البصري: فبطروا ذلك فلم يصبروا عليه، وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه وكانوا قومًا أهل أعداس وبصل وبقل وفوم.

فقالوا ﴿يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ وإنما قالوا: ﴿عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾، وهم يأكلون المن والسلوى لأنه لا يتبدل ولا يتغير كل يوم، فهو مأكل واحد، فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة. وأما الفوم: فقد اختلف السلف في معناه، فوقع في قراءة ابن مسعود: (وثومها)، بالثاء، وكذا فسره مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم عنه بالثوم. وكذا الربيع بن أنس وسعيد بن جبير. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا أبو عمارة يعقوب بن إسحاق البصري عن يونس عن الحسن في قوله ﴿وَفُومِهَا﴾ قال: قال ابن عباس: الثوم، وقال: وفي اللغة القديمة: فوموا لنا، بمعنى اختزنوا.

قال ابن جرير: فإن كان ذلك صحيحًا فإنه من الحروف المبدلة كقولهم: وقعوا في عاثورشر، وعافورشر، وأثافي، وأثاثي، ومغافير، ومغاثير، وأشباه ذلك، مما تقلب الفاء ثاءً، والثاء فاءً لتقارب مخرجيهما والله أعلم.

وقال آخرون: الفوم الحنطة، وهو البر الذي يعمل منه الخبز. قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أنبأنا ابن وهب قراءة حدثني نافع بن أبي نعيم: أن ابن عباس سئل عن قول الله تعالى «وفومها» ما فومها؟ قال: الحنطة قال ابن عباس: أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول:

قد كنت أغنى الناس شخصًا واحدًا ... ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال ابن جرير: حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسلم الجهني حدثنا عيسى بن يونس عن رشيد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس في قوله الله تعالى : ﴿وَفُومِهَا﴾ قال: الفوم الحنطة بلسان بني هاشم، وكذا قال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس. وعكرمة عن ابن عباس: أن الفوم: الحنطة.

وقال سفيان الثوري: عن ابن جريج عن مجاهد، وعطاء ﴿وَفُومِهَا﴾ قالا: وخبزها.

وقال هشيم عن يونس عن الحسن وحصين عن أبي مالك (وفومها) قال الحنطة، وهو قول عكرمة والسدي، والحسن البصري، وقتادة، وعبد الرحمن وزيد بن أسلم وغيرهم، فالله أعلم.

وقال الجوهري: الفوم: الحنطة. وقال ابن دريد: الفوم السنبلة. وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة، أن الفوم كل حب يختبز.

قال: وقال بعضهم: هو الحمص لغة شامية، ومنه يقال لبائعه: «فامي» مغير عن فومي.

=

ففي كلامه اقتباس، وطباق بين ساه، وأرضاه، ومراعاة النظير في المن والسلوى، والفوم والقثاء، انتهى من ابن حجر.

ملئت بالخبث منهم بطون فهي نار طباقها الأمعاء

«ملئت» بالمأكول «الخبيث» أي الحرام كالربا والسحت «منهم» صفة تقدمت فصارت حالًا، «بطون» فكيف لا يطلون أن يملأها بهذا المأكول الخبيث بالنسبة للمن والسلوى لما بينهما من المناسبة في مطلق الخبث وإن اختلفت جهة الخبث فيهما «فهي» أي بطونهم «نار» أي مشتملة على ما يؤدي إلى النار، وسماها نارًا اعتبارًا لما يكون لما كان، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦] «طباقها» أي النار «الأمعاء» أي المصارين أي معاء فوق نار ثم معاء فوق نار وهكذا، يعني: أن بطونهم التي ملئت بالخبث كالربا والسحت صارت به كنار ذات طبقات بعضها فوق بعض، وطباقها هي [٧٣/ ب]: أمعاؤها، فإذا دخلها جذبته المصارين إليها وبعضها فوق بعض.

وأيضًا الخبيث بعضه أشد عذابًا من بعض، فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة على أكلهم واكتسابهم.

لو أريدوا في حال سبت بخير كان سبتًا لديهم الأربعاء

«لو» شرطية «أريدوا في حال سبت» مصدر سبت اليهود، أي عظموا سبتهم بالسكوت فيه عما عدا العبادة «بخير» الباء زائدة للتأكيد كما هو رأي جماعة، أي لو أراد الله لليهود في حال سبتهم الذي فرض الله عليهم تعظيمه خيرًا «كان سبتًا لديهم الأربعاء» بتثليث الباء[(١)] أي كان يوم الأربعاء يوم سبت عندهم لأنه يوم النور لأنه خلق فيه فاختيار يوم السبت دون الأربعاء لسبتهم دليل على أنه لم يرد بهم الخير الكامل، وأنه أراد بهم خيرًا في الجملة كما سيقول هو يوم مبارك.

ثم إن قول الناظم: «كان سبتًا لديهم الأربعاء» من حيث ترتيبه على ما قبله بطريق الملازمة المستفادة من «لو» في غاية الإشكال كما في ابن حجر.

=

قال البخاري: وقال بعضهم: الحبوب التي تؤكل كلها فوم. وقوله تعالى: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾ فيه تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من العيش الرغيد والطعام الهنيء الطيب النافع.

(١) قلت: ربما أراد «ثبتا» وسقطت كلمة ما قبل الباء، يريد: لكان ثابتًا لديهم السبت تعظيمًا وحرمة، ولكنهم انتهكوا حرمته بالاصطياد والتعدي.

وقد يقال في دفع هذا الإشكال:

كأن الناظم نظر إلى أن السبت معناه القطع وإلى أن الأربعاء محل النور الحسي لأن الله تعالى خلق النور فيه، فيكون محلًّا للنور المعنوي الذي هو الوصل، فكأنه يقول: لو أريد بهم خير لجعل قطعهم وصلًا.

ولا ينافي ذلك قوله: «هو يوم مبارك» لأنه باعتبار ما فرض الله عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة، وما نحن فيه، أنه لو أريد بهم تمام الخير جعل محل عبادتهم مؤذنًا بوصولهم الذي من شأنه أن ينشأ عن العبادة [٧٤/أ]، وأما إذ جعل محل عبادتهم مؤذنًا بقطعهم باعتبار أصل مدلوله فهو مما يؤذن ببغضهم وأنهم لم يرد بهم كمال الخير.

ومما يوضح هذا: أن الله تعالى ادخر لهذه الأمة يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصل إذ مقام الجمعة هو مقام الوصل الذي هو أكمل المقامات، وأفضلها، وجعل لليهود السبت المؤذن بتقطيعهم وحرمانهم.

وجعل للنصارى الأحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادة. فكان فيما خصت به كل أمة من الأيام دليلًا على أحوالها وما يؤول إليه أمرها.

فنبه الناظم رحمه الله تعالى على هذه الحقيقة العرفانية، والحكمة الربانية زيادة في مدح هذه الأمة وذم غيرها.

وأجيب بغير ذلك، كما يعلم بالوقوف على شرح ابن حجر.

واعلم: أن أول الأسبوع السبت، والأربعاء خامسه.

وقيل: أوله الأحد، والأربعاء رابعه، والقول الأول هو الذي صح به الخبر وعليه الأكثرون، ففي خبر مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال:

« خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق الكروم يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر، يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من النهار، فيما بين العصر إلى الليل »[(١)]. ولهذا صوب الإسنوي[(٢)]، والسهيلي[(١)] وابن

(١) أطراف هذا الخبر عند: مسلم في «الصحيح» (٢١٤٩)، أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٧)، البيهقي في «السنن» (٩/ ٣)، الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٥٠، ٥٤٣)، التبريزي في «مشكاة المصابيح» (٥٧٣٤) السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٣)، «زاد المسير» (٣/ ٢١١)، (٦/ ٩٤)، (٧/ ٢٤٣)، ابن كثير في «التفسير» (١/ ٩٦)، (٣/ ٤٢٢)، القرطبي في «التفسير» (٦/ ٣٨٤)، البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤١٣)، ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٥، ١٧).

(٢) هو : عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم، أبو محمد، الإسنوي، الأموي، الإمام =

الشافعي، القاهري، القرشي، الفقيه، جمال الدين، ولد سنة (٧٠٤هـ) في العشر الأخير من ذي الحجة وتوفي سنة (٧٢٢هـ) ليلة الأحد، ١٨ جمادى الأولى. ومن مصادر ترجمته:
«ديوان الإسلام» (ت ١٥٨)، «معجم المؤلفين» (٥/ ٢٠٣)، (١٣/ ٣٩٧)، «وفيات السلامي» (ت ٩١٢)، «دائرة الأعلمي» (٢١/ ١١٢)، «البدر الطالع» (١/ ٣٥٢)، «بغية الوعاة» (ت ١٥١٨)، «درة الحجال» (ت ١٠٥١)، «الدرر الكامنة» (٢/ ٣٥٤)، «حسن المحاضرة» (١/ ٤٢٩)، «شذرات الذهب» (٦/ ٢٢٣) وفيها:
الإمام العلامة منقح الألفاظ ومحقق المعاني، ولد بإسنا في رجب سنة أربع وسبعمائة، وقدم القاهرة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة. وسمع الحديث واشتغل بأنواع العلوم، وأخذ الفقه عن الزنكلوني، والسنباطي، والسبكي، والقزويني والوجيزي، وغيرهم، والنحو عن أبي حيان، والعلوم العقلية عن القونوي والتستري وغيرهما.
وانتصب للإقراء والإفادة سنة سبع وعشرين، ودرس التفسير بجامع طولون وولي وكالة بيت المال ثم الحسبة ثم تركها، وعزل من الوكالة، وتصدى للأشغال، والتصنيف.
ذكره تلميذه سراج الدين بن الملقن في «طبقات الفقهاء» فقال: شيخ الشافعية ومفتيهم، ومصنفهم، ومدرسهم ذو الفنون والأصول، والفقه، والعربية، وغير ذلك.
وقال غيره: تخرج به خلق كثير، وأكثر علماء الديار المصرية تلاميذه وطلبته، وكان حسن الشكل حسن التصنيف لين الجانب كثير الإحسان للطلبة ملازمًا للإفادة والتصنيف من تصانيفه:
- كافي المحتاج في شرح المنهاج، وصل فيه إلى المساقاة وهو أنفع شروح المنهاج.
-والكوكب الدري في تخريج مسائل الفقه على النحو.
-وتصحيح التنبيه. -وطبقات الشافعية وغير ذلك.
وقال السيوطي في «طبقات النحاة»: انتهت إليه رئاسة الشافعية وصار المشار إليه بالديار المصرية وكان ناصحًا في التعليم، مع البر، والدين، والتواضع، والتودد، يقرب الضعيف المستهان، ويحرص على إيصال الفائدة للبليد، ويذكر عنده المبتدئ الفائدة المطروقة فيصغى إليه كأنه لم يسمعها جبرًا لخاطره مع فصاحة العبارة وحلاوة المحاضرة والمروءة البالغة، توفي فجأة ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى بمصر ودفن بتربة بقرب مقابر الصوفية.
قلت: وقد جمعت ما وقفت عليه من أسماء كتبه بهامش ديوان الإسلام فكانت على النحو التالي:
١- أحكام الخنثى (إيضاح المشكل من أحكام الخنثى المشكل).
٢- تصحيح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي.
٣- التمهيد في استخراج المسائل الفرعية من القواعد الأصولية.
٤- التنقيح في زوائد تصحيح التنبيه.
٥- الجامع. ٦- جواهر البحرين في الفروع.
٧- الجواهر المضية في شرح المقدمة الرحبية في الفرائض. ٨- شرح الألفية لابن مالك (في النحو).
٩- شرح أنوار التنزيل للبيضاوي في (التفسير).
١٠- شرح المنهاج للبيضاوي (في الأصول).
١١- طبقات الفقهاء. ١٢- طراز المحافل في ألغاز المسائل.
=

عساكر: أن أوله السبت، كما قال ابن حجر.

=

١٣- الفروق والضوء زيادات على منهاج الطالبين للنووي.
١٤- الكوكب الدري في النحو والفقه.
١٥- مجمع البحرين في تناقض الخبرين في الفقه.
١٦- مطالع الدقائق في تحرير الجوامع والفوارق في مجلد.
١٧- المهمات على الروضة للنووي.
١٨- المهمات الغامضة في الأحكام المتناقضة، ثلاث مجلدات.
١٩- نخب الظواهر في أجوبة الجواهر.
٢٠- نزهة النواظر في رياض النظائر.
٢١- نصيحة أولي النهى في منع استخدام النصارى.
٢٢- النصيحة الجامعة والحجة القاطعة.
٢٣- نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب.
٢٤- الهداية إلى أوهام الكفاية للجاجرمي في الفروع.
٢٥- طبقات الشافعية.
٢٦- البدور الطوالع في الفروع والجوامع.
٢٧- الفتاوى.
٢٨- الفتاوى الحجوية.
٢٩- تلخيص الرافعي الكبير.
٣٠- تلخيص الرافعي الصغير.
٣١- الأشباه والنظائر.
٣٢- كافي المحتاج إلى شرح المنهاج.
٣٣- زوائد الأصول.

(١) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ، أبو القاسم، وأبو زيد وأبو الحسن، الخثعمي، السهيلي، الأندلسي المالكي، الضرير. ولد سنة (٥٠٧هـ) وقيل: (٥٠٨هـ) وقيل: (٥٠٩هـ) وتوفي سنة ٥٨١هـ).
ومن مصادر ترجمته:
«معجم المؤلفين» (٥/ ١٤٧)، «وفيات الأعيان» (١/ ٣٥١)، «المطرب» (٢٣٠)، «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٧)، «إنباه الرواة» (٢/ ١٦٢)، «البداية والنهاية» (١٢/ ٣١٨)، «بغية الوعاة» (٢٩٨)، «المغرب في حلي المغرب» (٤٤٨)، «التكملة» (٢/ ٥٧٢)، «مرآة الجنان» (٣/ ٤٢٢)، «شذرات الذهب» (٤/ ٢٧١)، «مختصر دول الإسلام»(٢/ ٦٧)، «الديباج»(١٥٠)، «كشف الظنون» (٤٢١)، «روضات الجنات» (٤٢٩)، «إيضاح المكنون» (٢/ ٤٥١)، «السعادة الأبدية» (١٥٨)، «هدية العارفين» (١/ ٥٢٠)، قال الأستاذ عمر كحالة في «معجم المؤلفين»:
مؤرخ، محدث، حافظ، نحوي، لغوي، مقرئ، أديب.
ولد بسهيل، وأخذ عن ابن العربي وغيره، ونما خبر نبوغه إلى مراكش فطلبه واليها وأحسن إليه، وأقبل عليها وأقام بها نحوًا من ثلاثة أعوام، وتوفي بها في شعبان. ومن مؤلفاته:
- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام.
- القصيدة العينية.
- الروض الأنف في شرح تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام.
- نتائج النظر.
- مسألة رؤية الله ﷻ في المنام ورؤية النبي ﷺ.
- شرح الجمل للزجاج في النحو (لم يتم).
له أشعار كثيرة.

هو يوم مبارك قبل للتصريف فيه من اليهود اعتداء

«هو» أي يوم السبت، «يوم مبارك» [٧٤/ ب] ابتدأ الله خلق العالم فيه كما تقدم، خلافًا لما زعمته اليهود من أنه ابتدأه في يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، قالوا: فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه. وهذا من جملة سفههم حيث نسبوه تعالى إلى التعب بخلق العالم، قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[1] [ق: ٣٨] أي تعب تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. أي يوجده فورًا، فلا يتخلف عن الإرادة فقوله «كن» كناية عن ذلك.

قيل: بناه للمجهول لضيق النظم فلا يتوهم أنه قول ضعيف للتصريف أي للتصرف بغير العبادة كبيع ونحوه من اليهود.

«اعتداء» أي ظلم وعدوان، كان سببًا لمسخ كثير منهم قردة وخنازير، وذلك أنهم لما رأوا أن يجردوه للعبادة اعتدى فيه أناس منهم في زمن داود ﷺ اثنا عشر نفرًا، فاصطادوا فيه، وكانوا بأيلة[2] قرية على جانب البحر. ابتلاهم الله تعالى بأن ألهم السمك يوم السبت أنه ما

---

(١) وقال ابن كثير في تفسيرها: فيه تقرير للمعاد لأن من قدر على خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى. وقال قتادة: قالت اليهود -عليهم لعائن الله-: خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي من إعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وكما قال ﷺ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ [الصافات: ١١].

(٢) قال ياقوت في «معجم البلدان» في الكلام على تلك القرية: أَيْلَةَ بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر حاليًا) مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز، وأول الشام، واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إيليا بعده (أي في المعجم).

قال أبو زيد: أيله: مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير، وبها في يد اليهود عهد لرسول الله ﷺ. وقال ابن المنذر: سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام.

وقال أبو عبيدة: مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم تعد في بلاد الشام. وقدم يوحنا بن رؤبة على النبي ﷺ من أيلة وهو في تبوك فصالحه على الجزية وقرر على كل حالم بأرضه في السنة دينارًا، فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار.

واشترط عليهم قري من مر بهم من المسلمين، وكتب لهم كتابًا: أن يُحفظوا يمنعوا. فكان عمر بن =

يبقى حوت في البحر إلا وقع خرطومه أو خرج فإذا مضى السبت تفرق السمك وتعسر، فأجمع رأي جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك وتمنعهم عن الاصطياد يوم السبت، فحفروا يوم الجمعة حفرًا جانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر، فصارت تمتلئ منه يوم السبت ويأخذونه يوم الأحد.

فشووا وأكلوا، فشم جيرانهم، فسألوهم، فأخبروهم بالحيلة، فقالوا: إن الله معذبكم. ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة، ثم [٧٥/ أ] جماعة حتى صاروا قدر الثلث، وسكت قدر الثلث، واعتزلهم الثلث الباقي، فبنوا بينهم حائطًا، فأصبحوا وقد مسخ الله الثلث الأول قردة وخنازير، وكذا الثاني على اختلاف فيه؛ لأن الآية فيهم محتملة، ومن ثَمَّ قال ابن عساكر: لا أدري ما فعل بالساكتة نجاها أم مسخها كذلك؟

قال مالك: يؤخذ من هنا تحريم الحيلة ووجوب سد الذرائع. اهـ.

فبظلم منهم وكفر عدتهم طيبات في تركهن ابتلاء

«فبظلم» متعلق بعدتهم، «منهم» وهو وضع الشيء في غير محله كجناياتهم في السبت، وأكلهم الربا وأخذ أموال الناس بالباطل، و«كفر» من عطف الخاص على العام اهتمامًا به، «عدتهم» أي فاتتهم، «طيبات» من الرزق كانت حلالًا لهم فحرمها الله عليهم بسبب ذلك وهي التي في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾[1] [الأنعام:١٤٦].

=

عبد العزيز لا يزداد على أهل أيلة عن ثلاثمائة دينار شيئًا.

وقال محمد بن الحسن المهلبي: من الفسطاط إلى جب عميرة بستة أميال، ثم إلى منزل يقال له: عجرود، وفيه بئر ملحة بعيدة الرشاء أربعون ميلًا، ثم إلى مدينة القلزم خمسة وثلاثون ميلًا، ثم إلى ماء يعرف بشجر يومان، ثم إلى ماء يعرف بالكرسي، فيه بئر رواء، مرحلة، ثم إلى رأس عقبة أيلة مرحلة، ثم إلى مدينة أيلة مرحلة.

قال : ومدينة أيلة جليلة على لسان من البحر الملح وبها مجتمع حج الفسطاط والشام، وبها يذكرون أنهم من موالي عثمان بن عفان. ويقال: إن بها بُرد النبي ﷺ وكان قد وهبه ليوحنة بن رؤبة لما سار إليه إلى تبوك، وخراج أيلة ووجوه الجبابات بها نحو ثلاثة آلاف دينار.

وأيلة في الإقليم الثالث، وعرضها ثلاثون درجة، وينسب إلى أيلة جماعة من الرواة منهم يونس بن زيد الأيلي صاحب الزهري، توفي بصعيد مصر سنة (١٥٢هـ).

(١) وقال ابن كثير في تفسيره: قال ابن جرير: يقول الله تعالى: وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط.

قال علي بن طلحة عن ابن عباس: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وهو البعير والنعامة. وكذا قال مجاهد، والسدي في رواية.

وقال سعيد بن جبير: هو الذي ليس منفرج الأصابع، وفي رواية عنه: كل مفترق الأصابع ومنه الديك

=

وما ذكره الناظم مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[1] [النساء:١٦٠] الآية. ومن شأن الطيبات أن يوجد في إيجاد «تركهن» عليهم المستفاد من تحريمهن «ابتلاء» أي اختبار ومحنة للعبد يكون سببًا لصلاحه أو لهلاكه.

خدعوا بالمنافقين وهل ينفق إلا على السفيه الشقاء

«خدعوا» أي يهود المدينة وما قرب منها، «بالمنافقين» أي خدعهم المنافقون من الأوس والخزرج الذين أظهروا الإسلام جنة أي تقية من القتل مع بقائهم على الكفر باطنًا فأراد بهم المكروه من حيث لا يعلمون بصدهم عن رسول الله ﷺ المترتب عليه شقاؤهم تحقيقًا لسفههم، وكأن هؤلاء [٧٥/ ب] المنافقون مع اليهود لأنهم مثلهم باطنًا. وكانوا يدسون إليهم المكر والخديعة فينخدعون لهم لغباوتهم وسفاهتهم.

=

وقال قتادة في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ يقول: البعير، والنعامة، وأشياء من الطير والحيتان، وفي رواية: البعير والنعامة وحرم عليهم من الطير البط وشبهه، وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع. وقال ابن جريج عن مجاهد، ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ قال: النعامة والبعير شقاشقًا.

قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثته: ما شقاشقًا؟ قال: كل ما لا ينفرج من قوائم البهائم، قال: وما انفرج أكلته؟ قال: انفرجت قوائم البهائم، والعصافير، قال: فيهود تأكله، قال: ولم تنفرج قائمة البعير (خفه) ولا خف النعامة، ولا قائمة الأوز، فلا تأكل اليهود: الإبل ولا النعامة، ولا الأوز، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته، ولا تأكل حمار الوحش.

(١) ويقول ابن كثير في تفسيرها: يخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود، وربما ارتكبوه من الذنوب العظيمة حرم الله عليهم طيبات كان أحلها لهم كما قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو قال: قرأ ابن عباس «طيبات كانت أحلت لهم» وهذا التحريم قد يكون قدريًا بمعنى أنه تعالى قيضهم لأن تأولوا في كتابهم وحرفوا وبدلوا أشياء كانت حلالًا لهم فحرموها على أنفسهم تشديدًا منهم على أنفسهم وتضييقًا وتنطعًا.

ويحتمل أن يكون شرعيًا بمعنى أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالًا لهم قبل ذلك كما قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣] والمراد: أن الجميع من هذه الأطعمة كانت حلالًا لهم من قبل أن تنزل التوراة ما عدا ما كان حرم إسرائيل على نفسه من لحوم الإبل وألبانها ثم أنه تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة كما قال في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦] أي إنما حرمنا عليهم ذلك لأنهم يستحقون ذلك بسبب بغيهم وطغيانهم ومخالفتهم رسلهم واختلافهم عليهم، ولهذا قال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]، أي صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق وهذه سجية لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه ولهذا كانوا أعداء الرسل وقتلوا خلقًا من الأنبياء، وكذبوا عيسى ومحمدًا صلوات الله عليهما وسلامه.

كانت أحبار اليهود هم الذين يتعنتون على النبي ﷺ، فنزل القرآن مكذبًا لهم تارة ومجيبًا عن شبههم أخرى، ومنبهًا على أحوال المنافقين الذين هم معهم باطنًا أخرى. ولما كان بسبب انخداعهم لهم السفه قال: «وهل ينفق» أي يروج «إلا على السفيه الشقاء» أي ما ينفق الشقاء إلا على السفهاء وهم اليهود لا غير.

واطمأنوا بقول الأحزاب إخوانهم: إننا لكم أولياء

«واطمأنوا» أي اليهود مما كانوا يترقبونه من النبي ﷺ بسبب قول «الأحزاب» أي طوائف أهل مكة، ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا لحربه ﷺ بعد وقعة أحد «إخوانهم» في الكفر: «إننا لكم أولياء»، أي متوالون ومتفقون على حرب محمد ﷺ.

وسبب ذلك: أن جماعة من اليهود منهم اللعين حيي بن أخطب ازدادت عدواتهم له ﷺ فقدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه ﷺ وقالوا: نكون معكم عليه حتى نستأصله، فوافقوهم.

ثم ذهبوا لغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش، وقائدها أبو سفيان قبل إسلامه، وغطفان ومن معهم من أهل نجد وقائدها عيينة بن حصن.

فاجتمعوا في عشرة آلاف، واليهود قاطعون بذلك بأنهم يستأصلون المسلمون. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أشار سلمان بحفر الخندق لأن [٧٦/ أ] العرب لم تكن تعرفه، فاجتهد ﷺ هو وأصحابه، فلما وصل العدو إليه خرج ﷺ إليهم في ثلاثة آلاف. فمكثوا نحو عشرين ليلة أو خمسة عشر وهو الأشهر، لا قتال بينهم إلا الرمي بالنبل، والحصى.

فلما اشتدت الحرب فجاء نعيم بن مسعود إلى النبي ﷺ، فقال له: إني أسلمت، ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت. فأمره رسول الله ﷺ بأن يحول عنهم ما استطاع، فإن الحرب خدعة فذهب نعيم إلى بني قريظة وكان نديمهم في الجاهلية، فحسن لهم التخلف عن معاونة قريش إلا أن أخذوا منهم رهنًا، وخوفهم على أموالهم وأولادهم. فقالوا له: أشرت بالرأي الصائب. ثم ذهب للعرب فقال لهم عن اليهود مثل ذلك وأنهم ندموا على ذلك، وأرسلوا لمحمد ﷺ بذلك.

فأرسلوا رسلهم لقريظة فذكروا لهم ذلك، فاعتقدوا صدق نعيم وانحل عزمهم فخذلهم الله تعالى، وأرسل عليهم الريح في ليال شديدة البرد، فكفأت قدورهم وطرحت خيامهم.

وبلغه ﷺ تخالفهم وما هم فيه فقال لحذيفة بن اليمان: «اذهب فانظر ما فعل القوم، ولا تحدث شيئًا حتى تأتينا».

فدخل بينهم فسمع أبا سفيان يقول: لينظر الرجل منكم من جليسه؟ قال: فأخذت بيد من جنبي وقلت: من أنت؟ فقال: فلان ابن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش ما أصبحتم بدار قوم، لقد هلك الكراع والخف وأخلفنا بنو قريظة، ثم أمرهم بالرحيل فارتحل.

ولولا عهد رسول الله ﷺ [٧٦/ ب] أن لا تحدث شيئًا لقتلته بسهم. ثم سمعت غطفان ما وقع لقريش فرجعوا أيضًا. فلما أصبح ﷺ رجع إلى المدينة، وقال: «لا تغزوكم قريش بعدها أبدًا، ولكن أنتم تغزونهم». وكان كذلك، ولما وضعوا السلاح جاء جبريل عليه السلام معتمًا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج.

وفي رواية البخاري: أنه لما وضع السلاح اغتسل فأتى جبريل، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه، اخرج إليهم -أي بني قريظة- فإني عامد إليهم ومزلزل بهم.

وفي رواية: قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا. فبعث ﷺ مناديًا: «يا خيل الله اركبي». فذهب إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل وستة وثلاثين فرسًا فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، وخمسة عشر، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

فعرض عليهم رئيسهم الإيمان، وحلف لهم أنه نبي مرسل، وأنه الذي يجدونه في كتابهم. فأبوا فقال: الليلة السبت فلعلهم آمنونا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم. فقالوا: يفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من قبلنا إلا من علمت.

فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ. ثم اشتد عليهم الحصار، فنزلوا على حكم النبي ﷺ. فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس فحكم فيهم بأن تقتل رجالهم، وتقسم أموالهم، وتسبى ذراريهم. فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به». فأمر رسول الله ﷺ بهم فأدخلوا المدينة وحفر لهم أخدودًا في السوق، وجلس [٧٧/ أ] ﷺ ومعه أصحابه، وأخرجوا إليه وضربت أعناقهم، وكانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة. ولا ينافي الرواية الصحيحة أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، لأن الباقي أتباع.

وبما تقرر علم أن الأحزاب:

حالفوهم وخالفوهم ولم أدر لماذا تخالف الحلفاء

«حالفوهم» أي حالف الأحزاب اليهود، أي عاهدوهم مع الأيمان المغلظة على حرب رسول الله ﷺ «وخالفوهم» فيما حالفوهم عليه فرحلوا عنهم، وأسلموهم للنبي ﷺ حتى قتلهم عن آخرهم كما مر.

«ولم أدر لماذا تخالف الحلفاء» أراد بنفي الدراية على طريق تجاهل العارف إغراء للسامع على البحث عن سبب ذلك وإن كان ظاهرًا وهو أن الله تعالى أراد خذلانهم بتفريق كلمتهم،

واستئصالهم بالهلاك. وتجاهل العارف سماه السكاكي[1]: سوق المعلوم مساقاة غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سياق التعجب أو الإنكار أو التوبيخ كما هنا، أو التقرير نحو ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]. أسلموهم لأول الحشر.

قال ابن عبد الحق في شرحه المتقدم ذكره: ظاهره: أن ضمير الفاعل راجع للأحزاب، وليس كذلك، وإنما هو راجع للمنافقين في قوله: خدعوا بالمنافقين، فلو ذكره عقبه لكان أولى.

والمراد بالمنافقين هنا: عبد الله بن أبي وأصحابه، وباليهود: بني النضير منهم، وذلك لأنهم حين نقضوا العهد بهمهم بقتله ﷺ لما أتى إليهم يستعينهم في دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم، فأخبر بذلك فرجع إلى المدينة، ثم سار إليهم فحاصرهم، فتحصنوا بالحصون [٧٧/ ب]، وبعث إليهم ابن أبي وأصحابه: أن اثبتوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم.

فقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم من أرضهم، ويكف عن دمائهم، فأرسل إليهم ابن أبي وأصحابه: أن امتنعوا من الخروج، ووعدهم أن يمدوهم بمن ينصرهم ولا يسلموهم، فأرسلوا إليه ﷺ يقولون: لا نخرج. فسار إليهم ﷺ فلما رأوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة فحاصرهم خمسة عشر يومًا، فاشتد الحصار عليهم، وخذلهم ابن أبي وأصحابه، فطلبوا الخروج، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الدرع». فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين كما قال الله تعالى، فلحقوا بخيبر بالشام، فهذا أول الحشر الذي سلموهم له ابن أبي، وأصحابه من المنافقين بعد

---

(١) هو : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، أبو يعقوب سراج الدين، السكاكي، الخوارزمي، النحوي وقيل: يوسف بن علي والشهرة: السكاكي. ولد سنة (٥٥٥هـ) في ٣ جمادى الأولى. وتوفي سنة (٦٢٦هـ) في أوائل رجب. من مصادر ترجمته:

«ديوان الإسلام» (ت ١١٦٩)، «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٨٢)، «الأعلام» (٨/ ٢٢٢)، «هدية العارفين» (٢/ ٥٥٣)، «كشف الظنون»(١٧٦٢)، «مفتاح السعادة»(١/ ١٦٣)، «تاج التراجم» (٦٠)، «الجواهر المضية» (٢٢٥)، «روضات الجنات» (٤/ ٢٣٨)، «تراجم الأعاجم» (١/ ١٥٥)، قال الأستاذ عمر كحالة في «معجم المؤلفين»: عالم في النحو والتصريف، والمعاني والبيان والعروض والشعر، وغير ذلك. ولد في ٣ جمادى الأولى وتوفي بخوارزم في أوائل رجب، من آثاره:

- مفتاح العلوم (في النحو والاشتقاق والمعاني والبيان).
- ومصحف الزهرة.

وأضفت إلى هذين الكتابين في هامش ديوان الإسلام كتابين آخرين هما:

- رسالة في علم المناظرة.
- كتاب الطلسم. فارسي.

أن وعدوهم وحلفوا لهم أن لا يسلموهم ولا ميعاد «هم» أي: المنافقين لليهود أنهم ينصرونهم على النبي ﷺ صادق لأنهم سولوا قتالهم، وأنهم يعينونهم، ثم تخلفوا عنهم، «ولا إيلاء» أي ولا حلف لهم على ذلك صادق أيضًا.

وإنما كان هذا الحشر أول حشرهم لأنه لم يصبهم نظير ذلك. وآخره: إخراج عمر ﷺ في خلافته من بقي بخيبر من هؤلاء ومن أهلها إلى الشام.

وقول الناظم: «أسلموهم لأول الحشر» مقتبس من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر:٢].

وقوله «لأول الحشر» أي في أول حشرهم وجلائهم من جزيرة العرب إلى الشام أو من محلهم إلى محل آخر، وستأتي قصتهم بعيد ذلك بأبسط مما هنا.

سكن الرعب والخراب قلوبًا وبيوتًا منهم نَعَاهَا الجلاء

«سكن الرعب» أي هيبة النبي ﷺ وخشيته انتفاء منهم وظن ظفره عليهم، «والخراب» الآتي لدورهم، «قلوبًا» من اليهود، وهذا راجع للأول، «وبيوتًا منهم» أي من اليهود راجع للثاني ففيه لف ونشر مرتب، أي سكن الرعب قلوبًا لهم الخراب بيوتًا لهم «نعاها» أي تلك البيوت أي أخبر خبر تلك البيوت بموت أهلها المعنوي من نفاه له نعوًا ونعيًا ونعيانًا أخبره بموته «الجلاء» أي خروجهم من ديارهم شبهه في كونه معلمًا بقهرهم، وزوال شكوتهم، المشبه بالموت بإنسان خبير بما ينفع ويضر، فهي استعارة بالكناية، وذكر النعي اللازم للمشبه به استعارة تخيلية.

قال ابن حجر: وخلاصة ما قاله أهل السير في واقعة بني النضير: أنه ﷺ خرج إليهم يستعينهم في دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم، فأظهروا له الإجابة، ثم تواعدوا عليه ﷺ وهو جالس إلى جنب جدار بعض بيوتهم على أن يصعدوا واحدًا منهم، ويلقي عليه صخرة ليستريحوا منه، فنهاهم بعضهم وقال: والله ليخبرن بما هممتم به وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه.

فلما صعد الرجل لذلك أخبر به النبي ﷺ [٧٨/ ب] فقام مظهرًا أنه يقضي حاجة وترك أصحابه في مجالسهم، ورجع مسرعًا للمدينة فطلبه أصحابه، فأخبرهم ونزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [المائدة:١١] الآية.

فأمر ﷺ بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم، فسار إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم ست ليال، فتحصنوا بالحصون، فقطع النخل وحرقها وخرب.

ولما وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء نزل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ [الحشر:٥] الآية.

واللينة: أصناف التمر ما عدا العجوة والبرني، ففي الآية أنه ﷺ لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت، وكانوا يقتاتون العجوة.

وفي الحديث: «العجوة من الجنة وثمرها يغدو أحسن غداء»، والبرني كذلك أيضًا.

وكان رهط من بني عوف من الخزرج منهم ابن أُبيّ بعثوا إليهم: أن اثبتوا وتمنعوا؛ فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم.

وفي رواية ابن أسعد: أنهم لما هموا بالغدر، أرسل إليهم محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدي، فقد أجلتكم عشرًا، فمن رُئي منهم بعدها ضربت عنقه، فشرعوا في التجهيز، فأرسل إليهم ابن أبي: بأنهم يمتنعون، ويمدهم بمن ينصرهم، فأرسلوا لرسول الله ﷺ يقولون: لا نخرج.

فأظهر التكبير وكبر المسلمون تكبيرة، فسار إليهم وعلي ﷺ يحمل رايته، فلما رأوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة، وخذلهم ابن أُبيّ وغيره، وحاصرهم خمسة [٧٩/ أ] عشر يومًا، ثم قال لهم: «اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الدرع».

فنزلوا على ذلك، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، فلحقوا بخيبر، ثم إلى الشام والحيرة إلى ستمائة بعير، ويكون القاهر لهم مجرد الرعب، وكان ما بقي من أموالهم له ﷺ فقسمه بين المهاجرين لترفع مؤنتهم عن الأنصار. اهـ.

«وخدعوا أيضًا» أي بني قريظة منهم بيوم الأحزاب إذ زاغت الأبصار فيه وضلت الآراء من شدة الخوف الذي حصل للمسلمين، لما أحاطت بهم بنو قريظة وطوائف العرب كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:١٠] الآيات، ثم كشف الله ذلك بلطفه.

وحاصل ذلك: أن الأحزاب لما أقبلوا ونزلوا حول المدينة وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، فجعلوا ظهورهم إلى سلع، والخندق بينه وبين القوم، خرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعبًا القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، فأغلق كعب دونه حصنه وقال له: إنك امرؤ مشئوم، وإني عاهدت محمدًا فلست بناقض ما بيني وبينه، فإني لم أر منه إلا وفاءً وصدقًا، فقال: ويلك، افتح، ولم يزل به حتى فتح، فقال: يا كعب جئتك بعز الدهر

جئتك بقريش أنزلتهم بمجتمع الأسيال، ومن دونه غطفان، وقد ظاهروني على أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدًا ومن معه، ولم يزل به حتى نقض عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ، فبلغه ذلك، وعظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل الظن ونجم [٧٩/ ب] النفاق في بعض المنافقين، وأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب:١٢، ١٣] الآيات.

وقال رجال ممن معه: ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ﴾ [الأحزاب:١٣].

ثم وقع ما مر من أن الله تعالى خذل الأحزاب وبدد شملهم وجعل الدائرة عليهم والغلبة لرسول الله ﷺ وللمسلمين وأهلك بني قريظة عن آخرهم كما مر. اهـ. من ابن حجر.

ثم إن الناظم لو قدم هذا البيت على البيتين قبله وقدمهما على البيتين قبلهما لكان أظهر في أداء المراد المتقدم بيانه وكأن هذا الموضوع من خطأ النساخ.

قاله ابن عبد الحق.

وتعدوا إلى النبي حدودًا كان فيها عليهم العدواء

«وتعدوا» أي اليهود كما هو المتبادر، ويجوز أن يعود على مطلق الكفرة الشامل لكفار العرب وغيرهم أي تجاوزوا إلى إيذاء النبي ﷺ «حدودًا» حدها الله تعالى في حقه ﷺ ومنعهم من مجاوزتها «كان فيها» أي في تعديها «عليهم» أحد الطرفين حال والآخر خبر، «العدواء» بفتح العين أي بعدهم عن النجاة، ووقوعهم في الهلاك.

ونهتهم وما انتهت عنه قوم فأبيد والأمَّار والنَّهاءُ

أي أمرتهم قوم منهم بذلك التعدي «ونهتهم» عنه بأن قالت لهم: إنه لرسول الله حتمًا «وما انتهت عنه قوم» آخرون بل استمروا على ما هم عليه من إيذائه، والأمر به، فسبب ذلك «أبيد» أي أهلك «الأمَّار» منهم بإيذائه «والنهاء» عنه مع ارتكابه [٨٠/ أ] لبقاء كل من الفريقين على ضلاله.

قال ابن حجر: ومرَّ أن عتبة بن ربيعة لما اشتد أذى قريش له ذهب إليه لينهاه، فقرأ عليه سورة فصلت فرجع إلى قومه، ومدح القرآن، وأمرهم أن يخلوا بينه وبين ما هو فيه، وبين لهم أن القرآن ليس بسحر، ولا شعر، ولا كهانة، وأنه ﷺ ليس به جنون، وأنه ليكونن لقوله نبأ عظيم.

فقالوا له: سحرك بلسانه فقال: افعلوا ما بدا لكم، فلم يزدهم ذلك إلا طغيانًا وإيذاءًا له بالقول والفعل، وقتل عتبة يوم بدر مشركًا.

وتعاطوا في أحمد منكر القول ونطق الأراذل العوراء

«وتعاطوا في أحمد» نبينا ﷺ وخص بالذكر لأنه لم يسم به أحد قبله، وأما محمد فتسمى به خمسة عشر نفسًا كما بينه الحافظ العسقلاني «منكر القول» أي القول المنكر الذي ينكره متعاطيه منهم فضلًا عن سامعه لعلمه بقبحه وفساده، وأن الحامل له عليه إنما هو محض عناد وحسد، قالوا مرة: ساحر، ومرة: كاهن، ومرة: مجنون، لكن لا يستبعد ذلك منهم فإنهم أراذل «ونطق» أي منطوق «الأراذل» أي الأثقال الأخساء الذين لا مروءة لهم ولا عقل الكلمة «العوراء» أي القبيحة الساقطة أي شأنهم النطق بالفحش كهؤلاء.

روي أن النبي ﷺ طاف هو، وأبو بكر، وعثمان رضي الله عنهما، فلما مر بأبي جهل، وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف، أسمعوه ﷺ بعض ما يؤذيه وينكره، ثم أراد أبو جهل الأخذ بمجامع ثوبه [٨٠/ ب] فدفعه عثمان، فوقع على استه، ودفع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمية بن خلف، والنبي ﷺ عقبة، ثم قال: «والله لا تنتهون حتى ينزل بكم عقابه عاجلًا».

فما منهم إلا وقد أخذته رعدة، وجعل ﷺ يقول لهم: «بئس القوم أنتم لنبيكم».

ثم قال لأصحابه: «أبشروا فإن الله مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه، إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلًا».

قال عثمان: فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بأيدينا.

ومن إيذاء المنافقين قولهم يوم الأحزاب: محمد يعد أصحابه أن ينفق كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

وقد حقق الله تعالى ما قاله نبيه ﷺ، فملك الله كنوز كسرى وقيصر في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما.

انتهى من ابن حجر رضي الله عنه.

ولما كان هؤلاء أرجاسًا أي أنجاسًا وملة قال:

وكـــل رجس يزيده الخلق ســـوء　　　سفاهًا والملـــة العوجـــاء

وكل «رجس» أي نجس وقذر وغضب قام بهم «يزيده» ما جبلوا عليه وهو الخلق السوء بفتح السين وضمها أي القبيح سفاهًا بفتح السين مصدر سفه المضموم ومصدر المكسور سفهًا، وهو ضد الحلم، وسببه خفة العقل وطيشه؛ ويزيده سفاهة أيضًا وبعدًا عن الخير «الملة العوجاء» أي الباطلة المتبع لها سفهًا، فأولئك الأراذل اجتمع فيهم مع الرذالة الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم.

فانظروا كيف كان عاقبة القـــوم　　　وما ســـاق للبـــذيء البذاء

فبسبب ازديادهم من السفاهة والجهل «انظروا» أيها العقلاء «كيف» هي وما بعدها سدت مسد مفعولي «انظروا» «كان» تامة «عاقبة» أي مآل ومصير هؤلاء «القوم» الذين تعاطوا فيه ﷺ منكر القول وهو خزي الدنيا وعذاب الآخرة ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم:١٠] الآية ففيه اقتباس.

وانظروا أيضًا ما ساق للبذيء اللسان في حقه ﷺ «البذاء» بالمعجمة أي بذاؤه أي فحشه عليه من الهلاك وخسران الدنيا والآخرين.

وجـــد السب فيه سَمًا ولم يدر إذ الميم في مواضـــع بـــاء

«وجد» ذلك البذيء «السب» أي الشتم «فيه» ﷺ «سمًا» بفتح السين لغة من ثلاث لغات فيه: مهلكًا لوقته «ولم يدر» ذلك البذيء الدنيء عند تعاطيه أنه السم لفظًا «إذ الميم» يكون بدلها «في مواضع» حال من الخبر. وهو «باء» كقولهم في «ميد»: بيد، وكقولهم: با اسمك؟ يريدون: ما اسمك؟ وهو لغة بني مازن، ومعنى لأنه يهلك كالسم بل أبلغ منه لأن إهلاك السم في الدنيا وله أدوية تزيله أو تمنع إهلاكه، وإهلاك سبه ﷺ في الدنيا والآخرة ولا دواء يمنعه.

ومما يدل على أن الميم تكون في بعض المواضع باء كما ذكره الناظم وهي لغة بني مازن كما قدمنا قول المازني:

دخلت على الخليفة الواثق، فقال لي: ممن الرجل؟

قلت: من بني مازن.

قال: من أي الموازن؟ أمن مازن تميم، أو مازن قيس، أو مازن ربيعة؟

قلت: مازن [٨١/ ب] ربيعة.

فكلمني بكلام قومي، فقال: با اسمك؟ يريد ما اسمك؟ وهي لغة قومي؛ لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميمًا.

قال: فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر فقلت: بكر يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدته، وأعجب به، وفيه أيضًا سب لنفسه.

ثم قال لي: اجلس فاطبئن، يريد: فاطمئن.

قال ابن جني في «سر الصناعة»: أخبرنا أبو علي بإسناده إلى الأصمعي قال: كان أبو سوار الغنوي يقول: با اسمك؟ يريد: ما اسمك.

فهذه الباء زائدة بدل الميم. اهـ.

كـــأن من فيـــه قتلـــه بيديـــه فهـــو في ســـوء فعـــلة الزَّبَّاء

«كأن» البذيء من أجل ما صدر «من فيه» أي فمه من السب حال من الضمير المستوفي الخبر وهو بيديه «قتله» لنفسه «بيديه» مما تعاطاه بفمه من السم وقتل الإنسان لنفسه أشد من قتل غيره فبسبب ذلك «هو» أي البذيء القاتل لنفسه المذكور في الاتصاف بها وقع من سوء فعله بنفسه كالمرأة المشهورة بالملك القاهر في العرب التي هي «الزَّبَّاءُ» بفتح الزاي وتشديد الموحدة أي مثلها فإنها قتلت نفسها بيديها مما تعاطته بفمها من السم، لكن ذاك بإخراجه منه، وهذه بإدخالها فيه فإنها تناولت خاتمًا مسمومًا فمصته حتى قتلت نفسها، وقالت: «بيدي لا بيد عمرو» فكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بيدها لفيها لما ظفر بها عمرو ابن أخت جذيمة الأبرش لما كان بينهما خوفًا من تعذيبه إياها.

وحاصل القصة ـ وهي طويلة ذكرها الإخباريون وابن هشام، وابن الجوزي وغيرهم[١] ـ أن جذيمة بن عامر التنوخي، وقيل: الأزدي، وهو أول من ساس العرب، وأول من اتخذت له الشموع [٨٢/أ] وأوقدت بين يديه، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق من قبل أزدشير، وكان أبرص فكنوا عن ذلك بالأبرش الوضاح، وقيل: كان لا يأنف عن الأبرص؛ لأن في العرب من يفتخر بذلك، وكان له أخت أحبها عدي بن نصر الإيادي فوافقها، ثم إنه توافق معها على أنه ينكحها منه إذا غلب عليه السكر، فسأله حينئذ في ذلك فأنكحه إياها وأشهد عليه، فدخل عليها، فلما أصبح وعلم بذلك تغيب عدي، ولم يعرف له أثر، فولدت له ولدًا سمي عمرو، فأحبه جذيمة، ثم اختطفته الجن ثم ردوه، فزاد حظًّا عند خاله.

وكان أبو الزَّبَّاء ـ وسميت بذلك لكثرة شعرها إذ كان يجللها، ويسحب من ورائها ـ ملك ما بين الفرس والروم، فغزاه جذيمة الأبرش، وقتله قبل بعثة سيدنا عيسى ﷺ وطردها، فلحقت بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك أبيها وابتنت لها بجنب الفرات قصرًا حصينًا.

فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها لأنها بكر، وأجمل أهل عصرها، وطمع في ملكها، فأرسل إليها بذلك، فأظهرت له غاية الفرح والسرور، وأرسلت إليه هدية سنية، فاستشار في المسير إليها فلم يصغ إليه وسار.

وكانت أمرت عسكرها أنه إذا وصل أن يحيطوا به ويمنعوه ممن معه ففعلوا، وقيصر معهم، فلما رأى ذلك ركب فرس جذيمة التي تسبق الريح بجريها وفر بها، ثم أدخل جذيمة

---

(١) وهي الترجمة الأولى التي ذكرها محمد بن حبيب في كتابه «أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام»، والذي قد أعانني الله على تحقيقه.

عليها وليس عندها إلا جواري، وكانت ربت شعر عانتها حولًا كاملًا فكشفتها له وقالت: أمتاع عروس ما ترى؟ فقال: بل متاع أمة بظراء.

ثم قالت: خذوا بيد [٨٢/ ب] سيدكن وبعل مولاتكن، فأجلسوه على النطع، ففعلن، ثم أمرتهن بفصد عروق بدنه ففعلن، ووضع طست فنزف دمه إلى أن قضى نحبه، فأمرت به فدفن.

ثم أقبل قيصر على عمرو وأخبره الخبر وأمره أن يأخذ بثأره منها، فأفهمه أنه لا قدرة له عليها، فقال له: أجدع أنفي وأذني واضرب ظهري حتى تؤثر في، فقيل: ففعل به ذلك، وقيل: إنما فعل قيصر بنفسه ذلك، ثم ذهب إليها مستجيرًا بها من عمرو، فراجت حيلته عليها وأكرمت منزلته، ثم قال لها: إن لي بالعراق مالًا كثيرًا وذخائر فسفريني لآتي به، ففعلت، فرجع إليها بأموال هائلة، ثم عاد إلى العراق ثانيًا، فرجع إليها بأموال أكثر من الأموال، فازدادت مكانته عندها، ومازال يتلطف حتى عرف سردابًا جعلته تحت الفرات، تصعد منه إلى قصرها وبابه من جانب الفرات الآخر.

ثم خرج ثالثًا فرجع بأكثر من ذلك كله، فزادت مكانته وعولت عليه في جميع أمورها، وأظهرت له أنها تريد غزوًا وأنه يذهب ويأتيها بالعبيد والعدد، فقال لها: إن لي في بلاد عمي ألف بعير وخزانة مال وسلاح، فأعطته ما أراد من المال وقالت: الملك يحسن بمثلك، فعاد إلى عمرو، وقال: أصبت الفرصة منها، فقال عمرو: مُر بما شئت، فقال: الرجال، والأموال، فعمد إلى ألفي رجل من فتاك قومه فحملهم على ألف جمل على كل جمل اثنان في غرارتين سوداوين، وعمرو فيهم، وساق الخيل والكراع والسلاح، وكان يكمن في النهار، ثم دخل عليها فقال: انظري إلى العير، فقالت شعرًا:

مال الجمال مشيها وئيدًا أجندل يحملن أم حديدا
أم الرجال جثمًا قعودًا أم الرجال في الغرار السودا

ولما وصلت العير إلى المدينة طعن بواب المدينة جولقًا بمخصره [٨٣/ أ] فضرط من أصابه. فأراد الصياح، فضربه قيصر، ثم حولت الجوالق فخرج الرجال ودخل عمرو باب السرداب يصعد إلى الزباء، فلما رأته مصت خاتمًا في يدها مسمومًا، وقالت: «بيدي لا بيد عمرو» فماتت.

وقيل: إن عمرو قتلها بسيفه، واحتوى على بلادها.

أو هو النحل قرحها يجلب الحتف إليها وما له إنكاء

أو هـــو البــــــذيء في ســـــوء فعلـــه المذكـــور

«النحل»: أي كالنحل، ثم بين وجه الشبه بقوله «قرحها» أي لسعها لغيرها «يجلب الحتف» أي الموت «إليها» عقب لسعها «وما» نافية «له» أي لقرحها لغيرها «إنكاء» لذلك الغير الملسوع بقتل ولا جرح ولا دم ولا ألم قوي، فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع أنه لا مصلحة تعود عليه بما كان سببًا لهلاكه.

كفانا الله تعالى شر حصائد ألسنتنا وسوء أعمالنا، وما سولت لنا به نفوسنا، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

وكان الفراغ من هذا الكتاب يوم الخميس المبارك الموافق سبعة أيام مضت من شهر رمضان المعظم الذي هو من شهور سنة (١٢٩٥) ألف ومائتين وخمسة وتسعين من هجرة الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وعلى يد الفقير معترف بالتقصير الراجي من ربه غفران المساوئ، حسن بن أحمد بن عمر النزهاوي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولإخوانه في الله أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم الكتـــاب تكـــامـــلـت نعـــم الســـــرور لصاحبـــه

وعفـــــا الإلـــه بفضــــــله وبجـــــوده عــن كـــاتبـــه[1]

(١) قال محققه أبو إسلام سيد بن كسروي بن حسن: وقع الفراغ من تحقيقه فجر يوم الجمعة المباركة الثاني والعشرين من ذي الحجة من سنة (١٤٢٧هـ) الموافق: ١٢/ ١/ ٢٠٠٧م، والله أسأل حسن الختام.

فهرس المحتويات